

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques

قسم التاريخ وعلم الآثار.
تخصص: تاريخ وسيط إسلامي.

واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزّياني

(633 هـ/ 1235م - 962 هـ/ 1554م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التّاريخ الوسيط.

إعداد الطّالب:
لخضر العربي.

المشرف:
أ. د. محمد بن معمر.

لجنة المناقشة:

- **أ. دة. بوجمعة جهيدة**	جامعة أحمد بن بلة، وهران -1-.	رئيسا.
- **أ. د. بن معمر محمد.**	جامعة أحمد بن بلة، وهران -1-.	مشرفا ومقرّرا.
- **د. سبع قادة.**	جامعة أحمد بن بلة، وهران -1-.	عضوا مناقشا.
- **أ. د. عبيد بوداود.**	جامعة مصطفى إسطمبولي، معسكر.	عضوا مناقشا.
- **أ. د. بلعربي خالد.**	جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.	عضوا مناقشا.
- **د. وهراني قدور.**	جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.	عضوا مناقشا.

السّنة الجامعية: 1438هـ -2017م / 1439 هـ - 2018م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران -1- أحمد بن بلة

كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية.

قسم التاريخ وعلم الآثار. تـخصص: تاريخ وسيط إسلامي.

واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزّياني

(633 هـ/ 1235م - 962 هـ/ 1554م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التّاريخ الوسيط.

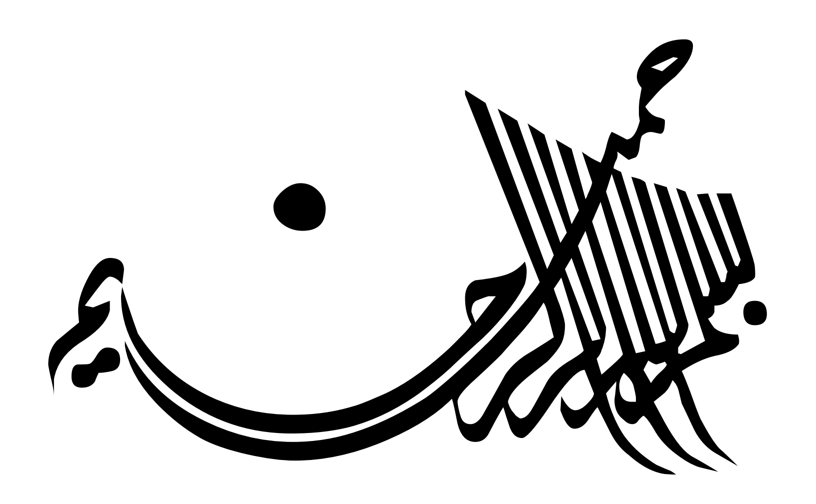
إعداد الطّالب: المشرف:

لخضر العربي. **أ. د. محمد بن معمر.**

لجنة المناقشة:

- **أ. دة. بوجمعة جهيدة**	جامعة أحمد بن بلة، وهران -1-.	رئيسا.
- **أ. د. بن معمر محمد.**	جامعة أحمد بن بلة، وهران -1-.	مشرفا ومقرّرا.
- **د. سبع قادة.**	جامعة أحمد بن بلة، وهران -1-.	عضوا مناقشا.
- **أ. د. عبيد بوداود.**	جامعة مصطفى إسطمبولي، معسكر.	عضوا مناقشا.
- **أ. د. بلعربي خالد.**	جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.	عضوا مناقشا.
- **د. وهراني قدور.**	جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.	عضوا مناقشا.

السّنة الجامعية: 1438هـ -2017م / 1439 هـ - 2018م.


بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إلى الّذين وُلدتُ وتَرعرعتُ بين ظَهرانِيهمْ، وعِشْتُ زمناً بينهم،يؤثرون على أنفسهم لحياتي ولو كان بهم خصاصة، ويَهلعون لآهاتي، ويسهرون على سلامتي؛

إلى الذين نقع فؤادي من محبّتهم، وصَفَتْ سَجِيّتِي بمُخَالَطَتِهمْ؛

أَبي وأُمّي العزيزين، أطال الله في عمرهما، بَلَّغَنِي في طَاعَتِهِمَا رِضَاهُ ورضاهم، ووفّقني إلى التّواضع وخفض الجانب لهم، رحمة بهم، وأعانني على مبرّتهما، إكراما منه – تعالى- لنا نرجوه، وعملاً بالإحسان الذي إليهما أمرَ.

إلى إخوتي حفظهم الله، وصان أحوالهم، وبلَّغَهُمْ آمآلهم، وأصلح بالهم، وختم لهم بالصَّالحات أعمالهم.

إلى أعمامي وأخوالي، وعمَّاتي وخالاتي.

وإلى أحبّائي، وزملائي، وأصدقائي.

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع؛ راجيًا من المَوْلَى جلَّ فِي عُلاَهُ التَّوفيقَ والثَّبات (آمين).

شكر وعرفان

الحمد لله الّذي وفّقنا لبلوغ هذا المقام، ويسّر لنا السّبيل إليه على الدّوام، لا إله إلاّ هو جلّ شأنه، ووجب في الأوّلين والآخرين ذكره وشكره، على آلائه العظيمة ونعمه الجسيمة؛

فيا ربِّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ولا يفوتني – وأنا في هذا المقام اليوم – أن أتوجّه بالشّكر الجزيل للأستاذ الدّكتور: بن معمر محمد، على جميل صنعه، بالإشراف على إنجاز هذه المذكّرة، وحرصه على تتبّع مراحلها، وكرمه في النّصح والتّوجيه وإصراره على ضرورة إخراج البّحث على الشّكل الّذي هو عليه.

والشّكر موصول أيضاً إلى كل الّذين وجّهوا إلينا مساعداتهم، من أمناء وعمال المكتبات، وإلى الزّملاء الّذين آزروني وحفّزوني.

وأخيراً، أتقدم بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير، والعرفان، لجميع الأساتذة الأفاضل الذين صبروا وتحمّلوا عناء قراءة هذا العمل المتواضع، وتنقيحه بملاحظاتهم البنّاءة.

قال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ **سورة الأنعام الآية: 141.**

المـــــقدمة

المـقدمـة:

تعتبر الفلاحة من أهم النشاطات التي بني عليها الاقتصاد في بلاد المغــرب الإسلامي عامّة، وفي المغرب الأوسط خاصة، لأنّها بمثابة العمود الفقري الّذي يمد الدولة بالثروة التي ترتكز عليها في بناء سرح كيانها وقوّتها؛ كما تعتبر مــن أهــم الحرف التي عرفها الإنسان ومن أقدمها، فهي أهم المصادر التي بواســطتها يــؤمن قوته؛ كما يرفد هذا النشاط ورشات الحرفيين بالمواد الأولية المختلفة التي لا تستغني عليها صنائعهم وحرفهم، وتوفر للتجار السلع التي تحرك عجلة السوق، وتسافر بهــا الركبان إلى البلاد البعيدة طالبة الربح الجيد؛ وهي بهذه التجليات منبــع اقتصــادي يختل وضع المجتمع والدولة لنضوبه أو تذبذب صبيبه.

والفلاحة في معناها الواسع تضم نشاطات اقتصادية مرتبطة في أغلبها بخدمة الأرض، وتربية الأنعام والدواب، والصيد؛ وقد تطور هذا النشاط عبر العصور، منذ أن عرف الإنسان حياة الإستقرار، وإعمال فكره في سبل حرث الأرض وازدراعها؛ واشتغاله بكيفية إحيائها واستصلاحها، وانهماكه في انتقاء البذور واتخاذها، واجتهاده في جلب المياه واستنباطها، ومعرفة الحيلة في مدّ القنوات لها ورفعها؛ وغيرها مــن المسائل التي كونت لديه تجاربا طويلة من خلال تعامله مع الأرض وتعلقه بها، هذه التجارب هي التي بنت اقتصاد الحضارات الأولى، وكانــت نبراســا اهتــدت بــه الحضارات اللاحقة، وكونت من عصر إلى عصر ركاما معرفيا وثقافيا ضم خبرات السابقين واللاحقين في تراث مكتوب يشهد على ذلك، نقلب اليوم صفحاته للوقــوف على واقعه وأحواله. وإلى يوم الناس هذا ما زالت الفلاحة القطاع التي تعول عليــه الدول في بناء سياساتها الاقتصادية، وتحاول النهوض به ولا سيما في بلادنــا فــي الآونة الأخيرة، ذلك لأن الانتاج الفلاحي الكثيف والمتنوع يحفظ للدولــة ســيادتها، ويحقق الاكتفاء الغذائي لشعبها، فتستتب أوضاعها وتجنح للسلم أطرافهــا. لهــذا لا زالت الفلاحة تحظى بمكانة مرموقة لدى المجتمعات الانســانية المعاصــرة، رغــم التطور الرهيب الذي يعرفه عالمنا اليوم في استعمال التقنية وطرق الانتاج الحديثة.

إنّ دراســـة: **"واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني"** يتناول جانبا مهما من جوانب التاريخ الإقتصادي لبلدنا في الفتــرة المتــأخرة مــن العصر الوسيط، هذه الفترة التي شهدت تطورات وإضطرابات متلاحقة، خاصة مـا تعلق منها بالمجال السياسي، حيث الصراع المتواصل بين الدول الثلاث (الحفصية، والزيانية، والمرينية) حول من يظفر بميراث دولة الموحدين؛ ولا شك أن أثرت تلك التحوّلات على هذا القطاع الحيوي بالإيجاب والسلب، لا سيما في الزمن الذي بدأت فيه معالم التراجع والانحطاط تظهر.

وإنّ البحث في موضوع الفلاحة خلال هذه الحقبة من تاريخ المغرب الأوسط يساعدنا في الكشف عن صور وواقع هذا النشاط من خلال الاجابة عن العديد مـن الإشكالات المتمحورة حول: طرق وأنماط الإنتاج وحجمه، والامكانيات التي وفّرها هذا النشاط من حيث الكمية والنوعية، وأسباب الوهن والتّراجع.

واعتقادا منا بأهمية المجال الفلاحي في بناء اقتصاد مجتمع المغرب الأوسط، وتحقيق الاكتفاء الغذائي، وبعث الحياة داخل الأسواق والمـدن، وتنشـيط التجـارة الداخلية والخارجية؛ اقترحنا أن يكون هذا الموضوع جديرًا بالبحث والدراسة، رغم ما يكتنفه من صعوبات منهجية وتاريخية، فضلاً عمّا يتطلّبه من جهد في التّنقيب عن حفريات المادّة العلمية.

لا تزال الدراسات الاقتصادية والإجتماعية تستهوي الكثيـر مـن البـاحثين، خاصة في بعض الدول المجاورة كالمغرب وتونس، وذلك بسبب أنهم تجاوزوا كتابة أحداث التاريخ السياسي والعسكري والفكري، وقطعوا أشواطًا كبيرة فـي التـأريخ للظواهر الإقتصادية والإجتماعية، بـل تناولـت موضـوعات فـي غايـة الدقـة والتخصص، وتمتاز بصعوبة الادراك ونقص المادة الخبرية ولا تخلو من مخاطرة، كتاريخ المرض والكوارث والمجاعات والمـوت والفقـر والـديمغرافيا، وتـاريخ الذهنيات والمهمشين والسجناء وغيرها؛ أمّا بالنسبة إلينـا فبـالرغم مـن المنحـى التصاعدي المحتشم الذي عرفته الدراسات الوسيطية منذ استقلال بلادنا إلاّ أنها ظلت

كذلك متذبذبة – خاصة في جانبها الاقتصادي والاجتماعي– إلى حدود العشرية الأخيرة، حيث لم تكن الحصيلة العامة للدراسات الاقتصادية جيدة، بسبب قلة المواضيع المطروقة، لكن الذي ميزها هو استعمالها لنصوص جديدة (منقبية، فقهية، وأثرية)،[1] وحتى الدراسات المنجزة في هذا المجال معدودة إذا ما قورنت بما أنجز في هذه البلدان، ولهذا الوضع له مبرراته وأسبابه، منها ما هو منهجي يتعلق بغياب التراث العلمي أو صعوبة الحصول عليه، ومنها ما هو تاريخي يرجع إلى وطأة الحروب وكثرة الاضطرابات التي ضاعت من جرائها المؤلفات التي ما يزال العديد منها مفقود إلى اليوم، فضلاً عن السياسة الإستعمارية الفرنسية الممنهجة في القضاء على ذلك التراث أو تغييبه.

وعلى العموم فنشاط الفلاحة رغم إقبال عدد كبير من أفراد مجتمع المغرب الأوسط على امتهانه، وفضلا عن إسهاماته في تشكيل وتفعيل الفضاءات السياسية والإجتماعية والإقتصادية بالبوادي والمدن، إلاّ أننا لا نكاد نجد لها حضورًا في حيّز الدراسات التاريخية، خاصّة في الفترة المتأخرة من العصر الوسيط. فمعظم كتابات الباحثين المهتمين بتاريخ المنطقة الوسيطي جاءت في الجانب السياسي والعسكري، وحتى بشكل عام في الجانب الاقتصادي والإجتماعي، وما تعلّق بالفلاحة خصوصًا قد ظل غامضًا.

باستثناء ثلّة من الباحثين حاولوا تسليط الضوء على بعض أوجه النشاط الفلاحي الذي عرفه المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة في سياق معالجتهم لجوانب من الواقع الإقتصادي والإجتماعي ومنها:

كتاب: **"دول الغرب الإسلامي في القرون الثالث عشر، والرّابع عشر، والخامس عشر"**[2] لعطاء الله دهينة تناول فيه التاريخ العام لدول الغرب الإسلامي،

[1]– علاوة عمارة: "خمسون سنة من البحث في التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية"، **مجلة المواقف**، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، العدد:7، ديسمبر 2012، ص ص:109–141.

[2] – ***Les Etats de l' Occident Musulman aux XIII^{e}, XIV^{e}, et XV^{e} siècles***.

التي ظهرت بعد دولة الموحّدين من الحفصيين، والمرينيين، والزّيانيين بالمغرب، وبني نصر بالأندلس.

وكتاب: **"جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التّاسع (15م)"** لمحمود بوعياد، ذكر فيه بعض الإشارات حول الفلاحة وتربية المواشي، والكتاب منشور منذ سنة 1982.

وكتاب: **"العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد"** للطيفة بشاري، تناولت فيه بعض أشكال الانتاج الموجه للتصدير، والمُؤَلَف عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت بمعهد التاريخ في جامعة الجزائر 1986–1987؛ ونشرت برعاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سنة 2011.

بالإضافة إلى بعض الدراسات الحديثة وهي عبارة عن رسائل ماجستير وأطروحات دكتوراه تطرقت إلى جملة من القضايا المهمة بالنسبة لموضوعنا منها:

"الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (237-488هـ/852-1095م)" ليحي أبو المعاطي محمد عباسي، والموضوع لم يتناول الملكيات فقط بل تناول كل ما له صلة بالزراعة، وعلى غير العادة فقد أقحم المؤلف عناصر تتعلق بتربية الماشية والدواب، وهذا حسب بعض المختصين والباحثين لا يدخل ضمن نطاق الزراعة التي تهتم بالزرع والغرس فقط، بل هو جزء من الفلاحة التي تشمل الزراعة والغراسة وتربية الأنعام والدواب والصيد. والعمل عبارة عن رسالة دكتوراه نوقشت بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة 2000.

"الزراعة والري في الأندلس في عصري الامارة والخلافة (138-422هـ/756-1030م)"، لبيداء محمود حسن حميد القيسي، والدراسة لا تختلف عن سابقتها من حيث المضمون، إلا في قضية تربية الماشية والدواب التي لم تتطرق لها

للإعتبارت التي ذكرنا آنفا، والموضوع هو رسالة ماجستير تمت مناقشـتها بكليـة التربية جامعة بغداد سنة 2005.

"**صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 9 هـ (13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون"**، لعبد الكريم شباب، ذكـر مـن خلالـه بعض القضايا الت تخص النشاط الزراعي كأنواع المزروعات وأنـواع الملكيـات وغيرها، وهي عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت بجامعة وهران سنة 2003.

ودراسة أخرى تتمثّل في أطروحة دكتوراه لـــ: بلبشـير عمـر بعنـوان: **"جوانب من الحياة الإجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9 هـ/12- 15 من خلال كتاب "المعيار" للونشريسي"** تناول فيهـا جوانب مهمّة في النّشاط الفلاحي كنظام الأراضي، وأشـكال اسـتغلالها، وطـرق استثمارها، بالإضافة إلى بعض القضايا المتعلقة بالسقي والرعي والصيد، نوقشـت الرسالة في حوان 2010.

ودراسة أخرى متخصصة فـي: **"تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1ه-7م إلى القرن 7ه-13م)"**، لـــ: موسى هواري، وهي عبارة عن رسالة دكتوراة بجامعة الجزائر(2)، بحـث فيهـا التقنية الزراعية في كل جوانب العمل الفلاحي(الحرث، البذر، الحصاد، الغراسـة، ...)، نوقشت الأطروحة سنة 2016.

بالإضافة إلى كتاب: **"الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط"** وهو عبارة عن مجموعة من الأعمال لباحثين نشرت تحت إشراف الدكتور حسن حافظي علوي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالربـاط سـنة 2011، وأهـم القضايا التي تناولتها هذه الأعمال هي: التراث الفلاحي بالمغرب والأنـدلس خـلال العصر الوسيط، التربة: آفاتها وتقنيات علاجها، أساليب الزراعة والغراسة.

وكتاب: **"الزراعة في الأندلس القرن الخامس الهجري "** ليوسف نكادي، وهو في الأصل رسالة دكتوراه نوقشت سنة 2000 بكلية الآداب والعلوم الانسانية بوجدة، تناول فيها الباحث الخصائص العامة للزراعة بالأندلس، وأساليب العمل الزراعي، والمحاصيل والأراضي وأنواعها؛ وطبعت في صيغة كتاب كانت طبعته الأولى سنة 2007.

ودراسة "**تطور الفلاحة في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين(ق: 8-12م)"**، لـ: الأعرج داودي حيث عالج فيها معظم مقتضيات النشاط الفلاحي من قبيل الفتح الاسلامي إلى القرن السادس الهجري، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه ناقشها المعني بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة تلمسان سنة 2017.

لكن وباستثناء ما جاء في هذه الدراسات من قضايا تهم الفلاحة، وبالإضافة إلى ما أتى منها في اطار الدراسات العامة والشاملة لتاريخ الدولة الزيانية والتي تجنبنا ذكرها هنا -يتضمنها البحث، فإنّه لم يظهر حتى الآن دراسة خاصة حول موضوعنا خلال الفترة المراد تغطيتها (ما بين القرنين السابع والعاشر الهجريين)؛ لذا اعتبرت هذا الأمر من أهم الدوافع التي شجّعتني على اختياره كموضوع للبحث رغم ما يكتنفه من صعوبات.

تتمحور الإشكالية التي يطرحها الموضوع ويحاول الإجابة عليها في: واقع الفلاحة بالمغرب الأوسط على العهد الزياني، ووضع الإنتاج الزراعي ومقوّماته، للبحث في: كيف أثّرت العوامل الطبيعية، والبشرية والتقنية، والسياسية على الفلاحة؟ وما هي أشكال وأنواع الأراضي المستغلة؟ وما هي الأساليب والتقنيات المتبعة في استثمار الأرض؟ وما هي أصناف المنتوجات الفلاحية؟ وما الطرق المعتمدة في تخزينها؟ وما هي المناطق التي تركز فيها الانتاج بالمغرب الأوسط؟

وكيف كانت تربية الأنعام والدواب؟ وما هي أصناف الإنتــاج الحيــواني وحجمــه ومناطق انتشاره؟ وكيف كان الصيد؟ وما هي أنواعه وما أدواته؟.

للإجابة عن هذه الإشكالية وكل التساؤلات الفرعية حاولنـــا إتبـــاع المـــنهج التّاريخي بالرّجوع إلى المادّة التّاريخية المبثوثة فـــي بطـــون المضـــان التاريخيـــة بأنواعها المختلفة، كما حاولنا أن نجمع بين الوصف والتّحليل في تتبع واقع النّشـــاط الفلاحي، وفي بعض الأحيان حاولنا من خلال المصادر تقديم معطيات كمّية حـــول أوجه الإنتاج الفلاحي وغيرها وذلك بعرضها في شكل جداول وتحليلهـــا والتعليـــق عيها قدر الامكان.

وقد رصدنا لذلك خطة تتألف من أربعة فصـــول وخاتمـــة وثبـــت لعنـــاوين المصادر والمراجع:

فالفصل الأول الذي يحمل عنوان: **" الفلاحة وإمكانياتها بالمغرب الأوسط"**، يتطرق البحث فيه إلى أربع عناصر، العنصر الأول يتمثل فـــي: **مكانة الفلاحة في المجتمع الاسلامي**، وقفنا من خلاله على الاهتمام الذي حظيت به الفلاحة من خلال نصوص التشريع الاسلامي ودعوتها إلى العمل بها، وكذا نبذ عن مكانتها على عهد المجتمع الاسلامي الأول وما شهدته من تطور؛ والعنصر الثاني جاء ليبـــرز: **مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني**، تعرضنا فيه إلى الاهتمام الذي ناله هذا النشـــاط فـــي عصر بني عبد الواد من طرف فئات المجتمع المختلفة من: عوام ورجـــال ونســـاء وعلماء وزهاد وسلاطين مع تقديم نماذج حية على ذلك؛ أما العنصر الثالث حاولنـــا من خلاله استجلاء: **الامكانيات الطبيعية** التي ساعدت علـــى ممارســـة الفلـــح مـــن أراضي زراعية مختلفة ومياه سائحة متنوعة ومناخ متعدد؛ وأما العنصر الرابع جاء ليقف على: **الامكانيات البشرية**، من خلال تقديم أصول اليد العاملة التي شغلت مجال المغرب الأوسط وساهمت في رسم خارطة العمل الفلاحي به.

والفصل الثاني جاء بعنوان: **"الأراضي الزراعية أشكالها ووسائل العمل"**، تم تقسيمه إلى خمس عناصر، العنصر الأول تطرقنا فيه إلى: **الأراضي الفلاحية** في المغرب الأوسط وأنواع التربة التي كانت تتوفر عليها البلاد، وطرق اختبار الطيب منها والرديء؛ والعنصر الثاني يكشف عن: **أشكال الملكيات الفلاحية**، أو أشكال التملك للأراضي، حيث يشرح أراضي: الدولة، السلطان، الإقطاع والظهير، أراضي الوقف، والأراضي الفردية والجماعية، والموات؛ وقد أشفعنا كل صنف تقريبا بنماذج مما وفرته لنا المصادر التي بين أيدينا لتوضيح المعطى أكثر؛ والعنصر الثالث: **طرق استثمار الأراضي الفلاحية**، نبرز من خلاله أهم نظم استغلال الأرض الشائعة على هذا العهد كالمزارعة والمغارسة والمساقاة، والخمّاسة وغيرها؛ أما العنصر الرابع: **وسائل العمل وتهيئة التربة**، تعرضنا فيه إلى أهم الآلات التي استخدمها الفلاح خلال هذا العصر في خدمة وتحضير الأرض من أجل الأعمال اللاحقة كالبذر والغرس؛ وأما العنصر الخامس: **تقنيات الري ووسائلها**، يعرض مجمل الأساليب التي اعتُمِد عليها في معالجة المياه ورفعها إلى المناطق العالية، وطرق جلبها نحو الحقول وتوزيعها والآلات المستخدمة في ذلك من السواني والنواعير والمذانب وغيرها.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ: **"الانتاج الفلاحي والعوامل المؤثرة فيه"**، حاولنا انطلاقا منه الوقوف على واقع عملية الانتاج الفلاحي النباتي، وحولنا تتبع مسار ذلك بدقة من خلال المعلومات الجغرافية خاصة، ومتوخين الإلماح إلى كمياته وحجمه؛ فالعنصر الأول: **الحبوب وتوزيعها الجغرافي**، أتى ليحصي أهم الحبوب التي عكف فلاحوا المغرب الأوسط على زرعها، وحرصنا هنا على ضرورة توضيح المراحل المتبعة في زراعتها من بداية قلب التربة إلى غاية انتهاء مرحلة الدرس وتخزينها في المواضع المعدة لذلك، ثم بينا المناطق التي يتوزع بها انتاجها؛ والعنصر الثاني: **البقول والمقاثي والباقلاء وتوزيعها الجغرافي**، يعرض أنواعها وطرق زراعتها، ومناطق انتشارها، وفي بعض الأوقات الضيقة أسعارها؛ أما

العنصر الثالث: **الفواكه والأشجار المثمرة**، نتطرق من خلاله أهمية الفاكهة والثمار في حياة المجتمع الزياني، ودور الفلاح الزياني في إقامة البساتين والضياع والرياض، وتنميقها بأنواع من الفاكهة وأشكال من الثمار، وطرق الغراسة والزبر والتركيب والجني وأوقات كل ذلك، ثم عددنا أهم النطاقات الجغرافية التي اهتمت بإنتاجها مع ذكر بعض الملاحظات حول كمياتها ونوعيتها؛ ويستعرض العنصر الرابع: **محاصيل أخرى** تدخل ضمن نطاق الفلاحة كالنباتات الطبية والنباتات النسيجية والنّباتات العطرية والأفاويه ونّباتات الزينة والزهور والأخشاب، بعضا كان ينتج في الحقول، وكان البعض الآخر عثري في بلاد المغرب الأوسط يلتقط ويستفاد منه في مصالح شتى؛ ويدرس العنصر الخامس: **العوامل المؤثرة في الانتاج الفلاحي**، حيث كان الانتاج بضربيه النباتي والحيواني يرزأ لوطأتها، وعملنا على تصنيفها حسب مواضيعها، وعالجنا كل موضوع على حدى وذكرنا ما يناسبه من الأحداث والوقاع من خلال المصادر، وذكرنا انعكاساتها وحجم وشدّة مخلفاتها.

وخصّصنا الفصل الرابع والأخير لـ: **"الرعي وتربية الأنعام والصيد"**، حيث تطرقنا من خلاله إلى نشاط الرعي وتربية الماشية والدواب الداجنة بالمغرب الأوسط، على اعتبار أن العمل بالفلاحة لا يكتمل دون ممارستها، إذ هو جزء منها، وأردفناه بحرفة الصيد؛ وقسمناه إلى خمسة عناصر، فالعنصر الأول: **الرعي وتربية الأنعام**، وضحنا من خلاله أهمية الرعي في المجتمعات عبر التاريخ خاصة بالمغرب الأوسط، ونمط حياة قبائل زناتة والقبائل العربية، وأقحمنا بعض الصور الاجتماعية حول اهتمام طبقات المجتمع بهذه الحرفة، والعوامل المساعدة على تطورها، هذا بالإضافة العادات والتقاليد والتقنيات المتبعة في ذلك، وذكرنا نتف عن حياة المربين والرعاة وبعض المشاكل التي كانوا يتسببون فيها؛ والعنصر الثاني فيحدد: **أصناف المواشي والدواب وتوزيع انتاجها**، ومن خلال الجدول المقدم يقف على مناطق تربية وانتاج كل صنف من الأصناف، مع تقديم ملاحظات حول نوعية الانتاج وحجمه؛ أما العنصر الثالث فيتعلق: **تربية النحل**، ويوضح أسباب انتشار النشاط

بالمغرب الأوسط وشروط إقامة المناحل، وطريقة قطع العسل ومشاكلها، ومراكـــز التربية، ويقدم في جدول أماكن تربية النحل وانتاج العسل بالمغرب الأوســط، مــع الاشارة إلى حجم انتاج هذه المادة؛ وأما العنصر الرابع فيسلط الضوء علـــى: **تربية دودة الحرير**، حيث شير إلى الطريقة المعتمدة في ذلك، ومراحلها، وطــرق العمــل فيها وشروطها، مع ذكر أشهر مناطق انتاج الحرير الطبيعي بـــالمغرب الأوســط؛ والعنصر الأخير يستجلي العمل بـــ: **الـصيد وأنــواعه** المختلفة، مــن صــيد بــري وبحري ونهري، ويتطرق لمناطق توفر الثروة في البر والبحر والأنهار، ثم يجلــب على الوسائل المستخدمة في ذلك من الحيوان الجارح أو الكاسر والآلة، ثم يشير إلى طرق الصيد الشائعة خلال هذا العهد، ويتضمن اشارات عن كميات الصيد والطرائد المتوفرة.

إن البحث في المجال الفلاحي على العهد الزياني يســتوجب الاطـــلاع علـــى مختلف المصادر التّاريخية، ذلك لأنّ الموضوع لا يتوفر على مصادر معينة، فضلاً عن النقص الحاصل في الحوليات التقليدية، وبالتالي فهي في مجملهـــا لا تقـــدم إلاّ نـــزرا يسيرا لا يكاد يشفي غليل الباحث.

وقد شملت بيبليوغرافيا البحث أنواعا مختلفة من الأوعية العلمية المســتخدمة، بين مخطوط ومطبوع، ومراجع ورسائل جامعية، ومقالات، وغيرها، رتبناها حسب افادتها لموضوعنا كما يلي:

1- كتب الرّحالة والجغرافيين:

تعـــتبر هذه الكتب من أهم مصادر البحث التي اعتمدنا عليها، لأنّهـــا ترصـــد العديد من مظاهر الحياة الإقتصادية والإجتماعية، واستفدنا منها بشكل كبير، خاصة فيما يتعلق بتوزيع الثّروات المختلفة وأماكن الإنتاج وأصنافه، لأنّ أصـــحاب هـــذه المؤلفات إنّما دَوّنُواْ فيها ملاحظاتهم ومشاهداتهم، أو اعتمدوا على مصـــادر أخـــرى استقوا واستكملوا منها معلوماتهم، ومنها:

كتاب: **"ما سما إليه النّاظر المطرق في خير الرّحلة إلى المشرق"** المعـــروف بـــ: **"الرّحلـة المغربيـة"** للعبدري البلنسي (ت720هــ)، انطلق العبدري في رحلتـــه من بلاد حاحة يوم 25 ذي القعدة من سنة 688 هــ، ووصل إلى تلمسان في تاريخ لم يحدّده، ثمّ ارتحل عنها يوم 5 ربيع الأوّل سنة 689 هــ، وهو يحوي معلومـــات هامّة حول المنتوجات الزّراعية على اختلاف أصنافها، وأنواعهـــا، واشـــارته إلـــى تدهور الوضع الأمني في بلاد المغرب.

وكتاب: **"تـاج المفرق فـي تحليـة علمـاء المشرق"** المســمّى بــــ: **"الرّحلـة الحجازية"** للبلوي خالد بن عيسى، ابتدأها سنة 736هــ، تضمنت معلومـــات هامـــة حول الهطول والتساقطات المطرية، وحول تراجع الظروف الأمنيـــة، ومعلومـــات أخرى تتعلق ببعض المظاهر الفلاحية.

وكتاب: **"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"**، لأحمد بن يحي بن فضـــل الله العمّري القرشي الدمشقي(ت749هــ)، اعتمدنا على الجزء الرابع منه، حيث تنـــاول وصف بعض مظاهر الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط، لا سيما بعض المنتوجات الفلاحية والحيوانية، كما تطرق إلى الثروة الحيوانية البرية.

وكتاب: "**معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**"، لمؤلفه ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب(ت)، عرف فيه بتلمسان وذكر معلومـــات طيبـــة حـــول وجـــود الضرائب والرسوم، ومنتوجاتها فلاحية، وتوفر الصيد بها.

أمّا كتاب: **"وصف إفريقيا"** للحسن بن محمد الوزّان (ت957هــ) مـــن أهـــم المصادر المتأخّرة، أفادنا بمعلومات كثيرة وهامّة حول الفلاحة بصفة عامـــة(الانتاج النباتي والحيواني، الصيد بأنواعه، الثروة الحيوانية البريـــة والبحريـــة، الضـــرائب والخراج، ...)، وقد زار المغرب الأوسط في حدود 923هــ.

وكتاب: **"إفريقيا"** لمرمول كرفجال (كان حيا 966 هـ)؛ تناول تاريخ البربر، وحياتهم السياسية والإجتماعية والاقتصادية، قيّد فيه الكثير من المعلومات من شاكلة ما ذكره الوزان في مؤلفه؛ حيث يشبه كثيرا.

بالإضافة إلى كتب أخرى في هذا الباب منها: كتاب **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأخبار** لابن بطوطة(ت779هـ)؛ وكتاب "فيض العباب وإفاضة قداحة الآداب في الرحلة السعيدة إلى بلاد قسنطينة والزاب" لابن الحاج النميري(ت بعد774هـ)؛ وكتاب **رحلة التجاني** لأبي محمد عبد الله بن محمد التجاني (675-717هـ)، و**كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار** لمؤلف مجهول من القرن السادس الهجري؛ وكتاب **الرّوض المعطار في خبر الأقطار** للحميري محمد بن عبد المنعم؛ وكتاب **تقويم البلدان** لأبي الفداء إسماعيل؛ وكتاب **معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت626هـ)، وكتاب **المسالك والممالك** لأبي عبيد البكري (ت487هـ)؛ وغيرها من مصادر هذا الباب.

2- كتب الفلاحة:

يحتوي هذا النوع من المصنفات على مادة نظرية غزيرة ومتنوعة، وفي بعض الأحيان تتضمن تجارب فلاحية بعض مؤلفيها، وتتعلق بعمليات القلب والحرث والبذر، ومعلومات أخرى تتصل بالأدوات والأساليب المعتمدة في الميدان؛ وقد اعتمدتنا عليها من أجل ما ورد مجملا من أخبار تخص النشاطات الفلاحية في المصادر التي بين أيدينا، ومنها:

"كتاب ابداء الملاحة وانهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة"، لابن ليون التجيبي أبو عثمان سعد بن أحمد(ت750هـ)، وهو عبارة عن مخطوط بمكتبة مدرسة الدراسات العربية بغرناطة في اسبانيا (***la biblioteca de la Escuela de Estudios Árabes de Granada***)، مسجل تحت رقم:2˚¯A/5/14، وقد

نظمه ابن ليون في شكل أرجوزة مقسمة على شكل أبواب وفصول، تتعلق بأركـــان الفلاحة والنشاطات والعمليات الفلاحية المختلفة، والأرجوزة في الحقيقـــة اختصـــار لكثير مما جاء في مؤلفاته سابقيه من المؤلفين كابن بصـــال والطغنـــري وغيـــرهم. وباختصار فالكتاب يتناول بشكل عام تفصيل أركان الفلاحة الأربعة: الأرض والماء والزبل والعمل؛ وقد استفدنا منه في مباحث كثيرة من الدراسة.

وكتاب: **"زهرة البستان ونزهة الأذهان"**، لأبي عبـــد الله محمـــد بـــن مالـــك الطغنري الغرناطي(كان حيا 512هـــ)، يتضمن معلومات ضافية عن علم الفلاحـــة: كطرق اختيار التربة، وطرق وأوقات البذر والغرس والتركيـــب، وطـــرق تجفيـــف الفواكه وتخزينها، ويظهر من خلال الكتاب مدى تبصر صاحبه بهذا العلم من خلال تجاربه الشخصية التي قام بها، وحصد نتائج جيدة من خلالها، كما بين فـــي بعـــض الأحيان ما وقع فيه السابقون من المؤلفين في الميدان أو الفلاحين من أخطاء وبـــين وصححها؛ وقد أفادنا بمعلومات في غاية الأهمية.

ومنها أيضا: كتاب "**الفلاحة"** لأبي زكرياء يحي بن محمد المعروف بابن العوام (ت. 540 هـــ)؛ و"**كتاب في الفلاحة"** لأبي الخير الشجار الأندلسي(ق6هـــ)، وكتاب **"مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"** لمؤلف مجهول (ق6هـــ)، وكتاب "**المقنع في الفلاحة**" لابن حجاج الاشبيلي(414هـــ)، وكتاب **"الفلاحة النبطية"** لابن وحشية أبـــو بكـــر أحمد بن علي(ق4هـــ)، وكتاب **"علم الملاحة في علم الفلاحة"** لـــ: النابلسي عبـــد الغني(1143هـــ)، وغيرها.

3- كتب النّوازل:

تكمن أهمية هذه الكتب فيما تحتويه من معلومات دقيقة عـــن الحيـــاة اليوميـــة لمجتمع المدن الإسلامية؛ فهي تقدّم معلومات واقعية من خلال ما يطرأ من نـــوازل تخص علاقات العمل والنشاطات الفلاحية المختلفة، وغير ذلك من القضايا المهمـــة. لكن الباحث أمام هذا النّوع من المؤلفات يصطدم بعدّة عوائق منها: إشكالية تـــوطين

الزمان والمكان الذي وقعت فيه النازلة؛ وصعوبة معرفة السائل والمفتي الذي أبدى رأيه فيها؛ وهي في الحقيقة جوانب لا تساعد -أحيانا- على حسن استثمار تلك المسائل وبناء أحكام تاريخية من خلالها، وقد استندنا عليها في الاستدلال على كثير من مظاهر النشاط الفلاحي ومشاكله. ومنها:

كتاب: **"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"** للونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى (ت 914 هـ)، جمع المؤلف نوازل علماء الغرب الاسلامي ممن سبقوه أو عاصروه، كما ضم بعض فتاويه إليها، وقد الكتاب تضمن مسائل كثيرة في شتى ضروب النشاطات الفلاحية، غطت معظم فصول الدراسة.

وكتاب: **"الدّرر المكنونة في نوازل مازونة"** لأبي زكرياء يحيى بن موسى المازوني (ت 883 هـ) اعتمدنا على النسخة التي حققها الأستاذ مختار حساني، ولكن فيها بعض الأخطاء المطبعية التي أخلت بالمعنى في بعض الأحيان، رغم أن اكتاب طبع مرتين سنة 2004 من طرف مخبر المخطوطات بجامعة الجزائر(ببوزريعة)، وسنة 2009 من طرف دار الكتاب العربي بالجزائر؛ ضم المؤلف جملة معتبرة من الأسئلة الموجهة لعماء المغرب الأوسط منهم: عبد الرحمن الوغليسي، وأبو الفضل العقباني، ومحمد ابن مرزوق، وغيرهم؛ وأفادتنا نوازله بشذرات مهمة حول أحكام الأرض وطرق إستغلالها والخراج والضرائب والصيد.

وكتابٌ: **"النّوازل"** لأبي عبد الله علي بن محمد بن أحمد بن مرزوق (الحفيد ت 842 هـ)، وهو عبارة عن مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، مسجل تحت رقم: 1342، يتألف من جزأين، حيث يقدم عددًا كثيرًا من النّوازل التي رُفِعت إليه؛ وقد نقل كل من الونشريسي والمازوني جملة منها في مصنّفه؛ وقد أطلعنا على قضايا مهمة منها على سبيل المثال ما يتعلق بتربية دودة الحرير.

بالإضافة إلى كتاب: **"الإحكام لمسائل الأحكام"** لأبي عمران الزناتي موسى بن أبي علي (ت:706هـ)، وكتاب: **"المسائل الفقهية"** لابن قداح الهواري أبي علي عمر (ت734هـ)، وكتاب: **"جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (المعروف بـ: فتاوى البرزلي)"** لأبي القاسم البرزلي(841هـ)، وكتاب: **"النوازل الهلالية (المعروفة بـ: نوازل بن هلال)"** لابن هلال أبو اسحاق ابراهيم بن علي الصنهاجي الفلالي السجلماسي(ت: 903هـ)، وكتاب: **"رفع الالتباس عن شركة الخماس"** لأبي علي الحسن بن رحال المعداني(ت1140هـ).

4- كتب التراجم والمناقب:

إنّ هذا النّوع من المصادر معظمها يحتوي ليس فقط على تفاصيل عن الأعمال الأدبية والمناقب الخلقية للعلماء، والفقهاء، والزّهّاد، لكنّها تذكر أيضا ما إختصوا به من ممارسة النّشاطات الزراعية المختلفة، وما تملكوه من رياض وبساتين وعقارات وأراضي، كما تكشف في كثير من الأحيان عن الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة والطواعين وغيرها؛ ومن أهمها:

كتاب: **"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"** لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت704هـ)، طالعنا بمعلومات هامة تخص بعضها الجالية الأندلسية، وبعضها الأخر يتعلق بآلات الصيد، وبعض الحوادث كالجفاف والقحط وغيرها.

أما كتاب: **"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"** لابن مريم التلمساني (ت 1014 هـ)، ترجم فيه لعدد مهم من العلماء والأولياء منهم عالمين برزا في العلوم الفلاحية؛ ويحمل الكتاب معلومات قيمة وردت عرضاً في بعض التّراجم المستفيضة، منها اشتغال بعض أصحابها بالفلاحة، وامتلاك بعضهم لقارات ورياض وغيرها.

وكتاب: **"أنس الفقير وعز الحقير"** لابن قنفــذ القســنطيني (ت 810 هـــــ)، خصص ابن قنفذ هذا الكتاب للقطب أبي مدين شعيب وشيوخه وأصحابه وتلامذتـــه، من بين ما أفادنا به ابن قنفذ مظاهر المجاعة العظيمة التي حلت ببلاد المغرب عامة سنة ست وسبعين وسبعمائة(1375م).

وكتاب: **"مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"** مــن تــأليف موسى بن عيسى المازوني (عاش ق9هــ)، رغم أن الكتاب يروي نبذا مــن ســير بعض الصلحاء والزهاد بوطن شلف، إلا أنه زودنا بمعلومات هامة عــن الفلاحــة بمنطقة أحواز وادي شلف، استفدنا منها في مختلف مراحل البحث، وتخص إحيــاء الأرض، مراحل زراعة الحبوب، المناحل وتربية النحل وغيرها. وللأمانة فالكتــاب أهدانيه الأستاذ الفاضل د. عبيد بوداود بعد تحقيقه له ونشره.

هذا بالإضافة إلى كتب أخرى مثل: **كتاب الوفيات** لابن قنفذ القسنطيني؛ وكتاب **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين** و**النّجم الثّاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب** لابن صعد التلمساني(ت901هــ)؛ وكتــاب **المسند الصحيح الحسن** و**المناقب المرزوقية** لابن مرزوق الخطيب(ت781هــ)، ومخطــوط **مناقب أحمد بن يوسف الراشدي الملياني(ت933هـ) لمؤلف مجهول**؛ وكتاب **دوحة النّاشر** لابن عسكر الحسني (ت 986 هــ)؛ وكتاب **نيل الابتهاج** و**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج** لأحمد بابا التّنبكتي (ت 1036 هــــ)؛ و**كتاب الوفيات** لأبــي العباس أحمد بن يحي الونشريسي؛ وكتاب **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية** لأبي عبد الله محمد بن عمر الملالي التلمساني؛ وكتــاب **درة الحجال في ذكر غرة أسماء الرجال** لابن القاضي المكناسي؛ وغيرها.

5- كتب التّاريخ العام:

يقدم هذا النوع من المصنفات التاريخية معلومات غير مستهدفة عن الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط، ذلك لأن غايات تأليفها تكاد تكون لطلب الزلفى ونيل الحظوة والقربى لدى سلاطين العصر، لذا كانت كتاباتهم تئط بأخبار السلاطين وحملاتهم ومأثرهم، فضلا عن ارهاق كاهلها بالرائق من الأسلوب والبديع؛ بينما ظلت أحداث وأخبار الفئات الأخرى على الهامش كونها بعيدة عن البلاط، ولا تصدر دويا يشد انتباه المؤرخين ويجري أقلامهم، رغم ذلك وردت خلالها بعض النتف هنا وهناك، تمكنا بعد لَمِّ شتاتها من رسم بعض المشاهد الفلاحية. ومنها:

كتاب **" العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** لابن خلدون عبد الرحمن(ت 808 هـ)، خاصة القسم الأول منه المسمى: **"بالمقدمة"** الذي تناول فيه المؤرخ الظاهرة الإجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالعمران؛ وتناول أوجه المعاش ومنها الفلاحة حيث عرفها، وبين طريقة العمل فيها، كما عالج فيها قضية الضرائب وأسباب فرض الدولة لها وعواقبها عليها وعلى المجتمع الفلاحي وغيره، إذا ما تمادت في فرضها والزيادة في ألقابها. وأما الديوان (المجلدان السادس والسابع) فهو طافح بالأحداث السياسية والعسكرية، ونزر يسير حول بعض الأحداث المتعلقة بتخريب الضياع وانتساف الزروع، وكذا بعض آثار الحصار على تلمسان، ووقائع أخرى ترتبط بالأوبئة والطواعين وغيرها.

وكتاب: **"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"** لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون (ت 780 هـ)، وهو من المصادر المتخصصة في تاريخ بني زيان بالمغرب الأوسط، وكان مؤلفه كاتبا بديوان العلامة لدى السلطان أبي حمو موسى الزياني، يقع الكتاب في جزأين، الأول منهما يتناول التعريف بقبيل بني عبد الواد ودار ملكهم، ويترجم لما اشتهر من أبنائها بالعلم، ثم يتتبع أخبار مصير الملك إليهم ويعدد دولهم؛ أما الجزء الثاني فقد خصصه لسيرة من انضوى تحت خدمته ونعته بـ: "فيما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد" وهذا

العنوان في حقيقة الأمر تتمة للعنوان العام لكتاب المؤلف، وقد أفادنا المؤلف بمعلومات عن النشاط الفلاحي وكميات الانتاج وعن السياسة الضريبة وغيرها في غاية الأهمية والدقة.

وكتاب: **"زهر البستان في دولة بني زيان"** لمؤلف مجهول عاش خلال القرن الثامن الهجري، وهو على شاكلة الكتاب السابق، وقد ألف على عهد السلطان أبي حمو الثاني كذلك ولنفس الغرض. وكذلك كتاب: **"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان"** المقتطف من "**نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان"** لمحمد بن عبد الله التنسي(ت899هـ) وهو لا يختلف عن المصادر السابقة اللهم إلا في كونه واصل عملية التأريخ لأحداث بني زيان بعد توقفها عند كل من الأخوين يحي وعبد الرحمن ابني خلدون، وكذلك عند مؤلف زهر البستان. وقد أسعفنا ببعض المعلومات المهمة.

وكتاب: "**تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**" لإسماعيل ابن الأحمر(ت807هـ)، رغم أن صاحبنا يفتقد إلى الموضوعية بسبب تحيزه الفاحش إلى بني مرين، ولا غرو فقد كان من جملة العلماء والأدباء والشعراء الذين اصفاهم بنو مرين لمجالسهم؛ ورغم ما في الكتاب من عبارات تقطر حقدا وتشتعل غيضا على بني زيان، إلاّ أنه أورد معلومات طالعتنا على اهتمام بعض آل زيان بالفلاحة.

ويجاور هذه المصادر عدد آخر منها استودعناها في بيبليوغرافيا البحث.

6- كتب الحسبة:

يتضمن هذا النوع من الكتب بعض التفاصيل عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي أفرزها الواقع اليومي للناس، وقد سجل بعض مؤلفيها – والذين كانوا في العادة إما قضاة أو محتسبين، المخالفات الشرعية المرتكبة من طرف الحرفيين والصناع والعمال في أعمالهم، من جراء ممارستهم لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها:

كتاب **"تحفة النّاظر وغنية الذّاكر في حفظ الشّعائر وتغيير المناكر"** لأبي عبد الله محمد العقباني (ت 871 هـ)، الذي كان قاضيا للجماعة بتلمسان، حيث تناول في هذا المصنف جملة من القضايا التي ترتبط بحكم أرض المغرب، والصيد، والرفق بالحيوانات والدواب وغيرها.

وكتاب **"المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها"** لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي المعروف بابن الحاج(ت737هـ)، يتضمن شذرات هامة حول فضل الفلاحة، والقزازة، وغيرها.

الى جانب **"كتاب في آداب الحسبة"** لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي؛ وكتاب **"رسالة في الحسبة"** لابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي.

7- كتب الوثائق والشروط:

تشير هذه المصنفات إلى شروط إمضاء العقود المختلفة، وتتضمن نماذج لطرق تحريرها ورسوم الاشهاد عليها، وبالتالي تستوقفنا عند عقود: المغارسة والمزارعة والمساقاة والاجارة وغيرها ومنها على سبيل المثال: كتاب **"المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق"** لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، وكتاب **"الوثائق (الفائق في الوثائق)"** لأبي عبد الله محمد الفشتالي (ت777هـ)، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز العامة، رقم: 648خ.

8- كتب الأدوية المفردة وعلم النبات:

يتناول هذا الصنف من الكتب أنواع النبات وخواصه والأمراض التي يستخدم لها دواء، وانما أقحمناها في بحثنا لعلاقتها بعض النباتات الفلاحية أو الطبية التي تحتاج في بعض الأحيان إلى تعريف أو شرح ومنها على سبيل المثال:

كتاب **"الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"** لابن البيطار العشاب ضياء الـــدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي(ت646هــ)، وكتاب **"عمدة الطبيب في معرفة النبات"** لأبي الخير الاشبيلي(ق6هــ)، وكتاب **"منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين"** لابن الوردي(ت 749هــ)، و**كتاب تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب** لمؤلف مجهول، وهي عبارة عن معاجم تتضمن أســـماء النباتات وخواصها الدوائية وطرق الاستطباب بها، ونجد فيها اشارات طيبـــة عـــن بعض النباتات التي تنمو ببلاد المغرب الأوسط لا سيما عند ابن البيطار.

وبالإضافة إلى هذه الأصناف فقد وظفنا مجموعة أخرى من المؤلفات في فنون مختلفة ككتب الفقه، وكتب الأموال والخراج، وكتـــب الأمثـــال، وكتـــب الحيـــوان، ودواوين الرسائل والأدب، وغيرها، وهي مدرجة في ثبت مصادر ومراجع البحث.

وإلى جانب هذه المصادر فقد اعتمدنا على قائمة ثرية من المراجع المختلفـــة، قد تقدم معنا ذكر أهمها، لكن لا مناص هنا من الاشارة إلى دراسات تضمنت وثائق نفيسة جدا، منها: **"تلمسان: عاصمة سابقة لمملكة هذا اسمها"**[3] لبـــارجيس، حيـــث تضمن المرجع ثلاث نصوص عربية لنقوش كتابية تحبيسية تخص بعـــض مســـاجد مدينة تلمسان، أفادتنا بمادة خبرية دسمة وفي غاية الأهمية، وتتعلق بـــ: ذكر عـــدد معتبر من الاستغلاليات والملكيات الفلاحية مشفوعة بأســـماء أصـــحابها، عقـــارات مغروسة وغير مغروسة، اشارات إلى انتقال ملكية الأراضي من الآباء إلى الأبنـــاء بالوراثة، مناطق انتشار الرياض والجنات وبعض الأشجار المثمرة، تسميات خاصة ببعض البساتين، وغيرها.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نشير إلى بعض العقبات التي واجهتنا خـــلال انجـــاز هذه الدراسة، ومنها:

---

[3] -L. J. J.L. Bargès, ***TLEMCEN Ancienne Capitale du Royaume de ce Nom***, révision : Mahrez Amine, EURL KAFILA, Alger, 2011.

- يجد الباحث في تاريخ المغرب الأوسط حدودا جغرافية وسياسية على مستوى المادة الخبرية، ويتضح ذلك من خلال المقارنة بين حجم المعلومات الاقتصادية التي تضمنتها المصادر عن كل قطر من أقطار بلاد المغرب، حيث حظيت بلاد المغرب الأقصى بأوفر نصيب من النصوص الثرية بالمعطيات التاريخية، ولا تقل عنها إفريقية الحفصية شأنا في هذا المجال، أما بالنسبة للمغرب الأوسط فحضوره قليل جدا وأخباره مقتضبة في الكتابات التاريخية والجغرافية لاسيما في القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط، ولا يمكننا إيعاز ذلك إلاّ للوضع السياسي الذي كان يمر به هذا المجال، الذي كانت تتجاذبه الدولتان المجاورتان لتوسيع نفوذهما، ولعل هذا ما جعل المؤرخين يهتمون كثيرا بأخبار الأقاليم الأخرى التي كان المغرب الأوسط يتبعها سياسيا في بعض فترات السيطرة الخارجية وتغييب أخباره وأحداثه. إن وجود مثل هذه الحدود في المادة التاريخية يجعلنا في بعض الأحيان نتحفظ في اصدار بعض الأحكام أو تعميمها، لأنها في بعض الأحيان تخص الحيز الذي نال اهتمامها.
- طبيعة موضوع الدراسة الذي يتسم بالتشعب، فهو يحتاج ترسانة من الأساليب والتقنيات والمناهج المختلفة في عرض المعلومات واستنطاق النصوص.
- الحضور المحتشم لأخبار البوادي والأرياف في الاسطوغرافيا المتنوعة مقارنة بالمدن التي تواترت حولها الأخبار.
- عدم ثبات حدود الدولة الزيانية عبر فتراتها التاريخية بسبب الحروب والتوسعات، جعل مهمة تتبع المجال الفلاحي صعبة في بعض الأحيان.
- بالإضافة إلى الاشكال المنهجي المتعلق بتأريخ وتوطين النوازل الفقهية المشار إليه سابقا.

غير أنها لم تثن من عزيمتنا، وبفضل الله تعالى تمكنا من تمهيد الجِلّة منها، ووصلنا بالعمل إلى الحال التي هو عليها اليوم.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلاّ أن أتقدم بأسمى آيـــات الشـــكر والتقـــدير والعرفان إلى أستاذي المشرف النّصوح: أ. د. محمد بن معمر، الذي أفادني بعلمـــه وخبرته وملاحظاته القيمة، وإرشاداته السديدة.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:

الفلاحة وإمكانياتها بالمغرب الأوسط

1- مكانة الفلاحة في المجتمع الإسلامي.

2- مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني.

3- الإمكانيات الطبيعية.

4- الإمكانيات البشرية.

تمهيد:

تعتبر الفلاحة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان، ومن أقدمها، وذلك لأنها تسد حاجة طبيعية لديه فهي أهم المنابع الرئيسة التي يتم عن طريقها تدبير القوت وتأمينه، كما أنه عن طريق الفلاحة يتم للإنسان توفير الكثير من المواد الأولية اللازمة في قيام حرف وصنائع أخرى تعتمد على المحاصيل المختلفة.

ولاشك أن هذا النشاط قد بدا دوره جليا في التطور الاجتماعي والاقتصادي للبشرية، خاصة بعد بداية ظهور التجمعات البشرية الأولى، واستقرار الإنسان واشتغاله بخدمة الأرض، لكن في كثير من الأحيان كان هذا النشاط يتأثر بعدة عوامل طبيعية وبشرية قد تنعكس على المنتوج الفلاحي بالسلب والإيجاب.

وقد كشفت الحضارات الإنسانية الأولى عن اهتمام الإنسان بالفلاحة وإنتاج وتدبير الأقوات وتربية الحيوانات؛ وفيما بعد نشطت الحضارة العربية الإسلامية ونشطت معها الفلاحة، خاصة بعد ترجمة كتب التراث القديم الخاصة بالفلاحة، حتى أن أصحاب هذه الحضارة تميزوا بمساعيهم وتفوقهم وتدابيرهم العجيبة، وأساليبهم في الزراعة، وحفر الترع، ونظام الري، وغيرها.[1]

وفي هذا الفصل نسعى إلى إبراز مكانة الفلاحة في المجتمع الإسلامي عامة، وفي المجتمع الزياني خاصة خلال الفترة الممتدة بين القرنين السابع والعاشر الهجريين(ق:13-16م)، كما سنحاول التطرق إلى الإمكانيات والعوامل التي ساعدت على تطور هذه الحرفة انطلاقا من المصادر المتوفرة بين أيدينا.

1- مكانة الفلاحة في المجتمع الإسلامي:

للعمل قيمة عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، وله أثر كبير في التّقدم والازدهار، إذ هو الطريقة الوحيدة إلى استغلال الثروات الطبيعية واستخدامها في تلبية حاجات الإنسان، فبالعمل تفلح الأرض وتستخرج من باطنها المعادن، وبه تشيّد المدن، وتبنى

[1]- عبد المتعال محمد الجبري، **الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى**، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993م، ص. ص. 38-40.

الحصون والقصور والقلاع، وبالعمل يهيئ القوت والثوب، والسكن، وبالعمل يتّقي الإنسان عيلة الفقر والخمول والكسل.[1] والعمل كذلك هو العنصر المحدد لوجود الإنسان، وتحقيق ذاته وشخصيته، وهو مصدر الكرامة الشخصية والإستقرار الإجتماعي، كما أن للعمل نفس الأهمية في قيام الحضارة الإنسانية والمحافظة عليها وتقدمها.[2]

والفلاحة من جنس العمل، وهي القيام على حرث الأرض وإِزدراعها، وإصلاحها، وعلاج نباتها، وتعهّده بالسّقي والتّنمية إلى أن يبلغ غايته، وغراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يصلح منها للتّركيب وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها،[3] ثمّ حصادها لاستخراج الحبّ منها بالدّرس.[4] وهي متقدّمة عن الصّناعة والتّجارة،[5] لأنها محصّلة للقوت المكمّل لحياة الإنسان إذ لا يمكن وجوده إلاّ به.[6]

وتضمنت العديد من الآيات القرآنية توجيه النّظر إلى ضرورة العمل ولا سيما العمل بالفلاحة واستغلال الأرض،[7] قال تعالى:﴿وَقُلِ اِعْمَلُواْ فَسَيَرَى أَللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُومِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ اِ۬لْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

[1]- عز الدين الخطيب التميمي، **العمل في الإسلام**، شركة الشهاب، الجزائر، 1987، ص:7-8.

[2]- موفق طيب شريف: **"الحق في العمل ومكانة الحرف والمهن في الإسلام، دراسة أصولية مقاصدية فقهية"، مجلة الناصرية**، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية(جامعة معسكر)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس- الجزائر، العدد: 04، جوان 2013، ص: 15.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن(ت 808 ه)، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص723؛ سليمان فياض، **ابن العوام عالم الزراعة**، منشورات *ANEP*، الجزائر، الطبعة الأولى، 2006، ص18.

[4]- ابن خلدون، **المصدر السابق، والصفحة ذاتها.**

[5]- **نفسه**، ص 683.

[6]- **نفسه**، ص 723؛ على الرغم من أن بن خلدون قد أجزل في تعريف ماهية الفلاحة، إلا أنه لم يتطرق إلى ذكر أساليبها، وطرق وفنون الري فيها، وجرّ المياه وتخزينها، مما كان معروفا في زمانه، خاصة وأنه تنقل في البلاد، وتقلد المناصب ونال القربة لدى سلاطينها. عبد القادر عابد، علي عنبدة، وآخرون، **أساليب الإنتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الإسلامية**، الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، 2001، ص:279.

[7]- كانت نظرة العرب للزراعة قبل الإسلام وفي الحجاز بخاصة تختلف من الأعراب البادية إلى المتحضرين، فالعرب المتحضرون في مكة وفي الطائف وفي المدينة كانوا يعملون بالزراعة ولا يأنفون منها، أما أهل البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويسخرون من المزارعين، ولا شك أن هناك ظروفا دعتهم لذلك، ولما جاء الإسلام أخذ يشجع على العمل بالزراعة. عبد العزيز بن إبراهيم العمري، **الحِرفُ والصناعات في الحجاز في عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم)**، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، الطبعة الثالثة، 2000، ص:85.

﴿١٠٦﴾﴾،[1]وقال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَّوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.[2] وأشارت آيات قرآنية أخرى إلى حرث الأرض والتصرف فيما تنبته من الزروع والأشجار والثمار إذ يقول المولى عز وجل:﴿ هُوَ ٱلذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾،[3] وقال جل في علاه:﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنَ اَعْنَٰبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾،[4] وقال عزّ من قائل:﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٣﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.[5]

وفضلا عن هذه التوجيهات الربانية إلى أهمية العمل والاشتغال بالفلاحة، والحث على التفكر في النباتات، وحرث الأرض وزراعتها، نجد أن هذه النصوص تتضمن معاني أخرى تتمثل في نبذ البطالة والخمول، والعطلة.

كما تضمنت آيات الكتاب العزيز الكثير من مفردات علم النبات والزراعة ووسائلها، "فمثلا أورد حقيقة على جانب كبير من الأهمية العلمية حينما قرر القرآن في سورة الحجر الآية الثانية والعشرين في قوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا

---

[1]- **سورة التوبة**، الآية: 109.
[2]- **سورة الجمعة**، الآية:10.
[3]- **سورة النحل**، الآية: 10-11.
[4]- **سورة الرعد**، الآية: 3-4.
[5]- **سورة يس**، الآية: 33-34.

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾، وهذا ما اِكتشفه علماء النبات بعد ذلك بقرون طويلة عندما قالوا إن الرياح وسيلة من وسائل التلقيح في النباتات".[1]

ونجد جملة من الأحاديث النبوية تحث على الاشتغال بالزراعة وفلاحة الأرض، فعن أنس بن مالك- **رضي الله عنه**- قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلّا كان له به صدقة"،[2] وفي الحديث إشارة إلى أن الغرس والزرع واِتخاذ الصنائع مباح وغير قادح في الزهد، وفيه أيضا حث المسلم على عمارة الأرض لنفسه ولمن يأتي بعده، وفيه أيضا أن الزراعة والغرس من أفضل المكاسب.[3]

وعن أبي هريرة- **رضي الله عنه**- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه"،[4] كما روى أنس بن مالك-**رضي الله عنه**-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن اِستطاع أن لا يقوم حتى يغرسها

[1]- محمد عبد الوهاب فايد، **التربية في كتاب الله**، مكتبة الاعتصام، 1972، ص:31. وينظر كذلك: بركات محمد مراد: **"مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات"، مجلة الوعي الإسلامي**، قطاع الثقافة والشؤون الإسلامية (وزارة الأوقاف الكويتية)، الكويت، العدد: 556، أكتوبر- نوفمبر 2011، ص:1؛ عبد الحليم عويس: **"الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة"، مجلة البحوث الإسلامية**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية-الرياض، العدد: 21، 1408ه، ص.ص:168-170.

[2]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم**، دار الحديث، القاهرة،2013، ص:315؛ الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، **كتاب المسند الجامع المعروف بسنن الدارمي**، تقديم: نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري، دار البشائر الاسلامية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2013، ص: 626؛ الشنقيطي محمد حبيب الله، **زاد المسافر فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**، مصر،1969، ج2، ص: 333.

[3]- الحبيب الجنحاني، **التحولات الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع صدر الإسلام**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1985، ص:82.

[4]- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 2002م، ص:563؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسين، **صحيح مسلم**، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1991م، ج:3، ص:1176.

فليفعل".[1] ويقول صلى الله عليه وسلم :"سبع يجرى أجرهن للعبد وهو في قبره من علّم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته".[2]

والأحاديث من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيرة، كثرة المواضيع التي طرقتها كفضل الغرس والزرع، وإحياء الأرض الموات وغيرها، لكنها تصب في معنى واحد هو أن العمل بالزراعة عبادة إلى جانب أنها كسب شريف.

لذا فالإنسان في الإسلام مطالب بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، لعمارة الأرض وسدّ حاجات الناس بعمل الفلاحة، وقد تفطن الفقهاء لهذا الأمر فجعلوا الفلاحة من الواجبات الكفائية على الجماعة، لأن الناس لا بد لهم من الطعام.[3]

وعلى هذه التعاليم الربانية نهج المسلمون الأوائل فخلفوا لنا آثارا كانت النبراس الأول في بناء حضارة العالم، من ذلك ما روي من أن يزيد بن مسيلمة كان يغرس في أرضه، فقال له عمر- رضي الله عنه-: " أَصَبْت، اِستغن عن الناس يكون أصون لدينك وأكرم لك عليهم"؛[4] وروي عن عمر بن عبد العزيز- رحمه الله تعالى-: أنه كتب إلى عماله يقول: "أنظروا ما قبلكم من أرض الصافية، فأعطوها بالمزارعة بالنصف وما لم تزرع فأعطوها بالثلث".[5]

---

[1]- ابن حنبل أحمد بن محمد، **كتاب المسند**، شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995، ج:11، ص: 55.

[2]- أخرجه: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ج:2، ص: 344؛ وحسنه: محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988، ص: 674.

[3]- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، **الحسبة في الإسلام – أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص: 24.

[4]- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص: 504.

[5]- ابن زنجويه حميد بن مخلد(ت:251ه)، **الأموال**، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، 1986، ج:2، ص: 634؛ وينظر: محمد نجمان ياسين، **أرض الصوافي: الأرض الخاصة بالدولة في الاسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العصر الأموي**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2014، ص: 116.

وتوسع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- في توزيع الأراضي ليقوم الناس بإحيائها وزراعتها واستثمارها، فأعطى سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود والزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد- رضي الله عنهم- وآخرين، وكذلك فعل من بعده من الخلفاء عثمان وعلي- رضي الله عنهما-.[1]

ولما استتب الأمر لبني أميه أمروا الولاة بمسح الأرض الفلاحية لجباية الخراج والزكاة، وقاموا بشق الترع وإصلاح المجاري وتشجيع الفلاحين على إحياء الأرض البور، وقد ازدادت في زمن الأمويين زراعة أنواع الحبوب والقطن وقصب السكر، كما ازداد غرس الأشجار المثمرة كالكرمة والزيتون والنخيل، وفي العصر الأموي أيضا بدأ إنشاء الحدائق والبساتين، والسدود، والترع والجسور، وأنشأت القنوات واستصلحت الأراضي البور.[2]

وفي العصر العباسي، ولازدهار ورخاء الحياة ظهرت الزراعة البستانية لتزيين القصور، ولم يكن في عصر العباسيين أهم من مهنة الفلاحة، حتى أصبح أهل هذا العصر أول العارفين بالزراعة وأحسن العمال، وأصبحت الزراعة التي أخذوها من أساليب بابل والشام ومصر علمًا حقيقيًا للعرب أخذوا نظرياتها من الكتب ثم وسعوها بتجاربهم وكانوا يطبقونها بمهارة، ولا تستنكف أعلى الطبقات عن العمل بأيديهم في زراعة الأرض، وكان غيرهم يحقرها ويعدها عملا مهنيًا.[3]

---

[1]- بركات محمد مراد، **المرجع السابق**، ص:2.

[2]- بركات محمد مراد، **المرجع السابق، والصفحة ذاتها**؛ محمد نجمان ياسين، **أرض الصوافي، المرجع السابق**، ص: 116. وينظر: سعيد اسماعيل علي، **النبات والفلاحة والري عند العرب**، مكتبة عالم الكتب، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006، ص ص:310-333.

[3]- عبد المتعال محمد الجبري، **المرجع السابق**، 38.

واهتم فلاحو هذا العصر بحرث وإعداد الأرض والعناية بالزروع ثم الحصاد والتخزين ومعالجة الآفات والأمراض، ثم تصنيع المزروعات، وبرعوا في اختيار الأرض ثم استنباط المياه لأنها أساس العمل الزراعي.[1]

ولا شك في أن هذا الوضع قد عمّ البلاد الإسلامية خاصة بعد اِتساع رقعتها بعد حركة الفتوح الإسلامية في المشرق والمغرب، وهو الأمر الذي ساعد على تنقل الأشخاص، والعلماء وبالتالي تبادل الخبرات العلمية والثقافية.

ومنذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب كانت حواضره مراكز اِستقرار وإقامة بالنسبة للسلطة المركزية الممثلة في الولاة أو العمال، أو الأمراء، أو السلاطين، وكانت على اِختلاف أدوارها وأهميتها مراكز تجارية، وأيضا مراكز إشعاع ثقافي. وبرز دورها أكثر فأكثر بعد قيام الدول المستقلة بهذه المنطقة، حيث بدأت تدير شؤونها وتمارس وظائفها عن طريق مؤهلاتها دون اللجوء إلى مركز الخلافة، لذا فكل التطورات السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية اللاحقة كانت تتفاعل وتتشكل في الحواضر كالقيروان، والمهدية، وبجاية، وتلمسان، وفاس، ومكناسة.[2]

لذا عرفت بلاد المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين(11- 12م)، وعلى الوجه الأغلب، اِعتماد سكانها سواء أصحاب البوادي أو الحواضر اِعتمادا كبيرا على الزراعة.[3]

[1]- بركات محمد مراد، **المقال السابق**، ص:2؛ عبد العزيز الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص:51.

[2]- يوسف نكادي، **الزراعة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، مطبعة الجسور، وجدة-المغرب، ط:1، 2007، ص:55.

[3]- عزالدين عمر موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 2003، ص: 129؛ يوسف نكادي، **المرجع السابق، والصفحة ذاتها**. تشير بعض الدراسات المتخصصة في التاريخ القديم لبلاد المغرب، إلى أن المنطقة(بلاد المغرب) قد عرفت ممارسة النشاط الزراعي، وتربية الماشية منذ العصر الحجري، واستمرت إلى الحديث الذي يبدأ من الألف الخامسة ويستمر حتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007-2008، ص:50؛ رشيد الناضوري، **المغرب الكبير**، الدار

تلك إذن المكانة التي تبوأتها الفلاحة، حيث دلت تعاليم الإسلام الناس إلى نشاط حيوي وضروري في حياتهم، وهو الزراعة، وحثت عليه من خلال النصوص الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، "التي تذكر بحرث الأرض وزراعتها، وذلك لما في حرث الأرض وزراعتها من الخير المكنون والرزق المقسوم، وقد جعل الله الأرض منشأ الخلق وأصل وجودهم، ... وهكذا عدد الله ما في الأرض من نعيم، وما فيها من رزق وبركة، وما فيها من قوام الحياة، ... وأمر سبحانه بحرثها وفلاحتها والضرب فيها؛ طلبا للرزق".[1]

2- **مكانة الفلاحة في المجتمع الزياني:**

تشير المصادر التي بين أيدينا إلى فضل الفلاحة على الفرد والمجتمع، والمجال الذي يعيش فيه(الوسط)، وانعكاسات ممارسة هذا النشاط على هذا المجال، فيذكر ابن الحاج العبدري أنّ الآكد مما على المكلف: "من الصنائع والحرف الزراعة التي بها قوام الحياة وقوت النفوس،... فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا، إذ أن خيرها متعد للزراع ولإخوانه المسلمين وغيرهم، والطير والبهائم والحشرات، لذلك ينتفع بزراعته، ... فما في الصنائع أبرك منها، ولا أنجح إذا كانت على وجهها الشرعي، وهي من أكبر الكنوز المخبأة في الأرض. لكنها تحتاج إلى معرفة بالفقه وحسن محاولة في الصناعة مع النصح التام والإخلاص فيها، فحينئذ تحصل البركات وتأتي الخيرات."[2]

وأشار آخر إلى أن الفلاحة: " هي العمران، ومنها العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد

القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ج: 1، ص: 154؛ محمد الصغير غانم، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب**، دار الهدى، عين مليلة، 2003،ص. 111؛ خوسي مارية مياس بييكروسا، **علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس**، تعريب: عبد اللطيف الخطيب، مطبعة المخزن، تطوان-المغرب الأقصى، 1957، ص:10.

[1]- ينظر: دعوى أن الإسلام أغفل بعض الأعمال الحياتية ومنها الزراعة ضمن كتاب: محمد الدسوقي، **الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه**، دار الوفاء، المنصورة، 1995؛ أو ينظر: دعوى الشبهة كاملة في موقع:

http://bayanelislam.net/9.5.2018.

[2]- **المدخل إلى تحسين النيات**، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت، مج: 2، ج:4، ص:3؛ الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك الغرناطي، **زهرة البستان ونزهة الأذهان**، تحقيق: محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر الجديدة-مصر، 2005، ص: 42.

الأحوال،..."[1] وقال آخر أن أفضل المعاش في التجارة وأفضلها في الزرع والغرس والماشية.[2]

وبلغت الفلاحة من المكانة والفضل حتى اعتبر بعض الفقهاء اتخاذ زروع الناس طرق ومجالس، وإقامة السماع وإنشاد الشعر فيها من المنكرات المحرمة التي يجب تغييرها، حيث كان: " بعض المتفرجين، ... لا يغضون أبصارهم عن المحارم ولا يتفكرون في ذلك، بل يرتكبون المحرم جهارا فيمشون في زروع الناس قصدا، ويتخذونها طريقا ومجالس، وربما عملوا فيها السماع وإنشاد الشعر الرقيق المشتمل على التغزلات التي تميل قلوب الرجال فكيف بالنساء"؛[3] وصرح بعض المتأخرين بأن "فضل صنعة الزراعة يَجْبُرُ التقصير الحاصل في العبادة والانقطاع إلى الله".[4]

ولكل هذه المعاني والقيم التي تضمنتها هذه النصوص، اعتنى أهل المغرب الأوسط في المدن والقرى والبوادي بالفلاحة وإحياء الأراضي الموات[5] حتى غدت النشاط الغالب على أهلها، وأصبح هذا النشاط هو العمود الفقري لاقتصاد الدولة الزيانية؛[6]حيث يذكر يحي بن خلدون في سياق وصفه لمدينة تلمسان: "ويعمر(ها) من

[1]- ابن عبدون التجيبي محمد بن أحمد، **رسالة في الحسبة**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص:3.

[2]- ابن مفلح المقدسي الحنبلي، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، شركة القدس للتجارة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007، ج:3، ص:254.

[3]- ابن الحاج، **المصدر السابق**، مج: 1، ج:1، ص:271.

[4]- المجاجي عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي، **التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج**، تحقيق: خالد بوشمة، دار التراث، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005، ص: 507-510؛ وينظر: سعيد بن حمادة، ومحمد البركة، **الحرف والصنائع بالغرب الاسلامي مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الانتاج**، مطبعة بني ازناسن، سلا-المغرب، د.ط، 2016، ج:2، ص:189.

[5]- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج:5، ص: 116-117. وذكر الونشريسي في هذا السياق أنّ: " مدينة توات أحيى المسلمون أرضها، بإخراج مياهها و غرس نخلها وبناء قصورها". **نفسه**، ج:2، ص: 235-236.

[6]- مبخوت بودواية: **"الحياة الإقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبوبكر بلقائد(تلمسان- الجزائر)، العدد التجريبي، ديسمبر2008، ص: 53؛ عبد الكريم حساين: **"الحياة الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (7-9هـ/13-15م)"، دورية كان التاريخية**، العدد:17، سبتمبر 2012، ص:93.

البشر ناس أخيار أولو حياء ووقار، ووفاء بالعهد وعفاف ودين، واقتصاد في المعاش واللباس والسكنى، على هدي السلف الصالح -رضي الله عنهم- غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف، ..."[1]

ولا يفوتنا ونحن نعالج حرفة الفلاحة كنشاط امتهنته شريحة واسعة من المجتمع الزياني، أن نتساءل: كيف اعتبر الفلاح الزياني العمل بالفلاحة؟ أو كيف تصور الاشتغال بالفلاحة؟

منذ الوهلة الأولى يبدو أن المصادر الإخبارية المتوفرة لدينا، غير قادرة على تقديم إجابات كافية عن هذا السؤال، لذا حاولنا الحفر في مصادر أدبية أخرى لا تقل أهمية عن المتداولة رغم اختلاف الحقل المعرفي، لكنها توفر معلومات خصبة عما نحن بصدد الإجابة عنه، إنها مؤلفات الأمثال الشعبية.

تشكل الأمثال الشعبية جزءًا كبيرًا من تراثنا الثقافي الشفهي التي تعكس الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، وقد تناقلت الأجيال هذا التراث عبر العصور من جيل إلى جيل حتى وصلتنا في ثوبها الحالي، وهي لا شك وليدة ملاحظات متواصلة، وتجارب عديدة،[2] وفكر فلاح العصر الزياني وقارن بين الحرف والصنائع وفاضل فيما بينها صائغا بذلك أمثالا عامية تكشف بوضوح الحالات الاجتماعية للفلاحين والمزارعين.

من ذلك أمثال عبرت عن ضرورة العمل بصفة عامة منها مثلا: "غبار العمل خير من زعفران العطلة"، "من جلس بلا شغل، يطلب في رأس قولُ عظمْ"، "كل أخذ من صنعته ينفق"، "صنعة ولدك، ولو كان حشاشْ".[3]

---

[1]- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980، ج:1، ص:92.

[2]- أنجز بعض الباحثين دراسات هامة انطلاقا من الأمثال الشعبية منهم على سبيل المثال: موسى علي حسن، **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية**، دار الفكر، سورية، الطبعة الأولى، 1997.

[3]- الزّجالي أبو يحي(ت694م)، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق: محمد بن شريفة منشورات الدولة المكلفة بالشؤون والثقافة والتعليم الأصلي، دون تاريخ، القسم الثاني، أمثال رقم:1719/ ص393، رقم:1433/ ص331، رقم:1109/ ص259، رقم:1582/ ص359.

أما فيما يعلق بمكانة الفلاحة في المجتمع من خلال الأمثال الشعبية نذكر منها بعض ما يعكس ذلك من خلال الجدول التالي:[1]

المثــــل:	مضـــــربه:	المرجع:
- "أدي الفرض وأنقب الأرض"	- حـرص الفـلاح الشـديد علـى خدمة أرضه، لأن خدمة الأرض تـأتي مباشرة بعد العبادة. الآيـة: "فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ"[2]	- مختار المومني: **"الفلاحة في أمثالنا العامية"، مجلة الاتحاف،** العدد: 143-144، 2004، ص ص: 67-73؛ محمد حمداوي: **"المواسم الزراعية والأمثال الشعبية لدى الفلاحين التلمسانيين"، مجلة الحداثة،** العدد:143-144، 2012، ص ص: 243-259؛ سعيد بنحمادة: **"الفلاحة والفلاحون في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، دورية كان التاريخية،** العدد:22، ديسمبر 2013، ص ص: 116-122.
- "الفلاحة متعة، والصناعة منعة، والتجارة فجارة"	- الفـلاح وهـو يعمـل فـي حقلـه يستمتع بذلك، والصناعة تمنعه الفقـر، والفلاحـة أفضـل مـن التجـارة لأن هـذه الأخيـرة يصحبها الغش والحَلِفُ والكذب، وذلـك هـو المقصـود بالتجـارة فجارة.	
- " الفلاحة تعبٌ وراحة"	- الفـلاح عنـدما يشـتغل ويـزرع أرضـه سـيتعب، لكـن سـيحس بالراحة عند جني المحصول.	
-" الأرض تعطيها تعطيك"	- كلما ضاعف الفلاح جهده في خدمـــــة الأرض والعنايــــة	

[1] - حول الأمثال الواردة في الجدول ينظر: مختار المومني: **"الفلاحة في أمثالنا العامية"، مجلة الاتحاف،** العدد: 143-144، 2004، ص ص: 67-73؛ محمد حمداوي: **"المواسم الزراعية والأمثال الشعبية لدى الفلاحين التلمسانيين"، مجلة الحداثة،** العدد:143-144، 2012، ص ص: 243-259؛ سعيد بنحمادة: **"الفلاحة والفلاحون في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، دورية كان التاريخية،** العدد:22، ديسمبر 2013، ص ص:116-122.

[2] - **سورة الجمعة،** الآية:10.

	بالزراعات كان المحصول وفيرا.	
-"اللي ما غناتو السكة، ما تغنيه الركة"	- يقال لمن تراوده نفسه في ترك عمل الأرض إلى مزاولة حرفة أخرى، والسكة من أدوات الحرث والركة من آلات النسيج.	

تلك هي إذا طائفة من الأمثال العامية التي أسهمت في بلورة الموقف الشعبي الايجابي إزاء النشاط الزراعي، حتى اعتبرت الفلاحة - ورغم كل التعب الحاصل فيها- مقدسة عند الفلاح وعامة الناس، حتى أصبحت لا تجيز الحج إلى بيت الله الحرام إلا بمال مكتسب من حراثة الأرض، أو مال متأت من ميراث، لذلك قيل: " ما يكون الحج حلال إلا بحرثة وإلا بورثة".[1]

كما أن الفلاحة من أغنى المكاسب، لأن "بالغراسات والزراعة تكثر بمشيئة الله الأقوات"،[2] وعن طريقها يصل ممتهنها: " بحول الله إلى معاشه، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله، ...، واستعان بذلك على منافع دنياه ومصالح أخراه".[3]

ومن المنافع الحاصلة للفلاح من خلال هذا النشاط في الدنيا كفاية أهله عَيْلَة الفقر بتوفير الغذاء لهم، وبناء الثروة سعيا لحياة أفضل، أما في الآخرة فينال الأجر والثواب لأنه ييسر على إخوانه تحصيل الغذاء الضروري لحياتهم، فضلا عن تأدية فرض زكاة ما ينتج للمستحقين منهم، ولذلك "اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء".[4]

---

[1]- مختار المومني، **المرجع السابق**، ص: 73.

[2]- ابن العوام(من أهل القرن 7هـ)، **كتاب الفلاحة**، دراسة وتعليق: غارسيا سانشيز وإستفان فرنانديز ميخو، مدريد، 1988، ج:1، ص: 1، 5.

[3]- **نفسه**، ص:1.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مطبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، 1973، مجلد: 1، ص: 137.

وكذلك من بين ما ينهض دليلا على اهتمام أهل المغرب الأوسط بالفلاحة من خلال ممارستهم اليومية لها، ما انتشر بينهم من خطاب يومي يتضمن تقويما فلاحيا عاميا،[1] وهو في حقيقة الأمر "لا يقل واقعية عما درج عليه علماء الفلاحة في مصنفاتهم؛ إذ استمد التقويم الفلاحي الشعبي أهميته من الاحتكاك المباشر لتلك الفئة الاجتماعية بالحقول، وما تميز به بعضهم من حس تجريبي".[2]

لذا نجد في مصادرنا التاريخية شذرات مهمة عن هذا التقويم الفلاحي الشعبي، الذي كان وليد تفتق قريحة الفلاح الذي استطاع أن "يستنبط تقويما فلاحيا شمسيا سماه بالسنة العجمية وشهورها تتوافق مع فصول السنة الأربعة"[3]، ومن خلال ما توفر لدينا من إشارات في هذا المعنى ما يوضحه الجدول التالي:

الإشارة/المثل	المعنى	المصدر أو المرجع
-" إذا ريت التين أبشر بالطين"	- إشارة إلى قرب فصل الخريف.	- الرّجالي أبو يحي، **أمثال العوام، المصدر السابق**، ص: 07.
-"إذا تحب نادرك يكبر أحرث في شتنبر"	- أو شهر سبتمبر هو بداية فصل الخريف، واذا نزل فيه المطر يحرث الفلاح أرضه.	- مختار المومني، **"الفلاحة في أمثالنا العامية"، المرجع السابق**، ص: 69.
-" متى هو البرد؟ قال: إذا نزل الشتا".	- إذا بدأ تساقط المطر حل البرد.	- الرّجالي أبو يحي، **أمثال العوام، المصدر السابق،**

[1]- بالإضافة إلى هذا التقويم الذي عرفه الفلاح على العهد الزياني-ولا يزال بعضا منه متداولا إلى يوم الناس هذا- وبنى عليه مشاريعه وخططه الفلاحية الفصلية والسنوية، شدنا في بعض المصادر جملة من الكلمات المستعملة بين أوساط الفلاحين مثل: المزود، الماجل، العلف، الحصاد، الزريعة، القصيل، بحيرة، الأرض البور، قطع العسل، الحشان؛ والكلمة الأخير(الحشان) تطلق على كبار الفلاحين بوادي ريغ، والحشان: هو الفسيل من النخل، وقد أطلق هذا الاسم عليهم لجلبهم الفسيل من الزاب منذ عهد بعيد. محمد الطاهر بن دومة، **أخبار وأيام وادي ريغ**، تقديم وتحقيق: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة منتوري- قسنطينة، 2010-2011، ص:69.

[2]- سعيد بنحمادة، **المرجع السابق**، ص: 117.

[3]- محمد حمداوي، **المرجع السابق**، ص:67.

		ص:341.
-**"في مارس نقّي زرعك وحارص".**	- يعتني الفلاح بالزرع، ويقلع الأعشاب الطفيلية.	- مختار المومني، **"الفلاحة في أمثالنا العامية"، المرجع السابق**، ص: 68.
-**"مَطَر فَبْرِيل، خير من فَيْضِ النيل".**	-كناية على أن الزرع إذا ارتوى في هذا الشهر كان الحصاد وفيرا.	- الزّجالي أبو يحي، **أمثال العوام، المصدر السابق**، ص:349.
-**"في ميُّو أحصد زرعك لو يكون فليو".**	-لأن هذا الشهر تنضج فيه الحبوب.	- مختار المومني، **"الفلاحة في أمثالنا العامية"، المرجع السابق**، ص: 69.

ولا يفوتنا في هذا الموضع أن ننوه إلى إحدى العادات التي انتشرت في كافة بلاد المغرب الإسلامي، وهي من العادات اللصيقة جدا بالأرض والزراعة، وبخاصة زراعة القمح، وتمثل دليلا واضحا على مكانة الفلاحة في المجتمع، إنها عادة "يناير" وهي مناسبة فلاحية يحتفل بها – إلى اليوم – في شهر يناير(جانفي) من رأس كل سنة، تيمنا بمجيء سنة فلاحية مليئة بالخصب والغلال والرخاء.[1]

وقد كتب أحد المستشرقين الفرنسيين في مقال نشره في المجلة الإفريقية تحت عنوان:"اناير يات سنوس" بمعنى:" يناير عند بني سنوس"، استهله بخمس صفحات كتبت بالحرف العربي على اللهجة البربرية المحلية لبني سنوس، وهي تروي احتفالات يناير، وخلاصتها كما ثبتها الكاتب في جمل عربية كتبها بنص المقال الفرنسي، ولأهمية هذا النص نورده كما يلي: "يوم نفقة اللحم، ... يوم نفقة الكرموس،... راس العام، إنهم يجمعون في أمسه ورق الشجر الأخضر على أنواعها، حتى الريحان، والبرواق، ... والخروب، والسانوج، والكروش، والدرياس،

[1]-René Basset: *"Les Influences Puniques Chez Les Berbères"*, In : ***Revue Africaine***, N°: 62, 1921, p. 347.

والعرعار، ... وينشرونه على سطوح المنازل حتى تأتي السنة خضراء، ... في ندرومة يأكلون في اليوم الثاني رؤوس الغنم ويقولون: من يأكل في يناير راس يبقى راس، أي يبقى إنسانا عاليا، ... في تلمسان يعدون شربة لحريرة بالكروية وهم يقولون: شهد يا الكروية ما تموت شي يهودية، ... وتعد النساء الشرشم أي القمح المطبوخ وهن يتغنين بالبيتين: كلْ الشرشم لا تتحشم - ربي عالم ما دسينا شي."[1]

وقد كان لأهل المغرب الأوسط أسوة حسنة في عدد كثير من العلماء الذين احترفوا الفلاحة إلى جانب نشر العلم وتعليمه على العهد الزّياني، فبنو مرزوق كانوا فلاّحين بأرض العبّاد إلى جانب إشتغالهم بالعلم، وكان منهم أبو العبّاس أحمد بن مرزوق(681-741 هـ/1282-1340 م) والد ابن مرزوق الخطيب مؤلف "المسند"، كان فلاحا بالعبّاد بفدّانة كما كان يشارك بعض أصحابه من أهل زيدور في فلح وغرس الأرض،[2] وكان عبد السّلام التونسي يعمل بأرضه، ويأكل الشعير من حرث يده بنفس الموضع السابق.[3]

كما دعا بعض علماء[4] ونسّاك المغرب الأوسط إلى ضرورة العمل والاشتغال بالفلاحة من ذلك أن أبا العباس أحمد الغماري كان "لا يحمل الناس على الجلوس

---

[1]-Ed. Destaing: "***L'Ennayer Chez Les Beni Snius***", In: ***Revue Africaine***, N°:49, 1905, p. 51-56.

للمزيد حول البعد التاريخي والاجتماعي لعيد يناير ينظر: عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى، عين ميلة-الجزائر، 2014، ص:161، وما بعدها.

[2]- بنو مرزوق: استقرّ جدّهم الأوّل بتلمسان في أواخر القرن الخامس الهجري (11م)، ونشأ أولاده بها، فعرفوا بالصّلاح والوجاهة بالدّين. ابن خلدون يحي، **المصدر والجزء السابقان**، ص114؛ ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ)، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2008، ص:147، 222، 223؛ وانظر أيضا: بن داود نصر الدّين، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان (ق7-10هـ)**، مذكرة ماجستير، بكليّة العلوم الإنسانية والحضارة، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002-2003.

[3]- ابن قنفد، **أنس الفقير، المصدر السابق**، ص108؛ ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: بوباية عبد القادر، الجزائر، 2010، ص:222.

[4]- حاولنا من خلال كتب التراجم التي بين أيدينا البحث عن علماء اشتهروا بالبحث في علم الفلاحة، لكننا لم نجد أي أثر على ذلك في العهد الذي نستقصيه، اللهم إلا إشارتان، الأولى وهي في الفترة محل الدراسة وترجع إلى محمد بن أحمد الإدريسي(ت:771ه) إمام تلمسان وعالمها، بل إمام المغرب كما يعبر على ذلك ابن مريم وذكر في ترجمته أنه "كان إماما في العلوم العقلية كلها: منطقا وحسابا وفرائض، ...، وتشريحا وفلاحة، وكثيرا من العلوم

وترك التكسب والأخذ في طريق الزهد بل كان ينبه على فضل التكسب ويحض على عمل الفلاحة، ويقول كان كثير من السلف الصالح يحترفون بالتجارة ويتعلقون بالأسباب المعينة لهم على التفرغ لعبادة الله"، وكان يحث الناس كثيرا على عمل الفلاحة من زراعة وغراسة، ويقول: "أهل المغرب أقوى وأحرص على عمل الفلاحة من أهل تلمسان، فإذا اعتذر له الحاضرون يقول لهم: لو علمتم ما في ذلك من الفضل والثواب ما وسعكم هذا العذر".[1]

ولا شك أن إصرار هذا العالم على ضرورة عمل الفلاحة نابع من تبصره بالخدمات الاجتماعية والاقتصادية التي يوفرها الفلاح لإخوانه في الوسط الذي يعيش فيه أو خارجه، كذلك يتجلى لنا تأثر هذا الرجل باهتمام أهل المغرب الأقصى بالفلاحة، ويتحسر لضآلته ذلك لدى أهل المغرب الأوسط، وهذا ما يدل على أنه كان مطلعا على واقع الفلاحة وأحوالها وطرقها خاصة أثناء إقامته ببلاد غمارة واحتكاكه بفلاحيها ورؤيته لأساليبهم في إقامتها.

وكان الشيخ أبو زكرياء المغيلي من وطن وادي شلف يقوم باستصلاح أسناد الجبال، فيقتلع ويقتطع ما بها من أشجار وأحراش، ويصلحها ويمهدها للزراعة والغراسة.[2]

القديمة والحديثة"، أما الثانية فبعيدة نسبيا عن الفترة المدروسة و تتعلق بعَلم من أحد بيوتات العلم بتلمسان ألا وهو سعيد المقري(سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن بن بلعيش المقري)، وهو فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها، وخطيبها لخمس وأربعين سنة، حيث قال ابن مريم أنه" كان إماما في العلوم العقلية كلها" وذكر من جملة تلك العلوم علم الفلاحة، وكان حيا سنة إحدى عشرة وألف. **المصدر السابق**، ص:281-299، 196؛ محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، 2004، ص:101-102.

[1]- ابن صعد التلمساني، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص:211. ينظر: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983، ج:2، ص:28،29.

[2]- موسى بن عيسى المازوني، **مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار**، تحقيق: عبيد بوداود، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس-الجزائر، الطبعة الأولى، 2015، ص:839. ذكر المؤلف بأن الشيخ أبو زكرياء المغيلي من أهل جبل بيسة، بينه وبين تنس ثلاثة أميال ونحوها، ينتسب لقبيلة سفيان أو لقبيلة الخلط من عرب المغرب، ومغيلة جماعة من تلك القبيلة، وقبره مشهور بجبل بيسة، يحتمل أنه عاش بين القرنين السادس والسابع. **نفسه، والصفحة ذاتها**؛ ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي، **التشوف إلى رجال**

وإلى جانب اهتمام العنصر الرجالي بالفلاحة برز العنصر النسوي بشكل قوي، خاصة نساء البوادي[1] بالمغرب الأوسط، حيث قامت بأعمال تدخل في سياق المشاركة العفوية للرجال في أشغال الحقل، فكانت تسقي الماء، وتحتطب، وتحرث الأرض، وتساهم في حصد الزرع وجمعه أغماره ودرسه،[2] وتربية الأنعام،[3] كما كانت تهتم باختيار وكراء المطامر لتخزين غلاتها من الحبوب.[4]كما تكشف بعض النوازل الفقهية عن امتلاك المرأة للأراضي والتصرف فيها بالبيع،[5] واستئجارها لها في بعض الأحيان،[6] وأيضا في بعض الأوقات وبدافع التفكير في نيل ثواب المولى عزّ وجلّ من خلال

التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2010، ص:302.

[1]- مفتاح خلفات، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين(6ه-9ه/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د. ط، 2011، ص: 232

[2]- نبيلة عبد الشكور، **اسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الاسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة الثاني عشر-الخامس عشر الميلاديين**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008، ج: 2، ص: 244. وينظر: كرراز فوزية، **دور المرأة في الغرب الاسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري(ق 11-13م) دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الاسلامي**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2006، ص ص: 121-127؛ حياة قارة، **النساء في فضاء البحر الأبيض المتوسط الثقافة والمجتمع في العصر الوسيط**، دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، 2011؛ زهور أربوح، **أوضاع المرأة بالغرب الاسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي**، دار الأمان، الرباط-المغرب، الطبعة الأولى، 2013، ص ص:315-317. ونورد هاهنا نصا لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق للتدليل على ذلك الدور الذي مثلته المرأة -على سبيل الاستئناس- رغم كونه بعيدا نوعا ما عن الفترة محل الدراسة، ولأننا لا نستبعد مواصلة المرأة له في الحقب الزمنية اللاحقة حتى يوم الناس هذا، حيث يقول فيما يرويه على لسان عمّ عبد المؤمن بن علي المعروف في أخباره بيعلو عن أخيه عليّ والد عبد المؤمن المذكور: "...، كنا نحصد الزرع وأمك بك حامل، فجاءت للفدان ...، فلما خلقت أنت أتت أمك الفدان فلقت السنبل". **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 2004، ص:15.

[3]- ابن هلال أبو اسحاق ابراهيم بن علي الصنهاجي الفلالي السجلماسي(ت: 903هـ)، **النوازل الهلالية (المعروفة بــ: نوازل بن هلال)**، جمع وترتيب: علي بن أحمد الجزولي، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، دار الجيل، الدار البيضاء-المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2013، ص: 302، 303؛ أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي(ت 928هـ)، **كتاب السير**، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص: 302.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص: 230.

[5]- **نفسه**، ص: 175.

[6]- **نفسه**، ج:7، ص:51.

تحبيس منافع الجنان والبساتين على بنيها، أو على المساجد وغيرها،[1] أو تقديمها صدقة على زوجها.[2]

إذا تلك هي بعض النصوص التي تبين مدى المكانة التي حظيت بها الفلاحة عند عامة شرائح المجتمع الزياني، لكن السؤال المطروح هل أولت السلطة الزيانية للفلاحة نفس الاهتمام؟

نستشف من خلال بعض الدراسات والمراجع الازدهار الحضاري الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط بما في ذلك العاصمة مركز السلطة تلمسان، وهو الأمر الذي ساهم - منذ بداية قيام الدولة وإلى قبيل سقوطها- في ترسيخ الصنائع واستحكامها، حيث أن الملوك الزيانيين ضاعفوا الجهود لتوفير مختلف شروط النمو،[3] فأول ملوكها يغمراسن بن زيان اهتم بالبناء والعمران؛ أهم ما اشتهر به من المآثر إقامة الصومعتين بالجامعين الأعظمين[4] بتلمسان،[5] وعرض عليه أن يكتب اسمه على الصومعتين، فرفض ذلك وأجاب بلغة البربر:"يسنت ربي" ولا شك أن ما أجاب به يغمرا سن على الذي طلب منه كتابة اسمه على الصومعتين، إنما يدل على بعد هذا السلطان عن التفاخر الدنيوي، وورعه وتقواه.[6]

---

[1]- **نفسه**، ص: 62، 104، 130.

[2]- أبو محمد بن خنتاش المسيلي، **نهاية المرام في تيسير مطالعة الأحكام**، مخطوط بمكتبة المدينة المنورة: مكتبة المسجد النبوي الشريف، د. ر، ص: 93.

[3]- عبد الحميد حاجيات: **"تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط"، مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر- بوزريعة، العدد: 10، 1997م، ص:186.

[4]- الجامعين الأعظمين هما: الجامع الأعظم بأغادير، والجامع الأعظم بتاكرارت، مئذنة الأول علوها أربعون متراً، ومئذنة الثاني أربعة وثلاثون متراً. عبد الحميد حاجيات، وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر طبعة خاصة، 2007، ص191. ينظر: صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص:85. ابن خلدون يحيى، **المصدر السابق**، ج1، ص:207.

[5]- **تاريخ بني زيان، المصدر السابق**، ص:125.

[6]- عبيد بوداود: **"قراءة في أوقاف و مدارس وزوايا تلمسان الزيانية"، مجلة المواقف**، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي(معسكر) الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، العدد: 03، ديسمبر 2008، ص42.

ومن ناحية أخرى حرص يغمراسن بن زيان على حسن مراعاة الزرّاع في الأراضي الواقعة تحت سلطته، فوفر لهم الأمن، وخفف عنهم الجبايات، فأحبوه وتعلقوا به.[1]

كما اهتم بقية السلاطين الزيانيين، الذين جاؤوا بعد يغمراسن باتخاذهم البساتين والحدائق داخل قصور الملك، وهو ما عبر عليه يحيى ابن خلدون: "فيها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه، ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه"،[2] إلى أن قال:" ...، وتحف بخارجها الخمائل الألفاف، والأدواح الأشبة، والحدائق الغلب، بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من الفواكه والرمان والتين والزيتون إلى المتنزهات الرائعة".[3] كما أشار عبد الرحمن ابن خلدون إلى أن قصور تلمسان كانت في منتهى الحسن ساهم في بنائها الحذاق من أهل صناعة البناء، واستجادوا فيها، بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله.[4] ولم يتمالك لسان الدين بن الخطيب نفسه وهو يصف أعمال السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى في البناء والبستنة ونظم الغروس حين قال عنه: "مشيّد القصور ومروض الغروس ومتبنّك الترف".[5]

ولا شك أنّ خط مثل هذه البساتين، والخمائل، والأدواح، والحدائق، بكل ما تحويه من أصناف الفواكه والأشجار المثمرة، مع المناسبة في أطوالها وعروضها، واعتبار عنصر التنميق والتزيين في الغراسة، لدليل واضح على تطور الفلاحة في

---

[1]- حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1992، مج: 2، ج: 3، ص:140.

[2]- **المصدر السابق**، ج:1، ص86.

[3]- ابن خلدون يحيى، **المصدر السابق**، ج:1، ص86.

[4]- للأسف فإن هذه القصور قد دمرها السلطان أبو العباس المستنصر بالله المر يني (776-786هـ)في أواخر شهر شهر ربيع الأول من سنة 786ه. ابن خلدون عبد الرحمن(ت 808 ه)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، مجلد:7، ص:297؛ ابن الأحمر اسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 2003، ص:45.

[5]- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق : محمد مسعود جبران، دار المدار الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الطبعة الأولى، 2009، ص: 121.

العهد الزياني من خلال الاهتمام بالطرق العلمية في الغراسة، بالإضافة إلى وجود بعض من اليد العاملة المتخصصة في هندسة البساتين والحدائق وغيرها، وهو الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد بوجود نوع من الثقافة الفلاحية العلمية لدى الفلاح الزياني بصفة عامة.

ولمكانة هذا النشاط بالنسبة للزيانيين، فقد تضمنت وصايا أبو حمو موسى الزياني لابنه أبي تاشفين أمثلة في غاية الروعة، استمدها في الحقيقة أعمال الفلاحين على عهده، لكي يتأسى بها وصيه من بعد، ومن تلك الأمثلة نذكر: "وأعلم يا بني أن المملكة مثلها مثل البستان، فينبغي أن يسوسها الملك في غالب الأحوال كما يسوس صاحب البستان بستانه، فمن ذلك أنه ينتخب أهل الشكيمة من جنده، وذوي الشوكة من أعيانه فيجعلهم في أقاصي البلاد وأطراف مملكته ليحفظ بهم الرعية كما يفعل صاحب البستان فإنه يخرج الشجر ذوات الشوك وما فضل من العيدان فيحيط بها على الشجر المثمرة والزرايع الطيبة ليقيها من أهل الفساد والدواب المونية، وكذلك على الملك أن يطهر رعيته من أهل الفساد والدعارة ويخرجهم من بينهم، ...، فإنه إذا فعل ذلك صلحت أحوال الرعية وانتعشوا وكثر خيرهم، كما يفعل صاحب البستان فإنه ينقي بستانه من الحشيش الذي لا فايدة فيه ويخرج ما فيها من الشوك والنبات الخبيث، فينتعش زرعها، وينمو شجرها، ويطيب ثمرها، ..."[1]

ولا شك أن إقدام بعض السلاطين من بني عبد الواد على اغتراس الرياض، واتخاذ البساتين، وتزويدها بالمياه[2] هو من قبيل الاهتمام بإعمار الأرض وفلحها؛ وفي نفس هذا السياق ذكر ابن الأحمر إسماعيل معلومة في غاية الأهمية رغم تحامله الفاضح على الزيانيين، ووصفه لهم بأبشع الأوصاف وأقبحها، حيث يذكر أثناء عرضه لأخبار دولة أبي حمو موسى الثاني أن هذا الأخير "كان له ببستانه شجر

---

[1]- **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1279هـ، ص: 112، 113.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، **المصدر السابق**، مج: 7، ص:161،

إجاص عذبة المطعم، كبيرة الجرم"،[1] وهذا لا يمكننا تفسيره إلا بولوع الزيانيين بالفلاحة وحسن اختيار وانتقاء أصناف الأشجار المثمرة، وأجناسها المعروفة بزكائها ولذة طعمها.

وعني بنو زيان بعمارة الأرض وفلحها فأحبوها، وقد بلغ من حبهم لها أنهم لم ينكروا على من عمد إلى أرض -من الأرضي الواقعة تحت سلطانهم- فحازها وازدرها واغترسها، كما تشير إلى ذلك نازلة رفعت إلى الفقيه أبو الفضل العقباني:[2] "وسئل، ...، عن أقوام جرت عادتهم في وطنهم أنهم يعمدون إلى شعراء أو غيرها فيكسرونها ويغرسونها من غير إذن ملك الوقت، والمواضع ليست بموات ولم يسمع قط في وطنهم أن السلطان أنكر على أحد ممن يفعل ذلك، أو نائبه من قائد في ذلك الوطن، أو عامله، بل يعلم بالعادة أنهم يحبون عمارة الأرض بالغراسة وغيرها".[3]

ولا شك فإن هذا الاهتمام الذي نالته الفلاحة من طرف كل فئات المجتمع والسلطة إنما هو نابع من حجم وقيمة الخدمات المختلفة التي توفرها لهم، فبالنسبة للمجتمع فهي تقدم كل أنواع الغذاء الضروري لحياة أفراده، وتوفير فرص العمل، وبناء الثروة، لذلك "إنْ تركَ الزَرعُ ضاقَ بالحاجةِ الضَرعُ"[4] وبالنسبة للسلطة فهي توفر المال للقصر وخزينة الدولة من طريق الضرائب المفروضة على الفلاحين. وللإشارة فإن هذا القدر من الخدمات لا يمكن أن يوفره هذا النشاط لولا توافر جملة من الظروف والإمكانيات التي ساهمت بدون شك في تطويره.

---

[1]- **الدولة الزيانية بتلمسان،** تقديم: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد-الظاهر(مصر)، الطبعة الأولى، 2001، ص: 67،81.

[2]- هو: قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني أبو الفضل، شيخ الاسلام ومفتي الأنام، أخذ عن والده الامام أبي عثمان العقباني وغيره، من تلامذته أبو زكرياء المازوني صاحب النوازل، والحافظ التنسي، والقلصادي صاحب الرحلة وغيرهم. توفي في ذي القعدة عام أربعة وخمسين وثمانمائة. ابن مريم، **المصدر السابق،** ص:256 وما بعدها، الونشريسي أحمد بن يحي، **كتاب وفيات الونشريسي،** تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، الطبعة الأولى، 2009، ص: 95؛ أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف،** مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص:85.

[3]- أبو زكرياء يحي المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة،** تحقيق: مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص:14-15.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب،** نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص:366.

إنه لمن الضرورة بمكان قبيل دراسة أي ظاهرة تاريخية في مجتمع من المجتمعات، وخاصة ما تعلق منها بالنشاط الاقتصادي لا بد من الإحاطة بالعوامل الطبيعية، والعناصر البشرية، لكونها "جزء عضوي لا ينفصل عن دراسة النشاط الاقتصادي بمختلف جوانبه"[1]ولأنها كفيلة بتقديم تفسيرات كافية وموضوعية حول الموضوع المراد دراسته.

3- الإمكانيات الطبيعية:

نستدعي في هذا المبحث جملة من العوامل الجغرافية، التي ساهمت في تطور وازدهار الفلاحة في المغرب الأوسط، زيادة على تأثيرها البالغ في تحديد نمط معيشة السكان الذي تنوع بسبب اختلاف المظاهر التضاريسية وطبيعة البيئة الجغرافية.

أ-الرقعة الجغرافية:

ليس من السهولة أن نحدد بدقة المجال الجغرافي الذي شغلته الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، ذلك لأن سلطتها عليه لم تك كاملة من جميع الوجوه، فكان الخطر يحدق بها شرقاً وغرباً، من طرف الدولة الحفصية والدولة المرينية، اللتين لم ترضيا بالمناطق التي أسستا عليها كيانيهما، بل حاولتا التوسع على حساب الأراضي الزيانية؛[2]بالإضافة إلى وجود بعض الحركات المناوئة[3]للحكم الزياني، والتي كانت

---

[1]- بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، 2010، ص: 10.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 19812، الجزء2، ص873؛ عبد القادر جغلول، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة: فضيلة الحكيم، دار الحداثة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1988، ص:68.

[3]- تزعمت هذه الحركات بعض قبائل المغرب الأوسط مثل: بني توجين: ومواطنهم شرقي بني عبد الواد وجنوب مغراوة، فيما بين سعيدة والمدية، ونمط حياتهم بدوي كمغراوة، يبلغون في رحلة الشتاء(اتجاه الصحراء) مزاب والزاب الغربي، وبموطنهم جبل وانشريس وسهل منداس ووزينة والسرسو. ومغراوة وموطنها شمال وانشريس ووادي شلف إلى البحر، ينتهي شرقا إلى وادي السبت قرب متيجة، وغربا إلى البطحاء ناحية نهر مينة. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1350ه، ج:2، ص:371، 367، 368. وأنظر: بورملة عربية، **امارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين(7-8ه/13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران السانيا، 2009-2010، ص: 73.

على الأراضي الزيانية، تمثلت في بعض القبائل البربرية التي تحالفت مع بني مرين ضد الزيانيين.

وكانت الدولة الزيانية أكثر تأثّرًا بالصّراع الذي جمع بين قوى المغرب الإسلامي وبسبب موقعها الجغرافي المتوسط بين هذه الدول، أصبحت أكثر عرضة له، وظلت حدودها مذبذبة.[1]

لكن حدود المغرب الأوسط لم تظهر بشكل واضح إلا عندما بلغت المملكة الزيانية أقصى اتساع لها في فترة قوتها، حيث امتدت من نهر ملوية غربا إلى بجاية وقسنطينة شرقا، ومن الجنوب الغربي إلى إقليم فيجيج،[2] ومن الجنوب الشرقي بلاد مصعب الإباضية.[3]وفي فترة الضعف فالحدود السياسية لبلاد المغرب الأوسط كانت أشبه ما تكون بالمطاطية بسبب التدخلات المتكررة للدول المجاورة.

لذا فالوحدة الجغرافية للمغرب الأوسط لا تختلف كثيرا عن المجال الذي تشغله الجزائر الحالية بحدودها الممتدة من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، إلى بلاد الصحراء جنوبا حتى إقليم فيجيج وإلى صحراء توات وورجلان، وهي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان.[4]

ومن حيث البنية الجغرافية للمغرب الأوسط فهو يتكون من تضاريس متنوعة، حيث تقع هذه الوحدة الجغرافية في مجموعة نجد مرتفع، تكتنفه من الشمال ومن

---

[1]- عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف، المرجع السابق**، ص156؛ جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1991، ص: 319.

[2]- الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 133-134.

[3]- Atallah DHINA, ***Le Royaume Abd-Eloadid à l'époque d'Adou Hammou Moussa1er et d'Abou Tachfin 1er***, office des publications universitaires, Alger, édition n°01, 1985, p. 19.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ج:1، ص: 45.

الجنوب جبال شاهقة، وليس به إلا القليل من السهول المنخفضة الواسعة[1]. فالمنطقة الساحلية الضيقة الممتدة من بونة إلى غاية نهر ملوية، تشرف عليها جبال ومرتفعات التل الساحلي، ومعظمها صالح للزراعة، كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي[2] كسهل وهران، والمتيجة الذي هو امتداد طبيعي لسهل وهران وتفصل بينهما فقط منطقة جبلية قرب مليانة(تسمى زكار)، وسهل جيجل، وبجاية، وعنابة.

وبعد هذه المنطقة نجد جدارا يكاد يكون متواصلا من الجبال الشامخة، إنها سلسلة جبال الأطلس التلي وهي تمتد من أقصى شرق البلاد إلى أقصى غربها،[3]وهي تنتشر على شكل مجموعة من السلاسل الجبلية، تنحصر بينها جيوب سهلية ساحلية ضيقة، وسهول وأحواض داخلية، كسهول تلمسان،[4] سهل تسلة،[5] سهول كرط،[6] سهول بني راشد،[7] سهل السرسو(قبلة تاهرت)،[8]سهول قسنطينة.[9]وغيرها، وقد أجمعت المصادر الجغرافية على خصوبة أراضي هذه السهول، وتنوع محاصيلها وزكاء غلاتها.

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، سانديكاد بنيسياتيف، الجزائر، 1948، ص: 7-8؛ سعدية عاكول الصالحي، سيداتي ولد الداه، وآخرون، **جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1999، ص:55.

[2]- كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري(12م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص: 179.

[3]- أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، ص: 7-8.

[4]- عبد القادر حلمي، **جغرافيا الجزائر**، دمشق، 1986، ص: 40، وما بعدها.

[5]- الوزان، **المصدر السابق**، ج: 2، ص:25؛ مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي، محمد زنبير وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، 1989، ج:2، ص: 325.

[6]- مارمول كربخال، **المصدر السابق**، 1984، ج:1، ص: 103.

[7]- الوزان، **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 26.

[8]- أبو رأس الناصري المعسكري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تحقيق: محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، 2008، ج:1، ص: 67.

[9]- مارمول كربخال، **المصدر السابق**، 1989، ج:3، ص: 12.

ووراء هذه السلسلة منطقة الهضاب العليا أو ما يسمى بالنجود،[1]وتمتد على شكل حزام يستولي على كامل الوسط فيما بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي.[2] وتعتبر هذه المنطقة نطاق المراعي الطبيعية.

ثم يلي النجود سلسلة جبال الأطلس الصحراوي وهي تمتد من فيجيج غربا حتى إقليم الزاب شرقا، مثل القلعة الهائلة الحصينة،[3] من أهم تشكيلاتها جبال عمور وجبال الحضنة وجبال الأوراس. وبعد هذه السلسلة تظهر الصحراء الكبرى في أبهى تجلياتها، وعلى الرغم من طابع إقليمها الصحراوي فإن ينابيع المياه والواحات تنتشر في أغلب المواضع.[4]

أما عن جغرافية عاصمة الدولة الزيانية(تلمسان) فهي تقع في إقليم فسيح من أوفر أقاليم المغرب بالخيرات،[5] في سفح كتلة جبلية،[6] جبلية،[6] تشرف عليها من الجنوب، ممتدة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الشرقي،[7] وهي ترتفع عن سطح البحر بثلاثين وثمانمائة متر،[8] وبينها وبين أرشقول[1] عشرون ميلاً، وبينها وبين هنين[2] ثلاثون ميلاً،[3] ومن تاهرت[4] إليها مسيرة خمسة وعشرين يوماً.[5]

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، محرم 1350هـ، ص: 161.

[2]- أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، **المرجع السابق**، ص: 7-8.

[3]- أحمد توفيق المدني، **المرجع السابق**، **والصفحة ذاتها**.

[4]- بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي**، **المرجع السابق**، ص:13.

[5]- حسين مؤنس، **المرجع السابق**، مج: 2، ج: 3، ص:120؛ وأنظر:

-Richard L. Lawless :"Tlemcen, capitale du Maghreb central. Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale", In: ***Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée***, N°20, 1975. pp. 49-66.

[6]- أبو الفداء إسماعيل، **تقويم البلدان**، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص:137.

[7]- عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة بتلمسان دراسة أثرية في عمرانها وفنونها**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006 ص:13.

[8]- الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995، ص:29.

أشار معظم الرّحالة والجغرافيين إلى أهمية موقع المدينة، فالبكري في معرض حديثه عن مرافقها المختلفة، ذكر أنها: "قاعدة المغرب الأوسط،... ومتوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق"،[6]وقال يحيى ابن خلدون:" وهي وسط بين الصحراء والتل، تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من "تلم" ومعناه: تجمع، و"سن" ومعناه: "اثنان"؛ أي الصحراء والتل"،[7] فهي إذن تجمع بين الصحراء والتل؛ أما الإدريسي فقال: "ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج منه لابد منها والاجتياز بها على كل حالة"؛[8] يعني بذلك ممر تازا، واعتبرها ابن أبي زرع الفاسي: "باب إفريقية، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار"؛[9]أما ابن الخطيب قال:" تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه، وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه، ...".[10] وقال أيضا: "وما أدراك ما تلمسان، قاعدة الملك، وواسطة السِلك، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أسندت إلى التل ظهرا، ... وأصبحت للغرب بابا، ... شوخت بأنف الحصانة والإباية،

[1]- "أرشقول: فرضه تلمسان على عشرين ميلاً عن تلمسان، وهي ببر العدوة ويقابلها مدينة المرية من الأندلس وعرض البحر بينهما درجتان". أبو الفداء، **المصدر السابق**، ص:123.

[2]- هنين: "بلدة نضيرة، لا كبيرة ولا صغيرة، جميلة المنظر،...موضوعة أسفل جبلين، بين بحر وشجر، يخفضها ارتفاع قلعة، دار صنعة، وأسواق موفورة، ومساجد معمورة، ولقربها من الأندلس هي مذكورة". البلوى خالد بن عيسى، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق(الرحلة الحجازية)**، تحقيق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، ج:1، ص:148.

[3]- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982، ص:140.

[4]- تاهرت:" اسم لمدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، بينها وبين المسيلة ست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، على قمة جبل قليل العلو، وبها أسواق عامرة، ومزارع وضياع كثيرة". **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفات للإدريسي**، تحقيق: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1983، ص:110. أيضا: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، 2007، مجلد:2، ص:7- 8.

[5]- ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، تقديم: خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة، دمشق، 1999، ص:124. القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1960، ص:172.

[6]- **المغرب في بلاد إفريقية و المغرب من كتاب المسالك و الممالك** ،نشر: البارون دوسلان، المكتبة الأمريكية، 1965، ص:76، 77.

[7]- **المصدر السابق**، ج:1، ص:85.

[8]- **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب: نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 151.

[9]- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فآس**، ترجمة: كارل يوحن تور نبورغ، دار الطباعة المدرسية أوبسالة، 1843، ص8.

[10]- **المصدر السابق**، ص183، 184.

وتبجحت بوفور العمارة ودرور الجباية، ولبست حلة الجناب الخصيب، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب".[1]

ولا شك أن هذه المميزات المختلفة للموضع الذي تشغله المدينة، لا يدل إلا على الموقع الإستراتيجي الممتاز، الذي يشكل نقطة وصل وملتقى وسط الطرق والممرات الرئيسية بين الشرق والغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى.

لم تقتصر تلمسان على ميزات الموقع الجيّد فحسب، بل جمعت خصال المدينة النموذجية المتمثلة في: النهر الجاري، والمحرث الطيّب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان؛ مثل غيرها من المدن المستبحرة في العمران في العصر الوسيط،[2]وزادت عليها بمحاسن كثيرة،[3] أجزل في وصفها الشعراء والأدباء.[4]

ب-المناخ:

يعد المناخ من العوامل المهمة التي تؤثر على المحاصيل الزراعية، فتنوع المحاصيل الزراعية هو نتيجة فعلية لاختلاف المناخ وتنوعه حيث أن هناك محاصيل

---

[1]- أحمد عزاوي، **الغرب الاسلامي في أواسط القرن الثامن الهجري(13م): دراسة تاريخية لديوانيات ريحانة كتاب لابن الخطيب** ، ربَا نات، الرباط، الطبعة الأولى، 2008، ص:76، 99. وينظر النص الكامل الجامع لأوصاف تلمسان: لسان الدين بن الخطيب، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1980، مج:1، ص: 220-221.

[2]- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص16.

[3]-ولعل هذه المحاسن، هي التي جعلت مدينة تلمسان تقع بين الفينة والأخرى في قبضة الحفصيين والمرينيين؛ حتى قيل:" ألا إنها بسبب حب الملوك، مطمعة للملوك، ..." لسان الدين ابن الخطيب، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، د. ت، ص184.كما أجزل أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي في وصف مدينة تلمسان، وأشاد بجمالها وأهميتها ينظر: محمد بن معمر: **"رسالة جوابية من أهل الرباط وسلا عن كتاب الخليفة الموحدي الرشيد حول بيعة أهل تلمسان"، المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، العدد: 2 و3، 2004-2005، ص: 29، 32.

[4]- ابن خلدون يحيى، **المصدر السابق**، ج:1، ص:78،86،109. أيضا: محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص215، 216. المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج:7، ص: 406، ج:9، ص: 350. المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، ج:1، ص:11؛ محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص129، 130. Barges (J.J.L), ***Complément de l'Histoire des Béni Zeiyan rois de Tlemcen***, Paris, 1887, P.22.24.

زراعية تحتاج إلى درجات حرارة عالية في زراعتها، وهناك محاصيل زراعية تعتمد على كميات كبيرة من الماء.

تقع بلاد المغرب الأوسط في المنطقة المعتدلة الدافئة،[1] فهي تنحصر بين البحر الأبيض المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا، وفي هذا المجال يتجاور مناخان متباينان من الشمال إل الجنوب وهما:

مناخ البحر الأبيض المتوسط(المناخ المتوسطي) الذي يغطي شمال سلسلة الأطلس التلي، ويتميز بارتفاع الحرارة والجفاف صيفا،[2] وبالبرودة والمطر شتاء،[3] وفي بعض الأحيان تتساقط الثلوج خاصة في المرتفعات وتهطل أمطار غزيرة.[4] وكانت تستمر حالة اضطرابات الجوية في بعض المناطق كتلمسان لفترة طويلة تتجاوز فصل الشتاء إلى فصل الربيع.[5]

وقد أكدت بعض المصادر الجغرافية هذا الوضع في عدة مناطق من بلاد المغرب الأوسط فهذا البلوي يقص علينا أحوال الطقس التي صادفته وهو في طريقه من تلمسان إلى الجزائر يوم العشرين من شهر جمادى الأولى لسنة ست وثلاثين وسبعمائة للهجرة (يناير 1336م) يقول: " وكان خروجي منها، ... ولم نزل نقطع مهامه قفار، ونجوز في أودية وبحار، ونشاهد من الأرض والسماء كل نهر سائل وغيم مدرار، إلى أن وردنا مدينة الجزائر".[6]ولم يزل يعاني البلوي من شدة البرد،

[1]- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ت، ص:26.

[2]- عز الدين عمر موسى، **المرجع السابق**، ص:52.

[3]- ابن أبي دينار القيرواني، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1967، ص:19.

[4] -L. Piesse: " ***Tlemcen***", In ***Revue d'Afrique Française***, Maison Quantin, N°: 51, 1988, p.345.

[5]- R. L. Lawlesse and G. H. Blake, ***Tlemcen Continuity and Change in Algerian Islamic Tawn***, Bowker London and New-York, 1976, p. 11-14.

وينظر: محمد عياش، **الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان دراسة تاريخية وأثرية**، ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص:77.

[6]- البلوي، **المصدر السابق**، ج: 1، ص: 151-152.

ووقع الثلج، وكثرة الجليد مع شدته، وغزارة الأمطار، وذلك بعد خروجه من الجزائر إلى بجاية في يوم السادس من شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة،[1] ولم يبرح ذلك بعد خروجه من بجاية إلى قسنطينة يوم الحادي عشر رجب من نفس السنة حيث شهد أمطارا غزيرة وأوحالا عظيمة.[2]

والمناخ الصحراوي ويشمل ما تبقى من البلاد جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي، وهو يتميز بالحرارة المرتفعة صيفا، والمنخفضة شتاء، أما الأمطار فهي قليلة إلى نادرة،[3]وفي بعض الأحيان تكون فجائية[4]فتتلف الزرع، وتمحق الضرع.

ج- المياه:

لقد بين المولى عز وجل في كثير من آيات القرآن الكريم السرّ الذي أودعه سبحانه وتعالى في هذا المخلوق العجيب: "الماء"، يقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَےْءٍ حَيٍّۖ اَفَلاَ يُومِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.[5] وقال عز من قائل: ﴿هُوَ ٱلذِےٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٞ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالاَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۖ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ ءَلَايَةٗ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾.[6]

وتشير المصادر إلى أن هذا العنصر اجتمعت فيه معان عدة منها: " الشرب وهو مقابل الأكل، ومنها إزالة النجاسات، ومنها رفع الحدث، ومنها إحياء النفس إذا غص صاحبها، ..."[7] واعتبره البعض من "أجلّ الأشربة"،[1]كما اعتبره أحد الدارسين

---

[1]- **نفسه**، ص:153.

[2]- **نفسه**، ص: 159-160.

[3]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، **المرجع السابق**، ص: 169، 173.

[4]- بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي**، **المرجع السابق**، ص:14.

[5]- سورة **الأنبياء**، الآية:30.

[6]- سورة **النحل**، الآية: 10-11.

[7]- ابن الحاج العبدري، **المدخل**، **المصدر السابق**، مج: 2، ج:4، ص:175.

الدارسين جوهرا نفيسا ومادة الحياة والركن الأصلي للكون.[2] بينما عدّه ابن ليون التجيبي في أرجوزته من أركان الفلاحة يقول:

وَهِيَ الأَرَاضِي والـمِياهُ والزَبولُ وَالعَملُ الذِي بَيانُهُ يَطُولُ.[3]

ولكل هذه الاعتبارات يعد الماء من أهم الموارد الطبيعية الذي لا يمكن الاستغناء عنها، فهو سر حياة أي كائن يدب على هذه الأرض، ويستحيل العيش من دونه، كما لا يمكن مزاولة أي نشاط بشري دون وجوده.

وقد حبا الله تعالى بلاد المغرب الأوسط بموارد مائية مختلفة ساهمت في إرواء الكثير من الأراضي الزراعية فوفرت بذلك أنواعا من المنتوجات الفلاحية التي أنعشت الأسواق، ورفعت من القيمة الغذائية للفرد في المجتمع الزياني خاصة في الظروف العادية، وأهم هذه الموارد:

1- الأمطار:

تعتبر مصدرا تقليديا للفلاحين البسطاء الذين يعتمدون عليها في زراعة الحبوب غالبا، حيث يدعى هذا النوع من الفلاحة بالزراعة المطرية أو البورية، على العكس تماما من الزراعة المسقية التي تعتمد على الآبار والسدود وقنوات الري.

---

[1]- المجوسي علي بن العباس، **كامل الصناعة الطبية(المعروف بالملكي)**، المطبعة الكبرى، الديار المصرية، 1294هـ، ص:14. وينظر: ابن القيم الجوزية، **الطب النبوي**، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص: 302.عبد السلام بن محمد العلمي، **ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس**، مكتبة دار التراث، الرباط، 1986، ص: 120.

[2]- محمد كامل حسين، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، ليبيا، د. ت، ص:39-40. ينظر: بلكامل البيضاوية:**" الماء خواصه واستعمالاته في المداواة من خلال مؤلف: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، مجلة البادية المغربية**، مكتبة دار السلام، الرباط، العدد:03، 2009، ص:39-40. ابن الحجاج الاشبيلي، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق: صلاح جرار، وجاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1982، ص:7.

[3]- ابن ليون التجيبي أبو عثمان، **كتاب ابداء الملاحة وانهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة**، مخطوط بمكتبة مدرسة الدراسات العربية بغرناطة (la biblioteca de la Escuela de Estudios Árabes de Granada)، اسبانيا، رقم:A/5/14-2، ص:2(الوجه)؛ وراجع: أمين توفيق الطيبي: **" كتب الفلاحة الأندلسية: أرجوزة ابن لُيون التجيبي في الفلاحة"، أبحاث المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب(دير الزور 12-14 نيسان 1988)**، منشورات جامعة حلب، 1995، ص:167.

ولما كانت بلاد المغرب الأوسط تتميز بتركيبة تضاريسية جغرافية متنوعة، ونطاقات مناخية مختلفة انعكس ذلك على كميات تساقط الأمطار فأدى إلى تذبذبها بين المنطقة والأخرى، وهذا بدوره يؤثر في الإنتاج الزراعي خاصة مردود الزراعات المطرية.

فالمناطق العالية من الأطلس التلي حول قسنطينة والأوراس تستقبل أمطارا غزيرة، بينما الجزء الغربي من إقليم التل لا يتلقى سوى القليل، ولا يتخلص الساحل الشمالي لإقليم المغرب الأوسط من خط التماطر إلا قرب تلمسان، نظرا لوقوعه ضمن السلسلة الأطلسية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، مما يسمح للرياح الرطبة القادمة من المحيط الأطلسي بالتوغل نحو الداخل، بخلاف جبال الأطلس التي تحجب السفوح الجبلية الغربية عن الأمطار،[1] وتشكل هذه الجبال حاجزا طبيعيا أمام تسرب المؤثرات البحرية الرطبة الشمالية والغربية إلى المناطق الداخلية، وهذا يتوافق مع أن الأمطار في الشمال الإفريقي تقل كلما اتجهنا جنوبا.[2]

ومن خلال المصادر التاريخية حاولنا ولو بالتقريب الوقوف على واقع التساقطات المطرية والثلجية في بعض مناطق المغرب الأوسط في الفترة محل الدراسة:

نوع التساقط	السنة أو التاريخ	المكان	الكمية	نتائج أو ملاحظات	المصدر
مطر وثلج	أواسط القرن السابع الهجري	بجاية	هطول طول النهار	- تسبب في ضرر كبير. - فيضان وسقوط بعض المنازل.	- القشتالي أحمد بن براهيم، **تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الاخوان في كرامات الشيخ أبي مروان**، تحقيق: فرناندو دي لا جرانخا، منشورات المعهد

[1]- بلهواري فاطمة، **المرجع السابق**، ص:14.
[2]- عزالدين عمر موسى، **المرجع السابق**، ص: 54-55.

					المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، 1974، ص:130
مطر	سنة 725هـ خلال شهر رجب	قسنطينة	غزير	- تسبب المطر في خروج الرحالة ومن معه في الأخبية (الخيم) إلى دور المدينة. - الأوحال.	- ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، 2007، ص: 33.
ثلج	زمن الشتاء	تلمسان	كثير	كثيرة البرد.	- الزهري، **كتاب الجغرافية**، ص: 114.
مطر	20 جمادى الأولى لسنة 736هـ.	من تلمسان إلى الجزائر.	غزير ومدرار	أحدث سيولا.	- البلوي، **تاج المفرق، المصدر السابق**، ج:1، ص: 151، 152.
ثلج جليد مطر	06 جمادى الثانية لسنة 736هـ.	من الجزائر إلى بجاية.	كثير. غزير	برد شديد. شديد. سيل عرم.	- البلوي، **تاج المفرق، المصدر السابق**، ج:1، ص: 153.
مطر	11 رجب لسنة 736هـ.	من بجاية إلى قسنطينة	غزير	طوفان. أوحال.	- البلوي، **تاج المفرق، المصدر السابق**، ج:1، ص: 159، 160.
برد (جليد)	رمضان	تلمسان	شديد	أشد بلاد عدوة المغرب الأوسط	- ابن مرزوق، **المسند، المصدر السابق**، ص: 222.

	746هـ.			بردا وتجلدا.	
توقف الغيث	وقد أوشك فصل البذر أن ينتهي سنة 763هـ.	بلاد المغرب	-	وأظلم جو الشدة لهذا العهد فأمسك الله السحاب ورفع الغيث	- لسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب**، ص: 318.
ثلج	صفر لسنة 867هـ (شهر نوفمبر العجمي).	أرض تلمسان	-	من أول شهر نوفمبر إلى العشرين منه.	- الزركشي، **تاريخ الدولتين**، ص:153.
مطر	ربيع الأخر ليلة الجمعة لسنة 871هـ.	بتلمسان	كثير	-	- الزركشي، **تاريخ الدولتين**، ص: 158.
ثلج	في يوم من الأيام.	تلمسان	عظيم	نزلت ثلجة عظيمة، وتعطلت منها الأسواق، وانهدمت منها ديار.	- ابن مريم، **البستان**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ص: 100، 102.
ثلج	رجب 772هـ	خربة عنتر قبلة تلمسان	شديد	أصاب الناس.	- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:2، ص:450.
ثلج	قبل شهر رمضان 772هـ	تيسمرين قبلة تلمسان	-	دام أياما.	- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:2، ص: 451.

		من ناحية بني ورنيد			
ثلج	ربيع الثاني 773هـ	ذراع الوسط	-	-	- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد، المصدر السابق،** ج:2، ص: 462.
ثلج	رجب 773هـ	فيض الجزار بني ورنيد	-	دام ثلاثة أيام.	- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد، المصدر السابق،** ج:2، ص: 462.

تلك إذا عينات سريعة ومتقطعة عن حال التساقطات ببعض مناطق المغرب الأوسط على العهد الزياني، وتجدر الإشارة إلى تنوعها حيث نجد الأمطار والثلوج، والبرد، والجليد، وهي تتدرج ما بين الغزارة، والكثرة، والشدّة؛ ولا شك أنها كانت في كثير من الأحيان تتسبب في عرقلة النشاطات الاقتصادية، وإلحاق خسائر فادحة بالمحاصيل والفلاحين.

وسجلت لنا بعض المصادر الأدبية تفاؤل أو توجس الفلاحين وخوفهم من بعض التقلبات المناخية التي قد تصاحب بعض الفصول أو المواسم الزراعية، من خلال بعض الأمثال الشعبية التي تضمنتها.

ولما كانت الأمطار والثلوج الأساس الذي يعول عليه الفلاح الزياني في إنجاح السنة الزراعية، وينتظر مجيئها بفارغ الصبر، ويرغب هطولها بكميات كافية، خاصة في موسم البذر، فقد تعلم بالطبيعة أنه كلما كان الشتاء قارسا، وسقطت الأمطار والثلوج بكثرة كانت الغلال وفيرة، ويستبشر الفلاح قائلا: "**الخريف هو العام**"، "**عام الثلوج عام الصابة**".[1]وكان في بعض الأحيان لما يتذبذب منسوب الأمطار ويقل

[1]- محمد حمداوي، **المرجع السابق،** ص:248،245،243.

هطولها يقول: **"العام ايبان من خريفو"**.[1] وفي أحيان أخرى لما يستوي الزرع على سوقه ويوشك أن يهيج ويعجب الزراع يخشى الفلاح من بعض الظروف الجوية المفاجئة التي قد تصيبه بوابل فيعصف بالغلة، لذلك يقال: **"صابة وحُجْرت"**، و:**"آش يشيّب الفلاح، ...، جبدات مارس وإلاّ رعدات بريل"**[2]وقيل أيضا: **"أرْياحْ مَرسْ، وجَوائِح أبريلْ"**، **"مارس بَهْوَالُو وابريل بَفْوَالُو"**.[3]

2- الأنهار أو الأودية:

تزخر بلاد المغرب الأوسط بشبكة من الأودية منها ما يصب في البحر الأبيض المتوسط كوادي التافنة، ومنها ما يصب باتجاه الداخل كوادي ميزاب، وقد أروت هذه الأودية بمياهها حسب ما تشهد به كتب الجغرافيا والرحلات الأراضي الفلاحية، وفقهت المنازل والحياض والحمامات والمتنزهات، وكانت شربا للدواب والهوام، ومصدرا للصيد والنزهة في بعض الأحيان، واستعملت قوتها في تحريك الأرحاء لطحن الأقوات، وعلى ضفافها كانت المسارح الفسيحة لرعي الماشية.

والسمة العامة لهذه الأودية أنها تفيض في فصل الشتاء، ويتراجع منسوبها في فصل الصيف أو تجف، ولعل من أبرزها ما يلي:

اسم الوادي	موقعه أو منبعه	ملاحظات	المصدر
زا	- ينبع من الأطلس ويسيل بسهل قفر أنكاد، في الحد الفاصل بين مملكتي فاس وتلمسان.	- تستقر بالقرب منه بعض القبائل العربية الظاعنة. - فيه سمك كثير.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 250.
التافنة	- يخرج من جبال أنكاد يمر بسبدو، ويصب في البحر قرب أرشقول.	- نهر كبير تدخل فيه السفن. - فيه سمك صغير.	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص: 134. - الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 250، 251.

[1]- **نفسه**، ص: 249.

[2]- مختار المنوني، **المرجع السابق**، ص: 68، 69.

[3]- الزجالي، **المصدر السابق**، رقم: 114، ص:30.

سطفسيف	- قرب تلمسان.	- نهر كبير. - عليه عدة أرحاء.	- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**،ص:135.
واد ابن الخير	- قرب وهران.	- عليه بساتينها وجميع منافعها.	- أبو رأس الناصري، **عجائب الأسفار، المصدر السابق**، ج:1، 141.
نهر سيرات	- بالقرب من قلعة هوارة. - سمي باسم السهل الذي يشرف عليه (سهل سيرات).	- يسقي أكثر أرض هذا السهل.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 178، 179. - الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**،ص:470.
مينة	- قرب تاهرت.	- يسقي أراضيها وبساتينها.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 178.
شلف	- ينبع من جبال الونشريس، ويصب في البحر الأبيض المتوسط.	- يصطاد في مصبه كمية وافرة من السمك الجيد. - عليه الكثير من السواني.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج2، 251. - **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**،ص:106.
الواد الكبير	- ينبع من الجبال المتاخمة لإقليم الزاب، يصب في البحر على بعد ثلاثة أميال من بجاية.	- لا يفيض إلا في فصل الشتاء. - وهو مليء بالأسماك.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج2، 252. - مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:1، ص:40.
سَهُر	- قرب المسيلة ويصب في شط الحضنة.	- نهر كبير. - فيه سمك صغير يبلغ طوله الشبر إلى ما دونه، ويصطاد بكثرة.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 171، 172. - **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**،ص:108.

3- العيون:

شكلت العيون أحد الموارد المائية الأساسية على العهد الزياني، باعتبارها من المصادر الهامة في سقاية السكان بالمدن والقرى، وإرواء الحقول والبساتين، فضلا على أنها كانت دائما من الروافد الأساسية للأودية والأنهار.

وكانت مياه العيون ولا زالت المفضلة لدى الناس، فهي تتميز بمائها الصريد في فصل الصيف والدافئ في فصل الشتاء، بالإضافة إلى المركبات المعدنية التي تحتويها، لذا كانت في كثير من الأحيان جزءا من أسباب التداوي.

أما عن أهم العيون بالمغرب الأوسط فالمصادر الجغرافية تذكر لنا باحتشام بعضا منها، حيث أن عين أم يحي بتلمسان من أعذب العيون وأخفها كانت جارية بالقصور السلطانية،[1]وكان شرب أهل برشك من عيون عذبة المياه قريبة منها،[2]وكان لجزائر بني مزغنة عيون على البحر طيبة، وكان شرب أهلها منها،[3] وبجبل وانشريس عيون كثيرة منها عين أزال،[4]وببلاد أنكاد عدة عيون يطلق عليها اسم: عيون ملوك.[5]

وبوهران عيون كثيرة وماء سائح وأنهار،[6] وبمليانة مياه جارية وأنهار،[7] وببلاد وببلاد الزاب المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة،[8] وبالمسيلة جداول المياه العذبة.[9]

مجمل القول أن الظروف الطبيعية المتمثلة في الموقع الجغرافي والتضاريس المختلفة، والتقلبات المناخية، ومصادر المياه، عوامل أفادت بقسط وافر النشاط

---

[1]- وكانت لا تزال بها بقية آثار ورسوم على عهد المقري التلمساني. **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج:9، ص: 350؛ لسان الدين بن الخطيب، **ريحانة الكتاب، المصدر السابق**، ص: 221.

[2]- **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص: 112؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص:88.

[3]- ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1992، ص: 78.

[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج: 2، ص: 45؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين، المصدر السابق**، ص:130.

[5]- ابن عابد الفاسي، **الرحلة، المصدر السابق**، ص: 28-29.

[6]- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 133، 134.

[7]- **نفسه**، ص:171.

[8]- **نفسه**.

[9]- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**،ص:558.

الفلاحي فانعكس ذلك على الإنتاج كمًّا ونوعًا من جهة، وكانت في بعض الأحيان تؤثر عليه فيتراجع الإنتاج ويضعف، فيؤدي إلى حدوث الأزمات، والمجاعات، وسنوات القحط، طبعا والنتيجة في الأخير انتشار الجوع والأمراض، وموت الماشية والناس.

4- الإمكانيات البشرية:

تعدّ الإمكانيات البشرية من المؤهلات الأساسية في بناء حضارة أي مجتمع كان، باعتبار أن الحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع الوسط البيئي الذي يعيش فيه، لذا بات من الضرورة بمكان دراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الزياني لنقف من خلالها على أهم الأدوار الاقتصادية التي مثلتها في موضوعنا هذا.

وعند دراسة مكونات مجتمع المغرب الأوسط اتضح أنه يتشكل من خليط من السكان، يصعب التمييز بينهم، بسبب الاختلاط الذي حدث بين السكان الأصليين من البربر،[1]ومن سكن هذه البلاد من القادمين إليها بعد الفتوحات الإسلامية، حيث أحدثت أحدثت تحولات جذرية وتطورات عميقة[2] أو الفتوحات والتوسعات التي قامت بها الدول التي تعاقبت على هذا القطر،[3] من العرب أو من الذين اِستجلبوا كمرتزقة في الجيش كالروم، والأغزاز، والنصارى؛ بالإضافة إلى المهاجرين الأندلسيين، واليهود وكذلك أسرى الحروب، وكان لهذه التشكيلة دور مهم في المجالات الاقتصادية المختلفة.[4]

وتعددت أشكال إقامتهم في المغرب الأوسط، منهم من استقروا في إطار جماعي، كما هو الحال مع الأندلسيين واليهود، ومنهم من أقاموا فرادى كبيوت المهاجرين الأوائل أو التّجار الأجانب.[5]

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج:1، ص170.

[2]- عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص: 10، 13.

[3]- محمود بو عياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري(15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص:39.

[4]- بلهواري فاطمة، **المرجع السابق**، ص: 20.

[5]- عبد العزيز فيلالي، **المرجع والجزء السابقان والصفحة ذاتها**.

أ- البربر:

وهم يشكلون السواد الأعظم[1] من سكان بلاد المغرب الأوسط، لأنهم السكان الأصليون،[2]وقد مثل هذا الجنس لهذا العهد(الفترة محل الدراسة) قبيلة زناتة البربرية التي تصدرت المجتمع الزياني، وتبوأت القيادة والمخزن، وامتهنت الوظيف، واحترفت الصناعة والتجارة، والدراسات الفقهية وغيرها،[3]وبالأخص فقد اعتمدت الدولة الزيانية في وجودها على أحد الفروع الأساسية لهذه القبيلة وهي فرع بني عبد الواد.[4]

ناقش الكثير من المؤرخين أصل قبيلة زناتة ومنهم ابن خلدون الذي جمع جل الآراء التي تنسبهم إلى حمير، أو التبابعة، أو العمالقة، وقد ردها جميعا، واستقر برد أصل زناتة والبربر إلى الشام وفلسطين؛ يقول: "ونقل، ... في نسب زناتة هؤلاء أنهم من ولد جالوت، ... ونسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون أنهم من حمير، ثم من التبابعة منهم. وبعضهم يقول إنهم من العمالقة، ... والحق فيهم ما ذكره أبو محمد بن حزم"،[5] وترجع نسبة زناتة حسب هذا الأخير إلى شانا: "وهو جانا بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبو بن قروال بن يملا بن مادغيس بن زجيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام... وهذا أصح ما ينقل، ... موثوق ولا يعدل به غيره"[6]

---

[1]- بلهواري فاطمة، **المرجع السابق، والصفحة ذاتها**.

[2]- بوعياد، **المرجع السابق**، ص:39؛ عبد الكريم شباب، **صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجري(13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2002-2003، ص: 2، 26.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **المرجع والجزء السابقان**، ص: 171.

[4]- خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية(55ه-633ه/675م-1235م)**، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص: 231.

[5]- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مج: 7، ص:5-6؛ وينظر: أبوراس الناصر المعسكري، **زهر الشماريخ في علم التاريخ**، دراسة وتحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف: بن عمر حمدادو، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، 2016، ص ص:136-142.

[6]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج: 7، ص: 4-5.

أما عن تحديد مواطن استقرار بطون هذا القبيل فلا يمكننا ضبطها بدقة،[1] لكثرتها،[2] ولكونهم بدوا يقتصرون في حياتهم على الترحال والنجعة من مكان إلى آخر، حيث يقول ابن خلدون: "وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل، والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين."[3]أما عن مواطنهم فهم ينتشرون "في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب. ... وبجبل أوراس بقايا منهم"،[4]وبالزاب إلى قبلة تلمسان، ثم إلى وادي ملوية،[5]"والأكثر منهم بالمغرب الأوسط، حتى إنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة، ... وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين".[6]

ويظهر من خلال ما سبق أن المجال الذي كانت تشغله أو ترتاده قبيلة زناتة واسع، ضم كل بلاد المغرب الأوسط من بونة شرقا إلى نهر ملوية غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا.

ومن أشهر بطون قبيلة زناتة التي كان لها دور هام في الحراك السياسي والاقتصادي خاصة مع بداية القرن السابع الهجري نذكر: بنو عبد الواد، بنو مرين، وبنو توجين، ومغراوة، وغيرهم.

وبنو عبد الواد هؤلاء هم من ولد بادين بن محمد، إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة الكبيرة، ويرتفع

---

[1]- محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 17.

[2]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج: 7، ص: 9.

[3]- **نفسه**، ص: 3.

[4]- **نفسه**، ص:3-4.

[5]- **نفسه**، ص: 15.

[6]- **نفسه**، ص:3-4.

نسبهم إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا، ويرتبط بنو مرين معهم بالمصاهرة.[1]

ب- العرب:

يعود استقرار العنصر العربي ببلاد المغرب الأوسط إلى بدايات عملية الفتح الإسلامي (27هـ/647م) حيث استوطنته فئة قليلة منهم بدافع نشر العلم وتعاليم الدين الحنيف،[2]لكن عملية الاستقرار الحقيقي بدأت مع تأسيس مدينة القيروان(50-55هـ/670-674م) معسكر المسلمين الجديد ومركز الإشعاع العلمي والثقافي، حتى أصبحت المدينة على عهد اليعقوبي تحوي "أخلاط(أ) من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان."[3]

واستمرت عملية توافد العنصر العربي بأعداد كبيرة بمثابة هجرة جماعية مع أواسط القرن الخامس الهجري، حيث غزا بنو هلال وبنو سليم معظم بلاد المغرب الإسلامي، واختلط الكثير منهم بالسكان الأصليين بالمصاهرة، لذا يرجع الفضل –بعد فضل الله عزّ وجلّ- للعرب في تعريب اللسان المحلي للبربر، وتمصير البلاد بالطابع العربي الإسلامي.[4]

ولما استقل يغمراسن بن زيان بسلطان المغرب الأوسط، وأقام دولة بني عبد الواد ركز على تقوية أركان الدولة باصطناع الرجال من العرب وغيرهم "فاستمال

---

[1]- ابن خلدون، **المصدر السابق،** مج: 7، ص:148-149. يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر(الجزائر القديمة والوسيطية)،** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج:1، ص: 220،221. لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد،** ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص:41.وحاول بعض المؤرخين أن يرفع نسب بني عبد الواد إلى الأدارسة العلويين، رادا بذلك نسبهم البربري الصريح، لكن في غياب الدليل يصعب علينا إثباته، خصوصا وأن يغمراسن بن زيان لما أخبر بهذا الأمر قال: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فقد نلناها بسيوفنا". ينظر: ابن خلدون يحي، **المصدر السابق،** ج:1،ص:190-191؛ التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتابه: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان،** تحقيق: محمود آغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص:109-110.

[2]- لخضر عبدلي، **المرجع السابق،** ص:198.

[3]- **كتاب البلدان،** مطبعة بريل، ليدن، 1860، ص: 137.

[4]- لخضر عبدلي، **المرجع السابق،** ص:198؛ بلهواري فاطمة، **المرجع السابق،** ص: 29.

عشيره وقبيله وأحلافهم من زِغبَة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار"[1]هذا بالإضافة إلى ذوي منصور من عرب المعقل،[2] وعرب رياح، وبني عامر.[3]

ولا شك أن الهدف المتوخى من وراء اصطناع الرجال وكسب ولاء القبائل هو تقوية جانب الدولة وهيبتها، لذا أقدم الكثير من السلاطين الزيانيين على بذل الأموال، وإقطاع بعض القبائل العربية مساحات واسعة من الأراضي نظير مشايعتها لها والخدمات العسكرية التي قدمتها لها في فترات بسط النفوذ على بلاد المغرب الأوسط، فقد أقطعت عرب المعقل أرض أنكاد(أنقاد)، وبنو عامر الأراضي المحصورة ما بين أنكاد وتلمسان إلى تسالة ومنها إلى وهران.[4]

ج- الأندلسيون:

عرف المغرب الأوسط توافد المهاجرين الأندلسيين منذ فترات بعيدة، ترجع إلى أواخر القرن الثالث الهجري(9م)، في شكل أسر أو أفراد، قصد التجارة أو طلب العلم، أو فراراً من بعض المشاكل السياسية، لكن هذا النوع من التنقلات الفردية لا يمكن أن يدخل ضمن نطاق المفهوم العام للهجرة، لعدم اتخاذها الطابع الجماعي واستمر هذا النوع من الهجرة حتى قيام الدولة الزيانية فقد وفد على تلمسان العديد من المهاجرين الجدد، منهم أبي بكر بن خطاب[5]الذي قدم على يغمراسن بن زيان في الربع الثاني من النصف الأول من القرن السابع الهجري؛ أيضا أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوى نزيل تلمسان.[6]

---

[1]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج: 7، ص:162.

[2]- **نفسه**، ص:175.

[3]- أبو حمو موسى، **واسطة السلوك، المصدر السابق**، ص: 13. ابن خلدون يحي، **المصدر السابق**، ج:1، ص: 235.

[4]- أبو رأس الناصري، **المصدر السابق**، ج:1، ص: 70، 71.

[5]- أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي، نزيل تلمسان، من أهل مرسية، كان من أبرع كتاب يغمرا سن بن زيان خطابا وأدبا وشعرا، ومعرفة بأصول الفقه. قدم تلمسان بعدما اختلت أحوال مرسية، وتوفي بعاصمة بني زيان يوم عاشوراء، سنة ست و ثلاثين وستمائة. ابن خلدون يحيى، **المصدر السابق**، ج:1، ص:129؛ وانظر: ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مج:7، ص163.

[6]- ابن خلدون يحيى، **المصدر والجزء السابقان**، ص127.

ولم يتوقف تدفق المهاجرين الأندلسيين على أرض المغرب الأوسط وبخاصة تلمسان، حيث عرف مساراً تصاعديا، وزادت حدة الهجرة، وأصبحت الجاليات تفد الواحدة تلوى الأخرى.

ويبدو أن الوضع السياسي في الأندلس في بدايات القرن السابع الهجري لم يكن في صالح سكانها، خاصة بعد سقوط العديد من المدن الأندلسية في أيدي النصارى الإسبان، بسبب حركة الاسترداد المسيحي(*La Reconquista*)[1] التي تعتبر من أقوى دوافع هجرة الأندلسيين نحو بلاد المغرب؛ نتيجة لتراجع الكيان الموحدي بعد الهزيمة في موقعة العقاب (*Las navas de Tolosa*) التي جرت في سنة تسع وستمائة من الهجرة أصبح كيان المسلمين قاب قوسين أو أدنى، وأعطت شحنة قوية لحركة استرجاع[2]لم تشهدها الأندلس من قبل، "وتكالب العدو خلال ذلك على جزيرة الأندلس من كل جانب، ... وكانت هذه المدة من سنة اثنتين وعشرين، إلى سنة سبعين فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين، واستبيح حماهم، والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهبا في الحرب، ... واستولى طواغيت الكفر على أمصارها[3] وقواعدها"،[4] "فأجاز الأعلام وذوي البيوتات إلى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط وإفريقية".[5]

---

[1]- عمر سعيدان، **علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م**، مطبعة ثالة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2011، ص: 11، وما بعدها؛ آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 2013، ص: 43.

[2]- السيد كمال أبو مصطفى، **محاضرات تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2003، ص212.

[3]- من بين الأمصار التي سقطت في قبضة النصارى: بياسة وآبدة سنة 633هـ، وقرطبة سنة 636هـ، واشبيلية سنة 646هـ، وتداعت الجزائر الشرقية فيما بين: 626، 635هـ، وبالنسبة سنة 636هـ، وشاطبة سنة 645هـ. ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:6، ص:683، 684/ والمجلد:7، ص:392.

[4]- **نفسه**، مجلد:7، ص:392.

[5]- **نفسه**، مجلد: 6، ص:683، 684.

وكان عدد المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط كبيرا جدا، ففي حدود القرن العاشر الهجري وجد بالمغرب الأوسط وحده حوالي خمسة وعشرون ألفًا من مهاجري الأندلس موزعين على العديد من المدن الجزائرية.[1]

ولعل الوافد ين الجدد وجدوا البيئة المضيافة، ودعم السلطة، التي أقطعتهم الأراضي ومنحتهم الدور،[2]فهذا يغمرا سن بن زيان أولى لهم اهتماما خاصًا، بإصداره ظهيرًا أكد بموجبه على العناية بهم ومساعدتهم، كما خوّل لهم الظهير حق السكن وتملك الأراضي الزراعية، فسكنوا تلمسان، و"بوأهم (يغمرا سن) من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جثات ألفافا".[3]

وظل المهاجرون الأندلسيون يتدفقون على بلاد المغرب الإسلامي عامة، لاسيما بلاد المغرب الأوسط خاصة المدن الساحلية أو القريبة من الساحل كمدينة بجاية والجزائر ووهران وتلمسان، حتى بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ(1492م)، حيث يصف أحد المؤرخين توافد الأندلسيين بعد هذه الحادثة من أهل غرناطة يقول: "ثم بادر المسلمون بالجواز إلى العدوة من المراسي، فخرج من بقي، ... وخرج أهل المرية في نصف اليوم إلى تلمسان، ... وخرج أهل دانية وأهل جزيرة صقلية في أربعة أيام إلى تونس والجزائر والقيروان، ... وخرج ما بقي من أهل غرناطة في خمسة عشر يوما إلى بجاية ووهران وبرشد،[4] ... ومازونة".[1]

---

[1]- د. سلفاتو ريبونو:**"وضع الجاليات الأوربية في المغرب قبل الاستعمار"، مجلة الأصالة،** وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد: 25، جمادى الأولى والثانية 1395/ماي-جوان 1975، ص148؛ وينظر: محمد سعداني، **الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين(13-15م)،** أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران -1- أحمد بن بلة، 2015-2016، ص ص: 79-120.

[2]- جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى،** ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، 1991، ص344، 345.

[3]- أحمد عزاوي، **المغرب والأندلس في القرن السابع(13م): دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن الخطاب** ، ربَا نات، الرباط، الطبعة الأولى، 2008، ص:159؛ وينظر: عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق** ، ج:1، ص175.

[4]- لعله يقصد مدينة برشك الواقعة على ساحل المغرب الأوسط، بينها وبين شرشال على البحر عشرون ميلا. الشريف الادريسي السبتي، **أنسُ المُهَجْ وروضُ الفُرج،** تحقيق: الوافي نوحي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،

واندمج المهاجرون مع الناس بصورة منظمة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية المحلية، بل حتى أنهم اختلطوا وامتزجوا بالسكان المحليين إلى درجة ما، وأصبح لهم بتلمسان حي خاص بهم عرف: "بدرب الأندلسيين"،[2] وكذلك ببجاية[3] حيث نعتوا بالجماعة الأندلسية، وأصبح لهذه الجماعة شيخ يمثلهم سمي بشيخ الجماعة الأندلسية،[4]ليشكل ذلك واحدًا من ملامح التّنوّع والثراء في مظاهر الحضارة بالمغرب الأوسط.[5]

والملاحظ على هؤلاء المهاجرين أنهم كانوا من مستويات مختلفة في الثقافة والعلم والعمل والحرف، ومن الطبيعي أن يؤثر المثقفون والعلماء بلغتهم العلمية في تقديم التعليم وتطويره،[6]كما أن أصحاب الحرف والصناع، والمهندسين، والفنانين، نقلوا أساليبهم وتقاليدهم وخبراتهم الفنية وساهموا في تشييد وزخرفة الكثير من الآثار، حيث ظهرت بالعاصمة الزيانية أساليب حرفية جديدة كانت سائدة في الأندلس مثل: صناعة الخزف ذي البريق المعدني البنفسجي اللون[7] وبالتالي عرفت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدن الغرب الإسلامي عامة تطورا حضاريا بارزا.[8]

الرباط، الطبعة الأولى، 2007، ص:189. وينظر: **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص: 112؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص:88.

[1]- مؤلف مجهول، **كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ضبط وتعليق: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، 2002، ص:48.

[2]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص135.

[3]- صالح بعيزيق، **بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية**، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2006، ص:369،370.

[4]- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد(ت:704هـ)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص: 241، 243.

[5]- سلفا توري بونو، **المرجع السابق**، ص139،140.

[6]- عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ص185؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، لبنان- الطبعة الأولى؛ 1998، الجزء1، ص47.

[7]- محمد الشابي: **"المسالك وطرق التجارة والمواصلات: انتقال المهارات والطرز والمستجدات"**، ضمن كتاب: الفن العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994، الجزء1، ص103.

[8]- أوليفيا ريمي كونستبل، **التجارة والتجار في الأندلس**، ترجمة: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م، ص334،335.

وفي هذا السياق يذكر المقري أن الأندلسيين: "فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأخملوا أعمالهم وصُيِّرُوا أتباعا لهم، ..."؛[1]وفي هذا مبالغة في مكانة الأندلسيين ا لاجتماعية والاقتصادية وتقليل من شأن أهل تلمسان الذين احتضنوا إخوانهم المهاجرين، لكن قول المقرّي هذا لا يدل إلا على إقبال السكان المحليين على صناعات وفنون الأندلسيين الجديدة، والتي أصبحت رائجة في الأسواق، كما يدل على تأثر صناع تلمسان بالذوق والطراز الأندلسي لحذقهم بالصناعات، وبالتالي أدى هذا الأمر إلى ميلاد فن محلي جديد مغربي بصبغة أندلسية. ويضيف المقري عن الأندلسيين بعد هجرتهم إلى أراضي بلاد المغرب الاسلامي من المغرب الأقصى إلى بلاد افريقية عن بعض مصادره قائلا: "فأمّا أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها، وشاركوهم فيها، فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحيّ الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم، وصلحت أمورهم، وكثرت مستغلاتهم، وعمّتهم الخيرات"،[2] وفي ذات السياق يذكر ابن الأ عرج أن المهاجرين: "نشروا بين الناس آدابهم وراجت مصانعهم، وقلدهم الناس في فلاحتهم، واعتنائهم بغرس الزيتون وسائر الفواكه، حتى صارت البلاد وأهلها في حالة زاهية وعيشة راضية".[3]

---

[1]- **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج:4، ص134-135.

[2]- **نفسه**، ص134-135.

[3]- **زبده التاريخ وزهرة الشماريخ**، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط- المغرب، رقم: 20، ورقة 96،97: عن عبد العزيز فيلالي، **المرجع والجزء السابقان**، ص177؛ محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثالثة، 1998، ص:266. وللاستزادة ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الابيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص: 18، 19؛ عبد المجيد قدور، **هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية (16-17م/10-11ه)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، معهد الحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، د.ت.؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: "**الهجرات الأندلسية والموريسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط**، ضمن كتاب: أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006، ص: 256-257؛ مولاي أحمد الكامون وهاشم السقلي، **التأثير الموريسكي في المغرب**، طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 2010.

د- اليهود:

إلى جانب هذه الفئات كان بالمغرب الأوسط أقليات يهودية يرجع أصلها إلى ما قبل الفتح الاسلامي،[1] انتشرت في عدد كبير من مدنه وكوره، من حدود بلدة شالة في المغرب الأقصى حتى تاهرت في المغرب الأوسط، ومن بداية افريقية حتى نهايتها، وكانت هذه الجاليات تتوضع بشكل خاص في المدن الكبرى،[2]وفي المدن التي تشرف على الطرق التجارية، وفي مناطق عبور السلع القادمة من الجهات الشمالية نحو بلاد السودان والعكس،[3] أو من البلاد الشرقية إلى جهة البلاد الغربية عبر قاعدة تلمسان.

وازداد عدد أفراد هذه الجالية على العهد الزياني بعد نزوح عدد كبير من اليهود الأندلسيين الذين نالهم اضطهاد الاسبان، وقد استقبلهم العاهل الزياني أبو العباس أحمد

---

[1]- بوعنيني سهام، **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2008-2009م، ص: 19؛ مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومه، الجزائر، 2000، ص:65. حيث تشير بعض الدراسات إلى استقرار هذه العناصر ببلاد المغرب منذ عهود بعيدة، ترجع إلى العهد الفينيقي(813ق.م-146ق.م) منها على سبيل المثال لا الحصر: De Gazes, ***Essai sur l'histoire des Israelites de Tunisie***, Paris, 1889, p.p.14-15; J. Mesnage, ***Le Christianisme en Afrique du Nord: Origines, Développement, Extension***, Alger, 1914, p.p.19-20; J.Toledano, ***Fils d'Abraham: Les Juifs Maghrebins***, Ed Brepol, Belgique, 1989, p.p. 10-12; E. Eisenbeth, ***Les Juifs en Algérie: Esquisse Historique depuis les origines jusqu'à nos jours***, Extrait de l'Encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, s. d, p.7.؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق**، ص193؛ فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والتاسع هجري(13-15 ميلادي)**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص. ص: 13-27، عمر سعيدان، **المرجع السابق**، ص:26، وما بعدها؛ نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(7-10ه/13-16م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، 2013-2014، ص:40؛ وينظر أيضا: ادريس الشنوفي، **اليهود في تاريخ المغرب: نصوص وقضايا**، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2016؛ عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب الاسلامي واسبانيا المسيحية**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الجيزة-مصر، الطبعة الأولى، 2014، ص:53، 54.

[2]- علي أحمد: **"اليهود في المغرب والأندلس في العصور الوسطى"، مجلة دراسات تاريخية**، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، سوريا، العددان: 57-58، أيلول-كانون الأول 1996، ص: 165، 166؛ عبد العزيز فيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الاسلامي**، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012، ص ص:53-71.

[3]- قومي محمد: **"دور يهود توات خلال العصر الوسيط"**، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي: مصادر وتراجم، جامعة وهران 1، الجزائر، العددان: 28-29، جانفي-جوان 2016، ص:273.

العاقل(834-866هـ/1431-1462م) وأنزلهم في أول الأمر بمكان من أقادير، ثم أذن لهم بالدخول إلى تاكرارت وعين لهم النزول بالقرب من أسوار المشور في المكان المسمى "المرجة" فاتخذوا بها الدور والمساكن، وأصبحت تدعى "بدرب اليهود"،[1]وسماها الوزان "بحارة اليهود" وكانت تضم نحو خمسمائة دار لهم.[2]

وأضحى اليهود يتمتعون بحرية الإقامة وممارسة الشعائر الدينية وأعمالهم اليومية،[3]في كنف المسلمين وتحت حمايتهم،[4]مقابل دفع الجزية واحترام قواعد عهد الذمّة في بلاد المسلمين.[5]

لكن الملفت في تاريخ اليهود بالمغرب الأوسط هو الاهتمام المنقطع النظير بالنشاط التجاري والحرف المتعلقة بالمعادن الثمينة، وعرفوا أسرار نجاحها وطرقها المربحة[6] حتى كادت أن تكون حكرا عليهم، فبعض المراجع التي بين أيدينا أشار إلى الحضور القوي لليهود في ميدان التجارة دون أن تطرح إشكالية عزوفهم عن الزراعة.[7] إذن ما هي الأسباب الكامنة وراء عدم شغف اليهود بالزراعة؟

إن الاجابة على هذا السؤال تجعلنا نستفتي المصادر التي بين أيدينا خلال الفترة محل الدراسة، وهو لعل ما نستشفه من خلالها و ينهض في مقام السبب الأول سمة النشاط الغالب عليهم، حيث أن جل الأخبار التي تتضمنها المصادر حول النشاط الاقتصادي لليهود لا تعدو الميدان التجاري والحرفي الصنائعي والثقافي العلمي ونادرا السياسي؛ والسبب الثاني يرجعه أحد الدارسين إلى أن الزراعة لم يكن لها دور

[1]- محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص:364،365.

[2]- **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:20.

[3]- محمد بن رمضان شاوش، **المرجع السابق**، ص:364.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق**، ص193.

[5]- العقباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (ت871 هـ)، **تُحفةُ النَّاظِر وغنيةُ الذّاكر في حِفْظِ الشَّعائر وتَغْيِيرِ المنَاكِرْ**، تحقيق: علي الشنُوفي، نشر: Institut Français de Damas, Bulletin d'Etudes Orientales, Tome : XIX, Années 1965-1966, Damas, 1967, p.165, 166, 170,171.

[6]- علي أحمد، **المرجع السابق**، ص:166.

[7]- مسعود كواتي، **المرجع السابق**، ص:146-147.

كبير في حياة اليهود، وهذا يعود إلى طبيعة مصير اليهود والتي تميزت بعدم الاستقرار والمتأثرة بالتقلبات السياسية.[1] ويعزز هذا الرأي وجهة نظر أخرى تذكر أن الأزمات التي تعرض لها اليهود وتجاربهم الطويلة في التعامل معها جعلتهم في معظم الأحيان يحولونها لصالحهم، من خلال مقارنة بسيطة مع ما عرفه المورسكيون المطرودون قصريا من الأندلس، وهذه الفرضية قريبة إلى حد بعيد من واقع اليهود الذي عاشوه في المجتمعات العربية، حيث أن من بين النتائج التي تضمنتها المقارنة أن اشتغال اليهود بالتجارة دون الفلاحة يسهل نقل رأس المال من مكان إلى آخر[2] وبالتالي سهولة إقامة مشاريع تجارية جديدة في زمن قياسي، مع ضرر خفيف قد تسببه الهجرة يمكن تحمله؛ على عكس الأراضي والضِّيَاع التي يصعب تحويلها[3] حيث سيكون حجم الخسارة كبير وفادح، وحتى بعد التنقل والهجرة فعملية التموقع واختيار الأرض واعمارها ستأخذ وقتا طويلا لإعادة بناء الذات (تدبير القوت) فضلا عن تحصيل الثروة من جديد.

ولا غرو فإن اليهود قد كوّنوا من وراء ذلك ثروات طائلة، في رحاب روح التسامح التي وفرها لهم الدين الاسلامي في كل أقطار بلاد المغرب الاسلامي، بل تمكنوا في بعض الأزمنة من الوصول إلى مواقع حساسة من دواليب السلطة.[4]

ه- الأسرى:

شكل الأسرى الذين وقعوا في أيدي القوات الزيانية، عاملا مهما في مجال البناء والتشييد والحرف، حيث كان حراس الشواطئ يلقون عليهم القبض إما بسبب إغارتهم على الموانئ الزيانية أو نتيجة نشاطهم المشبوه- خارج نطاق المعاهدات التجارية- ويبدو أن الدولة الزيانية تفطنت إلى دورهم ذاك، فاهتمت بهم وهيأت لهم

---

[1]- فاطمة بوعمامة، **المرجع السابق** ، ص: 203.

[2]- مولاي أحمد الكامون وهاشم السقلي، **المرجع السابق،** ص: 20-21.

[3]- **نفسه،** ص: 21.

[4]- ينظر: المغيلي التلمساني محمد بن عبد الكريم (ت909 هـ)، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح،** تحقيق: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2001، صص:40-45. و: **جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام،** تحقيق: مبروك مقدم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

الظروف الملائمة من السكن والعمل والأجرة؛ فكانت دار الصنعة بتلمسان تموج بهم على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم ومهاراتهم.[1]

ويتجلى دور هذه الطائفة، من خلال الرسالة التي بعث بها السلطان الزياني عبد الرحمن بن موسى بن عثمان[2]إلى سلطان أرغون،[3]وهي رسالة جوابية رد فيها العاهل الزياني على رسالة ملك أرغونه المتضمنة طلب تسريح جميع الأسرى، بمقتضى العلاقات التي بينها، وكان الرد الزياني صريحا وواضحا حيث قال:"... وأما ما أشرتم إليه من تسريح جميع ما عندنا من الأسرى فذلك مما لا يمكن أن يكون، ... لأن تعلمون أن ما عمر بلادنا إلا الأسرى، وأكثرهم صناع متقنون في أنواع جميع الصناع، ولو طلبتم ما يستغني عنه الحال في تسريح خمسة أو ستة لأسعفنا مطلبكم وقضينا أربكم، وأما تسريح الجميع فصعب لأن ذلك يخلي المواضع و يعطل ما يحتاج إليه من أنواع الصنائع، فإن أردتم أن تكون الصداقة بيننا وبينكم فيما عدا الأسرى وتكون حالنا وحالكم واحد في ما نحتاج أو تحتاجون إليه من قضاء الحوائج ...، فنحن نعمل إن شاء الله على ذلك...".[4]

وضحت الرسالة المآرب التي دفعت أبا تاشفين إلى رفض تسريح الأسرى الأجانب، معللا ذلك بحاجة الدولة إليهم في البناء والعمارة، وكان هذا السلطان من أعظم سلاطين البيت الزياني اهتماما بالعمران، ذكر يحيى ابن خلدون أنه كان: "مولعا ببناء الدور وتحبير القصور، وتشييد المصانع، واغتراس المتنزهات، مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم، بين نجارين وبنائين وزليجين، وزواقين وغير ذلك مع حذقه... بالاختراع وبصره في التشكيل والابتداع فخلد آثارا لم تكن

[1]- ابن خلدون يحيى، **المصدر السابق**، ج2، ص323، 324.

[2]- هو السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو موسى الأول ابن أبي سعيد عثمان بن أبي يحيى يغمرا سن بن زيان، حكم 718-737هـ /1318-1337م. **نفسه**، ج1، ص215.

[3]- سلطان أرغون: هو دونجاقمة (JaquesII)، حكم 1291-1327م/690-728هـ. -Dhina, ***Les Etats…op.cit***, p.506.

[4]- -Dhina, ***Le Royaume…, op. cit***, p.226.

قبله لملك، ولا عرف لها بمشارق الأرض ومغاربها نظير؛ كدار الملك ودار السّرور وأبي فهر، وسواها..."[1]

وكان عدد الأسرى على ما يبدو كبيرا، حسب تقدير يحيى ابن خلدون آلاف عديدة شاركت في بناء مؤسسات الدولة، وبمقتضى العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت تجمع بين الدولتين،[2] كان هناك ما يعرف باتفاق تبادل الأسرى بين البلدين، وبسبب الظروف التي كانت تعيشها تلمسان- تطور الحركة العمرانية- اضطر السلطان الزياني إلى إيقاف العمل بهذا البند وامتنع عن تسليم أسرى الروم، حتى أنه لم يطالب بإطلاق سراح المسلمين الأسرى في مملكة أرغونة، وهي مسألة خطيرة، تجلى من خلالها تفريط أبي تاشفين في إفتكاك المسلمين من معاقل المهانة، في سبيل التمتع بالبناء.[3]

غير أن دور هذه الفئة كان دورا جانبيا لم يتصل بالجانب الاقتصادي كثيرا ولا سيما في المجال الزراعي، بخلاف المساهمة في مجال البناء والصناعة الحربية.

لقد حاولنا من خلال هذا الفصل وضع تصور عام عن الفلاحة في العصر الوسيط الاسلامي ومدى الاهتمام والتعلق الذي حضيت به كحرفة انتاجية في مجتمعات العالم الإسلامي عامة، ينشد من خلالها تحصيل قوته وتدبيره.

وشَهدنا منذ الوهلة الأولى اهتمام النصوص الدينية خاصة القرآن الكريم والحديث الشريف وبعض الأثار بهذا النشاط والدعوة إليه والتدليل على فوائده وعوائده؛ ووقفنا من خلال النصوص التاريخية على حجم الاشتغال بهذا النوع من المعاش على عهد الدولة الاسلامية وصدر الاسلام حيث اهتم فلاحو هذا العصر بحرث وإعداد الأرض والعناية بالزروع ثم الحصاد والتخزين ومعالجة الآفات والأمراض، ثم تصنيع المزروعات، وبرعوا في تخير الأرض ثم استنباط المياه لأنها أساس العمل الزراعي.

[1]- **المصدر والجزء السابقان**، ص116.
[2]- مملكة أرغون مع الدولة الزيانية.
[3]- ابن خلدون يحيى، **المصدر والجزء السابقان والصفحة ذاتها.**

وقد عمّت الظاهرة البلاد الإسلامية خاصة بعد اِتساع رقعتها على اثر حركة الفتوح الإسلامية في المشرق والمغرب، حيث عرفت البلاد الجديدة خاصة بلاد المغرب خلال القرن الخامس والسادس الهجريين(9- 10م)، وعلى الوجه الأغلب، اِعتماد سكانها سواء أصحاب البوادي والحواضر اِعتمادا كبيرا على الفلح والزرع.

وقد لمسنا هذا النوع من الاهتمام –في الفترة محل الدراسة- عند مختلف الشرائح الاجتماعية وصل في بعض الأحيان إلى فئات من المستوى العالي كالسلاطين وبشكل ملفت للانتباه العلماء والزهاد أو المتصوفة.

وقد حاولنا قدر المستطاع الالمام بمختلف الإمكانيات أو العوامل الطبيعية والبشرية التي ساعدت على انتشار نشاط الفلاحة في بيئة المغرب الأوسط على العهد الزياني، وللإشارة فقد تعمدنا إرجاء بعض العوامل الأخرى المؤثرة في هذا النشاط لتعلقها بعناصر أخرى بحثية سنعرضها في بعض عناصر الفصول اللاحقة، بإذن الله تعالى.

الفصل الثّاني:

الأراضي الزراعية: أشكالها، ووسائل العمل

1- الأراضي الفلاحية (تربة بلاد المغرب الأوسط).

2- أشكال ملكيات الأراضي.

3- طرق استثمار الأراضي الفلاحية.

4- وسائل العمل وتهيئة التربة.

5- تقنيات الرّي ووسائله.

تمهيد:

حاولنا في الفصل السابق وضع تصور عام عن الفلاحة في العصر الوسيط الاسلامي ومدى الاهتمام بها كحرفة انتاجية تساهم في تحصيل القوت وتدبيره. وبالنسبة لمجال دراستنا فقد وقفنا من خلال المصادر التاريخية والجغرافية وغيرها على هذا النوع من الاهتمام عند مختلف الشرائح الاجتماعية، حتى وصل في بعض الأحيان إلى فئات من المستوى العالي كالسلاطين وبشكل ملفت للانتباه العلماء والزهاد أو المتصوفة.

وكما تسنى لنا الالمام بمختلف الامكانيات أو العوامل الطبيعية والبشرية التي ساعدت على نمو نشاط الفلاحة في بيئة المغرب الأوسط على العهد الزياني.

ونروم من خلال هذا الفصل أن نرصد جملة من المباحث المتعلقة بالأراضي الزراعية، ونوع التربة وخصوبتها ودرجة الإصابة فيها، والوضعيات القانونية للملكيات العقارية، وعلاقات العمل في استثمار الأرض والصعوبات والمشاكل التي تكتنفها، والتعرض لكيفيات تهيئة المجال والتقنيات المستخدمة فيه.

لكن ثمة مشكلة منهجية لا مناص من الإشارة إليها تكمن في نقص المادة الخبرية التي نقلتها لنا المصادر الكلاسيكية، وهي فيما يبدو غير قادرة على الإجابة عن كل تساؤلاتنا، لذا طرقنا أبواب أنواع أخرى من المصادر[1] التي قد تقدم حلولا أو تتضمن أجوبة لأسئلتنا؛ وفي ذات الوقت قد نضطر إلى الاعتماد على وحدة الظاهرة في الاطار المغاربي[2]، لكون أن النصوص التي تؤطر النشاط الذي نحن بصدد دراسته تخضع لتشريع واحد.[3]

[1]- يطلق عليها: المصادر الدفينة ويراد بها كتب النوازل الفقهية وكتب الطبقات والتراجم والرحلات والأمثال الشعبية وغيرها. محمد المنوني: "الكتابة التاريخية عند العرب"، **مجلة الفكر العربي**، معهد الانماء العربي، بيروت، العدد: 2، يوليو-أغسطس، 1978، ص: 59 وما بعدها؛ ابراهيم القادري بوتشيش، **المهمشون في تاريخ الغرب الاسلامي**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014، ص:267 (ينظر الهامش رقم:1).

[2]- بوداود عبيد، **الوقف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق:13-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص:195.

[3]- ابراهيم القادري بوتشيش، **المرجع السابق**، ص:267.

1- الأراضي الفلاحية (تربة بلاد المغرب الأوسط):

أشرنا في الفصل الأول إلى طبيعة البيئة الجغرافية واختلاف المظاهر التضاريسية للمغرب الأوسط التي لا شك أنها تتحكم إلى حد بعيد في اختيار انسان المجتمع الزياني لنشاطاته الاقتصادية، انطلاقا من المجال الذي يشغله، ذلك أن الانسان في كل الأحوال هو ابن بيئته؛ ولعل أبرز العوامل التي جعلته يتمسك بصفة عامة بالفلاحة "التراب، التربة" ذاك العنصر الذي لطالما خضب به يديه صغيرا، وأصبح مصدر رزقه عائلا؛ ويوشك أن لا تقوم الحياة الاقتصادية إلا به.[1]

ويقصد بالتربة أو التراب تلك الطبقة المفتتة من ظهر أو سطح القشرة الأرضية، والتي يضرب النبات فيها بجذوره ويستمد منها النبات غذاءه عن طريق مخزون التربة المائي.[2] وهي تختلف من منطقة إلى أخرى حسب اللون، فمنها السوداء، ومنها ما يميل إلى الاصفرار، ومنها ما يميل إلى الاحمرار.[3]

والتربة في الأساس تتكون من رمل أو طين أو منهما معا، حيث يتدرج الرمل من حصى كبير إلى رمل ناعم، ويتدرج الطين من غرين إلى طفل،[4] ولا شك أن لحجم ونسب هذه العناصر في التربة دور كبير يظهر جليا في المواصفات المختلفة التي يحملها الانتاج الزراعي سواء من حيث الكم والنوع، ذلك أن الانتاج تتحكم فيه – إلى حد بعيد – العناصر المكونة للتربة، وهذا ليس بالغريب فهو مجرب ومشهود في مجتمعنا الحالي – وحتى في العهود الغابرة – حيث ثبت تخصص بعض الأراضي والمناطق في انتاج محاصيل فلاحية

---

[1]- أنس رأفت جاب الله رخا، **نظرية الضرائب في تراث ابن خلدون: دراسة تحليلية مقارنة**، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2016، ص:35.

[2]- محمد خميس الزوكه، **الجغرافيا الزراعية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية – مصر، الطبعة الثالثة، 2000، ص: 114؛ صفاء مجيد المظفر، **جغرافية التربة**، منشورات كلية الآداب (قسم الجغرافيا)، جامعة الكوفة، العراق، د. ط، د. ت، ص:3.

[3]- محمد صبحي عبد الحكيم، **دراسات في الجغرافيا العامة**، دار النهضة العربية (مطبعة جامعة القاهرة)، مصر، 1980، ص:242، محمد السيد غلاب، **الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية-مصر، 1995،ص:120، 122، وما بعدها.

[4]- محمد صبحي عبد الحكيم، **المرجع السابق**، ص: 243.

دون غيرها، فقد اشتهر سهل قسنطينة[1] منذ عصور قديمة جدا بإنتاج الحبوب لا سيما القمح والشعير، ولا يزال إلى يوم الناس هذا يحتل المركز الأول في إنتاج الحبوب بالجزائر.

لذا يرى بعض المتخصصين في الجغرافيا أنه كلما زاد حجم ذرات التراب زادت مسامية التربة، وسهل على الماء والهواء تخللها، في حين إذا تناقص حجمها فتكون التربة أشد تماسكا، بل قد تكون أحيانا صلبة عديمة المسام تحول دون مرور الماء والهواء، لذا فالتربة الكثيرة المسام والتربة المتماسكة لا تصلحان للزراعة، أما أصلح أنواع التربة فهي التربة الوسط بين التربتين، يعني ما اختلط فيها نسبة من الطين وأخرى من الرمل.[2]

وصنف أحد الجغرافيين التربة عموما إلى ثلاثة أنواع رئيسة باعتبار ألوانها ومكوناتها، والجدول[3] التالي يبين ذلك:

نوع التربة	لونها	السبب	خصائصها
التربة السوداء.	يميل إلى السواد.	ارتفاع نسبة المواد العضوية يكسبها اللون الأسود.	- الخصوبة العالية. - تمتص أشعة الشمس(الدفء). - ارتفاع نسبة المواد العضوية.
التربة الحمراء.	يميل لونها إلى الاحمرار.	ارتفاع نسبة أكسيد الحديد.	- أصلح للنبات من التربة الفاتحة. - إذا مالت إلى اللون البني دل على وجود نسبة كبيرة من المواد العضوية.
التربة الصفراء.	يميل لونها إلى الاصفرار.	ارتفاع نسبة الرمال في التربة.	- تربة تفتقر إلى المواد العضوية. - خفيفة وقليلة التماسك. - لا تصلح في الغالب للزراعة.

لكن لم تقتصر مواصفات التربة الصالحة للزراعة على العلم الحديث فقط، بل تفيدنا بعض المصادر التي بين أيدينا بمعلومات في غاية الأهمية عن علامات الأرض الطيبة

[1]- قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص:17؛ وأنظر فيما سبق: **الفصل الأول**.

[2]- محمد صبحي عبد الحكيم، **المرجع السابق**، ص:243.

[3]- وُضِعَ الجدول من خلال المعلومات المستنتجة من مرجع لـ: محمد خميس الزوكه، **المرجع السابق**، ص:117.

الزّاكية من غيرها،[1] ومعرفة جيد الأرض ووسطها والدون منها ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يغرس في كل نوع منها،[2] وتشير أخرى إلى أنواع التربة كالتربة الحمراء والتربة السوداء وأوصافهما وما يصلح فيهما للزراعة،[3] فهذا ابن ليون التجيبي يعرفنا بعدد أنواع الأراضي وبعض خلالها في أرجوزته يقول:

فعشرةٌ تنويعُ الأرضِ بالنظَر لزَرْعِ الأقواتِ وأَصنافِ الشَجر.
ليّنةٌ غليظةٌ سوداءٌ كذلكَ البَيْضَاءُ والحَرْشَاءُ.
وَالجَبَلِيَةُ معَ الرَّمِلَةِ ثُمَّ الكَذِنَةُ ذَاتُ الحُمْرَة.
إِيه بالحَمْرآ والصَّفرا انتَهتْ طِبَاع الكلِ منهَا اخْتَلَفَتْ.[4]

ويسعفنا ابن ليون كذلك بذكر الأرض الرديئة والطيبة والرقيقة والغليظة يقول:

وَشَرُّ الأرْضِ كُلّهَا المَالِحَةُ وَمَا بِهَا الصفّاحُ وَالـمُنْتِنَةُ.
وَخَيرُهَا اللَّيّنَةُ المُخَلخِلَةُ لِلمَاءِ والهَواَ هِيَ المُعْتَدِلَه.
وَسُرْعَةُ الشُّرْبِ وتَفْتِيتُ التُرابِ عَلَى التَّخَلْخُلِ عَلاَمَتَا الصَّوابِ.
وَمَا يَقِلُ تُرْبُهَا رَقِيقَةُ وَالغَضَّةُ التُّربِ هِيَ الغَليظَةُ.
وَهِيَ التِي تَنشَقُّ فِي الحَرِّ بِأَنْ جَفَّتْ منَ المَاءِ الذِي بِهَا سَكَنْ.[5]

إن الاهتمام الذي خصت به التربة من طرف علماء الفلاحة ومن خلال مؤلفاتهم، حيث قاموا بتحليلها تحليلا علميا،[6] وتعرفوا على مكوناتها، فميزوا بين أنواع تباينت عدتها

[1]- قسطوس بن اسكولستيكه، **كتاب الزرع**، تحقيق: بوراوي الطرابلسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- مطبعة سوجيم، تونس، الطبعة الأولى، 2010، ص:68، 108.

[2]- ابن العوام، **المصدر والجزء السابقان**، ص:6.

[3]- ابن حجاج الاشبيلي أحمد بن محمد، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، د. ط، 1982م، ص:6؛ ابن العوام، **المصدر والجزء السابقان**، ص:38؛ المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، د. ت، ص:224؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص ص: 86-90.

[4]- **كتاب ابداء الملاحة، المصدر السابق**، الورقة: 2(الوجه).

[5]- **نفسه**، الورقة:2(الظهر).

[6]- ابراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي البياض: "التربة: آفاتها، تقنيات علاجها وتدبير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية (القرن 5هـ/11م)، ضمن كتاب: **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي في العصر الوسيط**، إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء – المغرب، د.ط، 2011، ص:220.

من مصدر إلى آخر،[1] بلغت عند الطغنري –على سبيل المثال - خمسًا،[2] وعند ابن ليون التجيبي عشرًا،[3] لا يفسر إلا بكونها "أصلا من أصول الفلاحين"[4] يتوقف عليه أمر الفلح والحرث، إذ لا يمكن لهم عمل شيء ما لم يميزوا الأرض طيبها من رديئها، ويحددوا المحاصيل التي تنموا بها أو تصلح بغيرها، ويقدروا درجة الإصابة فيها، وليعلموا كذلك ما الذي ينقصها فيضيفوه لها من سماد.

كما يدل على مكانة الفلاحة كنشاط اقتصادي مؤثر في حياة (عمر) دول المغرب الاسلامي، ويشير أيضا إلى تطور الفلاحة التي أصبحت علما قائما بذاته من خلال التجارب والأبحاث التي تضمنتها أعمال المختصين ممن سبق ذكرهم.

وهنا يمكننا القول أن جهود أولئك العلماء أضحت نبراسا نقلت من خلاله طوائف الفلاحين في بلاد المغرب "ثقافتها الزراعية"،[5] وولدت لديها عرفا فلاحيا بنت عليه تجاربها وخططها في فلح الأرض وازدراعها.

أمّا عن حجم الاهتمام بموضوع التربة في الأسطوغرافيا الجغرافية والرحلات فهو ضئيل جدا رغم أن هذه المصادر قدمت معلومات ضافية عن النشاط الاقتصادي بصفة عامة بما في ذلك الانتاج الفلاحي، لكن الاشارات التي تم رصدها تحوم حول نوعين من أنواع التربة عرفا بمنطقتين مختلفتين ببلاد المغرب:

النوع الأول: التربة الحمراء ببلاد برقة.[6]

[1]- حول بعض أنواع التربة وخصائصها ينظر: الملحق رقم:1.

[2]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص ص: 86-90.

[3]- ينظر: **المصدر السابق**، الورقة: 2(الوجه والظهر).

[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 86. للإشارة فمعظم كتب الجغرافيا وحتى كتب الفلاحة التي بين أيدينا تستهل مباحثها بدراسة عنصر التربة وأنواعها وألوانها وخصائصها، قبل طرق مواضيع تدبير الماء والحرث والجني والحصاد؛ كما نلاحظ ذلك التقارب في تسمية أنواع التربة وأوصافها ومكوناتها.

[5]- سعيد بن حمادة: "النشاط الزراعي بالبادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، **مجلة البادية المغربية**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، العدد: 2011/4، ص: 73.

[6]- ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص:69؛ البكري أبو عبيد، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2003، المجلد:2، ص:176؛ المقدسي، **المصدر السابق**، ص:224؛ **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، مأخوذ من: **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي**، مطبعة بريل، ليدن،

النوع الثاني: تربة تِيرْسْت.[1]

ولا مناص فإن هذا النزر اليسير من النصوص ورغم إقتضابها لا تمنعنا القول بوجود نوع من الثقافة الفلاحية بالتربة لدى فلاحي بلاد المغرب الاسلامي عامة، وخاصة عند فلاحي المغرب الأوسط، لاسيما عندما نجد أن الموضوع (التربة-الأرض) قد لفت انتباه الموثقين حيث شدد بعضهم على ضرورة ضبط عقود سائر العقار والأرض في حال البيع وما في معناه بالتعرض لإثبات الحدود المحيطة به، وتقييد الموضع بذكر جهته، وذلك لإختلاف الأرض في الطيِّب والخبث،[2] كما شغل الموضوع بعض المتصدين للإفتاء في النوازل حيث تضمنت بعض المسائل المرفوعة إليهم فضلا عن أجوبتها خاصة ما تعلق منها بقسمة الأرض من ميراث أو شركة أو غيرهما تضمنت معاني صريحة تدلل على أن للتربة أنواعا بعضها أكرم من بعض في الجودة أو ضدها،[3] وبينت نازلة أخرى أنّ القسمة في الأرض من طريق الميراث لا تتم حتى يعلم ما للهالك فيها وصفته وتسميته ومساحته،[4] في حين تقر نازلة أخرى ضرورة امتحان الأرض الواقعة في حقل واحد عند قسمتها إذا كان فيها جانب أجود من جانب لمعرفة هل أن الجودة هي في أصل الحقل، أم أنها طارئة عليه عن طريق تسميد التربة،[5] وحسب تقرير اختبار أرض الحقل تنفذ القسمة على الاعتدال.

1823، ص:131؛ وبرقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د. ط، 1977، مجلد:1، ص:388، الحميري عبد المنعم، **المصدر السابق**، ص:32، 91.

[1]- النطاق الجغرافي لهذا النوع من التربة بالقرب من نهر ملولو الذي ينبع من جبال الأطلس في تخوم مدينتي تازة ودبدو، وينتهي مصبه في نهر ملوية. الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:250. وقد ذكر مترجم الكتاب أن كلمة تيرست بربرية، وتعني الأرض البيضاء التي تشبه الصلصال، وهي غير التيرس التي تعني الأرض الخصبة السوداء. ينظر: **نفس المصدر**، الهامش رقم:10، ص:250. وتربة التيرس هذه معروفة إلى يومنا هذا في عدة مناطق من البلاد الجزائرية، تتميز بارتفاع نسبة الطين، وخصوبتها العالية، ويتدرج لونها من منطقة لأخرى، وتتشقق في فترات الجفاف شقوقا عميقة.

[2]- الونشريسي أبو العباس، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، تحقيق: عبد الباهر الدوكالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص:72.

[3]- البرزلي أبو القاسم، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام(المعروف بـ: فتاوى البرزلي)**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ج:5، ص ص:28-30.

[4]- ابن سهل ابي الاصبغ عيسى، **ديوان الأحكام الكبرى(أو: الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام)**، تحقيق: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص: 548.

[5]- **نفسه**، ص: 546، 547.

كما قال بعض الفقهاء أو قضاة الأنكحة أنه "من الغرر في الصداق أن يتزوج الرجل المرأة بأرض للزوج ولا يسمي موضع الأرض ولا حدودها ولا ذرعها ولا تعرف بعينها، ولا توصف بحالها"،[1] واعتبر عقد النكاح فاسدا ويجب فسخه قبل حصول البناء بسبب الغرر المترتب عن غياب المواصفات التعريفية للأرض الممنوحة كصداق للزوج (الزوجة) التي قد تذهب حقوقه إذا لم تعيّن أو يعرف بها.

أما عن تربة أراضي المغرب الأوسط[2] فقد ساعدت طبيعة هذه البلاد نفسها على الإزدهار خاصة في نشاط الفلاحة، حيث شهد الكثير من الجغرافيين والرحالة بذلك، "فهي معروفة -إلى يومنا هذا- بخصوبة تربتها وتنوعها بحيث تناسب مختلف أنواع المزروعات".[3] وسنحاول من خلال الجدول التالي عرض جملة من الملاحظات الجغرافية التي توضح هذه التجليات:

المكان	الأرض/التربة	ملاحظات	المصدر
الأوراس	جبل خصيب	فيه مدن كثيرة	- **الإستبصار**، **المصدر السابق**، ص:164.
تفسرة	أراضيها جيدة	لزراعة القمح	الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:24.
مقرّة		بها مزارع الحبوب، والكتان كثير عندهم.	- الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:556.
وانشريس	جبل جيد التربة	كثير العيون.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:45.
تلمسان	سهلية جبلية. خصيبة.	الدائر بالبلد كله مغروس. كثيرة الخيرات والنعم.	- العبدري، **الرحلة المغربية**، **المصدر السابق**، ص: 11؛ **الإستبصار**، **المصدر السابق**، ص:

---

[1]- البرزلي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:210.

[2]- وللإشارة فتربة بلاد المغرب الأوسط تنتمي إلى تربة إقليم البحر المتوسط، وتنقسم هذه التربة إلى نوعين: تربة حمراء يطلق عليها إسم (Terra Rossa) وتتوزع هذه التربة على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط في سوريا ولبنان وفلسطين كما تتوزع في اقليم برقة بليبيا؛ والنوع الآخر تربة سمراء تتوزع على طول ساحل البحر المتوسط، في شمال غرب افريقية سواء في تونس أو الجزائر أو المغرب. وتجمع تربة اقليم البحر المتوسط بين ميزة تحلل العناصر العضوية التي تكتسبها من الغطاء النباتي الذي ينمو فوقها وميزة تجمع العناصر العضوية على السطح. وهذه التربة من أخصب أنواع التربة في العالم، ومن أصلحها للزراعة، ويؤدي استخدام الأسمدة فيها إلى نتائج حسنة. نعيم الظاهر، جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2007، ص: 121.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، د.ت، ص:26. وينظر حول نوعية تربة بعض السهول الجزائرية: عبد العباس العزيزي وآخرون، **جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1999، ص:55.

	في بسيط له اتساع وانفساح. كريمة الفلح.	خزانة زرع. زاكية الاصابة.	176؛ لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار**، ص: 184؛ البلوي، **تاج المفرق**، ج:1، ص:148-149؛ يحي بن خلدون، **بغية الرواد**، ج:1، ص:90؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج:5، ص:145.
مليانة	البلدة الخصيبة. أخصب بلاد إفريقية.	مياهها كثيرة، وتشرف على وادي شلف. مزارعها واسعة، بها جميع الفواكها.	- العبدري، **الرحلة المغربية، المصدر السابق**، ص: 24؛ **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 171.
الجزائر	تجمع بين السهل والوعر.		- العبدري، **الرحلة المغربية، المصدر السابق** ص: 26.
متيجة	فحص كثير الخصب.	فحص كبير، عظيم كثير القرى والعمائر.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص:132، الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص: 163.
تنس		كثيرة الزرع، يحمل منها إلى إفريقية والأندلس.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص:133.
وهران	من أعز البلاد. حسنة.	كثيرة البساتين والثمار.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص. ص: 133، 134؛ الجركسي محمد، **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، تقديم: ل. لنقلاش، مطبعة أمبريال، باريس، د.ت، ص:11.
زيدور	فحص مبارك، مشهور البركة.	لحرث القمح. يقع بين أرشجول وتلمسان.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 134.
الخضراء		كثيرة البساتين.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 171.
الزاب	على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد.	كثيرة النخل.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 171.
المسيلة		كثيرة النخل والبساتين	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 171، 172.
نقاوس		كثيرة المزارع، كثيرة الثمار.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 172.
طبنة		كثيرة النخل والثمار.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 172.
بسكرة		كثيرة النخل والزيتون، وجميع الثمار. وغلتها عظيمة كثيرة.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 173. الورثلاني، **الرحلة**، مجلد:1، ص: 115.
وجدة	جيدة التربة.	كثيرة البساتين والجنات والمزدرعات.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 177.

تاهرت	أراضيها مسقية.	كثيرة البساتين، وبها جميع الثمار.	- **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 178.
سيرات	فحص خصيب.	بقلعة هوارة، وعلى نهر سيرات.	**الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 178، 179.
مازونة	الخصب بها. أراضيها جيدة.	بها الكثير من الفواكه والمزارع، وغلتها حسنة.	- الحميري، **الروض المعطار، مصدر السابق**، ص: 521-522؛ الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 36.
واركلان	بلد خصيب.	بها الكثير من الزرع والنخل والبساتين.	الحميري، **المصدر السابق**، ص: 600.
مرسى الدجاج	لها أرض ممتدة.	مزارع متصلة، وإصابة الزرع والحنطة واسعة مباركة.	- **المغرب العربي...، المصدر السابق**، ص:115.
بنو راشد	أراضيها صالحة للزراعة.	جهته الحنوبية كلها سهول.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:26.
تسلة	سهل كبير.	ينبت قمحا جيدا، جميل اللون، غليظ الحب، يمكنه وحده أن يمون تلمسان بما تحتاجه من حبوب.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 25؛ مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:325.
قسنطينة	بلد طيب كثير الخصب.	الصاع الواحد من البذور يعطي ثلاثين صاعا من الغلة.	- مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:3، ص:12.
البطحاء	سهل فسيح.	ينبت فيه القمح بكثرة.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 27.
أنقاد (أنكاد)	الفيضة. بسيط.	وهي مكان مزارع. شرق وادي ملوية.	- ابن عابد الفاسي، **الرحلة**، ص: 22؛ ابن خلدون، **ديوان العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص: 598-599.
ندرومة	بسائطها خصيبة.	كثيرة الزرع والفواكه.	- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص: 576؛ **الإستبصار، المصدر السابق**، ص: 135.
تانكرمت	خصيب البسائط.	حصن على الساحل من حصون تلمسان، به مزارع واسعة.	- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص:128.
مستغانم	خصبة جيدة الفلاحة.	في خارجها بساتين جميلة	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 32.
هنين		تنتج أراضيها كميات وافرة من الثمار.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 15-16.
المدية	غنية.	يجود بها الزرع.	- مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:373.
جبل بني	جيدة.	الحرث بهذا الجبل جيد، في	- مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر**

ورنيد		تربة يطيب فيها القمح والشعير.	**السابق**، ج:2، ص:352، 353.
أغبال	جبل.	به البساتين، وفيه محلة يطيب بها القمح بكثرة.	مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:352، 353.
شرشال	بلد طيب.	تجود به أشجار التوت والكروم والزيتون.	- مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 356.
ميلة	بلد طيب.	كثير الزرع.	- مارمول كربخال، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:3، ص: 13.
توات		بها من التمر أنواع كثيرة	- العياشي أبو سالم، **الرحلة العياشية**، مجلد:1، ص: 79-80.
دلس	زراعية.	يملك أهلها أراضي زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 42.

إذن فالمصادر الجغرافية والرحلات انطلاقا من المعطيات السابقة قدمت نصوصا غزيرة عن خصوبة تربة بلاد المغرب الأوسط ووفرة إنتاجها وطيب اصابتها وكثرة غلاتها، ولكن دون بيان لأنواعها وخصائص كل لون منها،[1] لكن المجالات الجغرافية التي تناولتها المصادر من مدن وجبال وبسائط وفحوص تعطينا فكرة عن نوع التربة الموجود بهذه المجالات إنطلاقا من موقعها الجغرافي أو وصفها الجغرافي في المصادر، وبالتالي يمكننا ذلك من القول بأن أهل المغرب الأوسط قد عرفوا – في الفترة محل الدراسة- التربة كوسط لممارسة الفلاحة، وميزوا طيبها من رديئها، وحددوا ما يصلح فيها للزراعة وما لا يصلح، وكيف يمكن صلاحها، ولا شك أن ذلك كله نبع من الثقافة الفلاحية التي تضمنتها كتب الفلاحة وتراكمت عبر العصور في أذهان إنسان المغرب الأوسط وتناقلتها الأجيال فيما بعد جيلا عن جيل بين أهل الفن عبر الحقب التاريخية.

[1]- ذكر أحد الباحثين أن:" أهل المغرب في العصر الوسيط عرفوا أنواع التربة وقسموها حسب لونها، ...، لكن معلوماتهم حولها ظلت تفتقد إلى الدقة، ..." لكن الحقيقة غير ما يذهب إليه خاصة إذا علمنا أن أبحاث علماء الفلاحة الأوائل من أمثال: ابن ليون التجيبي، وابن الخير الاشبيلي، والطغنري وغيرهم، فضلا عن بعض علماء تلمسان الذين اهتموا بعلم الفلاحة ولم يصلنا من آثارهم شيء كمحمد بن أحمد الإدريسي(ت:771ه) وسعيد المقري(كان حيا 1011ه)، كانت القواعد العربية الأولى لعلم الفلاحة العربي في العالم، ولا نستبعد البتة أن هذا العلم وصل للمجتمعات التي ينتمون إليها؛ ويزداد تمسكنا بهذا الرأي لما نجد بعض النوازل التي ترفعها الحياة الاقتصادية اليومية إلى الفقهاء للفصل فيها، نجدها تحمل في ثناياها قضايا علمية دقيقة تبين الفروق بين أنواع التربة والأراضي وأوصافها، خاصة إذا علمنا أن مصدر النوازل هو طبقة الفلاحين من عامة الناس، وهنا السؤال المطروح كيف يمكن لهؤلاء معرفة هذه القضايا الدقيقة في التربة والأرض؟ لولا وجود ثقافة مسبقة راسخة لديهم يعرفون من خلالها التربة كإطار للفلاحة فضلا عن خواصها، وأنواعها. راجع: الصفحات السابقة: علاقة موضوع التربة بالنوازل. وأنظر: موسى هواري، **تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1ه-7م إلى القرن 7ه-13م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، 2015-2016، ص:32.

2- أشكال الملكيات الفلاحية:

يعتبر موضوع ملكية الأرض من "ألغز معضلات التاريخ الاسلامي"[1] التي تعترض الباحثين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي خاصة ببلاد الغرب الاسلامي، لما يكتنفه من صعوبات منهجية وتاريخية في غاية التعقيد،[2] كما أثار حيزا كبيرا من الجدل،[3] جعل البعض يتوجس من خطورته، وألزم آخرين بضرورة "الولوج الحذر لبعض جوانبه"،[4] واستلزم من ثلة التسلح بعلوم اجتماعية وقانونية متعددة، يأتي في مقدمتها الفقه الاسلامي باعتباره المصدر الذي يتضمن الاطار النظري المحدد لنظام تملك الأرض.[5]

لكن المعضلة الحقيقية ليست كذلك في مصنفات الخراج،[6] هذا النوع من المؤلفات الذي وضع لتنظيم الأراضي الداخلة في حوز الدولة الاسلامية من خلال عملية الفتوحات، وتحديد كيفيات استغلالها، طبعا لكونها قواعد نظرية بمثابة القانون الذي يحدد نوع الملكية وطرق تسييرها؛ وإنما تنحصر المشكلة في سياسات الدول المتعاقبة ببلاد المغرب، ومدى تطبيقها لفقه ملكية الأرض أي ذلك القانون، لأن جل الدول كانت تباشر الحروب والغزو لتوسيع نفوذها على حساب الدول الأخرى، ومن خلال سير عملية الحرب أو نتيجتها على الخصوم يتبين وضع الأرض، لأنه تبعا لوضعيتها القانونية بعد الحرب يتحدد شكل الأصول

---

[1]- محمود إسماعيل، **سوسيولوجيا الفكر الاسلامي(طور الازدهار1، الخلفية السوسيو- تاريخية)**، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000، ص:26.

[2]- عمر بنميرة، **النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 2012، ص:123؛ بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6-9ه/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2009-2010، ص:156.

[3]- محمود أحمد أبو صوة، **ملاك الأرض بإفريقية منذ الفتح حتى أواسط القرن الرابع للإسلام – مدخل لدراسة نظام إفريقية الاقتصادي والسياسي**، منشورات *ELGA*، فاليتا- مالطا، د.ط، 2001، ص ص: 46-85؛ دلال لواتي، **عامة القيروان في عصر الأغالبة**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015، ص:236؛ محمد نجمان ياسين، **أرض الصوافي ...، المرجع السابق**، ص:62.

[4]- محمود إسماعيل، **المرجع السابق**، ص: 27.

[5]- عمر بنميرة، **المرجع السابق**، ص: 123.

[6]- نذكر من الذين ألفوا في هذا الفن على سبيل المثال: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري(113-182ه)، **كتاب الخراج**، تحقيق: محمد المناصير، تقديم: عبد العزيز الدوري، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، 2009؛ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي(ت402ه)، **كتاب الأموال**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

أو الضرائب التي تدفعها لبيت مال الدولة المتغلبة عليها؛ وهذا هو العامل الذي حال دون استقرار الملكية في بلاد المغرب الاسلامي عموما.

ورغم هذه الاشكالات التي نجدها، فقد أجمل الفقهاء الأرض في أربعة أنواع[1]:

* صُلحية: فتحت بما صولح عليه أهلها دون قتال، مع بقائهم على ديانتهم، فهي أرض جزية.[2]
* عُنوية: فتحت بالقوة والحرب والقهر، فهي أرض خراج.[3]
* وأرضُ أسلم عليها أهلها: بغير قتال ولا أخذ عنوة،[4] فهي أرض عشر.[5]
* وأرضُ جُلِيَ عنها أهلها: فرّ عنها أهلها بغير قتال،[6] ويضاف لها كل أرض لم يكن لها مالك عند الفتح.[7]

ولما شاور خليفة المسلمين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الصحابة -رضي الله عنهم- في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين، فخالفه بعضهم ووافقه البعض الآخر[8] في وضع أسس قويمة ترسم الوضعية القانونية للأرض في الدولة الاسلامية،[9] غير أن جمعا من كبراء الأنصار وأشرافهم انتصروا لرأي الخليفة فقالوا: " الرَّأيُ رَأيُكَ، ونِعمَ مَا قلتَ ومَا رَأيتَ"،[10] وبذلك أصبح الخليفة صاحب "الحق الشرعي"[11] في وقف الأرض أو قسمتها،[1] فسطرت الدواوين لذلك وعظمت عائدات الأرض على بيت مال المسلمين.

---

[1]- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، **كتاب الخراج**، **المصدر السابق**، ص: 263، 275؛ العقباني أبو عبد الله محمد، **تُحفةُ النَّاظِر**، **المصدر السابق**، ص:153؛ الخزاعي علي بن محمد ابن سعود(ت: 789هـ، صاحب الأشغال السلطانية لدى أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني 737هـ-753هـ)، **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة الثالثة، 2010، ص:528-529.

[2]- العقباني أبو عبد الله محمد، **المصدر السابق**، ص:152.

[3]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص: 263،265؛ ابن آدم يحي القرشي(ت 203هـ)، **كتاب الخراج**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار المعرفة، 1979، ص:70؛ الونشريسي، **المعيار...**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:220.

[4]- العقباني أبو عبد الله محمد، **المصدر السابق**، ص:153.

[5]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص: 263، 273.

[6]- العقباني أبو عبد الله محمد، **المصدر السابق، والصفحة ذاتها**.

[7]- محمد نجمان ياسين، **المرجع السابق**، ص:65.

[8]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص: 143- 146.

[9]- دلال لواتي، **المرجع السابق**، ص: 236؛

[10]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص:147؛ بشار قويدر، **قضية الأرض في الدولة الاسلامية**، مركز الطباعة (ملحقة بوزريعة)، جامعة الجزائر، د. ط، د. ت، ص:25.

[11]- دلال لواتي، **المرجع السابق**، ص: 236 وما بعدها؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني(ت:759هـ)، **عمل من طب لمن حب**، تحقيق: أبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي، دار الكتب

أما عن وضعية أرض المغرب فقد اختلفت الروايات في أمرها[2] فقيل: " إنها عنوية وقيل إنها صلحية وقيل إن فحوصها عنوية وجبالها صلحية لأن الجبال مظنة الامتناع"[3] و"قيل بالوقف"،[4] ونُقِلَ عن بعض الأئمة أنه قال: " كشفت عن أمرها فما ثبت عندي فيها أمر".[5]

والملفت للنظر أنّ هذه الآراء لا يكاد يخلو منها أي بحث من الأبحاث التي تولت التنقيب في موضوع الأرض الفلاحية، وهي في الحقيقة لا تبصرنا إلا بنزر يسير عن هذا المبحث.

لكن ثمة وجهات نظر أخرى تنير لنا الغموض الذي يكتنف هذا الجانب في مدى قانونيته خاصة ببلاد المغرب:

فوجهة النظر الأولى: تقول: "والذي يوجب النظر فيها: أن تجري على ما تواطأت عليه القرون في أمرها. وتقر بأيدي مالكيها، إلاّ ما تواترت الأخبار أنه اغتصب أو أجلي عنه أهله"،[6] أي عن طريق البحث إلى ما توالت عليه العصور من بيع الأرض وشرائها وتحديدها من خلال عقود الحيازة أو الملكية التي بأيدي أصحابها فتحمل تلك الأرض عليه، وهنا في الأمر يسر إذا قامت "حُجّة الحيازة"[7] غير أن الأمر يعسر فيما لم يعرف ما مضى عليه عمل أهله.[8]

العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص:111؛ محمود مصطفى حلاوي، **النظم الاسلامية في عصر صدر الاسلام**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص:123، 124.

[1]- ابن آدم يحي، **المصدر السابق**، ص:19.

[2]- الداودي، **كتاب الأموال**، **المصدر السابق**، ص:79؛ وأنظر:

- Ernest MERCIER: “ ***La Propriété en Maghreb selon La Doctrine De Malek***”, Extrait du ***Journal Asiatique***, Juillet-Aout 1894, p. p.4-23.

[3]- العقباني أبو عبد الله، **المصدر السابق**، ص:153.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:73 / ج:6، ص:133-134.

[5]- ينظر نوازل أحمد بن نصر الداودي ضمن مؤلف: عبد العزيز صغير الدخان، **موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2013، ص:308؛ الداودي، **المصدر السابق**، ص:79.

[6]- الداودي، **المصدر السابق**، ص:79؛ العقباني أبو عبد الله، **المصدر السابق**، ص:153.

[7]- العقباني أبو عبد الله، **المصدر السابق**، ص:153.

[8]- **نفسه**، والصفحة ذاتها.

أما وجهة النظر الثانية: يعرضها علينا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني(ت:871هـ-1467م) يظهر من خلالها بعض الوجوه القانونية للأرض، وكذا بعض طرق كسب الأرض وتملكها كالتغلب من خلال الحرب والعصبية والاستبداد، حيث يضيف العقباني قائلا: " غير أنّ أرض مغربنا وخصوصا السهل منها استمرت القرون السالفة والأمم الغابرة على تصرف الأئمة منها لبيت المال وحده على استبدادهم بالخراج دون أن يكون لقبائل العمران فيها شبهة مالك يسندون إليها سوى التغلب وإظهار الفساد بحماية بعضهم لبعض بطريق التعصّب، ...".[1]

ونستشف من خلال النص السابق أن العمل بقواعد تمليك الأرض ووفق الصيغ القانونية المعروفة التي نصت عليها كتب الخراج لم يتوقف إلى غاية عصر العقباني بل كان في تجدد مستمر بسبب الظروف السياسية المضطربة التي كانت تعيشها بلاد المغرب، حيث يذكر في سياق حديثه عن أرض العنوة يقول: "وكان يتقدم لنا، ... على ما جرى به عمل الأئمة اليوم من إقطاعها وبيعها، ...".[2]

وإذا ما تأملنا ظروف ظهور الدولة الزيانية نجد أن سلاطينها لما استوسق لهم الملك بتلمسان خاصة منهم يغمراسن بن زيان مؤثل الدولة الذي تاقت نفسه إلى التغلب على أمصار المغرب الأوسط، فبسط نفوذه على الكثير من بلاد شلف التي كانت لقبائل توجين في بداية حركته،[3] وبالطبع فهذه الحركات العسكرية المصاحبة لظهور الدولة في الحقيقة ما هي إلا عمليات فتح جديدة للبلاد، شأنها في ذلك شأن الدول – ذات الإقتصاد العسكري المبني على غنائم الحرب –[4] السابقة أو المزامنة لها في الظهور ببلاد المغرب الاسلامي، فالأراضي التي كانت تدخل حوز الدولة الزيانية عنوة كانت تخضع لنفس المنظومة الفقهية

---

[1]- **المصدر السابق**، ص: 154.

[2]- **نفسه**، ص: 152.

[3]- ابن خلدون، **ديوان العبر ...**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:135، 138، 141.

[4]- الحسين بولقطيب، **حفريات في تاريخ المغرب الوسيط**، جذور للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2004، ص:110، وما بعدها؛ عبد القادر جغلول، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة: فضيلة الحكيم، دار الحداثة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1988، ص:75، 77؛ ابراهيم القادري بوتشيش، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الاسلامي**، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص:16، وما بعدها.

التي تؤطر نظام الأراضي، وبالتالي فمن غُلِبَ على أرضه عنوة إما يستباح دمه لكفره، أو يدخل في حكم السبي فيكون عبدا تسقط ملكيته لصالح الدولة،[1] أو يفر بجلده من آلة الحرب ويدع أرضه فتكون فيئا لمن فتحها. ولعل النصوص الكثيرة التي تحتفظ بها بطون المصادر حول الحملات الحربية[2] التي شنتها الجيوش الزيانية لتوسيع رقعة المملكة بالمغرب الأوسط وحتى على حساب أراضي الدول المجاورة، وكذا لتخضد شوكة بعض الحركات المناوئة تشهد لذلك فسرعان ما كانت تعين الولاة والعمال والجباة وتضرب الخراج وتجمع الأعشار في البلاد الجديدة. ولا يفوتنا هنا التنويه بأن الحركات التوسعية العكسية من الدول الجوار كانت تنشد نفس الطموحات التوسعية والاقتصادية في كثير من الأحيان، وهو الأمر الذي زاد الطين بلة من تعقد نظام الملكية وتشعب طرق قسمة الأرض.

ومما ينهض دليلا على ذلك أنه في سنة سبعمائة واثنين وخمسين للهجرة وجهت السلطة الزيانية عساكرها "إلى انتظام بلاد مغراوة في ملكهم كما كان لسلفهم،... وفلّ جموعهما وغلبهم على الضاحية والأمصار،... ووقع الغلب،... فاستركبوا واستلحقوا وصاروا جندا للدول، وحشما وأتباعا، وانقرض أمرهم من بلاد شلف".[3]وهذا نص آخر عن حركة الوزير الزياني عبد الله بن مسلم في الحادي عشر من صفر لسنة سبعمائة وأربع وستين للهجرة (1362م) إلى البلاد الشرقية وأحواز بجاية ليستفتحها "فلم يزل الوزير يرحل بمحاله وينزل،... لا يأتي على قبيلٍ إلاّ مهّده، ولا بلدٍ إلاّ وأصلحهُ وسدّدهُ، إلى (أن) بلغ جرجرة،... وعندما توغل في البلاد أتته القبائل والأعراب، وأناب له من لم يقل أنّه أناب، فشرع في تغريم تلك البلاد، فأخذ وأعطى، ومهّد ووطأ، وسدّد وصلح، وأطلق وسرّح، وتوغل في البلاد كيف أراد، وبلغ في الأعداد المراد،... ورغب أهل البلاد في

---

[1]- ينظر: محمد القبلي، **الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط(علائق وتفاعل)**، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى، 1997، ص ص: 47-48؛ وكتابه الآخر: **جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية، الدار البيضاء-المغرب، د.ط، 1998، ص:81.

[2]- يذكر محمد بن عبد الله التنسي أن ليغمراسن بن زيان وحده من الحروب مع العرب وحدهم إثنين وسبعين غزاة، وكذلك له مع بني توجين ومغراوة. **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: مقتطف من كتاب: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص:128.

[3]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7،ص:144.

خدمته، وتابوا إلى عدله وحرمته، يجد الجبابا من الأعراب وأجرى العطايا لمن أناب"،[1] وعاد الوزير من حركته هذه إلى الحاضرة تلمسان بمال وافر من الخراج.[2]

الشاهد من النصوص هو الاشارة إلى بعض عمليات الاستفتاح التي قامت بها السلطة الزيانية لتوسيع مجالاتها وتقوية عصبتها وضم أعياصها وبناء أحلافها،[3] وللوقوف على نوع هذه الحملات التي تباينت نتائجها بين التغلب عنوة وقهرا وفرض المغارم تارة، والإنابة والطاعة من الخصوم تارة أخرى، وبين الأخذ والعطاء، والاصلاح لأحوال البلاد المفتوحة، وبين الأسر والتسريح والاسترقاق[4] والتجنيد، وغيرها من الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تصاحب فتح أي صقع يلحق بحوز الدولة؛ لذا فمسألة تحديد طبيعة الأراضي المفتوحة تخضع تباعا للنتائج التي كانت تسفر عنها الحرب، ثم يتم تكسيرها وتقسيمها وفق ما تمليه القواعد الفقهية المتعارف عليها في تملك الأرض وطريقة استغلالها، وما يقابل كل نوع منها من الضرائب، وتتدخل السلطة بكلكلها لتأطير العملية

---

[1]- مؤلف مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تقديم: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، السفر الثاني، ص:312، 313.

[2]- **نفسه**، ص:117.

[3]- يرى أحد الباحثين أن الصراع العصبي أو العصبية ذو صبغة اقتصادية، لأن الأساس الذي تقوم عليه الرابطة العصبية هو المصلحة المشتركة التي تشكل فيها أمور المعاش العنصر الرئيسي الفعال، فهي في مظهرها تقوم على النسب حقيقيا(رباط الدم) كان أو وهميا (الولاء والحلف)، في حين أنها في العمق تقوم على تنازع البقاء والكفاح من أجل ظروف معيشية أحسن في إطار وحدة العصبة وتضامن أفرادها في المصالح المادية للعصبة والاعتبارات المعنوية التي تقوم بها شخصيتها ويتأكد كيانها. محمد عابد الجابري، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثامنة، 2007، ص:176-177؛ عبد القادر جغلول، **الاشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون**، دار الحداثة، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، 1987، ص ص:141-144.

[4]- راجع حول هذا الموضوع: عبد الاله بن مليح، **ظاهرة الرق في الغرب الاسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، د. ط، 2002.

عن طريق ديوان صاحب الأشغال والولاة والعمال[1] والجباة،[2] و" قِسّام الدُّور والأرضين، وقسّام القاضي والـمَغنَم وحُسَّابُهُمْ".[3]

رغم هذا تظل قضية العلاقات التي تربط ملاك الأراضي بالسلطة في المغرب الأوسط مطروحة للبحث والتنقيب، لأنها لا زالت تتضمن عدة جوانب يسودها الغموض وتحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد لاستجلائها، خاصة تلك التي لم يصلنا عنها من الخبر إلا القليل؛ وسنقتصر فيما يأتي على ذكر بعض التفاصيل عن أشكال الملكيات الفلاحية في بلاد المغرب الأوسط عسى أن ترسم صورة تقريبية عن نظام الأراضي بهذه البلاد خلال الفترة محل الدراسة.

تميط المصادر التي بين أيدينا اللثام عن اصطلاحات دقيقة تضبط علاقات مختلفة لتملك الأرض واستغلالها بصفة قانونية منها: أرض المخزن، أرض السلطان، الأرض الصافية،[4] الأرض المحكرة،[5] الأرض المحبسة،[6] بلاد الظهائر،[7] أراضي الإقطاع،[8]الأملاك المشتركة،[9] أرض القانون،[10] الأرض الغامرة،[11] أرض بور،[12] بحيرة، قاعة؛[13] فدان.[1]

[1]- ابن القاضي المكناسي(ت:1025هـ)، **درّ الحجال في غرة أسماء الرجال**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص:347؛ مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية**، نشر: محمد بن أبي شنب، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2012، ص:129، 178.

[2]- ابن صعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل(ت:901هـ)، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحقيق: محمد أحمد الديباجي، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2011، ص: 402.

[3]- الونشريسي، **المنهج الفائق ...، المصدر السابق**، ص:52.

[4]- الونشريسي، **المعيار المعرب ...، المصدر السابق**، ج:6، ص:205، 208.

[5]- ابن هلال السجلماسي، **المصدر السابق**، ص:284.

[6]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص: 43، 46.

[7]- **نفسه**، ج:1، ص:378.

[8]- **نفسه**، ج:9، ص:73.

[9]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:425.

[10]- **نفسه**، ج:5، ص:97.

[11]- **نفسه**، ج:7، ص:138 / ج:5، 117؛ ابن صعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل(ت:901هـ)، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009، ص:195.

[12]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:142.

[13]- **نفسه**، ج:5، ص:28، 100.

وعلى كل فهذه المصطلحات المتنوعة تكشف عن أشكال من الحيازات والاستغلاليات الفلاحية التي تختلف من حيث مساحاتها والأطراف المالكة لها،[2] ومن خلال هذه التسميات يمكننا أن نميز بين سبعة أصناف لملكية الأراضي بالمغرب الأوسط الزياني كما يلي:

* أراضي الدولة.
* أراضي السلطان.
* أراضي الإقطاع والظهير.
* أراضي الوقف.
* الأراضي الفردية.
* الأراضي الجماعية.
* الأراضي الموات.

وسنحاول بما تسنى لنا من مادة مصدرية تفصيل كل صنف من هذه الأصناف.

<u>أ)- أراضي الدولة:</u>

نقصد بها كل الأراضي التي وقعت في حوز الدولة الزيانية منذ اعتلاء أول سلاطينها عرش المملكة، وتضم: جميع الأرض الصافية التي جلا عنها أهلها أو قتلوا في الحرب وليس لهم وارث،[3] وكانت هذه الأرض بيد السلطان يقطعها لمن أقطع مع مراعاة مصلحة المسلمين،[4] وتعرف كذلك "بأرض المخزن".[5] وقد بذل بنو عبد الواد الزيانيين جهودا عظيمة لتوسيع مجالات سلطتهم في كل الجهات حتى أشرفوا على نفوذ يمتد من بونة شرقا

---

[1]- الشماخي، **المصدر السابق**، ص:539؛ **ابن الزيات التدلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثالثة، 2010، ص:369.

[2]- يوسف نكادي، **المرجع السابق**، ص:141.

[3]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص:259؛ الرحبي عبد العزيز بن محمد(ت:1184ه)، **فقه الملوك ومفاتيح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج**، تحقيق: أحمد عبيد الكبيسي، مطبعة الارشاد، بغداد، د.ط، 1975، ج:1، ص:394؛ وراجع: محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية**، دار الشروق، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1993، ص:332.

[4]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص:259؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:208.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:205؛ الهادي الهروي، **القبيلة الاقطاع والمخزن**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2010، ص:67؛ وأنظر: عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، **المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب من القرن 15 إلى القرن 18- قضايا ونصوص**، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2007؛ سهام دحماني: "المصطلحات الاقتصادية في كتب النوازل –نوازل المازوني نموذجا، **ضمن كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص:123.

إلى ما وراء تلمسان غربا(وجدة وأنكاد)، إلى بلاد الصحراء جنوبا حتى إقليم فيجيج وسجلماسة وإلى صحراء توات وورجلان، وهي تمثل في مجملها الأراضي التي خضعت للإدارة المخزنية للدولة الزيانية في أغلب الأحيان.[1]

ب)- أراضي السلطان:

هي الأراض الخاصة بالسلطان أو بالأسرة الحاكمة بشكل عام، وتتميز ببُعدها عن الأراضي التابعة للقبائل، وبمساحاتها الشاسعة وخصوبتها وبمواقعها الاستراتيجية المحاذية للمدن الكبيرة،[2] وقد شملت البساتين والرياض والأدواح والمنيات التي أبهرت الجغرافيين والرحالة بجمالها وصنعتها فَفَنَوْا في هُيَامِهَا، ووصفوها بأعجب الأوصاف.[3]

هذا بالإضافة إلى الاقطاعات التي كانت ملكا خالصا تحت أيدي السلاطين الزيانيين على سبيل المثال الأراضي التي اقتطعوها لما استولوا على قطر تلمسان بعدما ضعف أمر الموحدين، فأحتاز كل فريق منهم جانبا من القطر على خراج يؤدونه لهم كل سنة،[4] وكذا ما أقطعه أبو زكرياء يحي الحفصي(625-647هـ/1228-1249م) - بعد حملته على تلمسان سنة ستمائة وتسع وثلاثين للهجرة (1242م) -[5] للسلطان الزياني يغمراسن بن زيان من بلاد إفريقية ما جبايته مائة ألف دينار، وكانت تأتيه تلك الجباية له ولعقبه كل سنة ولم يقطعها إلا موت الملك أبي تاشفين بن أبي حمو(718-737هـ/1318-1337م) واستيلاء بني مرين على تلمسان(737هـ-1337م)؛[6] بالإضافة إلى الأراضي التي كانت محل غصب أو

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق**، ج:1، ص: 45.

[2]- الهادي الهروي، **المرجع السابق**، ص:66. ويقول ابن خلدون في سياق حديثه عن أحياء زناتة بالمغرب الأوسط: " وكان ... بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد قد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الأوسط، وملكوها وتقلبوا في بسائطها، واحتازوا بإقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها، فإذا خرجوا إلى مشايخهم بالصحراء خلفوا أتباعهم بالتلول لاعتمار أرضهم وازدراع فدنهم وجباية الخراج من رعاياهم". **ديوان العبر...، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:159.

[3]- راجع فيما سبق أوصاف العاصمة تلمسان(الفصل الأول).

[4]- **تاريخ بني زيان، المصدر السابق**، ص: 112.

[5]- ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص:59.

[6]- **نفسه**، ص: 118.

مصادرة من السلاطين كما تشير إلى ذلك النوازل، منها مسألة رفعت إلى المفتي أبي زكرياء يحي المازوني (ت:883هـ-1478م) استشار فيها شيخه قاسم بن سعيد العقباني[1]:

"عن أرض معروفة لأناس ومنسوبة إليهم قديما وحديثا ينتفعون بها بالحراثة وغيرها، ويؤدون خراجها للإمام الخليفة، ثم إن الامام ملكها لرجل من شيوخ العرب، لما رأى فيه من المصلحة"،[2] مفاد ذلك أن الأرض التي كانت في حوزة أولئك الناس منذ القدم ويدفعون خراجها للإمام، إلا أن دواعي المصلحة بالنسبة له أولى فأنتزع ملكيتهم وملك الأرض لقوم آخرين، غير أن هذا الفعل لا يحتمل الصواب لأنه اغتصب أرض قوم وأعطاها أناسا أخر لأن من أقطع أرضا فليس لأحد أن يردها منه؛[3] وتكشف نازلة أخرى: "عن قوم أخرجهم السلطان عن موضعهم، واستصفى رباعهم،...".[4]

ج)- أراضي الاقطاع والظهير:

أما الاقطاع فهو ما يقطعه ولي الأمر لنفسه أو لغيره من أرض أو غيرها من أنواع المال، والأرض المقتطعة تسمى قطيعة، وجمعها قطائع أو إقطاعات،[5] والإقطاع في الأصل إنما هو إقطاع انتفاع لا ملك.[6]

[1]- سبق التعريف به راجع ترجمته: الونشريسي، **كتاب الوفيات، المصدر السابق**، ص:95؛ القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي(ت891ه)، **رحلة القلصادي**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص: 106-107؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر – من صدر الاسلام حتى الوقت الحاضر**، مؤسسة نهويض الثقافية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1980، 237.

[2]- **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: مختار حساني، دار الكتاب العربي، القبة- الجزائر، د. ط، 2009، ج:4، ص:21.

[3]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص: 260.

[4]- ينظر **نوازل أحمد بن نصر الداودي**: عبد العزيز صغير الدخان، **المرجع السابق**، ج:2، ص:364؛ وفي نازلة رفعت إلى أحد الفقهاء سئل: "عن قوم أخرجهم السلطان عن أرضهم نحو عشرين سنة". أبو محمد ابن خنتاش المسيلي، **نهاية المرام في تيسير مطالعة الأحكام**، مخطوط بمكتبة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د. ر. ص: 47.

[5]- محمد عمارة، **المرجع السابق**، ص:61؛ أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الاسلامي**، دار الجيل، د. م، د. ط، 1981، ص:37-38.

[6]- الونشريسي، **المعيار ...، المصدر السابق**، ج:9، ص:73. وأنظر:

-Yassir BENHIMA:"***NOTE SUR L'ÉVOLUTION DE L'IQTA' AU MAROC MEDIEVAL*** " In: ***al-Andalus Magreb*** , Revista del Área de Estudios Árabes E Islamicos de la Universidad de CÁDIZ, Vol:16, 2009, p.p:27-44.

ولقد انتهجت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وكغيرها من الدول المعاصرة لها في بلاد المغرب الاسلامي سياسة الاقطاع، خاصة إذا علمنا أن استقرار قبيل بني عبد الواد بالمغرب الأوسط إرتبط بالأراضي التي أقطعت لهم،[1] وقد تضمن كتاب السياسة الشرعية لأبي حمو موسى الثاني التعريض لاستمالة الأجناد وحفظ الجيوش نظير الخدمة التي يقدمونها للدولة،[2] ولا يمكن أن يتم ذلك إلا عن طريق صرف الجرايات والاقطاعات والرواتب الشهرية لهم حتى يضمن ولاءهم ويمتلك ذممهم.

لذا اعتبر السلاطين الزيانيون الإقطاع "محفزا" قد يغري الكثيرين سواء أكانوا أفرادا أم جماعات[3] من أصحاب القوة والنفوذ من شيوخ القبائل، وزعماء الحركات المناوئة، والمنتبذين بالسلطان في البلاد القاصية، ووجدت الدولة في هؤلاء مع مراحلها الأولى وحتى في المراحل اللاحقة المشايعة[4] والسند القوي الذي ثبتت به سلطانها خاصة في البلاد البعيدة عن مركز السلطة لزعامتهم في مناطق مختلفة من أرجاء تلك البلاد، والعون في المواجهات التي لا قبل لجيوشها بها.

لكن لما كانت الأطراف المناصرة والمشايعة بعيدة جغرافيا عن مركز السلطة زاد تنازل السلطة لها عن اقطاعات أكبر،[5] فضلا عما كانت تقوم به من غصب وغزو وحرابة خاصة القبائل العربية التي أطت كتب النوازل من المسائل المتعلقة بها،[6] وأصبحت بنفوذها تضاهي نفوذ الدولة يشهد لذلك الواقع السياسي على عهد ابن خلدون حيث يقول: "والحال بالمغرب الأوسط لهذا العهد على ما شرحناه مرارا، من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار. وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكزها

---

[1]- ابن خلدون، **ديوان العبر...**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:129.

[2]- **واسطة السلوك**، **المصدر السابق**، ص:12.

[3]- أمحمد بوشريط، **ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي(300-460هـ/912-1067م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورلاة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012، ص:33؛ وأنظر: جون بوسني، **العلاقات بين طرق الاستغلال الفلاحي وتعرية الترب في البلاد التونسية**، ترجمة: المنجب بورقو، دار سيناترا، تونس، الطبعة الأولى، 2010، ص: 622.

[4]- بريكة مسعود، **النخبة والسلطة في بجاية الحفصية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر، 2008-2009، ص:237، عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج:1، ص:19-20.

[5]- بريكة مسعود، **المرجع السابق**، ص:237.

[6]- راجع: الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:374/ ج:2، ص:115، 116، 402، 435، 436/ج:6، ص:153.

بسيف البحر، وتضاؤل قدرتها عن قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الأموال، واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الأمصار، والقنوع بالتضريب بينهم والاغراء بعضهم ببعض".[1]

إن السياسة التي اتبعها سلاطين بني زيان -من لدن يغمراسن بن زيان مرورا بمن خلفه من الأبناء والأحفاد الذين اقتعدوا أريكة الملك- لم تتوقف عند استمالة عشائرهم وقبائلهم وأحلافهم بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار وفرض العطاء وبذل المال والاقطاع، بل من أجل ضمان طاعة تلك القبائل وعدم نكثها للعهد وحفظ موارد الجباية[2] طبق بنو عبد الواد سياسة أخذ الرهن من تلك القبائل، وكان هذا الرهن يتمثل في أخذ بعض الأفراد من العائلات المشكلة للقبيلة الحليفة للدولة الزيانية ويوضعون في حي القصبة تحت الحراسة والإقامة الجبرية بتلمسان.[3]

وتكشف لنا المصادر عن صور الاقطاعات التي نفذها الزيانيون لصالح فئات مختلفة ومتفاوتة في المجتمع الزياني كالقادة والجند وشيوخ القبائل وزعماء الحركات المناوئة والمنتبذين بالسلطان في البلاد القاصية ورجالات العلم والزهد.

وسنحاول أن نتطرق من خلال الجدول الآتي إلى أهم المعطيات التي توضح هذا المسعى:

الاسم	الصفة	المُقْطِعْ	البلاد المقتطعة	المصدر
أبو اسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت680هـ).	من أهل العلم والدين والولاية والصلاح بتنس وتلمسان.	السلطان يغمراسن بن زيان	- أقطعه اقطاعات من جملتها الأرض المسماة "تيرشت". - بقيت من بعده في عقبه إلى أن انقرض.	- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، المصدر السابق**، ص:127؛ ابن خلدون يحي، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:1، ص: 114.

[1]- **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:290.

[2]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:162، 205.

[3]- تذكر المصادر أن أبا حمو موسى بن عثمان(707-718هـ/1308-1318م) بالغ في تطبيق هذه السياسة: "واستبلغ في أخذ الرهن، ...، من أهل العمالات وقبائل زناتة والعرب، حتى من قومه بني عبد الواد. ورجع إلى تلمسان، ونزلهم بالقصبة، وهي الغور الفسيحة الخطة تماثل بعض الأمصار العظيمة، اتخذها للرهن. ...، حتى كان يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرهط. وتجاوز ذلك إلى أهل الأمصار والثغور من المشيخة والسوقة، فملأ تلك القصبة بأبنائهم وإخوانهم. وشحنها بالأمم بعد الأمم، وأذن لهم في ابتناء المنازل واتخاذ النساء. واختط لهم المساجد، ...، ونفقت بها الأسواق والصنائع. وكان حال هذه البنية من أغرب ما حكي في العصور عن سجن". **المصدر نفسه**، ص: 214، 215، 223.

أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن(ت696هـ).	أحد أبناء السلطان يغمراسن بن زيان.	السلطان يغمراسن بن زيان	- غير معروفة.	- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:216.
أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن(ت696هـ).	أحد أبناء السلطان يغمراسن بن زيان.	السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان	- غير معروفة.	- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:216.
جماعة	من المرابطين	السلطان.	- بأزواج من الحراثة.	- أبو زكرياء يحي المازوني، **الدرر المكنونة، المصدر السابق**، ج:1، ص: 30.
المنبات	قبيلة عربية.	على عهد السلطان يغمراسن بن زيان	- مجالات سجلماسة.	- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:175.
أبناء الامام، أبو زيد عبد الرحمن (ت 743هـ) وأبو موسى عيسى(ت 749هـ)	الشيخان الفقيهان العالمان.	على عهد السلطان أبي حمو ابن أبي سعيد عثمان.	- أقطعت له البلاد التي كانت لأبي اسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي بعد أن فني عقبه.	- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، المصدر السابق**، ص:127؛ ابن خلدون يحي، بغية الرواد، **المصدر السابق**، ج:1، ص: 130.
بنو عبد الواد، توجين ومغراوة.	قبائل زناتة بالمغرب الأوسط، استتبعوا كجند للمرينيين سنة 737هـ.	السلطان أبو الحسن المريني.	- "وأقطعهم بلاد المغرب أسهاما أدالهم بها من تراثهم بأعمال تلمسان".	- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:230.
رجل	من أعيان القبائل	السلطان	- أرضا ينتفع بجباياتها.	- أبو زكرياء يحي المازوني، **الدرر، المصدر السابق**، ج:1، ص: 30.
المعقل	قبيلة عربية.	السلطان أبي حمو موسى الثاني.	- وأقطعهم بمواطن تلمسان. - أرض أنقاد.	- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:260؛ أبو رأس الناصري، **عجائب الأسفار، المصدر السابق**، ج:1، ص:70، 71.

بنو عامر	قبيلة عربية.	السلطان أبي حمو موسى الثاني.	- بين أنقاد وتلمسان. - ثم تسلة. - ثم بين وهران وتلمسان.	- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:260؛ أبو رأس الناصري، **عجائب الأسفار**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:70، 71.
أبو تاشفين.	ابن السلطان أبي حمو موسى الثاني.	السلطان أبي حمو موسى الثاني.	- مدينة وهران.	- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:293.

وأما أراضي الظهير[1] هذا الصنف الذي أقحمناه ضمن أراضي الإقطاع، ذلك لأنه لا ينفك في مقتضاه عن معنى الاقطاع، لأن الإقطاع هو أن تعطى الأرض من طرف الامام أو السلطان لفائدة الغير(أمراء، جند، علماء، ...) للإنتفاع بها نظير الخدمة التي يقدما لسلطانه، غير أن الظهير هو إعطاء منفعة؛[2] والمحتمل أن لفظ الظهير كان يطلق على كل قرار يصدره السلطان لمصلحة من المصالح.[3]

وقد اهتم الزيانيون بإصدار ظهائر سلطانية تنص على تمليكهم منافع متعددة لبعض الفئات من المجتمع الزياني ولعل أبرزها الظهير الذي وجهه السلطان يغمراسن بن زيان في حدود سنة سبع وسبعين وستمائة للهجرة(1279م) للأندلسيين اللاجئين إلى تلمسان، ولولا أن البتر من طرف الناسخ في آخر نص الظهير الذي حقق ونشر[4] لوقفنا على معرفة ما أذن به هذا السلطان لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرته ولمن شاء من أهل تلمسان،[5] غير أنّ بقية فقرات الظهير تشير إلى أن يغمراسن بن زيان قد: "بوأهم من اهتمامه الكريم جنات

---

[1]- الظَهيرُ في اللغة هو: المعين، وجمعه ظهائر. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت:817هـ)، **القاموس المحيط**، تقديم: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتاب الحديث، القاهرة-الكويت-الجزائر، الطبعة الأولى، 2003، ص:459؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:378؛ الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد(ت:704هـ)، **المصدر السابق**، ص:169؛

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص: 334.

[3]- يرى روبار برنشفيك أن كلمة الظهير تطلق عامة على كل براءة سلطانية تستعمل في معناها الضيق. **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ج:2، ص:189-190.

[4]- أحمد عزاوي، **المغرب والأندلس في القرن السابع(13م): دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن الخطاب** ، ربَا نات، الرباط، الطبعة الأولى، 2008، ص:159.

[5]- **نفسه**، ص:159.

ألفافا،... وأضفى عليهم من جُنَنِ حمايته ما يدفع عنهم طوارقَ الاضطهاد والاهتضام،... وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة وآثارها، وأذن لهم،... ولمن شاء من أهل تلمسان... في كذا...".[1]

ونستبعد أن لا ينص هذا الظهير المشتمل على أصناف العناية والحماية والمزايا على إقطاعهم الأراضي ومنحهم الدور،[2] التي مكنتهم من سكن تلمسان.[3] خاصة في وجود بعض النصوص التي تكشف عن نشاطاتهم وأعماله بعد انتقالهم من الأندلس واستقرارهم ببلاد المغرب الأوسط خاصة حيث أن:" أهل البادية (من الأندلس) فمالوا في البوادي(ببلاد المغرب) إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها، وشاركوهم فيها، فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحيّ الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم، وصلحت أمورهم، وكثرت مستغلاتهم، وعمّتهم الخيرات".[4]

د)- أراضي الحُبُس:

تعتبر أراضي الحُبُس[5] أو الأوقاف من أهم الاستغلاليات العقارية الفلاحية التي انتشرت بالمغرب الأوسط، على اعتبار الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي قدمتها للمجتمع الزياني؛[6] ولما كان الوقف من الأعمال الخيرية الجليلة التي يجري

---

[1]- **نفسه**، ص:159.

[2]- جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، 1991، ص344، 345.

[3]- أحمد عزاوي، **المرجع السابق، والصفحة ذاتها**؛ عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق** ، ج1، ص175.

[4]- المقري، **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج4، ص134-135. راجع نص الظهير: الملحق رقم: 2.

[5]- الحَبْسُ في اللغة: "المنعُ، كالمَحْبَس، ...، حَبَسَهُ يَحْبِسُهُ، ...، كالحُبَّسْ، ...، كل شيء وقفه صاحبه من نخل أو كرم أو غيرها يُحَبَّسُ أصْلُهُ، وتَسَبَّلُ غَلّتُهُ". الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:561؛ وفي الاصطلاح هو: "حبس العين، وتسبيل ثمرتها، أو حبس عين للتصدق بمنفعتها، ...، فقوام الوقف ... حبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة ولا تنتقل بالميراث، والمنفعة تصرف لجهات الوقف على مقتضى شروط الموقفين". محمد أبو زهرة، **محاضرات في الوقف**، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 1972، ص:39.

- M. Worms, ***Recherches sur la constitution de la propriété Territoriale dans les pays Musulmans et subsidiairement en Algérie***, A. FRANCK Libraire-Éditeur, Paris, 1846, p:122.

[6]- للوقوف على بعض جوانب الوقف في المغرب الأوسط وبلاد المغرب الاسلامي ينظر: عبيد بوداود، **الوقف في المغرب الاسلامي، المرجع السابق**؛ رمضان المختار رمضان الجامع، **الأحباس ودورها في بلاد المغرب(خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر الملاديين)**، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم(قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية)، جامعة القاهرة، مصر، 2013؛ زينب رزيوي: "دور الأوقاف بالغرب الأوسط خلال العهد الزياني

ثوابها حتى بعد موت صاحبها فقد عني به أهل هذه البلاد على اختلاف طبقاتهم متأسين بمن سبقهم من السلف الصالح يرجون رحمة ربهم - عزّ وجلّ- ويخافون عذابه.

وتمدنا المصادر بمادة دسمة سهلت لنا الكشف عن بعض المضمرات المتعلقة بأراضي الأحباس، خاصة كتب النوازل التي عكست حجم انتشار ظاهرة التحبيس التي شكلت "بنية قائمة بذاتها"،[1] بالإضافة إلى ما تزخر به بعض المصادر والمراجع من نصوص تحبيسية تتضمن معلومات في غاية الأهمية عن الأرض المحبسة أو تسميتها وعن المُحَبس وصفته أحيانا، وعوائد الحُبُس والغلال ووجوه صرفها.

والظاهر أن الأراضي المحبسة قد شغلت مساحات واسعة من أراضي المغرب الأوسط خاصة بالقرب من المدن والحواضر الكبرى، وانتفعت العامة من هذا النوع من الأراضي لأن مداخيلها من كراء[2] وغلال كانت تعود بالنفع على الفقراء والمساكين في إطعامهم، وعلى المرضى منهم والعناية بهم وأماكن عبادتهم، لذلك حرص القضاة والفقهاء على أن لا تترك هذه الأراضي دون استغلال حتى لا تفقد فائدتها بالنسبة للمحبس عليهم.[3]

وكانت مقسمة إلى نوعين متمايزين: أحباس عامة وأحباس عائلية؛ أما الأحباس العامة[4] فتتعلق بالأراضي التي كانت موقفة على بعض المؤسسات الدينية والاجتماعية، كالمساجد والمدارس والبيمارستانات والزوايا والرباطات ودور الفقراء والمساكين وغيرها، ويتولى متابعة إستغلال الأراضي المحبسة على هذه المؤسسات جهاز إداري يشرف عليه

(663-662هـ/1235-1554م)"، **مجلة الانسان والمجتمع**، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان –الجزائر، العدد: 12، جويلية 2016، ص ص:239-258؛ عبيد بوداود: "**دور الوقف في خدمة العلم وأهله: نماذج من تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط**"، محاضرة غير منشورة.

[1]- عمر بنميرة، **المرجع السابق**، ص: 209. وقد خصص الونشريسي الجزء السابع من مصنفه لنوازل الأحباس، حيث يشغل جزءا كبيرا منها المنطقة محل الدراسة. ينظر على سبيل المثال: **المعيار المعرب**، **المصدر السابق**، ج:7، ص: 43، 46، 51، 237؛ وينظر: ابن مرزوق أبو عبد الله محمد، **النوازل**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، قسم الفقه، رقم:1243، ص: 6 (الظهر).

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:437.

[3]- دلال لواتي، **المرجع السابق**، ص:245.

[4]- عمر بنميرة، **المرجع السابق**، ص: 213.

"ناظر الأحباس"[1] ويخضع لسلطة قاضي الجماعة بالمدينة.[2] والأحباس العائلية فترتبط بتحبيس بعض الأراضي من طرف محبّسٍ لصالح فرد أو مجموعة من الأفراد ينتمون، في معظم الأحيان، لنفس العائلة ، ليسدّ حاجتهم ويغنيهم عن تكفف الناس ويصل رحمه فيهم.[3]

وتطلعنا المصادر على تسميات مختلفة لوحدات من الأرض حبستها شخصيات من مستويات اجتماعية مختلفة من سلاطين وعلماء وزهاد ورجال ونساء، ولم تفصح لنا في كثير من الأحيان عن تفاصيلها الدقيقة إلا بعض الأسماء السلطانية التي احتفظت لنا بها بعض اللوحات الرخامية التحبيسية، ذلك لأن التأريخ قلما يشمل الأحداث المجهرية المتعلقة بالفلاحين والصَّنَعَة وغيرهم ممن تحاشت المصادر ذكرهم، وعلى العكس تماما أتت بكل ما يشنف ويأنف السلطة ويخلد مآثرها.

وسنحاول من خلال الجدول الآتي تقديم بعض التفاصيل التي تنهض دليلا على اهتمام أهل المغرب الأوسط على العهد الزياني بتحبيس الأراضي على المصلحة العامة للمجتمع أو لصالح الخاصة كالعائلة أو الأولاد ونحوها:

المُحَبِّسُ	الصفة	البلاد المحبّسة	المُحَبَّسُ عليه	المصدر
أبو حمو موسى الثاني	سلطان من بني زيان (760-791هـ /1359-1389م)	الكثير من الأوقاف منها: النصف شائعا في روض المنية الكائنة بالرميل، زيتون تيفدا، وأرض الزيتون المذكور.[4]	على الزاوية اليعقوبية التي يقع بها ضريح والده المولى أبي يعقوب وعميه أبي سعيد عثمان الثاني وأبي ثابت(حكما معا 749-753هـ /1348-1352م).	- مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:335؛ **تاريخ بني زيان، المصدر السابق**، ص:180.
أبو الحسن ابن أبي سعيد ابن أبي يوسف	سلطان من بني مرين (731-752هـ/ 1331-1351م)	- جميع الجنان القصير بالعباد الفوقي. - جنان ابن حويته بزواغة. - جنان الباديسي.	وقف هذه الأحباس السلطان أبو الحسن المريني على جامع العباد ومدرسته	Ch. Brosselard: “*les inscription arabes de Tlemcen : Mosquée et Medersa de Sidi*

1- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:299، 300.

2- عبيد بوداود، **الوقف في المغرب الاسلامي...**، **المرجع السابق**، ص: 457، وما بعدها.

3- عمر بنميرة، **المرجع السابق**، ص: 213 ؛ محمد عثمان: "الوقف الذري أو الأهلي"، ضمن أعمال: **منتدى قضايا الوقف الفقهية الثاني 8-10 مايو 2005**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى، 2006، ص:249.

4- يحتفظ متحف تلمسان اليوم برخامتي تحبيس تتضمن كتابتيهما الأوقاف المحبسة على المدرسة اليعقوبية، ينظر:

-Brosselard (ch) :“ ***les inscription arabes de Tlemcen***”, in ***Revue Africaine***, N°15, février 1859 ; volume 03, p.169,170/N°29, septembre 1861, volume 05, p.p.321-336

يعقوب		- ورقعتين موروثتين عن داود بن علي. - جنان قرعوش. - نصف جنان الزهري. - محرث عشرين زوج من زيدور. - محرث عشرة أزواج من زيدور. - جنان سعيد بن الكماد. - جنان التفريسي ناحية الوريط. - وبقية الرحاب المتصلة بجامع العباد.	زمن سيطرته على تلمسان.	–***Boumédin*** ” ,in ***Revue Africaine***, N°18, Aout 1859, volume 3, p.410-411.
أبو العباس أحمد العاقل	سلطان زياني (834-866هـ/ 1430-1461م)	أوقف أوقافا جليلة بضواحي تلمسان.	على المدرسة الجديدة[1] بزاوية الولي أبي علي الحسن بن مخلوف المعروف بأبركان.	– **تاريخ بني زيان**، **المصدر السابق**، ص:248؛ ابن مريم، **البستان**، **المصدر السابق**، ص:150.
عبد الله بن منصور الحوتي بن يحي بن عثمان المغراوي (من أهل ق: 9هـ).	من أولياء تلمسان عاصر أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ).	اشترى الروض المسمى "تاغزوت" بضواحي عين الحوت بتلمسان.	حبّسه على أولاده.	ابن مريم، **البستان**، **المصدر السابق**، ص:243.
أبو عبد الله الثابتي	سلطان زياني (873-910هـ/ 1468-1505م)	كذا وكذا روض بتلمسان.	(الولي الصالح) عبد الله بن منصور الحوتي بن يحي بن عثمان المغراوي (من أهل ق: 9هـ).	– ابن مريم، **البستان**، **المصدر السابق**، ص:244.
أبو عبد الله الثابتي	سلطان زياني (873-910هـ/ 1468-1505م)	اشترى بمداخيل أحباس الولي أبي مدين شعيب: - زوج فدان الزيتون الكبير. - زوج فدان الزيتون الصغير. - زوج تاذكرة. - فرد يامن. - جميع زوج أتفطيس بترابها وحفرها. - جميع الزوجين المسماة بالصفصيف: وغز وأفطوطن.	حبسها على مجمع العباد الذي به جامع ومدرسة بالإضافة إلى ضريح الولي أبي مدين شعيب.	-L. J. J.L. Bargès, **TLEMCEN Ancienne Capitale du Royaume de ce Nom**, révision : Mahrez Amine, EURL KAFILA, Alger, 2011, p:454,461; Ch. Brosselard, **op. cit**, p.417.

[1]- تعرف كذلك بمدرسة سيدي الحسن أبركان. راجع: أبي عبد الله محمد بن عمر الملالي التلمساني، **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**، تحقيق: علال بوربيق، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص:183.

بنو راشد	من قبائل المغرب الأوسط وأحلاف لبني زيان	حبسوا أرضا من بلادهم بني راشد.	على الولي والفقيه يحي أبو السادات التلمساني.	- ابن مريم، **البستان، المصدر السابق**، ص:462-463.

يبدو من خلال هذه النماذج التي وفرتها لنا المصادر الاخبارية، رغم قلتها، ورغم أن الأصناف المحبسَة لم تتجاوز بعض السلاطين الزيانيين والمرينيين وبشكل محتشم جدا بعض العلماء الزهاد وقبيل من قبائل المغرب الأوسط، أن الأراضي أو الحيازات التي تم وقفها خلال العهد الذي يهمنا كانت متباينة من حيث المساحة ومن حيث قربها أو بعدها من مدينة تلمسان، فكانت عبارة عن روضٍ، أو أرض فلاحية أو مشجّرة، أو جنان، أو رقعة، أو محرث أزواج معينة، أو رحاب، أو فدان. كما يظهر أن أصناف المحبسين ينتمون تقريبا إلى طبقة الحكام والمياسير والأعيان من أهل البلد.

وللإشارة فإن سلاطين الدولة الزيانية أقبلوا على الوقف وشجعوا عليه، فقد بدأت أعمال الوقف[1] مع بناء يغمراسن بن زيان لصومعتي الجامعين الأعظمين بتلمسان،[2] وتوالت الأعمال مع دول السلاطين من بعده، غير أن النصوص التي خلدت مآثرهم الوقفية لم تذكر كل تفاصيلها، خاصة الأحباس المتعلقة بموضوع الأرض والعقار الفلاحي بشكل عام.

وتكشف النوازل عن أطراف ساهموا في توسيع رقعة الوقف في المجتمع الزياني من خلال التحبيسات والصدقات المتعلقة بالأرض، والتي عادت بالنفع على فئات كثيرة من أبناء المجتمع، لكن للأسف لم تذكر لنا سوى معلومات عامة عن هوية هؤلاء الموقفين، وتشير إليهم النوازل بمعنى: "قوم" أو "ناس" أو "رجل" أو "إمرأة"؛[3] ومن الأمثلة -المتوافقة مع الاطار الزمني للدراسة- سؤال وجه إلى أبي عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني ونصه: " سيدي،... جوابكم عن مسجد حبس عليه ناس أحباسا وفي المحبسين

[1]- عبيد بوداود، **المرجع السابق**، ص: 158.
[2]- ابن خلدون يحي، **المصدر السابق**، ج:1، 207.
[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:201، 237، 182، 183.

ملوك وغيرهم، ..."،[1] وفي نازلة أخرى سئل أبو القاسم الغبريني: "عمن حبس على ابنه الحائز،... جميع داره وبستانه المتصل بها بجميع حقوقهما ومنافعهما واتصل بهما، ..."،[2] وسئل أبو عبد الله محمد بن مرزوق: "عن أرض محبسة على أستاذ، ..."،[3] وفي مسألة أخرى أيضا سئل أحد الفقهاء: "عن رجل حبّس دمنته بزيتون على أولاده وأولاد أولاده سوية، ذكورهم واناثهم ما تناسلوا أو امتدت فروعهم"،[4] وفي نازلة أخرى سئل: "عن إمرأة حبسن نصف دار لها ونصف كرمها على مسجد معين".[5]

ويفهم من هذه النوازل تنوع الأراضي التي حبسها أصحابها واختلاف مساحاتها وهوما تتضمنه الألفاظ التالية: أرض، دمنة، وغيرها؛ بالإضافة إلى ما تحتويه هذه الأراضي من غلال أو أشجار كالزيتون والكرم؛ ويرافق هذا التنوع في الأراض المحبسة تنوع في الأصناف التي وقفت عليها منافع تلك الأحباس من مساجد وأولاد وأساتذة وغيرها.

وتشير النوازل إلى أن أراضي الأحباس كانت تمنح عن طريق "الكراء"[6] لمن يود استثمارها، بعد أن ينظم من يشرف عليها عرضا للمزايدة بالنداء عليها والإشادة بها على العادة في الأحباس، وينال صفقة الاستغلال من يقدم السعر الأعلى للكراء،[7] ووفق عقد استغلال يحرر بحضرة المكتري والشهود وناظر الأوقاف بين يدي القاضي، وكانت مدة كراء أرض الوقف على العادة أهل البلاد لأربعة أعوام.[8]

ولم تكن أراضي الحُبُس في مأمن من تعدي بعض الناس، فمنهم من كان يعمد إلى أرض الحبس فيغرسها كرما وهو يعلم بتحبيسها، وبقي يستغل ذلك الكرم نحوا من عشرين

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:7، ص:237، 215. وفي نوازل ابن هلال سؤال: " في بلد بين قوم كانوا يقتسمون غللها إذا جدت على الذكور دون الاناث وزعموا أن ألافهم كانوا يفعلون ذلك وهي معقبة". **النوازل الهلالية، المصدر السابق،** ص:271.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:7، ص:60.

[3]- **نفسه،** ص:43.

[4]- **نفسه،** ص:141، 202.

[5]- **نفسه،** ص:130.

[6]- **نفسه،** ص:157.

[7]- **نفسه،** ص:47.

[8]- **نفسه،** ص: 157/ج:8، ص:289.

عاما[1] ولا يؤدي كراءها؛ وكان بعضهم لا يدفع كراء الأرض خاصة زمن الجوائح التي تذهب بالمحاصيل.[2]

ه)- الأراضي الفردية(الخاصة):

يظهر أن الأراضي ذات الملكية الفردية أو الخاصة قد انتشرت على عهد بني عبد الواد، حيث تملكت الأراضي شرائح مختلفة من المجتمع في الكثير من بلاد المغرب الأوسط، ويبدو أن المستغلات كانت تبدأ عند انتهاء المجالات السكنية بالمغرب الأوسط،[3] كما أنها امتدت على طول ضفاف الأودية والأنهار والجداول وفي بعض الأحيان بالقرب من المنابع والعيون، وقد قيّد بعض الجغرافيين والرحالة ذلك في مؤلفاتهم ورحلاتهم.[4]

وتشير المصادر إلى أن هذا النوع من المستغلات كان في غالب الأحيان عبارة عن ملكيات واضحة الحدود، حيث قام مالكوها برسم حدودها عن طريق بناء الحوائط، أو وضع الأسيجة، أو إحاطتها بالزرب،[5] أو تحديد حماها بضرب الحجارة على أطرافها،[6] وتبين لنا من خلال نصوص بعض الوثائق والحوالات الحبسية التي تحتفظ بها بعض المراجع والمتاحف أن هذه الممتلكات كانت تحمل في بعض الأحيان معاني مختلفة كالروض والعرصة والبحيرة والبستان والحائط والجنان وغيرها، وفي أحيان أخرى كانت تحمل أسماء أصحابها أو أسماء عرفت بها بين الناس بلغة زناتة.

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:7، ص:150.

[2]- المازوني، **الدرر المكنونة، المصدر السابق،** ج:4، ص:26؛ الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:7، ص:330.

[3]- يشير الحسن الوزان في نعته للممتلكات خارج أسوار مدينة تلمسان بعدما ينتهي من وصف مرافقا من الداخل: "وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية، ...، حيث الكروم المعروشة الممتازة تتنتج أعنابا من كل لون، ...". **المصدر السابق،** ج:2، ص:20.

[4]- يذكر عبد المنعم الحميري في سياق وصفه لقلعة هوارة (بقرب تاهرت) وهي "قلعة منيعة في جبل خصيب، ...، تحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا يسقيه نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه". **المصدر السابق،** ص:470؛ ويضيف أبو رأس الناصري في رحلته أن وهران: "بها وادي ابن الخير عليه بساتينها وجميع منافعها". **المصدر السابق،** ج:1، ص:141. وأنظر وصف ابن الحاج النميري للجنات المنتشرة على ضفاف واد الصفصيف قرب تلمسان. **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،** تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص:487.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:9، ص:18، 41، 68.

[6]- **نفسه،** ج:5، ص:131، 167.

وسنحاول من خلال الجدول التالي وانطلاقا من المعطيات التي بين أيدينا تقديم نماذج توضح هذه الظاهرة وتكشف بعض مضمراتها:

المالك	تسمية ملكيته (أرضه).	موقعها	المصدر/المرجع.
عبد القادر القصير	جنان القصير	العباد الفوقي تلمسان.	-L. J. J.L. Bargès, **TLEMCEN, op. cit**, p.452.
علي المراني	جنان اقدام	تلمسان.	
الحاج محمد بن حويتة	جنان بن حويته	بأزواغة تلمسان.	
داود بن علي	الجنان الكبير	بأسفل العباد السفلي تلمسان	
داود بن علي	رقعتين	بأسفل العباد السفلي تلمسان	
الباديسي	جنان الباديسي	العباد السفلي تلمسان	-L. J. J.L. Bargès, **TLEMCEN, op. cit**, p.452.
الباديسي	جنان قرعوش	العباد السفلي تلمسان	
الباديسي	المغروسات الأربع	العباد السفلي تلمسان	
الزهري	جنان الزهري	الوريط، شرق تلمسان.	
/////////	تيمويوبرة	سهل زيدور، بين تلمسان ووهران	
سعيد بن الكمّاد	جنان سعيد بن الكمّاد	فوق العباد العلوي وتحت ساقية النصراني.	
القايد مهدي	جنان القايد مهدي	بأزواغة المحروسة	
أبو الحسن التنسي	رباع	تلمسان.	- ابن مريم، **البستان، مصدر السابق**، ص: 88. 164. 254.
الحسن الراشدي أبركان	روض	تلمسان.	
علي بن يحي السلكسيني الجاديري (ت950هـ)	عرصة	بوادي الصفصيف قرب تلمسان.	
أبو العباس أحمد ابن مرزوق(681-741هـ).	فدان	العباد بتلمسان.	- ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية، المصدر السابق**، ص:222.
/////////	أوعشية	ضواحي تلمسان.	- ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بغيرا، تقديم، محمود بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص:306.
محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي القرشي التلمساني المقري (ت759ه)	عرصة	داخل البلد(تلمسان)	- ابن القاضي المكناسي، **درة الحجال، المصدر السابق**، ص:161.

وعلى العموم كان تملك أفراد المجتمع الزياني لهذا النوع من المستغلات الفلاحية عن طريق الشراء[1] الذي يعتبر من أكثر الطرق انتشارا لتملك الأرض،[2] وتتم عملية تملك الأرض والعقار بواسطة عقد يحرره الموثق ويتعرض فيه إلى: "إثبات الحدود المحيطة به

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:102/ ج:5، 275.

[2]- عمر بنميرة، **المرجع السابق**، ص:155.

أو الزرع الحاصر للمساحة،... ولا بد معه من تقييد الموضع بذكر جهته، ومن يلاصقه وما يلاحقه، ..."؛[1] أو كانت تنتقل إليهم ملكية الأراضي عن طريق الميراث والهبة والصدقة؛[2] أو عن طريق إحياء الأرض الموات التي تنعتها كتب النوازل بالأرض الغامرة والأرض البيضاء والأرض البور؛[3] بالإضافة إلى تملك أراضي الغير بالغصب والتعدي المنافي للقواعد الشرعية للتملك.[4]

و)- الأراضي الجماعية:

ويقصد بها مجموع الأراضي التي يتم استغلالها بشكل جماعي في اطار حق الانتفاع،[5] من طرف القبيلة أو العائلة، ذلك لأنهما النواة الأولى في قاعدة التنظيم الاجتماعي لأي مجتمع كان، وفي اطارهما تكون الجماعة القبلية المحددة بالروابط العصبية الحقيقية أو الوهمية، وفي إطار الجماعة يتم تنظيم تقسيم العمل وتملك الأرض،[6] لذلك فالملكية جماعية فيما يخص تعيين الأرض ولكنها عائلية فيما يتعلق بالعمل،[7] والجماعات القبلية تتميز بقدرتها ونشاطها الاقتصادي الرئيسي وبإقامتهم تقريبا في نفس المكان.[8]

وتمدنا النوازل الفقهية بمعلومات مهمة عن هذا النوع من الملكيات، حيث تشير نازلة إلى: "قوم لهم زرع استأجروا من يحرسه،..."،[9] وفي نازلة أخرى عمن له: "حظا شائعا في أملاك مشتركة بينه وبين قوم آخرين،..."،[10] وسئل قاسم العقباني عن: "قوم بأيديهم

---

[1]- الونشريسي، **المنهج الفائق، المصدر السابق**، ص:72.

[2]- الونشريسي، **المعيار...، المصدر السابق**، ج:9، ص:150، 155، 157، 161/ج:5، 159، 268/ج:6، ص:320.

[3]- **نفسه**، ج:7، ص:127، 138/ج:5، ص:152، 142.

[4]- **نفسه**، ج:5، ص: 160، 184/ج:9، ص:550، 553.

[5]- الهادي الهروي، **المرجع السابق**، ص:71.

[6]- عبد القادر جغلول، **الإشكاليات التاريخية ...، المرجع السابق**، ص:183.

[7]- الهادي الهروي، **المرجع السابق**، ص:72؛ محمد بنميرة، **المرجع السابق**، ص:195.

[8]- عبد القادر جغلول، **المرجع السابق**، ص:183.

[9]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:11.

[10]- **نفسه**، ص:425.

أرض بأوامر السلاطين المتقدمين ومن بعدهم يغتلونها بأنواع الاغتلال من الحرث وغيره، ..."،[1] وسئل أيضا: "عن أرض معروفة لأناس".[2]

إن بعض العبارات التي وردت في هذه النصوص مثل: "قوم"، "الأملاك المشتركة"، "أناس"، تشير في الحقيقة إلى معنى الجماعة المالكة والمستغلة للأرض، وقد يعني في بعض الأوقات القبيلة، كونها النمط الذي كان يؤطر المجتمعات الوسيطية بصفة عامة.

ولا شك أن المستغلات الخاضعة لنظام الجماعة أو القبيلة كانت تضم الأراضي الزراعية المغروسة والمسقية[3] والبور، وكذا المسارح والمروج التي كان يقصدها رعاة القبيلة لرعاية أنعامهم، لأن أراضي الترحال الواسعة لا يمكنها أن تكون ملكية فردية، انها تستجيب لضرورة مزدوجة من أجل الحفاظ على همّ الجماعة في انتاج الشروط المادية للحياة،[4] خاصة وأن طابع حياة قبائل زناتة وحتى القبائل العربية ببلاد المغرب الأوسط كانت مبنية على الترحال والظعن وسكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتغلب في الأرض.[5]

وتسوق لنا المصادر بعض الإشارات حول هذا النوع من المستغلات الفلاحية، وبالرغم من قلتها إلا أنها مهمة جدا، منها ما يتعلق بقبيلة بني راشد[6] هذه القبيلة التي استقدمت إلى مواطنها أحد الفقهاء[7] المعروفين بالورع والصلاح فبنوا له قرية، وحبسوا عليه أرضًا، وحرثوا له تويزة، حيث جيء بأكثر من مئة مضمد أو أزيد، وكل مضمد

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:98.

[2]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:21.

[3]- الهادي الهروي، **المرجع السابق**، ص:72.

[4]- عبد النور بن سليمان، **امتلاك الأراضي الجزائرية في العرف الجزائري: منطقة تاجرة أنموذجا(دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية)**، مذكرة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بالقائد، تلمسان-الجزائر، 2007-2008، ص:82.

[5]- ابن خلدون، **العبر ...**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:3.

[6]- بنو راشد بن محمد بن بادين: وهم إخوة لبني عبد الواد وتوجين ومصاب وزردال، ويرتفع نسبهم إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا(جدّ زناتة)، وكانت مواطنهم بجبل المعروف بـ: راشد اسم أبيهم. ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:148، 315.

[7]- هو يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني، الفقيه الورع، الولي الصالح، من تلامذة الإمام السنوسي. ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:462.

مجهز بثورين ويحمل الزريعة معه، ولما حان وقت الحصاد حصدوا له ذلك الزرع، وخزنوه في مطامر كثيرة خصصت لذلك.[1]

يفهم مما سبق شساعة الأراضي التي كانت في حوز قبيلة بني راشد، حيث كانت تضم جبل بني راشد والبسائط الواقعة إلى القبلة منه، ووصل نفوذهم في بعض الأحيان إلى مشارف تلمسان،[2]وكانت هذه المجالات أو الأراضي تتوزع بين السهول والجبال والسفوح وضفاف الأودية والأنهار وغيرها؛ كما يستشف من ذلك قيمة مهمة من القيم الاجتماعية الدالة على العمل والتعاون في إطار الجماعة، حيث يتضامن كل أفراد القبيلة في الحرث والبذر والحصاد والدِّرَاس وحفر المطامير وتخزين الحبوب بها وذلك كله في المجال الفلاحي الواحد، وقد يتعدى الأمر إلى الاشتراك في حراسة الزرع والرعي الجماعي؛ هذا بالإضافة إلى أن القبيلة تتوفر على كمية هائلة من الأدوات الفلاحية التي لا يستغنى عنها في مواسم الحرث والبذر.

وكان أهل زيدور على شاكلة بني راشد يشركون جماعات في فلاحة السهل الذي يعرفون باسمه(سهل زيدور)، وكان أبو العباس أحمد بن مرزوق (681-741ه) يشارك بعض أصحابه من أهل هذا السهل في الزرع؛[3] وكان الكثير من بني ورنيد يزاولون الفلاحة بالجبل المعروفين منه والمطل على تلمسان من الجنوب؛[4] وكان يسكن بجبل أغبال قرب وهران قوم كلهم فلاحون؛[5] كما كان أبو عبد الله المستاري وابن أخيه أبو محمد عبد الواحد[6] يتعايشان من أرض لهما بالموضع المعروف بـ: "أغلان" من بني مستار.[7]

---

[1]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 463.

[2]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:315.

[3]- ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، **المصدر السابق**، ص:222.

[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 44.

[5]- **نفسه**.

[6]- يقول عنهما يحي ابن خلدون: "معلمان لكتاب الله عزّ وجلّ حسبة لله تعالى، وإمامان في الفرائض، من الصلحاء الورعين". **بغية الرواد**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:118.

[7]- ابن مرزوق، **المصدر السابق**، ص:184. وبنو مستار هؤلاء ربض من أرباض مدينة تلمسان. عبد العزيز فيلالي، **تلمسان...**، **المرجع السابق**، ج:1، ص:155.

ي)- الأراضي الموات:

موات الأرض هي ما لم يكن "بها أثر بناء ولا زرع، ولم تكن فناء لأهل قرية،... ولا موضع مقبرة ولا موضع محتطبهم، ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم، وليس بملك لأحد ولا في يد أحد، فمن أحيا منها شيئا فهو له".[1]

ومن خلال التعريف السابق يظهر أن هذا الصنف من الملكيات يشمل الأراضي غير المستغلة، أو غير الصالحة للزراعة، وغير الواقعة في ملك أحد أو في حيازته، ويمكن تملكها والانتفاع بها شريطة إحيائها،[2] وهي تشمل الفيافي والقفار والمسارح والمحتطب، وغيرها.

ولما كانت بلاد المغرب الأوسط مترامية الأطراف، متنوعة المجال والجنبات والتضاريس، وكانت الأرض العامرة بها قلما تزيد عن مسير نصف نهار من القرية أو المدينة، فلا غرو أن أكثر البلاد كان على الشياع.[3]

وتسعفنا المصادر ببعض الملاحظات التي تشير إلى اهتمام أهل المغرب الأوسط بهذا النوع من الأراضي من خلال إعادة إحيائها وإعمارها من جديد، أو الاستفادة مما توفره من منافع، ومن بين النماذج على ذلك أنَّ الشيخ أبا زكرياء المغيلي من وطن وادي شلف كان يقوم باستصلاح أسناد الجبال، فيقتلع ويقتطع ما بها من أشجار وأحراش، ويصلحها ويمهدها

---

[1]- أبو يوسف يعقوب، **المصدر السابق**، ص:275-276 . وفي مختصر خليل: "موات الأرض ما سَلِمَ عن الاختصاص بعمارة، ولو إندرست، إلا لإحياء". خليل ابن اسحاق المالكي(ت769 أو776ه)، **المختصر في فقه الامام مالك**، تعليق: طاهر أحمد الزاوي، دار الفكر، د.م، د.ط، د.ت، ص:283؛ وأنظر: أبي زكرياء يحي التلمساني، **اللمع في الفقه**، مخطوط بالمكتبة الأزهرية(وقف على رواق المغاربة)، جامع الأزهر، جمهورية مصر العربية، رقم: 314856، ص:25(الوجه).

[2]- عملا بما ثبت عن النبي ﷺ من حديث هشام بن عروة، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ". مالك بن أنس(93-179ه)، **الموطأ**، تحقيق: كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى، 2013، ص:566. وعن عائشة-**رضي الله عنها**- أنّ رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فهو أَحقُّ". البخاري، **المصدر السابق**، كتاب الحرث والمزارعة، ص: 562.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، **المرجع السابق**، ص:18؛ وأنظر: محمد حسن: "الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي"، ***ACTES DU III° CONGRES D'HISTOIRE ET DE LA CIVILISATION DU MAGHREB***, Oran 26. 27. 28 Novemre 1983, O.P.U, Alger, Tome:1, p:97.

للزراعة والغراسة، وبلغت مساحة ما استصلحه سندًا عظيمًا؛[1] وتنم إحدى النوازل عن رجل وجد أرضا بالقرب من ربض العباد بتلمسان مضت عليها السنون وهي مهملة لا يعلم لها مالك، فافتتحها وخدمها وغرسها لأزيد من خمسين عاما؛[2] وتشير أخرى إلى انتشار ظاهرة إحياء الأرض المهملة حتى أصبحت عادة متبعة في بعض البلاد "قوم جرت عادتهم في وطنهم أن يعمدوا إلى شعراء أو غيرها، فيكسرونها ويمهدونها ثم يغرسونها من غير إذن ملك الوقت، والموضع ليس بموات، ولم ينكر عليهم الامام ونائبه ذلك، بل يعلم بالعادة أنهم يحيون ذلك لعمارة الأرض،..."؛[3] وكان أبو العباس أحمد الغماري -من علماء تلمسان وصلحائها- يخرج للجبال والأراضي التي لا ملك لأحد عليها، فيجمع منها الحطب ويجلبه لسوق المدينة فيبيعه بها.[4]

3- طرق استثمار الأراضي الفلاحية:

ساهمت أشكال الملكيات المشار إليها في بناء بعض العلاقات والطرق في استثمار الأراضي الزّراعيّة بالمغرب الأوسط على العهد الزياني، وفي إطار الشّراكة بين أصحاب الأراضي وأرباب العمل أو المزارعين أهمّها:

أ- المزارعة:

المزارعة هي "شِرْكة فِي الحَرْثِ"،[5] تلزم البذر ونحوه ويشترط في صحتها أمران، الأول: السلامة من كراء الأرض بما تنبته، والثاني عدم الدخول على التفاوت في الخارج أو المخرج؛[6] وقد تكون المزارعة بين الشريكين على الاعتدال[7] في الأرض والعمل والآلة والزريعة، أو تكون بمقابلة الزريعة بالعمل والأرض بينهما، أو بمقابلة البذر والأرض من

---

[1]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص: 839.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:116-117.

[3]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:14؛ عمر بنميرة، **المرجع السابق**، ص:267.

[4]- ابن صعد، **روضة النسرين** ...، **المصدر السابق**، ص: 195.

[5]- أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع(ت894هـ)، **شرح حدود ابن عرفة**، تحقيق: محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1993، ص:513.

[6]- عبد الله كنون الحسني، **محاذي الزقاقية**، مطبعة أكدال، الرباط-المغرب، د. ط، د. ت، ص:75.

[7]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:396.

أحدهما بالعمل، أو مقابلة الأرض بالعمل والبذر بينهما،[1]وغيرها من الصيغ التي تصح بها المزارعة وسنذكر فيما يأتي بعض وجوهها.

ظلت المزارعة كشكل عادي في العلاقات ما بين أصحاب الأراضي والمستثمرين، مع أشكال متنوّعة للعقود وحسب نوعية العُرفْ المتداول، فقد كان الإقبال على دفع الأرض مغارسة أكثر من كرائها،[2]وكانت العناصر الأساسية لتفعيل هذا العقد: الأرض والأدوات والزّرّيعة وحيوانات الحرث والعمل، وحسب هذه العناصر الخمسة كانت تحدّد عقود المزارعة حصّة كل طرف من المتعاقدين.

وتكشف النوازل عن بعض صيغ تلك العقود والحصص التي اتفق عليها المتعاملون "فقد سئل الحفيد محمد العقباني[3] عن رجل طلب من آخر أن يعمل له في بحيرته (حقله) بعض الخضر على الوجه المتعارف عند أهل الموضع يكون للعامل نصف ثمن الغلة ولربّ العرصة النصف"،[4]وسئل أبو الوليد بن رشد[5]:"عن رجلين إشتركا في الزّرع، على أن جعل أحدهما الأرض والبذر والبقر، والثاني العمل، ويكون الرّبع للعامل بيده، وثلاثة أرباع لصاحبه".[6]

[1]- عبد الله كنون الحسني، **المرجع السابق**، ص:75.

[2]-Christophe Picard***, le monde musulman du XI au XV siècle,*** Armand Colin: Campus, 2001, p.102,103.
وأنظر: ابراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص:80.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (ت871ه)، قاضي الجماعة بتلمسان، ومؤلف كتاب تحفة الناظر وغنيّة الذاكر. الونشريسي، **الوفيات**، **المصدر السابق**، ص:103؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:357؛ ابن القاضي المكناسي، **المصدر السابق**، ص:279.

[4]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص8.

[5]- ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصّلاة بالمسجد الجامع بها، كان فقيها من أهل الرّياسة في العلم والبراعة، عرف بمؤلفاته العديدة، كتاب المقدّمات، كتاب المسائل، وإختصار المبسوطة، وإختصار مشكل الآثار للطحاوي، توفي ليلة الأحد ودفن من يوم 11 ذي القعدة /520هـ /1126م، وكان مولده في شوال 450هـ/1058م. ابن بشكوال، **كتاب الصّلة**، نشر: عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955، ج:2، ص: 546، 547؛ ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد(ت799ه)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2003، المجلد:2، ص:229-230.

[6]- ابن رشد، **كتاب المسائل**، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء –المغرب، الطبعة الأولى، 1992، المجلد:2 ص:895.

ومن خلال هذه النوازل تتضح لنا الحصص التي كان يتفق عليها المتعاقدون بالمزارعة، وبموجبها يقسّم الإنتاج إمّا مناصفة أو مثالثة أو مرابعة، وكلها تخضع -كما أشرنا- إلى العناصر الخمسة وتوزيعها على العاملين في عقد المزارعة؛ وكانت مدة الشراكة في المزارعة غير مستقرة في كثير من الأحيان بسبب تذبذب العوامل الطبيعية والأوضاع السياسية، لكنها بلغت في الظروف العادية مدة خمسة أعوام،[1] وعرفت هذه الطريقة في استغلال الأرض خلافات ومنازعات بين الشركاء كانت تحوم في معظمها حول زريعة أحدهما التي لم تنبت،[2] أو حول نصيب أحدهما من الزريعة لم يبذره وقت البذر،[3] وفي بعض الأحيان عندما تنضج الغلة يظهر الخلاف حول تصفية العمل وتقسيم الإنتاج.[4]

ويضاف إلى هذا شركة الخمّاسة، ويدعى صاحبها بالخمّاس، ويبدو أنّ هذا المزارع لم يكن يملك غير جهده، بينما الشروط الأخرى – الأرض والزرّيعة والأدوات والحيوانات – كان يقدّمها ربّ العمل أو المالك، وكان الخمّاس يحرث ويسقي الزرع ويتعهده بالتنقية والحراسة من الطير والحيوانات المفسدة،[5] ويحصد ويدرس، ويرفع الأغمار وينقل السنابل إلى الأندر، كما كان يشترط عليه القيام بالبقر والإحتشاش له، وحمل الحطب وإستقاء الماء إن احتاج إليه،[6] ولا يخرج زريعة ولا سكة ولا محراث وإنما يتبع الزرع فقط، إذ ليس عليه من حراثة الزرع وخدمته إلا ما جرى به العرف ويكون مشروطا حين العقد.[7] وفي المقابل كان يحصل على الخمس من الإنتاج، ولعلّ هذه الحصّة الزّهيدة التي كان يتحصّل عليها

1- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:115.

2- **نفسه**، ج:6، ص:62.

3- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:369.

4- وأشار الزجّالي إلى أن الخلاف كان يصل إلى درجة فسخ عقد الشراكة، كما يعبّر عن ذلك المثل القائل: **"حُلّ الزَّوجْ، وَأَقْسَمْ الزَّرِيعْ"**. **المصدر السابق**، ص:193.

5- ابن خنتاش المسيلي، **المخطوط السابق**، ص: 71.

6- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:151؛ المعداني أبو علي الحسن بن رحّال(ت1140ه)، **رفع الالتباس في شركة الخماس**، تحقيق: رشيد قبّاط، مركز الدراسات والأبحاث واحياء التراث، دار الأمان، الرباط-المغرب، الطبعة الأولى، 2012، ص:97.

7- ابن خنتاش المسيلي، **المخطوط السابق**، ص: 71.

الخمّاس جعلت بعض الفقهاء يعتبرونه أجيرا.[1] وحاكت بعض الآثار الشعبية صورا لبعض الجوانب من حياة الخماس في المجتمع منها:

آهْ يَا مَحَّنْتِي عُدْتْ خَمَّاسْ وَاَلتَّبَنْ اعْمَى عْيُونِي
خَمَّسْتْ عْلَى عُرَّتْ النَّاسْ كِي يُوجَدْ الطّْعَامْ يْزَعْكُونِي.

وفي موضع آخر:

بَلَّغْ السْلاَمْ لْثُونَة قُلْ لْهَا رَانِي خَمَّاسْ وْ شَابِعْ بَرْدْ اللّْيَالِي

ارَبْعَة لْمُولَى الزّْوِيجَة وَالْخَامَسْ رَاهُو دْيَالِي.[2]

وتمكنا من خلال بعض المصادر من الوقوف على إحدى الشخصيات التي اتخذت من الخمّاسة نشاطا لتحصيل المعاش، وهي تتمثل في الشيخ أبي البيان واضح،[3] ورغم ما تميز به من الزهد والورع والاجتهاد في العبادة إلا أن ذلك لم يمنعه من اتخاذ السبب في الاسترزاق مما تخرجه الأرض، فقد كان خمّاسًا عند الشيخ أبي يكنى[4] بوطن شلف، فكان يشاركه على الخمس من الغلة.[5]

ب- المغارســة :

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:8، ص:151.

[2]- عبد الرحمن رباحي، **قال المجذوب: من الرباعيات المنسوبة إلى الشاعر الشعبي المغربي الولي الصالح الشيخ عبد الرحمن المجذوب(ت976هـ)،** دار الجزائر للكتب، الجزائر، الطبعة الثالثة، 2008، ص:40.

[3]- وهو: واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي أبو البيان(ت856هـ)، وصفه الونشريسي: " القاضي الأعدل الصالح بلدينا وقريبنا". **الوفيات، المصدر السابق،** ص:97؛ أحمد بابا التنبكتي(ت1036هـ)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،** تحقيق: محمد مطيع، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، د. ط، 2000، ج:2، ص:258؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،** تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس-ليبيا، الطبعة الثانية، 2000، ص:619.

[4]- تذكر المصادر أنه من مشاهير أحواز وطن شلف الذين عرفوا بالصلاح، كان معاصرا لأبي البيان واضح(ت856هـ). موسى بن عيسى المازوني، **مختصر ديباجة الافتخار...، المصدر السابق،** ص: 607-608.

[5]- **نفسه؛** مبروك مقدم، **الأنماط الانتاجية التقليدية في القصور التواتية،** دار هومه، الجزائر، د. ط، 2008، ج:5، ص:17.

وهي عند الامام مالك "أن يعطي الرجل أرضه لرجل على أن يغرس فيه عددا من الثمار معلوما، فإذا استحق الثمر كان للغارس جزء من الأرض متفق عليه"،[1] أو أن يعطي المالك شجرًا لغارسٍ يحسن غراسة الأشجار، ويقوم عليه حتىّ يثمر، فتكون الثمرة بينهما؛[2] أو هي "عقد على تعمير أرض بشجر بقدر معلوم كالإجارة أو كالجعالة أو بجزء من أصل".[3]

وبخلاف المزارعة فالمغارسة لا تكون إلا في الشجر، حيث يدفع المالك أرضه للغارس، يعمل له فيها من أصناف الشجر يعينه له صاحب الأرض ويقوم على العناية به حتى يشتد ويدخل مرحلة الانتاج، فإذا بدت ثماره أخذ العامل نصيبه الذي اتفقا عليه، إمّا يكون عينا من الثمار، أو جزءا من الأرض وأصول الشجر، أو إجارة بحساب ما عمل، أو جعلا بعد تمام العمل.

وتصح المغارسة إذا استوفت خمسة شروط[4] هي:

- أن يغرس فيها أشجارا ثابتة الأصول دون الزرع والمقاثي والبقول.
- أن تتفق أصناف الأجناس أو تتقارب في مدة إطعامها فان اختلفت اختلافا متباينا لم يجز.
- أن لا يضرب لها أجل إلى سنين كثيرة فان ضرب لها أجل إلى ما فوق الاطعام لم يجز وان كان دون الاطعام جاز وان كان إلى الاطعام فقولان.
- أن يكون للعامل حظه من الأرض والشجر فإن كان له حظه من أحدهما خاصة لم يجز إلا إن جعل له مع الشجر مواضعها من الأرض دون سائر الأرض.
- أن لا تكون المغارسة في أرض محبسة لأن المغارسة كالبيع.

---

[1]- أبو الوليد بن رشد القرطبي(595ه)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة السادسة، 1982، ج:2، ص:236.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص: 156،153،152.

[3]- ابن عرفة، **المصدر السابق**، ص:515؛ عبد الله كنون الحسني، **المرجع السابق**، ص:76.

[4]- ابن جُزَي محمد بن أحمد الغرناطي(ت741ه)، **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية**، تحقيق: ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2013، ص:471.

وكانت عقود المغارسة[1] تنعقد لمدد مختلفة تخضع لاختلاف أنواع الأشجار وأوقات إثمارها، فكانت في بعض الأحيان تدوم العامين،[2] أو تصل إلى سنين عديدة.[3]

ج- المســـاقاة:

وهي "إعطاء نخل أو شجرٍ لمن يقوم بسقيه، وعمل سائر ما يحتاج إليه من خدمة، بجزءٍ معلوم من ثمره مشاعًا فيه"،[4] وتجوز المساقاة في جميع أصول الثبتة نخلاً كانت أو عنبًا، أو كرما، أو زيتونا، أو رمانا، أو ما أشبهها.[5]

وتصح المساقاة في الأصول المذكورة بشرطين[6]:

- أن تعقد المساقاة قبل بدو صلاح الثمرة وجواز بيعها.
- أن تعقد إلى أجل معلوم، وتكره فيما طال من السنين.

كما تجوز في الأصول غير الثابتة كالزرع والمقاثي،[7] بإضافة شرطين آخرين إلى الشروط السابق ذكرها، وهما:

- أن تعقد بعد خروج الزرع من الأرض واستقلاله.
- أن يعجز صاحبه عن سقيه وعمله وعلاجه.

---

[1]- صيغة عقد المغارسة: "دفع فلان بن فلان الفلاني إلى فلان بن فلان الفلاني جميع الأرض البيضاء بموضع كذا، ويحدها كذا، على أن يغرسها فلان المذكور شجرا من كذا شجر تين أو رمان أو تفاح أو اجاص أو دوالي عنب، تصف الأشجار وعددها، أو يغرسها كلها كرما من عنب صفته كذا من جنس كذا، ويتعاهد ذلك بالحفر والخدمة، فإذا بلغ حدّ الاطعام فالأرض والشجر بينهما نصفان أو أثلاث الثلث لفلان، والثلثان لفلان، أو أرباع الربع لفلان، والثلاثة أرباع لفلان، مغارسة صحيحة دون شرط ولا ثنيا ولا خيّار على سنة المسلمين في مغارستهم، ...، وشهد عليهما في صحة وطوع وجواز". أبو عبد الله محمد الفشتالي(ت777هـ)، **الوثائق (الفائق في الوثائق)**، مخطوط مكتبة الملك عبد العزيز العامة، رقم: 648خ، ص: 180-181؛ وينظر النسخة الرقمية بموقع المكتبة الرقمية العربية: ***http://kadl.sa/Default.aspx***

[2]- الونشريسي، **المصدر السّابق**، ج:6، ص202؛ أبو زكرياء يحي التلمساني، **اللمع ...**، **المخطوط السابق**، ص: 49؛ الرصاع، **المصدر السابق**، ص: 508.

[3]- أبو عمران الفاسي، **المسائل الفقهية**، مخطوط بجامعة مشغن، الولايات المتحدة الأمريكية، القسم العربي، رقم:IL411a/77، ص:59.

[4]- أبو بكر جابر الجزائري، **منهاج المسلم**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1999، ص: 297 ؛ أبو زكرياء يحي التلمساني، **المخطوط السابق**، ص: 25(الوجه).

[5]- مالك ابن أنس، **المصدر السابق**، ص: 537؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج4، ص:11.

[6]- ابن جزي، **المصدر السابق**، ص:467.

[7]- **نفسه**؛ مالك ابن أنس، **المصدر السابق**، ص: 537؛ ابن جُزَي، **المصدر السابق**، ص:468.

وكانت المساقاة تعقد بين المساقي والساقي لآجال مختلفة تخضع للعرف السائد، أو عن طريق العقود الموثقة، فمنهم من كان يحددها بالغلة والغلتين والثلاث، وبعضهم كان يعقدها بالسنة والسنين، ومنهم من كان يجريها إلى الأهلة والفصول، بينما كان يحددها البعض الآخر بالمواسم أو الغلال كأن تمتد من موسم المشمش إلى موسم الزيتون.[1]

تلك هي إذن أهمّ طرق إستثمار الأراضي الفلاحية التي عرفها الفلاحون في بلاد المغرب الأوسط على عهد بني عبد الواد، تحت غطاء الشّراكة التي كانت لها أصولها وأعرافها وعقودها، وعلى الرّغم من هذا كان يحدث التناكر والخلافات بين الشركاء قبل أو بعد إنعقاد الشّراكة،[2] لذا شدد المعتنون بخطة التوثيق على أن تحرر عقود المزارعة والمغارسة والمساقاة على نسختين لأجل التناكر المفضي إلى التقاضي، وتكون هذه النسخ عند الأمناء والثقات.[3]

4- تهيئة التربة ووسائل العمل:

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى عنصر التربة الشرط الأول في العملية الفلاحية، وإلى أنواعها بالمغرب الأوسط وأوصافها، وطرق استصلاحها، ذلك لأن الفلاح لا يمكنه مباشرة أي مشروع زراعي ما لم يكن ملمّا بتلك المعارف والشروط التي تتطلبها الغلة المراد انتاجها؛ لذا كان اختيار التربة أول المراحل التي يجب على الفلاح تحديدها.

أ- تهيئة التربة:

سنتطرق في هذا العنصر إلى أهم المراحل التي كان يقطعها الفلاح لتحضير التربة والمساحة التي يود فلحها بما يختار من مزروعات أو مغروسات ويتقدمها:

---

[1]- أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن الركراكي(1063هـ)، **الأجوبة**، مخطوط بمكتبة جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، قسم الفقه المالكي، رقم: 2ر217/أ.ر، ص: 101؛ الونشريسي، **المنهج الفائق** ...، **المصدر السابق**، ص:162.

[2]- الونشريسي، **المصدر السّابق**، ج:8، ص:175،156. وتضمنت بعض الأمثال العامية اشارات واضحة على ذلك منها: **"البَيَانُ في الفدَّانْ خيرٌ من اللَّطْمْ فالأَنْدُر"**، أو: **"الشَرْطُ فِي الفَدَّانِ، وْلَا الخُصُومَة في النْوَادَر"**. الزجالي، **المصدر السابق**، هامش رقم:200، ص:51.

[3]- الونشريسي، **المنهج الفائق** ...، **المصدر السابق**، ص:162.

1- إختيار الأرض:

شاع بين الفلاحين اِعتماد عدة طرق لاختيار الأرض الجيدة من الرديئة، فاعتبر بعضهم احتفاظها بماء المطر بعد الهطول وكثرة النبات بها من الشجر كله دليلا على طيبها وجودتها،[1] وكان بعضهم ينظر فيما على الأرض من نبات كالحشيش والشوك أو غيرهما، فإن كان "قويا عاليا ملتفا في صعوده من الأرض، فهي أرض كريمة سليمة، وإن كان صغارا قميّا،... مايلا هكذا وهكذا، فهي أرض غير سليمة من العاهات"،[2] وكان البعض يمتحنها باللمس فيفتت شيئا منا بين يديه ليعرف كمية الطين والرمل فيها، فإن كانت كمية الطين أكثر من الرمل كانت التربة جيدة، وإن كانت الكمية عكس ذلك فالتربة رديئة؛[3] كما كانت تحفر حفرة في التربة ويؤخذ التراب من أسفلها ويوضع في إناء زجاجي ويفرغ عليها ماء عذب طيب، ثم يخلط جيدا، ويترك ليصفو، ثم يُشَمُّ فإن كانت رائحته نتنة فالأرض رديئة، وإن كانت زكية فالأرض طيبة، ثم يذاق الماء فان كان مالحا فهو دليل على ملوحة الأرض، وبالتالي فهي غير صالحة.[4] وخبرها البعض عن طريق حجم ذرات التراب المكونة للتربة فكانوا يحفرون حفرة في الأرض قدر شبر، ويخرجون ترابها ثم يفتتونه، ثم يرد في الموضع الذي استخرج منه، فإن زاد التراب على الحفرة فالأرض جيدة، وان تساوى التراب مع الحفرة فالأرض المتوسطة، وإن قلّ ولم يملأ الحفرة فالأرض غير صالحة.[5]

---

[1]- قسطوس، **المصدر السابق،** ص: 68؛ ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق،** ص: 6؛ الطغنري، **المصدر السابق،** ص:91-92.

[2]- ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي(ق4ه)، **الفلاحة النبطية،** تحقيق: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر والتوزيع، ليماسول-قبرص، الطبعة الأولى، 1993، ج:1، ص:322؛ ابن العوام، **المصدر السابق،** ج:1، ص:59.

[3]- عبد الغني النابلسي، **علم الملاحة في علم الفلاحة،** مطبعة نهج الصواب، دمشق، 1299ه، ص:6.

[4]- ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق،** ص: 6؛ عبد الغني النابلسي، **المصدر السابق،** ص: 6.

[5]- ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق،** ص: 6؛ أبو الخير الشجار الأندلسي(ق6ه)، **كتاب في الفلاحة،** نشر: التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس- المغرب، د.ط، 1357ه، ص:4. للأسف لا تطالعنا المصادر التي بين أيدينا حول ما إن كانت هذه الطرق متبعة خلال العهد الزياني أم لا؟ لكن ومن أجل تقديم نموذج لاستجلاء هذا المعنى، فقد ذكر ابن أبي زرع الفاسي أثناء عرضه لأحداث سنة 191ه، وبالرغم من أن النص بعيد زمنيا إلا أنه يشير بشكل غير مباشر إلى أنّ طرق اختيار الأرض كانت معروفة لدى أهل المغرب منذ ذاك التاريخ، يقول أن الأمير إدريس الثاني(الأصغر) ابن إدريس الأكبر قرر في الفاتح من شهر الله المحرم من سنة 191ه بناء مدينة جديدة(فاس)، فبعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يبحث له عن موضع يقيم فيه مدينته، فانطلق عمير يجوب النواحي ويختبر الأرضين والمياه، فشرب

2- تسميد الأرض:

يعتبر التسميد أو التّزبيل من المراحل المهمة في إعداد التربة وإصلاحها، وكان يتم عن طريق إضافة السماد[1] المتكون من رفث وزبل الدواب والتبن والرماد، وكان يعرف بالسرجين أو السرقين،[2] وبالتجربة فإن هذه المواد مع نفعها للنبات فإنها تنفع الأرض، فهي تصلح الأرض الرديئة، وتزيد الأرض الصالحة صلاحا وطيبة وقوة،[3] كما تذكي الحرارة الغريزية في النبات، وتفتح مسامات التربة وتوسعها فيسهل على عروق النبات ولوجها.[4]

والمراد أيضا من تسميد التربة تعديل حرارة الأرض والماء اللذين هما "مادتا غذاء النبات، وهما غليظان بالبرد، فلولا سخونة الشمس وحرارة الهواء اللينة لما أفلح النبات، فاحتال الناس بما علمهم عزّ وجلّ وألهمهم عمل هذه الأزبال الحارة لتعين الشمس والهواء على الإسخان، فتتم بذلك مقاومة البرد والغلظ اللذين إكتسبهما النبات من الأرض والتربة ببردهما، فهو ينفع ما يتصل بأصله من الشجر...، فيسخن الأرض ويبلغ بسخونته إلى قعر الأرض في أصل هذه وعروقها".[5]

وقد استخدم الفلاحون بالمغرب الأوسط أنواع متعددة من السرقين أو السماد،[6] فكان بعض أهل مليانة من أصحاب الجنات يقومون بتسميدها بـــ: "الغبار"،[7] وهو يتكون من

الماء واستطابه، واستنشق الهواء فوجد اعتداله، وتأمل النبات وحدد أنواعه؛ وبمقارنة ما ذكره ابن أبي زرع مع ما تضمنته كتب الفلاحة من طرق لامتحان الأرض لا نجد اختلافا كبيرا، بل نقف على بعض الجذور البعيدة الدالة على الاهتمام بالفلاحة ومعرفة طبائع الأرض. **روض القرطاس، المصدر السابق**، ص: 14-15؛ وينظر على سبيل المقارنة: مؤلف مجهول (ق6هـ)، **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة**، تحقيق: محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمد، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، 1984، ص:99.

[1]- الفرسطائي أبو العباس أحمد بن محمد(ت504ه)، **القسمة وأصول الأرضين**، تحقيق: بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، الطبعة الثانية، 1997، ص:271.

[2]- ابن العوام، **المصدر السابق**، ص:98؛ مؤلف مجهول (ق6ه)، **المصدر السابق**، ص:111؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:10.

[3]- ابن وحشية، **المصدر السابق**، ج:1، ص:371.

[4]- ابن العوام، **المصدر السابق**، ص:100.

[5]- ابن وحشية، **المصدر السابق**، ج:1، ص:370-371.

[6]- حول أنواع السرقين أو السماد راجع: الملحق رقم: 3.

[7]- مؤلف مجهول، **مناقب أحمد بن يوسف الراشدي الملياني(ت1526م)**، مخطوط، قسم المخطوطات: مكتبه مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية، الدر البيضاء-المغرب، رقم: ذ 1457، ص: 53؛ ابن

فضلات الأغنام والمعز، ويعرف اليوم في أوساط الفلاحين بـــ: "الغبرة"، ويستأجرون لذلك عمالا يقومون بنقلها إلى الحقول والبساتين، فيقومون بتشتيتها بالتساوي على الأرض،[1] ثم تخلط بالتربة عن طريق تقليبها أو حراثتها. وكان أهل بلاد سوف يعالجون بساتين النخل بأبعار الابل وغيرها، بأن يضعوها في جذورها ولا يصلح نخلهم إلا بهذه الطريقة، وكذلك كانوا يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه؛[2] وكان ببلاد تيكورارين الكثير من الأراضي الصالحة للزراعة، لكنها لا تقوم إلا بالسقي والتسميد بسماد الخيل أو تدمينها برجيع الناس، لكونها جافة وهزيلة.[3]

واختلفت مصادر مواد التسميد فكانت تجلب من محاشر ماشية الفلاحين أنفسهم، أو من عند غيرهم من مربي الماشية، أو من اصطبلات الدواب، وكان بعض الفلاحين إذا أراد تسميد أرض ما يبيت فيها الغنم لليلتين أو ثلاث ولا يزيد عنهما، ويحرث الأرض بعد ثلاثة أيام أو أربعة،[4] وفي بعض الأحيان كان بعض الناس في بلاد الصحراء يتتبعون منازل القوافل ويلتقطون البعر من مرابض الدواب،[5] أو كان الفلاحون يقومون بشرائها ونقلها لحقولهم للضرورة؛[6] وحتى الرجيع كان يجمع من كنانيف المنازل والفنادق والمساجد وغيرها يستخرجه الكنافون ويباع كمادة لتسميد الأرض.[7]

قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط-المغرب، 1965، ص:115.

[1]- اشترط فيمن يقوم بالتزبيل أن يكون عارفا حاذقا "وإلا أفسد النبات الذي يروم إصلاحه به"، لذلك فقد لاحظ الطغنري في عصره بعض أخطاء الفلاحين خلال قيامهم بعملية التزبيل يقول: "ولقد رأيت فلاحي عصرنا إذا راموا تزبيل الكتان يكدسون الزبل في مواضع، ولقد أخطأوا الطريق في ذلك حتى بقيت مواضع تكديسه خالية من النبات". **المصدر السابق**، ص:98.

[2]- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، **الرحلة العياشية (1661-1663م)**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006، المجلد:1، ص:123.

[3]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:133-134؛

[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:101.

[5]- العياشي، **المصدر السابق**، المجلد:1، ص:123.

[6]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:314-315. ويذكر الونشريسي أنه قد جرى العمل بإجازة بيع الزبل وضرب العقود به. **نفسه**، ج:5، ص:25.

[7]- **نفسه**، ج:7، ص:343؛ التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد(675-717هـ)، **رحلة التجاني**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981، ص:90.

وقد تولى مهمة جمع ونقل الأزبال أو السماد أناس عرفوا بـ: "الزّبّالين"[1]، مستخدمين في ذلك الظهر من البغال والحمير والبراذع المصنوعة من نبات الحلفاء،[2] وكان يستأجرهم على نقلها وخدمتها أصحاب الحقول والبساتين.[3]

واحترف بهذه الحرفة بعض المتصوفة من أهل تلمسان، مقابل ما تجود به عليه أيدي الناس، فكان أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي[4] الشهير بـ: "الحبّاك" يجول بأزقة مدينة تلمسان "يصيح عند أبواب الديار: من أنقل له الزبل ويعطيني ما أمكن. فينقل الزبل على رأسه ويعطى كسر خبز فيحملها إلى الفقراء ويأكلها معهم".[5]

ويصور لنا بن مريم التلمساني مشهدا يتضمن بعض المراحل التي دأب عليها الكثير من الفلاحين بالمغرب الأوسط في تسميد الأرض طوال اشتغالهم بالفلح والزرع، حيث يذكر أن الفقيه علي بن يحي السلكسيني الجاديري "كان يخرج لعرصته بوادي الصفصيف، ... فإذا وصل لعرصته ينزل عن دابته، ويفرغ الزبل، ويزيل البرذعة عن دابته،... ويأخذ الفأس يخدم به في العرصة،... هذا دأبه".[6]

3- حراثة الأرض:

بعد أن يختار الفلاح المساحة التي يروم فلحها ويقوم بتسميدها إن كانت تحتاج إلى السماد، يتجه إلى إثارة تربتها وتقليبها، وتعتبر هذه المرحلة من أركان الفلاحة، إذ أنها تتكرر مرات عديدة أي كلما رغب الفلاح في غلة إلا وهيأ لها الأرض بالحراثة.

[1]- المقري، **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج:1، ص:384.
[2]- البرزلي، **المصدر السابق**، ج:3، ص:623؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:254.
[3]- مؤلف مجهول، **مناقب الملياني، المصدر السابق**، ص:53.
[4]- من أهل تلمسان، عرف بتجرده عن الدنيا، ومجاهدته لهوى النفس، سافر إلى المشرق قاصدا الحجاز، فغرق في بحر المشرق في حدود سنة 613هـ. ابن خلدون يحي، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:1، ص:107-108.
[5]- التادلي، **المصدر السابق**، ص:436.
[6]- **المصدر السابق**، ص:254.

وكان الفلاحون على العادة قبل الحرث يقومون باقتلاع الأعشاب الضارة والأشواك من الأرض، أو عن طريق حرقها،[1] وفي بعض الأحيان حتى الأشجار والشجيرات لما يتعلق الأمر بإحياء الأراضي المهملة أو الموات،[2] كما كانوا ينقون الحجارة ويخرجونها منها،[3] وقد كان هذا النوع من الأعمال المصاحبة للحرث يتطلب الكثير من الجهد والعتاد.

وكثرة الحرث تساعد على إراحة الأرض وتطييبها،[4] فهو يخلخل التربة فيلجها الهواء، ويقلب باطن الأرض ظاهرها فتلطفه الشمس، ويساعد التربة المحروثة على الاحتفاظ بالماء فتستفيد منه عروق النبات في الحرّ، كما يقطع الأعشاب الضارة.[5]

أما عن وقت الحرث أو ما يسمى بـ: "إبّان الحرث أو القلب"،[6] فقد كان غالبا ما يتم في فصل الصيف بعد نهاية موسم الحصاد لإراحة الأرض، ومع بداية فصل الخريف من أجل التحضير لعملية الزرع أو البذر؛ ويذكر ابن ليون التجيبي أن الحرث يكون في الشهور الأربعة يناير ومارس ومايو ويكتمل في يونيه،[7] وعند ابن حجاج الاشبيلي أفضل إبّان الحرث عند استواء الليل والنهار في شهر مارس، ويشترط أن تقلب الأرض ثلاث مرات بالسكة الكبيرة؛[8] أما الطغنري فيستحسن أن تحرث الأرض إذا جفت ويبست المرة بعد المرة، لأن ذلك يسهل عمارتها، ولأن الأرض إذا كانت مثقلة بماء المطر أو ماء السقي صَعُبَ قلبها وفسد مستغلها.[9] ويبدو أنّ مواعيد الحرث كانت تخضع لعادات وقوانين في عمارة الأرض بكل بلد أو جهة قد جربت عليها، لذا قد علموا من خلال طول العهد بخدمة

---

[1] - الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:325.
[2] - موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:839.
[3] - ابن العوام، **المصدر السابق**، ج:1، ص:164.
[4] - ابن ليون التجيبي، **المخطوط السابق**، ص: 10(الوجه).
[5] - عبد الغني النابلسي، **المصدر السايق**، ص: 9.
[6] - أو "زمان الحرث". أنظر: ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 463؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:19.
[7] - **المخطوط السابق**، ص: 9(الظهر).
[8] - **المصدر السابق**، ص:14.
[9] - **المصدر السابق**، ص: 130-132.

الأرض "وكثرة التجارب أن أرضهم لا يصلح زرعها ولا ينمو مستغلها إلاّ بما قد جرت عليه عادتهم، فمن الأرض أرض إن لم تقلب في سَمُوم الصيف لم ينجب مستغلها".[1]

وكان موسم الحرث يعرف الكثير من أساليب التعاون واقتسام أعباء الحرث في إطار الجماعة أو القبيلة، من خلال نشاط "التويزة" الاجتماعي، هذا النشاط الذي لا زال متجذرا إلى يومنا هذا في كثير من بقاع هذه البلاد، ولم يكن مقتصرا على الحرث فقط بل شمل البذر والحصاد والدرس وغيرها، ولم يكن أيضا حكرا على الرجال فقط بل حتى النساء كن يتضامنّ فيما بينهن في الأعمال النسوية كغزل الكتان والصوف وغيرهما،[2] ينبني هذا النشاط على مبدأ التطوع بين أهل الموضع الواحد، فيأتي كل واحد بمحراثه ومضمده وثوريه، ويشترك جميعهم في حراثة ذلك الموضع على الترتيب، وقد بلغ عدد المتطوعين لهذا النشاط في بعض الأحيان أربعون شابا،[3] وقد يكون هذا النشاط من أجل مساعدة أحد الأفراد، كما يمكن أن يستغرق جميع من قرر أن يحرث. وكان من ينال شرف معونة المتطوعين يسهر على الاهتمام بهم فيوفر لهم الطعام والشراب وفي بعض الأحيان حتى المبيت.

4- تسوية الأرض:

بعد أن ينتهي الفلاح من تقليب التربة يعكف على تسويتها وتعديلها،[4] والهدف من تسويتها ضمان استيفاء الماء لها جميعا وبالتوازن عند سقيها،[5] ويتم بنقل أو جرف التربة من المواضع المرتفعة نحو المواضع المنخفضة عن طريق ألة تجرف التربة نحو

---

[1]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:132.

[2]- العقباني، **المصدر السابق**، ص:77؛ نبيلة عبد الشكور، **نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأوسط**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012، ج:1، ص:97-98.

[3]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:860-861؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 463.

[4]- عمر بن يوسف بن عمر بن رسول، **ملح الملاحة في معرفة الفلاحة**، تحقيق: عبد الله محمد علي المجاهد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، الطبعة الأولى، 1987، ص:53؛ الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:409.

[5]- ابن ليون التجيبي، **المصدر السابق**، ص: 3(الظهر).

المنخفضات يجرها زوج من البقر،[1]ولم يكن عمل الفلاح سهلا في تذليل الأرض وتهيئتها بل كان محفوفا بصعوبات جمة.[2]

5- تحويض الأرض:

بعد تسوية سطح الأرض يشرع الفلاح في تحويضها، والتحويض هو تقسيم الأرض إلى أحواض مربعة أو مستطيلة وشق السواقي حواليها، وقد تستعمل هذه التقنية في الزراعات والغراسات السقوية، التي تقوم على أسلوب السقي المعروف إلى يومنا هذا بالغمر، وتساهم الأحواض في الارواء الجيد للمزروعات وتسهل عملية توزيع المياه، وقد اعتمد الفلاحون بالمغرب الأوسط على هذه التقنية، فكانت الخضر كاللفت والبصل لا تزرع إلا في الأحواض،[3] كما كانت مكانا لزرع مختلف الشتائل المعدة للغراسة عن طريق النقل كفسائل الأشجار المثمرة والبصل وغيرها،[4] وتشير بعض النوازل إلى أن بعض المزارع الصغيرة كانت تحتوي على خمسة عشر حوضا بعد تحويضها، بينما المزارع الكبيرة كان يبلغ عدد أحواضها المائة حوض،[5] وتشير كتب الفلاحة إلى أن يراعي أثناء تقطيع الأرض مقاييس التباعد بين الحوض والحوض حيث يكون اثنا عشر ذراعا في الطول وأربعة أذرع عرضا.[6]

---

[1]- جودت عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص:22؛ الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:439. ذكر ابن بصال أن الآلة التي تستعمل في تمهيد التربة وتسويتها تسمى بـــ: "الجاروف". **كتاب الفلاحة**، نشر: خوسيه مارية مياس بيكروسا ومحمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تيطوان-المغرب، 1955، ص:55.

[2]- الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:5، ص:262.

[3]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، 119؛ ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:255.

[4]- عبد الغني النابلسي، **المصدر السابق**، ص:27. وطريقة التحويض معروفة إلى يومنا هذا بين أوساط الفلاحين في زراعة الكثير من المحاصيل الفلاحية، وبالإضافة إلى ما ذكرناها نجدها في: زراعة شتائل البستنة بصفة عامة، شتائل الخص والباذنجان والفلفل وغيرها؛ كما تعتبر حلا من الحلول للإرواء الأرض غير المستوية. راجع: الطغنري، **المصدر السابق**، ص:133.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:90،258؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، 295.

[6]- ابن العوام، **المصدر السابق**، ج:1، 151.

وبعد اتمام عملية تسوية وتحويض الأرض يجهّز الفلاح البذور التي اتخذها[1] للزرع والشتائل التي حضرها للنقل كشتلات الخضر والأشجار المثمرة، ويقيم كل نوع بما يليق به من شروط في البذر والغرس والعناية والمعالجة.

ولا يفوتنا في هذا السياق تناول قضية مهمة جدا درج عليها الفلاحون منذ فترات زمنية بعيدة واتصلت إلى حاضرنا اليوم، وتتمثل في نظام فلاحة الأرض عن طريق التناوب بين الاستغلال والإراحة، فكان الفلاحون خاصة أصحاب الاستغلاليات الكبيرة[2] لا يزرعون كل المساحة التي يملكونها بل يتركون بين كل فدان وفدان مساحة دون استغلال تسمى البور أو العاطل، وتترك كذلك حتى تستعيد جودتها وتقوى عناصرها من خلال عملية الرعي فيها، ثم تحرث وتزرع في الموسم الموالي فتأتي غلالها جيدة.

وفي هذا المقام تكشف لنا المصادر النوازلية عن وجود هذا النظام لدى الفلاحين ببلاد المغرب الأوسط، من خلال مسألة عن: "أرض معروفة لأناس ومنسوبة إليهم ينتفعون بها بالحراثة وغيرها،... والأرض المذكورة مشتملة على محروث ومعطول ومن المعطول ما

---

[1]- بالنسبة للفلاح الذين يتخذ البذور بنفسه، يعد البذور مسبقا حيث بعد كل موسم حصاد وجني يتخير من الغلات البذور الأصح والأجود والأسمن، فيقوم بتجفيفها ويحتفظ بها إلى زمن البذر أو الغرس، وتنتشر هذه العملية اليوم بين أوساط الفلاحين البسطاء الذين لا يقدرون على شراء البذور الصناعية، وتعرف عندهم بـ: "تربية الزريعة"، وحسب المصادر يمكن اتخاذ الزريعة من الغلة الواحدة لأربع مواسم بمواصلة تربية الزريعة من الغلة الجديدة في كل موسم، غير أن ما زرع من جميع البذور بعد أربعة أعوام لا تتخذ منه الزريعة؛ أما بالنسبة للذي لا يتخير البذور فيقوم بشرائها من السوق أو من عند الفلاحين المهتمين بتربية البذور وبيعها، لذلك تشير كتب النوازل إلى بعض المشاكل التي كانت تطال بعض الفلاحين من جراء شراء البذور، ففي بعض الأحيان كانت لا تنبت، وفي أحيان أخرى تنبت على غير الأوصاف التي بيعت من أجلها، كأن يبيع أحدهم لآخر زريعة لفت أحمر وبعد زرعها نبتت وخرجت على غير ما اشتراها، أو تباع الزريعة على أنها جديدة فلا تنبت. أنظر: الطغنري، **المصدر السابق**، ص:127-128؛ ابن الحجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:11؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:249/ج:6، ص:56، 57، 62؛ ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:376؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج:3، ص:267.

[2]- أما الفلاحون أصحاب المزارع الصغير والضيقة كانوا فيما نعتقد، وقياسا على حاضرنا يواصلون أعمالهم في أراضيهم دون ترك مساحة بلا حرث، والمحتمل كثيرا هو الاعتماد على أسلوب التناوب بين المحاصيل في مزارعهم الضيقة؛ لأن السمة العامة للفلاحة في الدولة الزيانية لا تكاد تنفصل عن نمط الزراعة المختلطة، حيث يقوم الفلاحون إلى جانب فلاحة الأرض بتربية الأنعام المختلفة والدواجن ودودة القز والنحل وغيرها، من أجل تأسيس مورد إضافي، وتوفير بعض الاحتياجات الضرورية من خلال المنتجات الحيوانية كالحليب واللبن والجبن والزبدة والسمن والجلد والبيض والعسل وغيرها، بالإضافة إلى الأسمدة. راجع: ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:254.؛ حسام الدين جاد الرب، **أسس الجغرافيا البشرية والاجتماعية**، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، د.ط.، 2014، ص:229.

هو بين فدادين الحراثة ومنه ما هو بإزائها وقريب منها تصلها مواشيهم بالرعي وينتفع أهلها المنسوبة إليهم بجميع ذلك".[1]

والظاهر أن سبب لجوء الفلاحين إلى استخدام هذا الأسلوب يرجع إلى الاجهاد الذي يعتري الأرض من خلال الزراعة المتكررة، وبالتالي تفقد التربة الكثير من موادها العضوية المخصبة بفعل استهلاك المحاصيل لها، وفي هذه الحال إذا أعيدت زراعها دون إراحتها ردأت الغلة.

كما انتشر بين الفلاحين أسلوب آخر يساعد كذلك على حفظ صحة الأرض وخصوبتها، دون تعطيل الأرض وجعلها بورا، وهو التناوب بين المحاصيل،[2] تنبني هذه العملية على عدم مواصلة زراعة بعض المحاصيل التي تجهد التربة في نفس المساحة التي زرعت فيها من قبل لعدة مواسم، خصوصا إذا كانت تلك المحاصيل تتطلب الكثير من غذاء الأرض؛ لذا فهذا الأسلوب يملي على الفلاح ضرورة معرفة خواص النباتات ونوع الغذاء الذي تحتاجه والتربة التي تصلح له، حتى يتسنى له المناوبة بين المحاصيل، والحفاظ على الدخل بعدم توقف العملية الزراعية؛ ولعل هذا ما عبر عنه ابن ليون التجيبي في أرجوزته عما يحفظ الأرض وما يضعفها أو يفسدها يقول:

وَالفُولُ والترمسُ والكتَّانُ تَحْفَظُ الأَرضَ وكذَا الجَلبَانُ.
وَالدَخْنُ مُضْعِفٌ لهَا والجَلجَلانْ وَمَا يُكَرَّرُ بها كُلَّ زَمَانْ.
وَوَرَقُ الحِمّص والكرْسَنَة مُفْسِدَةٌ لِلأَرْضِ بِالمُلُوحَةِ.[3]

ولم تكن الأرض تتأثر من جراء تكرار زراعة نفس المحصول بها لمواسم، بل حتى المحصول ذاته إذا تمادى على زراعته في كل عام بنفس الأرض "فسد وذهب رونقه، بل سنة هنا وسنة هناك".[4]

---

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، 21.

[2]- يعرف في الحاضر بالدورة الزراعية وهي عبارة عن تعاقب زراعة المحاصيل وراء بعضها بما يخدم استمرار خصوبة التربة، أهم فوائدها أنها تتيح للفلاح الحصول على مردود وفير من الإنتاج.

[3]- **المخطوط السابق**، ص:3(الظهر).

[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:128.

ب- وسائل العمل:[1]

أما عن الوسائل[2] التي استخدمها الفلاحون في اثارة الأرض، فلا يعدو أن تكون أدوات بسيطة وشبه بدائية تمثلت في الفأس،[3] والمسحاة،[4] والمحاريث الخشبية،[5] وسكك الحرث،[6] والمضامد.[7] كما جرى استخدام الدواب في الحرث خاصة الثيران[8] والحمير.[9]

كما استعملوا السكاكين للبقل،[10] والمقص للتقليم،[11] والمناجل للحصاد،[12] والأندر لجمع الزرع وللدرس وتخزين التبن،[13] والدواب والمزاود[14] والبرادع للنقل،[15] والرفش والمذرات[16] لذرو الزرع والغربال لتصفيه من بقايا التبن.[1]

---

[1]- حول وسائل العمل راجع: الملحق رقم:5.

[2]- يسميها الفرسطائي بـــ: "أداة الحرث" أو "الماعون"، ويفصلها في: المضمد، الحبال، السكة، الزوج، القرن بالحبال، الرَّسْن، والقتبُ، والشّكال. **المصدر السابق**، ص: 438، 439، 445.

[3]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:254؛ موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:853.

[4]- التادلي، **المصدر السابق**، ص:476؛ - OUDINA Lobna, ***Les Outils Traditionnels agraires du Gharb***, Mémoire de fin d'études du 2 eme cycle des sciences de l'archéologie et du patrimoine, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat-Maroc, 1997-1998, p.47.

[5]- **Ibid**, p:36-38.

[6]- ابن خنتاش، **المخطوط السابق**، ص: 53.

[7]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 463.

[8]- المقري، نفح الطيب، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:71؛ لسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تعليق ونشر: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص:74. ومن العادات الراسخة عند أهل تلمسان وأحوازها أنهم كانوا يقومون بتعليف الثيران وبيعها في شهر يناير، وبعد ابرام صفقة البيع يقوم الشراة بتجليل الثور برداء ويصحبونه إلى موضعهم بآلات الضرب. ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 420.

[9]- ابن صعد، **النجم الثاقب**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:386.

[10]- ابن قنفذ، **أنس الفقير ...**، **المصدر السابق**، ص:09.

[11]- عبد الكريم جودت، **المرجع السابق**، ص:22 . وتعرف الأندر اليوم عند أهل البادية بـــ: "المَنْدَرَة" وهي المكان الذي يدرس فيه الزرع عن طريق الدواب، ويشترط فيها أن تكون في موضع عال نسبيا، وفي اتجاه مهب الرياح حتى يسهل تصفية الزرع بالذرو؛ وعلى مقربة منها يكون "النَّادَرْ" وهو في الأصل التبن الذي عُزِلَ عن الزرع، يُجمع كَوْمَةٍ واحدة ويغطى سطحها وجوانبها بالطين، ويستخدم تبنها في فترات انعدام الكلأ بالحقول أو الطبيعة.

[12] - OUDINA Lobna, ***op…cit***, p:60.

[13]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9،ص: 38، 39، 161.

[14]- الغبريني، **المصدر السابق**، ص:80.

[15]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 254؛ الفرسطائي، **المصدر السايق**، ص:445.

[16]- OUDINA Lobna, ***op…cit***, p:69, 70.

[1]- البرزلي، **المصدر السابق**، ج:3، ص:265،

ولحماية المحاصيل من الحيوانات الضارة كالخنزير والأرانب والطير وحتى من الحيوانات الأليفة المستأنسة عند الناس استأجروا الحراس،[1] كما لم يتوانوا في إحاطة الحقول والبساتين بالأسوار والأسيجة والأشواك وغيرها(الزرب).[2]

5- تقنيات الري ووسائله:

تعرضنا في الفصل الأول إلى مصادر المياه التي كان يعتمد عليها الفلاحون في سقي مزارعهم ومحاصيلهم، ومنها مياه الأنهار والأودية، ومياه العيون، ومياه الأمطار والثلوج وغيرها؛ ولما كان "لا يصلح عيش حيوان ولا نمو نبات إلا بالماء"[3] اجتهد الفلاحون في توفير هذا العنصر الحيوي من مصادره والمحافظة عليه لأن به تكون حياتهم وحياة مزارعهم وحيواناتهم، لذا فكروا في استخدام تقنيات مختلفة تساعدهم على استغلال المياه بطرق ناجعة سواء كانت هذه المياه سطحية أو باطنية، خاصة في المناطق الجغرافية التي تقل بها المياه وتندر بها الأمطار كصحراء المغرب الأوسط.

وفي هذا المضمار تكشف لنا المصادر عن عبقرية الفلاحين على العهد الزياني في وضع تقنيات ووسائل وأساليب مختلفة في استخراج المياه وجلبها وتخزينها، كما تشير إلى وجود خصوصيات للري في مناطق جغرافية دون أخرى؛ ولعل ما يقع دليلا على ذلك وجود نموذجين اشتهروا بأعمال الري في المغرب الأوسط، فالأول: أبو الحسن علي بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن من أهل القرن السابع الهجري الذي كان "من أعلم الناس بأمور الرّي والمباني"،[4] والثاني: أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن علي التازي[5] الذي جلب لمدينة وهران "ماء عظيما قد جمعه من محاله بتدبير اقتبسه، أي اخترعه وابتدعه بتوفيق

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:200، 226، 227، 234/ج:9، ص:11.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:18، 41،67، 68.

[3]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:106.

[4]- قطن بجاية فطالت مدته بها، ثم وليَ تلمسان وبنى بها المباني المشهورة، توفي بمراكش سنة 605ه. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي(685ه)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار المعارف، القاهرة-مصر، الطبعة الرابعة، 1990، ص:150-151.

[5]- نزيل وهران، أصله من بني لنت بتازة، عرف بالعلم والبلاغة والنظم، والولاية والزهد والورع، وهو من تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري، توفي سنة ست وستين وثمانمائة. ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 128-130؛ القلصادي، **المصدر السابق**، ص: 111؛ محمد بن عمر الملالي، **المصدر السابق**، ص:76-77؛ ابن القاضي المكناسي، **المصدر السابق**، ص:100.

من الله واعانته" وقد اغتبط أهل وهران لهذا العمل الذي رفع عنهم مشقة عظيمة من قلة الماء،[1] ولعل ابراهيم التازي اقتبس من تجارب السابقين واستفاد من خبرات علماء الفلاحة والبناء في كيفية استنباط المياه وطرق هندستها وجرها حتى أوصل الماء إلى مدينة وهران، بعد أن جاء به من مكان بعيد.[2] وبغض النظر عن الانتماء الاجتماعي لهؤلاء إلا أن أعمالهم تعبر عن وجود تقنيات جر المياه ورفعها في المجتمع الاقتصادي بالمغرب الأوسط، وهو ما يكشف كذلك عن توفر التجهيزات والوسائل والأدوات المستعملة في السقي.

وتطالعنا المصادر كذلك بمعلومات ضافية وفي غاية الأهمية عن استخدام الفلاحين تقنيات مختلفة للري في كثير من مدن المغرب الأوسط، وسنحاول من خلال الجدول الآتي الإشارة إلى كل تقنية ومعناها وذكر المكان الذي استعملت فيه.

---

[1]- الراشدي أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، **القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1991، ص:62-63؛ ابن صعد، **النجم الثاقب ...**، **المصدر السابق**، ص:52-67؛ ابن صعد التلمساني، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص:150.

[2]- ابن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، ص:197؛ ينظر: عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف ...**، **المرجع السابق**، ص:292-293.

التقنية أو آلة الري	تعريفها	مكان وجودها	المصدر
القنوات أو الأسراب أو القواديس	- وهي المسالك المستخدمة لتوريد المياه إلى المدن والحقول والسقايات والحمامات، وكانت تصنع على العهد الزياني من مادة الفخار على شكل أنابيب.[1] وإن تعددت أسماؤها فهي تلتقي في الوظيفة التي هي نقل الماء. إلا أن القواديس في بعض الأحيان تعني نوع من الأوعية الفخارية، كانت تنتظم على شكل سلسلة على ظهر الناعورة فتغرف الماء من البئر[2] أو الوادي إلى الحقل.	- على سبيل المثال مياه عين الوريط كانت تزود كل مرافق مدينة تلمسان من مساجد ومدارس وسقايات وقصور ودور وحمامات وصهاريج، عبر قنوات سرية مدفونة في التراب وما زاد عن حاجة هذه المرافق كان يوجه إلى مغارس الشجر ومنابت الحب. - وكان الفلاحون بمدينة البرج (غرب مدينة بسكرة) يسقون حقولهم بالماء المجلوب إليها في القناة. - وكان شرب أهل الجزائر من عين كبيرة تصلهم مياهها بقنوات ممدودة تتوزع على مختلف الجهات.	- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:1، ص: 86. - الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:8، ص:403/ ج:7، ص:11، 55. - الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 139. - ابن صعد، **روضة النسرين، المصدر السابق**، ص:129. - مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 364.
المَذَانِب	- المِذنَبُ، في اللغة المِغْرَفة، ومسيل الماء إلى الأرض.[3] وفي تعبير ابن خلدون على ماء الوريط "تتجاذبه أيدي المذانب"، لعله يقصد نوعا من الناعورة التي تشبه المغرفة أو الملعقة، وتنقل الماء من الموضع المنخفض من الأرض نحو الموضع المرتفع عن الماء. لذا قد تعرف في بعض الأحيان بالدواليب.	- بالقرب من مدينة تلمسان. - وببجاية.	- ابن خلدون يحي، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:1، ص: 86. - البلوي، **تاج المفرق، المصدر السابق**، ج:1، ص:148،149، 153، 166.
المواجل أو المواجن	- في اللغة "المَأجَل وجمعه مآجل: وهو حوض واسع يجمع فيه الماء، ثم يفجر إلى المزارع وغيرها".[4] كما	- كانت تقام في البيوت على شكل صهاريج أرضية لها أفواه مغطاة فتجمع فيها مياه المطر، ومنها	- الغبريني، **عنوان الدراية، المصدر السابق**، ص:151؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**،

[1]- تشير الحفريات الأخيرة بقصر المشور إلى اكتشاف العديد من الآثار المختلفة منها مجموعة قنوات صرف وتوزيع المياه، ومراجل فخارية وهي في غاية الدّقة، خاصة منها مجموعة الأقنية التي تميزت بلونها الأحمر الآجوري وبملمسها الرطب رغم طول الزمن، بعضها كامل التفاصيل، وشكلها مستقيم جدا.

[2]- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية (جمهورية مصر العربية)، دار الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2004، ص:719؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:417.

[3]- **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:316.

[4]- **نفسه**، ص:7؛ ابن أبي زيد القيرواني أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن(386هـ)، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تحقيق: محمد عبد العزيز الدباغ، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1999، المجلد:11؛ ص:8.

	يعني الحفر المعدة لتخزين الماء إلى زمن الحاجة.[1]	المواجن أو المواجل الفلاحية المعدة لتجميع مياه المزن وغيرها. - وقد ذكر ابن حوقل أن أرجكوك (أرشقول) كان بها "مياه ومواجن كثيرة للمراكب وأهلها والمحتاجين إليها في سقي سوائمهم".[2] - وكان بمدينة الجزائر خزانات للمياه.	**المصدر السابق**، ص:69؛ الفرسطائي، **القسمة، المصدر السابق**، ص:283؛ مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص: 364؛الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:5، ص:86/ج:9، ص: 536.
الجسور أو القناطر	- الجسر أو القنطرة هي مجاز بين نقطتين، يُبنى فوق الأنهار أو الأودية للعبور، لكن المصطلحين ارتبطا كذلك بالفلاحة ولا سيما الري، حيث استعملا كعناصر هندسية لجلب المياه وتوزيعها، أو لحمل قنوات الماء إلى المناطق المراد سقيها، والسبب في ذلك اختلاف مستوى سطح الأرض، وبطئ تدفق المياه، لذا فالقنطرة أو الجسر تضمن تدفق المياه واستمرارها فترات طويلة. وكانت تبنى من الحجارة وغيرها من مواد البناء مع مراعاة نسبة ضئيلة من الانحدار لضمان انسياب المياه. فإذا كان عليها أن تجري في وادٍ، أو منطقة منخفضة، كانت تشيد لمرورها قناطر حجرية تعلوها قنوات المياه؛ كما يأخذ الجسر في بعض الأوقات معنى السد، حيث يبنى من التراب والحجارة وغيرها في المنطقة المراد إرواؤها ليحجز المياه المنسابة نحوها فيساعد الجسر على مكث تلك المياه بها فتغمر الأرض بها وترتوي، وقد يكسر الجسر بعد نهاية العملية.	- رغم أن بعض النوازل – القليلة جدا- أشارت إلى وجود التقنية، إلا أننا لم نتوصل من خلال مصادر الجغرافيا والرحلة إلى المناطق التي استخدمت فيها ببلاد المغرب الأوسط.	- الفرسطائي، **القسمة، المصدر السابق**، ص:307،308، 312، 313. - الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:5، ص:350.
المصارف	- وهي عبارة عن سواقي تستحدث على جنبات الوادي ترفع عبرها المياه لينتفع بها في الزراعة وغيرها؛ وكان الشركاء في مياه الوادي يقتسمون	- انتشرت هذه التقنية في المناطق التي تتوفر بها الأودية والأنهار، وكذلك في المناطق التي تندر بها الأمطار حيث يرتقب تساقطها،	- الفرسطائي، **القسمة، المصدر السابق**، ص: 297، 298، 300، 336؛ الونشريسي،

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:536/ج:7، ص:340. وكان أهل برقة وسرت يشربون من ماء المطر المدخر في المواجن، يصفها اليعقوبي في قوله: "برك عظام قد عملتها الخلفاء والأمراء". **كتاب البلدان، المصدر السابق**، ص: 132؛ ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص: 69، 71. أنظر تفاصيل أكثر حول المواجل: مسطاري بوكثير: "المنشآت المائية بإفريقية خلال العصر الوسيط دراسة حول استعمالات المفاهيم ودلالتها من خلال كتب النوازل"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد:15-2013/16، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، ص:132، وما بعدها.

[2]- **المصدر السابق**، ص: 79.

	سهامهم فيها وتكون مصارفهم على قدر سهامهم في الماء. وقد تجعل في بعض الأحيان كمسالك لتحويل مياه الأمطار والفيوض إلى الحقول والبساتين.	فإذا هطلت وأقبل سيلها تجاذب الشركاء في الوادي السيل إلى مصارفهم عن طريق سد مجرى الوادي حتى يرتفع الماء إليها.	**المعيار، المصدر السابق**، ج:5، ص:153-154.
الصهاريج	- وهي عبارة عن أحواض كبيرة للماء،[1] وكانت توضع في أماكن مرتفعة نوعا ما حتى ينساب الماء منها إلى المساقي بسهولة، عبر قناة خارجة من إحدى جنبات الصهريج المواتية لاتجاه السقي.	- الصهريج الكبير بتلمسان البالغ طوله مائة وخمسون (150) مترا وعرضه مائة وأربعون (140) متر في عمق ثلاثة (3) أمتار، وكان إنشاؤه حوالي 735ه وكان يستعمل هذا الحوض للسباق بين الزوارق والقوارب في أيام الأعياد والاحتفالات الملكية، وللسقي في الأيام العادية.[2] - الصهريج الكبير بطبنة.	-**كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:172؛ ابن خلدون يحي، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:1، ص: 86؛ محمد بن عمرو الطمار، **تلمسان، المرجع السابق**، ص:129؛
الآبار	- تعتبر البئر مصدرا من مصادر السقي التي اعتمد عليها الفلاح بالمغرب الأوسط، حيث لجأ إليها كوسيلة لتنويع مصادر السقي وضمان وجود المياه في أوقات توقف المطر، فكان يقوم باستنباط المياه الجوفية انطلاقا من اختيار موضع حفر البئر في مكان له مقومات معينة منها: أن يكون في مكان مرتفع يسمح بدفق الماء إلى كل الجهات، أن يستمر تدفق المياه عبر كل فصول السنة، أن يكون قريبا من الوادي أو النهر فيزيد منسوبه بزيادة منسوب الوادي.[3]	- انتشرت هذه التقنية في الكثير من بلاد المغرب الأوسط فنجدها في كل جهاتها، فكان في هنين بكل دار بئر من الماء العذب؛ وبأرشقول "آبار عذبة لا تغور تقوم بأهلها وبمواشيهم"؛ وعلى مثل ذلك كانت مليانة في الآبار وعذوبة مياهها؛ وأحيا أهل تمنطيط (توات)ببلاد الصحراء أرضها بإخراج مياهها وغرس نخلها؛ وكانت ببرشك مياه جارية وآبار معينة؛ ومهّد بنو المقري الجد طريق الصحراء(طريق تجارة الذهب العالمي) بحفر الآبار وتأمين التجارة؛ وكان أهل واركلا (ورقلة) يحفرون آبارا يصل عمقها نحوا من خمسين قامة، يستغلون مياهها ويتعهدونها بالكنس إذا احتاجت لذلك.	- الوزان، **وصف افريقية، المصدر السابق**، ج:2، ص:15؛ البكري، **المُغْرِبْ ...، المصدر السابق**، ص:79؛ عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص:547، **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:171؛ الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:2، ص:252؛ ابن حوقل، **صورة الأرض، المصدر السابق**، ص: 78؛ المقري، **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج:7، ص:196-197؛ العياشي، **الرحلة**،

[1]- **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:527؛ ابن ليون التجيبي، **المخطوط السابق**، ص:49(الظهر).

[2]- ويشير كتاب زهر البستان أنه لما توفى المولى أبو يعقوب والد أبي حمو موسى الثاني في شهر شعبان سنة 763ه/1362م بمكان يسمى "خميس" من ظاهر مدينة الجزائر في مقدمه منها إلى تلمسان، فنقل جثمانه إليها ودفن بدار أبي عامر، وقد أمر أبو حمو موسى بإقامة مدرسة لقراءة القرآن والعلم على روضة أبيه، انطلق في تشييدها في نفس السنة، وكان من بين مباني المدرسة صهريج مستطيل. **المصدر السابق**، ص:335.

[3]- عبد الهادي البياض: "تقنيات استخراج المياه وترشيد استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية"، **مجلة البادية المغربية**، العدد:2009/03، مكتبة دار السلام، الرباط-المغرب، ص:64؛ محمد بن عميرة: "التجارة المائية في كتب الفقه والنوازل ببلاد المغرب"، **ضمن كتاب المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص:12، وما بعدها.

			المصدر السابق، ج:1، ص: 118-119.
السدود	- هي عبارة عن أحواض متفاوتة السعة تقام على الوديان والجداول ومسالك سيول المطر لتجميع المياه قصد استعمالها في السقي، أو تحويل مياه الأودية إلى القنوات، أو لإدارة النواعير والأرحاء، أو للحد من الفياضانات.[1]	- تشير المصادر إلى أن السدود كانت تقام على الأنهار والأودية كحواجز لتخزين المياه، حيث يستأثر كل قوم بسدهم ليضمنوا تدفق المياه إلى مزارعهم. ولا نملك في هذا الباب إلا إشارة واحدة صريحة حول بناء السدود بالمغرب الأوسط ترجع إلى أبي الحسن المريني حيث قام في فترة سيطرته على ملك بني زيان بإنشاء سدّ سيرات.[2]	- الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:8، ص:402-403؛ ابن مرزوق، **المسند**، **المصدر السابق**، ص:418؛ **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:172.
السواني	- لها معنيان، الأول: "الغَرْبُ وأداته، ...، تجره الماشية ذاهبة وراجعة"، والثاني: " الإبل يُسْتقى عليها الماء من الدواليب. فهي أبدا تسير".[3] - والسانية في الواقع تتكون من العجلة المجهزة بالأواني الفخارية التي تغترف الماء عند إدارتها، ومن بهائم التدوير كالبقر والابل والحُمُر، وبعض الأجزاء الخشبية التي تشكل محور تدوير العجلة.	- تشير مصادرنا إلى أن التقنية استخدمها أهل قرية بني واريفن الواقعة على نهر شلف وكان عدد السواني التي في حالة عمل كثيرة، وكان سكان مدينة الخضراء يسقون بساتينهم بماء النهر القريب منها بالسواني، وكانت مزارع حصن سوق كران تسقى من نهر شلف بنفس الآلة.	- الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:5، ص:148/ج:9،ص: 417، 560؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، **المصدر السابق**، ص:89.
النواعير	- مفردها ناعورة وناعور، وهي عبارة عن قرص مدور متسع المحيط مخروق الوسط، وعليها الأواني الفخارية، وبدورانها تحمل المياه، ثم تلقيها من عل[4] فتقع في ساقية فتحولها إلى المواضع المرتفعة من الأرض فتسقيها، والظاهر أنها توضع في نفس اتجاه حركة مياه الوادي أو النهر حتى تحركها شدة التيار. وتفوق طاقة	- منها ما أقيم على نهر بجاية الذي يبعدها بميلين، حيث صنعت عليه الكثير من النواعير ترفع الماء إلى الكثير من الجنات التي كانت على ضفاف النهر المذكور.[2]	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:130؛

[1]- سعيد بن حمادة، **الماء والانسان في الأندلس خلال القرنين 7و8ه/13و13م**، دار الطليعة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص:52-53.

[2]- لم يذكر المصدر الذي انفرد بهذه المعلومة تاريخ هذا الانجاز بالضبط، ولا طريقة بنائه، ولا الأغراض التي بني من أجلها، ولعل تسميته بسد سيرات لأنه أقيم على وادي سيرات، ويحتمل أن يكون سبب بنائه توفير المياه لسقي أراضي سهل سيرات الذي سمي الوادي باسمه. **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص: 178، 179؛ الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:470.

[3]- **المعجم الوسيط**، **المرجع السابق**، ص:457. والغَرْبُ: تعني الدلو العظيمة، وهي جزء من آلة تنصب على البئر لرفع الماء، وتتكون من ثلاثة أعمدة تشكل شبه مستطيل يثبت جيدا على حافة البئر، ويتوسط ضلعه العلوي بكرة، بها الحبل قد ثبّتَ به الغَرْبُ، وتجر الابل الحبل حتى يرفع الماء من البئر للسقي أو الشرب، وهذه التقنية كانت قديما ولا زالت إلى يومنا هذا في بعض القصور بالجنوب الجزائري. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، دار الحديث، القاهرة-مصر، د.ط، 2008، ص:257؛ وينظر: عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص:65.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار ...**، **المصدر السابق**، الهامش رقم:132، ص:176.

	الناعور السقوية طاقة الدولاب وهي أسرع منه.[1]		
الفقارة	- "وهي آبار متعددة بفقر من جنب كل واحد إلى آخر"؛[3] والفقارة تتشكل من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تجتمع بها المياه الجوفية، وتسير مياه هذه الآبار في مجرى أرضي ذو فوهات تنحدر ببطء إلى أن ينتهي المجرى بحوض كبير أشرنا له فيما سبق باسم المأجل أو الماجن، تخرج منه أقنية تحمل المياه إلى الجنات؛[4] ويجزأ الماء إلى أجزاء كثيرة أو أنصبة بالأيام، أو اليوم الواحد إلى أجزاء كثيرة؛ أو يقسم باعتبار العلامات الفلكية كالقمر وحركة الظل في النهار، أو بالدقائق والساعات، أو	- مجال وجود هذه التقنية كما يعبر عن ذلك أبو سالم العياشي "وعلى هذا المنوال ماء هذه البلاد(الصحراوية) كلها".	- العياشي، **الرحلة، المصدر السابق،** ج:1، ص: 82.

[2]- وتتضمن إحدى النوازل اشارة إلى اقامة بعض الفلاحين الناعورة لجلب المياه، وهي: " جوابكم فيمن، ...، صنع ناعورة يجلب بها الماء إلى أرضه، فهل يجوز لأحد أن ينتفع بذلك الماء في حال مروره إلى أرض صاحبه بوجه من وجوه الانتفاع أم لا؟". الونشريسي أحمد بن يحي، **النوازل الجامعة**، تحقيق: شريف المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2011، ص:407.

[1]- الموساوي العجلاوي: "تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة بالمغرب(2-7هـ/8-13م)"، **ضمن كتاب: الماء في تاريخ المغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، 1999، ص:106؛ وينظر: بيداء محمود حسن حميد القيسي، **الزراعة والرّي في الأندلس في عصري الامارة والخلافة(138-422ه/756-1030م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، 2005، ص:93.

[3]- العياشي، **المصدر السابق،** ج:1، ص: 82. ولا زالت بعض المناطق من مدن الجنوب الجزائري اليوم تعتمد على الفقارة كأسلوب للسقي، كمنطقة توات، وقصر بوزقزاد بزاوية كنتة وغيرها، حيث يشاهد الزائر صورة مذهلة عن قناة باطنية يتراوح طولها بين سبعة وثمانية كيلومتر انطلاقا من البئر الرئيسي الذي يلامس طبقة المياه الجوفية، ويتم ربط القناة بواسطة آبار يفصل بينها مسافة تتراوح بين عشرة إلى خمس وعشرين مترا، وهي تيسر على الحفار والكناس عمليات حفر وكنس القناة واصلاحها، يتراوح ارتفاع القناة ما بين واحد ونصف متر و اثنان من الأمتار، أما عرضها الذي يشكل مجرى الماء فيتراوح بين خمسين و ثمانين سنتيمترا، وقد يفوق عمق آبار الفقارة في بعض الأحيان خمس عشرة مترا، وعن طريق هذه القناة تجري المياه من المناطق العالية لسقي الأراضي المنبسطة، ويتم حفر هذه القناة بطريقة خاصة بحيث يكون سقف القناة على شكل قوس يوزع قوة ضغط التراب من الأعلى، ويجب أن تكون على درجة يسيرة من الانحدار حتى يسهل جريان الماء من البئر الرئيسي أو المنبع إلى أماكن الاستغلال.

[4]- فرج محمود فرج، **اقليم توات خلال القرنين 18-19م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص:55؛ عبد الرحمن محمد بوعثمان: "نظام السقي في الجنوب الغربي الجزائري: نظام الفقارة في منطقة توات أنموذجا- دراسة من خلال المصادر المحلية"، **دورية كان التاريخية**، العدد:22، ديسمبر 2013، ص ص:144-150؛ وينظر: الموساوي العجلاوي، **المرجع السابق،** ص:111؛ مبروك مقدم، **الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2016؛ سعيد بن حمادة، **المرجع السابق،** ص:59؛ عبد الرزاق السعيدي: "الانسان والمجال بواحة الجرف تافيلالت: نماذج من التاريخ الوسيط والحديث في تدبير أنظمة الماء وتحقيق التوازن البيئي"، **مجلة الانسان والمجال،** العدد: 05 / أفريل 2015، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي البيّض – الجزائر، ص:169.

	تقسم الأنصبة على ملاك البساتين وفق آلة تعرف بالشقفة[1] بعد أن تجمع المياه في موضع واحد يعرف بالقسرية ومنها عن طريق مشط التوزيع تمج المياه عبر السواقي إلى استغلالية كل مالك؛ وتدوّن الأنصبة وملاكها ونوبات سقيهم وأوقاتها في كتاب يسمى "الزمام".[2]		
السواقي	- وهي عبارة عن قنوات ترابية على سطح الأرض، تشق بالمحاريث ومعاول الحفر، وتستخدم لجلب المياه إلى أحواض الزرع والبساتين والحوائط، والسواقي قسمان الساقية الأصل والساقية الفرع، فالساقية الأصل تشق مرة واحدة في موضع يسمح للفلاح ضمان وصول الماء من خلالها إلى كل الحقول، ويتعهدها في المواسم بالكنس والتنقية من الأعشاب التي تقلل سرعة الماء؛ أما السواقي الفرعية فتشق انطلاقا من الساقية الأصل لتزود الأقسام المختلفة للمزرعة، حيث تخصص لكل محصول ساقية تنطلق من الساقية الأم مباشرة. وعن طريق السواقي يتم إرواء حقول المزرعة بالتدرج.	- استخدمت هذه التقنية في إرواء معظم الأراضي الزراعية السقوية بالمغرب الأوسط، خاصة القريبة منها من مصادر المياه؛ ونجدها حاضرة دائما كعنصر رئيسي يدخل في منظومات تقنيات السقي المشار إليها في الجدول. وتشير المصادر إلى أن ملكية الساقية كانت في بعض الأحيان ترجع إلى الجماعة حيث كانوا يتقاسمون السقي بينهم بالنصيب والنوبة(الدولة)، كما يتعاونون على خدمتها وكنسها وتنظيفها، وفي أحيان أخرى ملك للفرد أو الأسرة، وبالتالي مهمة القيام بأعبائها تكون على عاتقهم.	- الفرسطائي، **القسمة، المصدر السابق**، ص: 336، 422، 427؛ الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:7، ص:99/ج:9، ص:71، /ج:5، 148، 202.
الشادوف	- وهو من آلات رفع الماء، وهو عبارة عن عمود مثبت بين ساريتين من الخشب أو الحجارة، فوقه عمود خشبي آخر طويل علق في أحد طرفيه دلو كبير، وثبت في طرفه الآخر حجارة لتثقيله، فإذا أدخل الدلو إلى مكان الماء واغتمر صعد بدون عناء بسبب قوة الثقل.	- لا زال الشادوف مستعمل إلى يومنا هذا في البلاد الصحراوية، غير أنه يعرف باسم الخطارة.	- **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:457؛ بيداء محمود، **الزراعة والري، المرجع السابق**، ص:97.

تلك هي إذا أهم آلات وتقنيات السقي التي بذل الفلاح الزياني جهده في تشييدها وسهر على صيانتها والاعتناء بها، لإنجاح وتطبيق خططه في إرواء حقوله ومحاصيله الفلاحية، وكذلك من أجل حصد أكبر مردودية من الانتاج؛ ولا يخامرنا أدنى شك في أن اتقان انسان المغرب الأوسط لتقنيات الري وأساليب جر المياه ورفعها، كان له أثره العميق في بناء حضارة الزيانيين في المغرب الأوسط، ويبدو أن المشاهد الفلاحية التي صورها بعض الجغرافيين والإخباريين، عن بعض مدن المغرب الأوسط وبواديه، حول الرياض

[1]- ينظر: **الملحق رقم**:07.

[2]- ينظر: **الملحق رقم**:08.

والأدواح، والبساتين الرائقة المزخرفة والمعروشة، والغراسات المنمقة، والمنسقة بين الطول والعرض، والحدائق الغلب التي تعج بأصناف الفاكهة بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، والمتنزهات الرائعة، لأكبر دليل على ما أخرجته يد الفلاح بالمغرب الأوسط بتوفر عنصر الحياة (الماء) وتطور تقنية الري.

ولما كان الماء والسقي متلازمان لا ينفصلان عن الزمان والمجال الذي يشغله الانسان أو القبيلة أو الدولة، فقد تحكما إلى حد كبير جدا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية[1] في بعض الأحيان للجماعات البشرية من خلال نظام الري الذي كانت تخضع له، والذي كان بدوره يحتكم لإطار تشريعي فقهي[2] مبني على ثلاثة مبادئ[3] هي:

1- التشارك[4]: الذي يعني تقاسم منافع المياه بالتساوي.[5]

2- نفي الضرر: من خلال حماية المصلحة العامة للشركاء، ويتجلى ذلك عند حدوث النزاعات.[1]

---

[1]- ذلك لأن الماء كان يشكل حدودا القبائل ومضارب ضعنها واقامتها، وملكيته ترجع لمن حازه أولا، أو لمن احتفره، أو لمن أجراه، لذلك كانت تعرف مصادر المياه منذ عهود بعيدة بأسماء مالكيها من القبائل أو الأسر؛ غير أن القاعدة الفقهية تشير إلى عدم منع الماء الذي زاد عن الحاجة لمن يحتاجه؛ كما أن الماء المشترك هو ماء السّماء والعيون والأنهار والغدران التي لا مالك لها تكون بين الناس يتقاسمون منافعها بالسوية. ويظهر من خلال كتب النوازل أن ملكية الماء كانت على ثلاثة ضروب، **ملكية خاصة أو فردية:** تتيح لصاحبها حق التصرف في بئره الذي احتفره، أو شربه وساقيته الذي له عقد ملكيته، بالبيع والكراء والميراث، ... وغيرها؛ **وملكية جماعية:** حيث يكون مصدر الماء دولة بين شريكين أو جماعة، ويحددون نوبات السقي وأوقاتها بينهم ليلا ونهارا؛ **ومصادر مياه محبّسة:** من آبار، وعيون، وسواقي، وسقايات على مختلف مصالح المسلمين، كانت تخضع لإدارة ناظر الأحباس، وكانت تستغل للأغراض التي إشترطها المحبس، أو تمنح لمن يحتاج إلى استغلالها مؤقتا عن طريق الكراء. الونشريسي، **المنهج الفائق ...، المصدر السابق،** ص:122؛ أبو عمران موسى بن أبي علي الزناتي(ت:706هـ)، **كتاب الإحكام لمسائل الأحكام،** تحقيق: أحمد إيد موسى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2017، ص:221 المازوني، **المصدر السابق،** ج:3، ص:127/ج:4، ص:61؛ الونشريسي، **المعيار ...، المصدر السابق،** ج:5، ص:111، 112، 148، 202/ج:8، ص:407؛ 292، 408، 410؛ عبيد بوداود، **الوقف في الغرب الاسلامي، المرجع السابق،** ص:350.

[2]- بلبشير عمر، **المرجع السابق،** ص:198.

[3]- سعيد بن حمادة، **الماء والانسان ...، المرجع السابق،** ص:19-20؛ محمد الشريف، **قضايا في تاريخ المغرب والأندلس،** مطبعة الهداية، تطوان-المغرب، الطبعة الأولى، 2015،ج:1، ص:126.

[4]- يدل على ذلك حديث ابن عباس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار. وثمنه حرام". ابن ماجة أبو عبد الله بن محمد القزويني، **سنن ابن ماجة،** تخريج وعناية: صدقي حسين العطار، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص:573.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:8، 35. راجع: نازلة حول قسمة عين ماء مشتركة بين أناس يسقون منها جناتهم. **نفسه،** ج:5، ص:111-112؛ أبو عمران موسى الزناتي، **المصدر السابق،** ص:288.

3- العرف والعادة: ما تعارف عليه الناس واعتادوا عليه في تسيير ملكية الماء وقسمته بينهم، دون أن يخالف أصلا من أصول الشريعة.[2]

وبالإضافة إلى ما تم تقديمه من معلومات في الجدول السابق حول وسائل الري وتقنيات السقي التي استخدمها الفلاح الزياني، تشير المصادر الجغرافية إلى وجود نظام للسقي بالمغرب الأوسط على العهد الزياني يقع شاهدا على تضلع فلاحي العصر في تدبير الماء وتنظيم أوقات السقي، فيذكر الوزان أن الأغلبية من أهل مدينة البرج كانوا فلاحين يشتركون في قناة واحدة تمد كل حقولهم بالماء للسقي، وبسبب أن ماء القناة قليل، فإنهم أخذوا يتداولون الماء بينهم، فيأخذ أحدهم الماء ساعة أو ساعتين ثم يرسله للآخر، وكانت تقاس مدة سقي كل فلاح بالساعة المائية.[3]

كما أن النوازل تشير إلى مفاهيم واصطلاحات مختلفة، تتضمن دلالات واضحة على تجذر نظام السقي بين الفلاحين في مختلف جهات المملكة الزيانية منها: حقوق في أنهار، حَظ، شِرْب،[4] قسمة الماء الهابط، توزيع ماء السيول الأعلى فالأعلى،[5] السقي بالنوبات،[6] الشرب على المعتاد والمتعارف، السقي بالدولة.[7]

ما نستشفه من خلال هذه الاصطلاحات هو أن مصادر المياه المشتركة مهما كانت أنهارًا أو سيولاً أو عيونًا أو سواقي كانت مقسمة بين الشركاء وفق عقود شرعية، حيث

---

[1]- على سبيل المثال المشاكل والخصومات التي كانت تحدث بين الفلاحين بمدينة البرج، كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى الاقتتال. الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:139؛ وأنظر: الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص: 70-71.

[2]- **نفسه**، ج:5، ص: 148-149. وفي نازلة أن العادة في قسمة الماء إستمرت في بعض الأحيان إلى ما يزيد عن الخمسين عاما. **نفسه**، ج:5، ص:111-112.

[3]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:139؛ وقد وجدت هذه التقنية عند أهل قفصة، كما وجدت عند أهل المغرب الأقصى ولا زالت، خاصة في المناطق التي تندر بها المياه أو تقل، لذلك كثيرا ما كانت تنشب الخصومات حتى في وجود هذه التقنية لأن عدم توفر الماء بالقدر الكافي الذي به تكون الغلة يجعل جهود الفلاح تذهب هباء إذا عطشت الغلة ويبست قبل أن تينع. **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:153؛ وأنظر: ابن صعد، **النجم الثاقب**، **المصدر السابق**، ص: 144.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:111/ ج: 9، ص: 71؛

[5]- **نفسه**، ج:5، ص:12-13.

[6]- الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:427؛ الشماخي، **المصدر السابق**، ص:493.

[7]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:148.

يتضمن عقد كل شريك نصيبه من الماء "الحظ، الشرب، الحق" حسب مساحة أرضه، ووقت السقي الخاص به وهو "النوبة" أو "الدولة"، وتكون مدة النوبة للسقي حسب ما تذكره المصادر من الغدوة إلى الزوال، أو من الزوال إلى العصر، ونوبة النهار تبدأ من بزوغ الشمس إلى العصر، ونوبة الليل تبدأ من المغرب، أو يوم ونصف من كل يوم جمعة،[1] أو يوم لكل قوم على مدار أيام الأسبوع،[2] أو ليلتين ويومين في كل تسعة أيام، أو يوم وليلة في كل عشرة أيام،[3] أو على نوبات متفرقة، أو في أشهر متفرقة.[4]

ولم تكن النوبة بحدودها الزمنية هي المعرّف الوحيد لدى للفلاحين لمعرفة وقت بداية السقي وانتهائه، بل كانت هناك تقنية أخرى وهي الساعة المائية التي أشرنا إليها، وهذه التقنية كانت منتشرة قديما بإقليم الواحات من بلاد المغرب، ونعتت بعدة أسماء فتسمى "القادوس" بواحة نفزاوة التونسية و"العالية" بالجزائر، و"الخروبة" بواحة فكيك، و"تناست" في منطقة سوس بمراكش حيث اشتق اسمها من النحاس "أناس" في اللسان الأمازيغي. وتسمى ب:"الشكفة" بواحات المغرب الأوسط، وعرفت في بلاد الأندلس في المغرب الوسيط باسم فيلاس.[5]

والساعة المائية (أو تناست) عبارة عن إناء صغير نصف كروي مصنوع من النحاس، ويثقب هذا الإناء في أسفله بالشكل الذي يسمح بالنفاذ التدريجي للماء إلى داخله وتختلف سعته المائية حسب الحصة المائية التي يقيسها، وقد رسم في وسط الساعة المائية داخلا: النصف والربع بخطوط مستديرة محبوكة الصنع،[6] ويشرف على عملية مراقبة قياس الماء وتوزيعة حسب المتعارف عليه شخص من أهل المدينة أو القصر أو الواحة يختاره

---

[1]- **نفسه**، ج:5، ص:111،112.

[2]- **نفسه**، ج:9، ص:71.

[3]- الونشريسي، **المنهج الفائق ...**، **المصدر السابق**، ص:122.

[4]- الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:427.

[5]- عادل حرمة الله: **"تقسيم الماء عند المغاربة: تناست نموذجا":**

http://hremtellah.blogspot.com/2013/08/blog-post_7255.html, samedi 5 janvier 2013, 14 :29.

[6]- **نفسه**.

الملاك أو المنتفعون بالماء؛ ويبدأ عمله بوضع الإناء النحاسي تناست[1] في وعاء أكبر مملوء بالماء لتطفو فوقه، وباستمرار دخول الماء من ثقب الإناء النحاسي يمتلأ هذا الأخير ويغوص إلى أسفل الوعاء ويسجل بذلك القياس المائي في إناء واحد،[2] وتكرر العملية مرة فمرة حتى يستوفي المالك شربه أو نوبته من الماء، ثم يوجه الماء إلى المستفيد التالي، ثم الذي يليه وهكذا دواليك.

وعلى الرغم من أنّ نظام السقي بطابعه الفقهي المالكي جاء كحتمية لتأطير عملية قسمة الماء بين الأفراد والجماعات، وتحقيق التعاون عند المسغبة، لأن عملية القسمة تتيح للجميع الاستفادة من الماء، كما جاء لحسم الصراع وقطع دابر النزاع، إلا أن الخصومات عن الموارد المائية كانت لا تنقطع، ومن الأسباب التي كانت تغذيها في بعض الأحيان حسب بعض النوازل: النزاع حول قسمة الماء الهابط على الوادي، وقد تضمن جواب المفتي على النازلة أن القوم الذين رفعوا الساقية من الوادي أولا هم "يسقون أرضهم منه الأول فالأول، ثم الذين يلونهم إلى آخر أرضهم"،[3] وكان تراجع منسوب مياه النهر أو نضوبها بسبب الجدب وقلة المطر يدفع بعض الأقوام إلى مداخلة نهر لقوم آخرين فيمنعوهم من ذلك ولا يسمحوا لهم إلا بما فضل عن حاجتهم،[4] ومن بين أسباب الخصومة أيضا توارث حقوق القسمة في الماء المشترك، حيث تشير نازلة رفعت إلى الونشريسي من تلمسان "سيدي جوابكم في عين ماء مشتركة بين أناس يسقون منها جناتهم، فمنهم من حظه نهارا، ومنهم من حظه ليلا، ومنهم من حظه في غدوة إلى الزوال، ومنهم من حظه من الزوال إلى العصر، واستمرت العادة فيما ينيف على الخمسين عاما أن صاحب النهار يأخذ إلى العصر وما قبل هذه المدة المذكورة لا يعلم الآن كيف كان القسم فيها بين شركاء ذلك الوقت،... لانقراضهم عن آخرهم"،[5] ومنها أيضا النزاع حول مدة نوبة السقي في العين

---

[1]- ينظر الساعة المائية الملحق رقم:9، ص:

[2]- تدبير المياه في الواحات واحات غريس وفكيك بالمغرب: "الساعة المائية"، ***http://www.hydriaproject.info/arabic/cases/morocco/water_works.html, dimanche 3décembre 2017.***

[3]- الونشريسي، **المعيار...**، **المصدر السابق**، ج:5، ص:12.

[4]- **نفسه**، ج:9، ص:71، 72.

[5]- **نفسه**، ج:5، ص:111، 112.

المشركة،[1] ومنها عدم تسمية مقدار الشرب بالليل والنهار في عقد بيع نصيب الماء أو البستان،[2] وصور النزاع حول الماء كثيرة جدا وأسبابها متعددة، ذلك لأن عنصر الماء مرتبط دائما بالحياة.

ويبدو أن نظام السقي قد فرض على المستفيدين، في إطار الجماعة، من مصادر المياه مجموعة من التدابير الاجتماعية والتضامنية، ومنها كنس الآبار وإصلاح المساقي والمصارف إذا دفنت، [3] وتنقية السواقي والقواديس،[4] وذلك من أجل ضمان تدفق المياه بكثرة وبسرعة، وتمكين كل الشركاء من نصيبهم في الماء، وحتى يتسنى لهم كذلك سقي غلالهم في الوقت المحدد لها.

لقد حاولنا من خلال هذا الفصل تقديم معطيات تؤكد على أن الفلاح في العهد الزياني قد أدرك أصناف التربة وخواصها باستخدام الكثير من الطرق لاختبار جودة الأرض ورداءتها؛ وهنا جاءت أهمية معرفة أشكال ملكيات الأراضي الفلاحية في هذا العصر لأنه من خلال معرفة وضعياتها الفقهية أو القانونية تحدد وتضبط طرق استغلالها، ولعل النماذج المقدمة في هذا السياق تقف دليلا على ذلك.

كما حاولنا عرض أهم الوسائل والتقنيات التي استخدمها فلاحو العصر في العمل وتهيئة التربة والري، وقد أبانت المصادر جانبا حقيقيا وواقعيا عن اضطلاعهم بأساسيات النشاط الفلاحي لا سيما الحرث ومراحل تهيئة التربة، واتخاذ وبناء آلات الري كالسواني والنواعير والخطارات وبناء السدود والمواجل والجسور، ومد القنوات والسواقي والمصارف وغيرها.

ولا غرو فإن تحكم الفلاح الزياني في أساليب الحرث والغرس والري قد انعكس بالإيجاب في كثير من الأحيان على الإنتاج كما ونوعا، وهذا ما سنتعرف عليه في الفصل الموالي.

---

[1] - الونشريسي، **المنهج الفائق ...**، **المصدر السابق**، ص:122.

[2] - أبو عمران موسى الزناتي، **المصدر السابق**، ص:221.

[3] - الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:422، 427.

[4] - الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:55.

الفصل الثّالث:

الإنتاج الفلاحي والعوامل المؤثرة فيه

1- الحبوب وتوزيعها الجغرافي.

2- البقول والمقاثي والباقلاء وتوزيعها الجغرافي.

3- الفواكه والأشجار المثمرة.

4- محاصيل أخرى.

5- العوامل المؤثرة في الإنتاج الفلاحي.

تمهيد:

نهدف من خلال هذا الفصل الوقوف على أشكال الإنتاج الفلاحي في المغرب الأوسط بين القرنين السابع والعاشر الهجريين، كما سنحاول التطرق إلى الطرق والأساليب المتبعة في البذر والزرع والعناية والحراسة والحصاد والدرس وجني المحاصيل وكيفية التخزين والحفظ، وسنحاول كذلك توزيع المحاصيل الفلاحية انطلاقا من كتب الجغرافيا والرحلة على خارطة المغرب الأوسط لمعرفة كبريات مراكز الانتاج؛ كما سنعرج على العوامل المؤثرة على الانتاج الفلاحي كالتساقطات والسيول، ... وغيرها.

1- الحبوب وتوزيعها الجغرافي:

كان المغرب الأوسط يزخر بإمكانيات مختلفة جعلت منه قطرا فلاحيا، منها مصادر المياه المتنوعة: الأنهار، والأودية، والعيون، والآبار؛ والأراضي الزراعية الواسعة المتمثلة في السهول ذات التربة الجيدة، كسهل متيجة، وسهل ملالة بين وهران وتلمسان، وسهل تسالة(تسلة)، وسهل السرسو وغيرها. بالإضافة إلى التقنيات التي أدخلها الفلاحون بالمغرب الأوسط على الفلاحة كطرق تهيئة التربة وأساليب الري وآلاته المختلفة، ونظام السقي، وأشكال حماية الغلال بالزروب والأشواك والحوائط.

وما من شك أن المحاصيل التي كان الفلاح الزياني يبذل قصارى جهده لتوفيرها، قد ساهمت بقسط وافر في ترقية الحياة الاجتماعية والاقتصادية، لأنها في كل الأحوال كانت غذاء لأفراد المجتمع، ومصدرا من مصادر الدخل للفرد والدولة، ومادة أولية مطواعة في أيدي أرباب الصنائع والحرفيين.

وفي هذا الشأن تشير مصادرنا الجغرافية إلى أن الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط كان واسعا ومتنوعا في كثير من الأوقات، فالغالبية العظمى من بواديه وكوره ومدنه كانت تزرع الحبوب، وتغرس الكروم والزيتون والفواكه؛ وانفردت بعضها بإنتاج النباتات النسيجية كالقطن والكتان؛ واحتفظت أخرى بالنباتات الطبية.

وكان إنتاج القمح والشعير الغالب على كلّ الأنواع تقريبا، وكانت سهول الحنايا، المنيّة، الحرطون، لآلة مغنية، زيدور،[1] تسالة،[2] جبل بني ورنيد، جبل أغبال، المدية، مازونة ومليانة، برشك، مستغانم وشلف،[3] دلس، ميلة، قسنطينة، متيجة، تنس، تفسرة،[4] وتاهرت ووهران والجزائر،[5] كلها متخصّصة في إنتاج هذين المحصولين، بالإضافة إلى بعض المناطق الجبلية التي كان لها سهمها في هذه الزّراعة. ولعل انتشار زراعة الحبوب في بلاد المغرب الأوسط لا يدل إلا على أهميتها في توفير الغذاء المتمثل في مادة الدقيق الذي لا استغناء للإنسان عنه في حياته اليومية، يقول ابن عبدون التجيبي: "وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال".[6]

وتعتبر الحنطة أو القمح من أفضل أنواع "الحبوب وأقربها إلى الاعتدال لأنه أميل إلى الحرارة معتدل في الرطوبة"،[7] ومن أنواعه القمح الأحمر وهو أجودها، ولا يزرع في الأرض الرطبة الكثيرة لأن الآفات أسرع إليه فيها،[8]والقمح الأبيض، وتوافقه الأرض الرطبة،[9] والقمح الأسود، وهو لا يتأثر بالرياح وببرودة الأرض.[10]

---

[1]- **زيدور**: يقع سهل زيدور بين تلمسان ومدينة أرشقول، وطوله25 ميل، مشهور ببركة حرثه. البكري، **المسالك والممالك، المصدر السابق**، المجلد:2، ص:260؛ **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:134.

[2]- **تسالة أو تسلّة**: مدينة عريقة في سفح جبل تسالة، بنيت في سهل كبير ممتد على مسافة نحو20 ميل، ينبت به قمح جيّد، يمكنه وحده أن يزوّد تلمسان بما تحتاجه من حبوب، ومازال السّهل يحمل اسمها. الورّان، **المصدر السابق**،ج:2، ص:25.

[3]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 352، 353، 373، 374، 355، /ج:1، 109.

[4]- الورّان، **المصدر السابق**،ج:2، ص:42، 60، 135، 37، 36،24،

[5]- الجركسي محمد بن أحمد بن اياس الحنفي، نبذة من: **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، تقديم: ل. لنقلاس، مطبعة أمبريال، باريس، د. ت، ص:11 . سنذكر فيما يلي جُل المناطق التي اشتهرت بزراعة الحبوب.

[6]- ينظر: **رسالة في القضاء والحسبة**، تحقيق: ا. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، مجلد:2، ص:5.

[7]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص: 140-141.

[8]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 128؛ ابن وحشية، **المصدر السابق**، ص: 419.

[9]- الطغنري، **المصدر السابق، والصفحة ذاتها**. ويعرف بالبرّ العربي: "وهو الأبيض الرقيق الحب". ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:49.

[10]- الطغنري، **المصدر السابق، والصفحة ذاتها.**

أما الشعير فأجوده الحديث الأبيض الكبير الحجم وطبعه بارد يابس، وغذاؤه من الأرض أقل من غذاء القمح،[1] وينبت الشعير في أراض لا توافق القمح، فيكون في الأراضي المالحة والنزّة والعرقة والرقيقة والحامضة والرخوة وفي أكثر أنواع الأرضين، ويتميز بصبره على الماء إذا عطش أكثر من القمح، وأنه إذا زرع في الأرض المالحة دائما أخذ ملوحتها وأخرجها عنها، وكذلك يفعل بالأرض النزّة والعرقة،[2]والشعير يبقي على دسم الأرض ورطوبتها وقوتها على خلاف القمح، كما أنه إذا أريد الحفاظ على التربة وارجاع قوتها بعد توالي الزراعة فيها وإجهادها زرعت شعيرا،[3] لأنه أقل مؤنة من التربة إذا ما قورن مع القمح.

وكان الفلاحون يعدون الزريعة لإبان البذر، فيختارون من بذور هذه الأنواع أقواها وأصحها وما لم يداخله سوس ولا عفن ولا تغير،[4] وبعد قلب الأرض وتهيئتها وتسويتها يتخير الفلاح يوما من أيام زمان الحرث الذي عادة ما يكون ابتداء من السابع عشر من شهر أكتوبر[5] ليزرع حبوبه، وكان يجتنب الأيام الباردة المصحوبة بالرياح الشمالية، ويحبذ أدفأها ولو زرعت بريح الجنوب،[6] لأن البرد يمنع الزرع أن يتخذ عروقا فيفسد بطول مكثه تحت الأرض،[7] على عكس الحرارة التي تهيجه فينمو. فينمو. وكانت عملية الزّرع كثيرة المشاق والأفعال، فالفلاح الذي كان يزرع ويحرث

---

[1]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص: 143.

[2]- ابن وحشية، **المصدر السابق**، ص: 421.

[3]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص: 134.

[4]- ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:33.

[5]- الصفاقسي علي بن أحمد بن محمد، **كتاب الكَبلة (انتهى من تأليفه سنة 958ه)**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية (Sur le titre de: ***Portulan de la Mer Méditerranée***)، رقم: N°: ARABE2278/1517 A IV، ص:19. من الصعوبة بمكان تحديد زمان الحرث في بلاد المغرب الأوسط بسبب غياب المعطيات التاريخية، وشساعة الرقعة الجغرافية للبلاد واختلاف تضاريسها، وتعدد الأجواء والظروف المناخية السائدة بين البلاد الحارة والبلاد الباردة، لذا فموسم البذر أو زمان الحرث كان يختلف من منطقة إلى أخرى، وسبب آخر يتعلق بتفكير الفلاح حول الغلة هل يجعلها بكرا، أو وسطا، أو يؤخرها، لكنه على العموم لا يخرج عمّ اعتاده الناس من الحرث ابتداء من نهاية فصل الخريف بعد نزول المطر واتواء الأرض إلى بداية فصل الشتاء، أو يؤخر إلى منسلخ فصل الشتاء في البلاد الباردة. راجع: موسى هواري، **المرجع السابق**، ص:91-92؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 129-130.

[6]- ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:13. وإلى اليوم يفضل الناس البذر في اليوم المشمس الدافئ بعد سقوط المطر.

[7]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 129.

بنفسه[1] كان يجهز زوج الحراثة وماعون الحرث الخاص به والزريعة، وإذا لم يكن يمتلك أداة الحرث ودوابها فكان يكتريها،[2] أو يستعيرها،[3] وكان بعض الفلاحين لا يباشرون أعمال الحرث بأنفسكم بل كانوا يكلونها إلى وكلائهم أو إلى الأجراء وأشباههم، فكان هؤلاء يسهرون على إصابة العادة في الحرث، وحرث كل ما تم بذره، ويضمنون كل ما يلحق الزرع من فساد إذا فرطوا في ذلك.[4]

ويجيئ بعد إعداد آلة الحرث والزريعة واخيار الوكلاء والأجراء "تـمْطِيرُ الأرض"،[5] وهو أن يخط الزَّرَّاعُ في الأرض المهيئة المراد بذرها خطوطا[6] متوازية، متوازية، تفصل بينهما مسافة معينة، يهتدي بها أثناء قيامه بالبذر، وتكون بمثابة علامات يميز بها الموضع الذي بذره من الموضع الذي لم يزرعه لئلا يتكرر بذره مرة أخرى،[7] ويباشر البذر بنثر الحبوب باليد، وينثرها الزراع مقابلة وجهه وما يليه،[8] يليه،[8] ولا يتجاوز بها حدث الحرث فتطير خارجه،[9] ويحرس أن لا يكون بذره كثيرا كثيرا أو خفيفا، بل يكون وسطا معتدلا، وإذا بسط يده على الأرض المزروعة قبل كفر الزرع فجاءت على سبع أو ثمان حبات من القمح أو على تسع أو عشر حبات من

---

[1]- الفرسطائي، **المصدر السابق،** ص:400؛ الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:9، ص: 161؛ المازوني، **الدرر المكنونة، المصدر السابق،** ج:4، ص:41؛ ابن مريم، **المصدر السابق،** ص:222.

[2]- الفرسطائي، **المصدر السابق،** ص: 397، 401.

[3]- **نفسه،** ص: 442-447؛ الونشريسي، **المصدر السابق،** ج:9، ص:108، 109**.**

[4]- الفرسطائي، **المصدر السابق،** ص: 397.

[5]- المعداني، **المصدر السابق،** ص :147. وكلمة "تمطير" حسب ما يذكر الباحث موسى هواري من عامية أهل المغرب الباقية إلى اليوم، يتداولها الفلاحون، والظاهر أنها لا تتعلق فقط بتمطير الأرض قبل البذر، وإنما هي عملية تسبق زرع أي غلة، لأن المراد منها قياس الأرض لشق السواقي والأحواض وغيرها، لذا ففعل التمطير المعروف عند الفلاحين اليوم لعله مشتق من كلمة "مَتَرَ" التي تعني القياس بالمتر، ولعل العامة تقول بدل "التمتير" "التمطير" بإبدال التاء طاء. موسى هواري، **المرجع السابق،** ص: 93؛ وأنظر: **المعجم الوسيط، المرجع السابق،** ص:852. وحول عملية تمطير الأرض راجع **الملحق رقم: 8**، ص:

[6]- يقول ابن ليون التجيبي في تخطيط الأرض قبل الزرع:

وَقَبلَ أَن يُفَرِّقَ المُزدَرَعْ   فِي الكُلِّ تَلخِيصٌ فِي الأَرضِ يَصنَع

ذَاكَ أَنْ تُقطَعَ بالخُطُوطِ   خوفًا منَ التَّرْكِ أو التَّخْلِيطِ

فَيَعلَمَ الزارعُ قَدْرَ مَا زَرعْ   شَيئًا فَشَيئًا لِتَمَامِ المُزدَرَعْ. **المصدر السابق،** ص: 33(الوجه).

[7]- ابن رسول، **المصدر السابق،** ص:53.

[8]- **نفسه.**

[9]- الفرسطائي، **المصدر السابق،** ص:398.

الشعير كان بذره معتدلا، وإن جاءت يده على أكثر فكثير أو أقل فخفيف،[1] وفي بعض بعض الأحيان كان الزراع يلتزم بعادة أهل البلد في البذر، ويستند إلى نظر أهل المعرفة في تكثير الحبوب أو تخفيفها، لا سيما وأن لكل أرض كيل معلوم من البذر لا تتجاوزه.[2]

ويصحب عملية البذر[3] تغطية الزرع بالحرث عليه وكفره بالتربة حتى لا يفسد أو تلقطه الطير،[4] وإذا انتهى الفلاح أو الزرّاع من البذر قام ينقي ما في الأرض من شجر، أو حشيش، أو عروق، أو ما شابههما.[5] وهكذا تتم عملية البذر والذي يجب بعدها السقي عن طريق النضح أو انتظار سقوط المطر.

وتتواصل جهود الفلاح عن طريق تعهد الزرع والعناية به إذا نبت ونما، فينقشه،[6] ويزيل عنه النباتات الضارة ويجمعها ويرميها خارج الفدان، فإذا خُلي الزرع الزرع من تلك الحشائش الغريبة كان أقوى لنباته وأسمن لحبه،[7] ويدفع المضار عنه،[8] عنه،[8] ويحرسه من الطير[1] والماشية التي قد تقع فيه فتهلكه.[2] وما ينتهي الفلاح من

---

[1]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص:138؛ ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:14. وإن الالحاح على عدم الاكثار من من البذور في الزرع فيه فائدة عظيمة، وهي منع تزاحم النباتات وتنافسها على العناصر الغذائية الموجودة في التربة، وبالتالي قد يتأثر الانتاج من الناحية النوعية. وإلى اليوم يتحاشى الفلاحون الإكثار من البذور أثناء الزرع، ويميلون إلى التوسط في ذلك، إلا أن تكون تربة الأرض المراد زرعها قوية، ويعرف عندهم إكثار الحبوب بـ: "العْمَارَة"، وعدم الإكثار "وسط" أو "خفيف". راجع: ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:55.

[2]- الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:396-397.

[3]- ومما كان يصحب عملية البذر كذلك ذكر الله تعالى والدعاء بالنماء والسلامة للزرع، فقد نقل البرزلي في فتاويه فتاويه ما حكاه الامام القرطبي في تفسيره، أن الانسان إذا بذر الزرع في الأرض يستحب له أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾(سورة الواقعة)، ثم يقول: "الله الزارع والمنبت والمبلغ: اللهم صلّ على محمد وأرزقنا ثمره وجنبنا ضره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين". يقول البرزلي: "يقال: إن هذا أمان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك". وقد كان بعض الزراع يدعون بهذا الدعاء على عهد البرزلي، حيث يقول "سمعناه من ثقة وجرّب فوجد كذلك". ولا زال بعض الفلاحين اليوم ينشدون دعاء في معنى هذا الدعاء في موسم الحرث والبذر. **جامع المسائل**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:409.

[4]- **نفسه**، ص:398.

[5]- ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:54.

[6]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:179؛ ابن ليون التجيبي، **المصدر السابق**، ص: 34(الظهر).

[7]- ابن وحشية، **المصدر السابق**، ص: 419؛ الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:395، المعداني، **المصدر السابق**، **السابق**، ص:148.

[8]- الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:395.

عمل شاق إلا ويستعد لعمل أشق منه، وتقول في ذلك العامة "أطلَقْ الفاسْ خُذ المَسْحَا".[3]

فإذا طاب الزرع وانتهى وابيض وبدا سنبله ينتكس حصد بالمناجل من فوق الأرض بشبر أو دونه، على قدر الحاجة إلى التبن، ويربط حزما كل حزمة على قدر قبضة اليد،[4] ويلقى أغمارا عل الأرض، ثم تجمع هذه الأغمار وتنقل على ظهر الحمولة إلى الأندر.[5] وكان موسم الحصاد في بلاد المغرب الأوسط ينطلق من نهاية فصل الربيع وبداية الصيف، وبالتقريب مع منتصف شهر ماي،[6] وقد يتأخر إلى شهر جويلية،[7]بحسب وقت الحرث والبذر. ولم يكن الحصاد بالأمر الهين بل كانت فيه كلف عظيمة، فكان البعض يتجشم مشاقا جمة في حصاد زرعه وجمعه ونقله ودرسه بنفسه،[8]وكان البعض الآخر يستأجر أحيانا أجراء لذلك،[9]في حين كان يكتفي آخرون بالخمّاس الذي عقد شركة المزارعة مع مالك الأرض ووفق شروطها تقع أعمال الحصاد والنقل والدِرَاس على عاتقه.[10] وكان بعض الشباب إذا استحق فدان الحصاد،

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:200، 226، 227، 234/ ج:9، ص:48؛ المعداني، **المصدر السابق**، ص:148. كان الفلاح البسيط يتولى حراسة زرعه والقيام على شوؤنه بنفسه، أما الشركاء في الزرع فكانوا يتقاسمون عناء حرز الزرع، أو أنهم يمكنوا من ناب عنهم في الحراسة من حق اضافي على قدر سهم كل واحد منهم، أما الفلاحون المياسير وأصحاب المستغلات الكبيرة فالظاهر أنهم كانوا يستأجرون حراسا بالعدد الذي يلزمهم لحماية زروعهم. الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:395؛ الونشريسي، **المنهج الفائق**، **المصدر السابق**، ص:60؛ الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:9، ص:11.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:548/ ج:5، ص:150-151؛ موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:899. كان أحمد بن الحاج البيدري المناوي الورنيدي(ت 930ه) شيخا ورعا من علماء تلمسان ومفتيها وزهادها، بلغ به ورعه أن كانت له فرس يخدمها بنفسه، وكان إذا أخرجها من داره جعل لها كمامة لئلا تقع في زرع الناس في طريقها فتأكله. راجع ترجمته: ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:61-80.

[3]- الزجالي، **المصدر السابق**، ص:99.

[4]- ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:56، 55.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف، **المرجع السابق**، ص:41-42.

[6]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:1، ص:81؛ الزجالي، **المصدر السابق**، ص:30-31.

[7]- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18.

[8]- المعداني، **المصدر السابق**، ص:148؛ موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:860.

[9]- المعداني، **المصدر السابق**، ص:149؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:368/ ج:6، ص:326.

[10]- راجع طرق استثمار الأرض الفصل الثاني. ولعل الكثير من الفلاحين ببلاد المغرب كانوا يفضلون الخماس عما سواه من العمال الأجراء، لأن هؤلاء لا يحرصون على لقط السنابل، وهمهم الوحيد هو أجرة يومهم حتى أنهم يطلبون تقديمها، وقلة أمانتهم؛ لكن الخمّاس إذا سقطت السنبلة الواحدة رفعها لأن له فيها الخمس، ولأنه يحافظ على

بادروا إليه وشرعوا في حصاده تطوعا، اعانة لصحابه لصعوبة قيامه عليه لوحده، في مشهد من مشاهد الاجتماع والتعاون على إنجاز الأعمال الفلاحية وغيرها يدعى بـــ: "التويزة"، وقد كان يبلغ فوج المتطوعين في التويزة أحيانا الأربعون نفرا، فيصطفون في طائعات[1] على شكل خط مستقيم مما يلي عرض الحقل ويباشرون الحصاد ذهابا وجيئة، وصاحب الفدان قائم عليهم يأتيهم بالغذاء والشراب كلما دعت الحاجة لذلك إلى أن يتموا حصاد كل سنابل القمح أو الشعير،[2] على قول المثل "المنْجَلْ إذا وْقعْ ما يرْتفعْ"[3] يعني إذا بدأ الحصاد لا يتوقف حتى يكتمل.

وبعد نهاية الحصاد تحمل أغمار الزرع على الظهر بعضه على بعض وتجعل سنابله إلى الوسط ومقاطع سيقانه إلى الخارج،[4] كي لا تتناثر سنابله، ويشد بالحبال أو ما يقوم مقامها من الشّبّاك ونحوها، وينقلها إلى البيدر[5] أو الأندر،[6] فتوزع وتنشر الأغمار على البيدر وتعرض لأشعة الشمس، فإذا جفت بفعل الحرارة تداس بالبقر أو

الزرع أكثر من رب الأرض، لذلك انكب الناس على الخماس وتركوا الأجير، حتى لا تكاد تجد عند رب الأرض أجيرا. المعداني، **المصدر السابق**، ص:149-150.

[1]- تسمى "الطائعات" اليوم: النِيْرَة أو الطَلْعَة أو التِيْرة، وهي المساحة التي يشغلها الحصادون أثناء الحصاد ذهابا وجيئة.

[2]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:860-861. وارتبط بموسم الحصاد عمل لا يزال مستمر إلى يومنا هذا في بعض المناطق من بلادنا، بالرغم من أنه يعتبر جزءا من عمل الفلاحين في بعض الأحيان، واستوثق بالخصوص لدى بعض الفئات الاجتماعية الفقيرة، أو كانت تمليه بعض الظروف الطبيعية القاهرة وغيرها، يمثل هذا النشاط في التقاط السنابل التي تناثرت من الأغمار أو سقطت بفعل الحصد، وكانت السنابل من الساقطة المعفو عنها، ويسمى من يجمع السنابل باللقاط (يعرف في عصرنا اليوم بـ : لقاط السْبُولة)، كان هذا الأخير يقصد الحقول التي تم حصادها ويلتقط ما وقع من سنابل في قاعتها، فيقوم بدرسه وتصفيته، ويجعله طعاما لأهله وعياله. ابن رشد الجد أبو الوليد محمد، **الفتاوى**، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1987، ج:1، ص:1116؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:384/. ج:6، ص:149.

[3]- الزجالي، **المصدر السابق**، ص:81.

[4]- ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:56.

[5]- وهو الموضع الذي يداس فيه الزرع. الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:373. وأشترط أهل الفلاحة أن يكون النادر أو البيدر في مكان مرتفع من الأرض في مهب رياح الجنوب والشمال حتى يسهل ذرو وتصفية الزرع، ويكون في منأى عن الفيوض التي قد تستاق ما عليه من زرع، ولا بد أن يكون بعيدا عن المنازل وأفنيتها، والبساتين والكروم والأشجار وسائر المغارس، واسطبلات البقر والخيل ونحوهما، حتى لا يضر بها الغبار والتبن المتطاير من التذرية، وينبغي أن يكون موضع تكديس أغمار الزرع مستويا وصلبا، وواسعا حتى يستوعب الزرع والعمال ودواب الدرس والموضع الذي سيخزن فيه التبن. قسطوس، **المصدر السابق**، ص: 86-87؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:31؛ ابن وحشية، **المصدر السابق**، ص:427؛ ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:16؛ النابلسي، **المصدر السابق**، ص:139؛ ابن ليون التجيبي، **المصدر السابق**، ص: 35(الظهر).

[6]- الشماخي، **المصدر السابق**، ص:547؛ ويسمى كذلك بـ: النادر. ينظر: المازوني أبو زكرياء، **المصدر السابق**، ج: 4، ص: 374.

ما يقوم مقامها، ولا تزال تداس حتى يدق التبن وينفصل عن كل حبات الزرع؛ فحينئذ يذرّ به في مهب الرياح بمذراة خشبية لتخليص الزرع من التبن، فتسقط حبات الزرع لثقلها قريبا من الفلاح الذي يقوم بالتذرية ويتباين سقوط قصبات التبن على حواف البيدر وأبعد منه حسب شدة الرياح، ويعاد ذروه عدة مرات حتى يذهب كل التبن، وكلما ذراه كنس عليه بشجرة شبه المكنسة حتى تعزل ما بقي به من ركب التبن والسنابل التي لم تدرس،[1] فتدرس من جديد، ثم يذرى بالرفش الخشبي حتي يصفو لأن المذراة لا تصبح قادرة على حمل الزرع بعد ذهاب كل التبن، أو يغربل بالغربال حتى يطيب تماما من كل الشوائب. وإذا كانت أغمار الزرع كثيرة بحيث لا يمكن درسها دفعة واحدة جزأها الفلاح إلى أقسام، وكلما أتم العمل مع قسم ورفعه من الأندر، شرع في العملية مع القسم المتبقي، وهكذا دواليك حتى يستغرق كل الزرع درسا وتذرية؛ ثم يكيل زرعه فإذا بلغ النصاب الشرعي أخرج زكاته،[2] ودفع ما عليه فيه من خراج ونحوه،[3] واستخلص الباقي للاستهلاك أو التخزين أو البيع.

أمّا التبن الذي استذري من الزرع فيجمع ويجعل كومة واحدة بالقرب من الأندر وتطين بنوع من الملاط يتكون من الطين والتبن والماء، يخلط جيدا حتى تمتزج كل العناصر، ثم يغطى به سطح الكومة (النادر)، ويحافظ تطيين النادر على التبن مدة طويلة، فلا تتغير قيمته الغذائية، ويجعل التبن في منأى عن المؤثرات الخارجية الطبيعية أو غيرها. ويستفاد من التبن المخزّن في النادر في تعليف المواشي والدواب في زمن الشتاء، الذي يضطر الفلاحين إلى تغذية أنعامهم ودوابهم، وذلك لأن هذا الفصل عادة ما يكثر فيه البرد والهطول بصفة عامة، وبالتالي صعوبة الخروج بالماشية وغيرها إلى المسارح والمراعي، أو يستخدم كلما دعت الحاجة إليه.

وقد أنمت عملية درس الزرع وتصفيته عن بعض الصعوبات التي كانت تعترض الفلاحين، كما أفرزت العديد من المشاكل والنزاعات، وأكثر ما كان يؤرق

---

[1]- ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:56-57.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:369.

[3]- **نفسه**، ج:1، ص:379.

الفلاح ويجعله يبذل مجهودا مضاعفا حتى لا يخاطر بالغلة بعد حصادها وجمعها، هو حراسة الزرع في الأندر قبل درسه وبعده،[1] ذلك لأن الزرع وهو على هذه الصفة يكون عرضة للكثير من المخاطر، فقد تنفش فيه الماشية، أو تناله أيدي السراق،[2] أو تأخذه النار على حين غفلة فتذره أثرا بعد عين،[3] لذا كان على صاحب النادر أن يعين حارسا جلِدا يراقب له أندره إلى أن ينتهي من عملية الدرس والتصفية، مقابل أجرة يقدمها له.[4] وفي بعض الأحيان كانت تقع نزاعات بين الفلاحين نتيجة الخطأ أو تعديهم على حقوق الآخرين، ومنها أن أحدهم أراد أن يخزن زرعه بمطمورة له، فوجد بها بللا، فأراد أن يجففها بالنار، فجعل فيها النار، فامتدت ألسنة النار إلى زرعه وزرع غيره، فطولب بما أحرقته النار من القت والزرع؛[5] ومنها أن أحدهم كان لا يتوان في الوقوف في أرض الغير التي إلى جانبه أثناء درس زرعه، وربما خرج زرعه من الأندر إلى تلك الأرض.[6]

وقد عرف الفلاح على العهد الزياني كيفية تخزين الحبوب والمحافظة عليها قصد الاستفادة منها وقت الضرورة، فكان يخزن الحبوب في المطامير والأهراء[7]

---

[1]- المعداني، **المصدر السابق**، ص:148.

[2]- المازوني أبو زكرياء، **المصدر السابق**، ج: 4، ص: 377.

[3]- **نفسه**، ص: 373-374.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:77.

[5]- المازوني أبو زكرياء، **المصدر السابق**، ج: 4، ص: 374.

[6]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:158/ ج:9، ص:39.

[7]- المطامير، جمع مطمورة، وهي حُفْرَة أو مكان تحت الأرض، هيء خفيًا، يُطمِرُ فيه الطعام. والمطمورة عبارة عن حفرة تبلط جوانبها بالطين المبلل المخلوط بالتبن، وتكون على هيئة الخابية أو الجرّة، يبلغ قطرها واحد متر أو ما دونه بقليل (عند مدخلها أو فمها)، وعمقها يصل إلى ثلاثة أمتار، وقد يبلغ القطر في وسطها وقاعدتها الثلاثة أمتار، وعند شحنها بالزروع تغلق بالطين المبلل والتبن أو ما يقوم مقامه. وتمكث الحبوب في المطمورة لمدة سنوات فلا تفسد. ولعل الأسباب الكامنة وراء تفكير الفلاح في تخزين الحبوب ترجع إلى: حفظ القوت بتخزين الانتاج الفائض عن الحاجة إلى وقت الشدّة، أو الاحتكار وترقب إرتفاع الأسعار لتحقيق أرباح أكثر من بيع الغلة، أو بسبب الخوف وانعدام الأمن الناجم عن الحروب والنزاعات القبلية والحرابة والسرقة، أو هربا من المغارم والضرائب، وكذلك بسبب تذبذب المناخ، والجوائح كالقحط والجفاف والمجاعة، وهنا تكون المطمورة من أحسن الوسائل للإقتصاد في المعيشة حتى في زمن المسغبة، حيث تكون في هذه الظروف المصدر الوحيد لميرة أفراد الأسرة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، المجلد:5، ص:148. والأهراء، جمع هُرْي، وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام، والهُري يختلف عن المطمورة في كونه عبارة عن بيت أو غرفة تبنى فوق الأرض، وقد أشار بن خلدون إلى أن الزيانيين قد اتخذوا الأهراء بتلمسان لتخزين الحبوب، لكن للأسف لم يطلعنا على شكلها وطرق بنائها، وسنحاول رفع اللبس حوا هذا النوع من العمارة بتقديم صورة تقريبية حول ذلك، من خلال نص أورده الحسن الوزان حينما وصف الهريان اللذان ابتناهما الخليفة المنصور الموحدي (أبو يوسف

التي كان يحفرها في دوّاره، أو يجلبها إلى الدرب الذي يسكن به في المدينة فيخزنه بالمطامير التي يملكها هناك في منزله،[1] وكان في بعض الأحيان يستأجر من يحفرها له، وإن تعذر عليه ذلك اكترى بعضها لتخزين غلته.[2] وكانت الطريقة المتبعة في تخزين الحبوب أن تترك المطمورة أو المطامير مفتوحة ليلا على العادة حتى تبرد،[3] ثم يجعل في قعرها تبن بقدر ذراعين، ويوضع منه كذلك على جوانبها حتى يمنع انتقال الندوة إلى الحبوب فتفسدها، وبعد التبن تجعل الحصائر،[4] فإذا انتهى الفلاح من تجهيز المطمورة يشرع في رفع الزرع إليها بعدما يبرد هو من حرّ الشمس لئلا يلحقه السوس،[5] فإذا انتهى من تخزين الزرع جعل على فم المطمورة قدر ذراعين من

يعقوب المنصور 580-595ه/1184-1199م) قرب أحد قصوره بمركش، يقول: "وبالقرب من هذا القصر، ...، ...، هريان مبنيان كذلك بسقف مقوس، في كل هري طبقة علوية، يوضع العلف في الطبقة الأرضية، ويخزن في إحدى الطبقتين العلويتين الشعير للخيل، ويخزن القمح في الأخرى، وتسع كل من الطبقتين أكثر من ثلاثين ألف كيل ...من الحبوب. وقد أعدت طاقات في سقف هاتين البنايتين يرقى إليهما بواسطة مدرج من الحجر تصعد فيه الدواب محملة إلى هذا السطح حيث يكال الحب ثم يصب من هذه الطاقات. وإذا أريد اخراج الحب اكتفى بفتح الثقب الموجود في أسفل الهري، وهكذا يمكن أخذ الحب من هذين الهريين ووضعه فيهما دون عناء". الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:1351. **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:983؛ ابن الحجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:16؛ ابن خلدون، **المقدمة، المصدر السابق**، ص:708؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:89، 93/ ج:1، ص:364، 374، 379، 387/ ج:9، ص:544، 563؛ المازوني أبو زكرياء، **المصدر السابق**، ج: 3، ص:50، 265، 266، 359/ ج:4، ص: 128، 367، وما بعدها؛ محمد البركة، سعيد بنحمادة، وآخرون، **النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط – دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد**، مطبعة بني ازناسن، سلا – المغرب، 2016، ص:9، 15؛ معمر الهادي محمد القرقوطي، **الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين**، منشورات جامعة الزاوية، الزاوية – ليبيا، الطبعة الأولى، 2013، ص:164؛ ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:37؛ ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، المجلد:7، ص:199. ابن أبي زرع الفاسي، **روض القرطاس، المصدر السابق**، ص: 142؛ عبد الواحد بن علي المراكشي(ت 647ه)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص:185؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:1، ص:133.

[1]- المازوني أبو زكرياء، **المصدر السابق**، ج: 4، ص: 201.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:78/ج:6، ص:230 /ج:9، ص:108، 365، 575.

[3]- **نفسه**، ج:5، ص:556.

[4]- ابن ليون التجيبي، **المصدر السابق**، ص: 35(الظهر)، 36(الوجه)؛ ابن العوام، **المصدر السابق**، ص: 678-679.

[5]- ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:57.

التبن،[1] ثم سدّه بالحجارة وأردف عليه الطين المخلوط بالتبن والماء، فيمنع ذلك بلل المطر وغيره أن يصل إلى الحبوب.

وتطالعنا المصادر بجملة من القرائن التي تدل على أن هذه الطريقة في تخزين الحبوب وحفظها كانت معروفة[2] بين الفلاحين في بلاد المغرب الأوسط، وكانوا يختارون لها أماكن في سفوح الجبال أو على أعالي الرّبى أو في مواضع الصخر، وبعيدا عن الوديان ومجاري السيول، فقد ورد عند الإدريسي أن مدينة قسنطينة في كل دار منها مطمورتان وثلاث وأربع منقورة في الحجر.[3]

ولعل السر من اختيار الفلاحين للمواضع العالية نسبيا والأرض الحجرية لإقامة المطامير يكمن في أنها تساعد على بقاء الحبوب باردة فلا ترتفع حرارتها وبالتالي لا تمسها آفة السوس، والغرض من اقامتها في سفوح الجبال لتكون في منأى عن رياح الجنوب الحارة، ومستشرفة لرياح الشمال الباردة أو المعتدلة وهذا ما يتوافق مع مطامير مدينة تلمسان على سبيل المثال.

[1]- ابن العوام، **المصدر السابق**، ص: 678-679؛ النابلسي، **المصدر السابق**، ص: 257. واشترط أهل الفلاحة أن تكون المطامير كوَّاهَا مقابلة لرياح الشمال، ولا تكون بجنب دار، ولا مطبخ، ولا نار، ولا سراج، ولا دواب، ولا تبن، ولا تجعل لها كواتٌ إلى الشرق ولا إلى الجنوب، حتى يسلم الزرع من الآفات. **نفسه**، ص: 257-258؛ ابن رسول، **المصدر السابق**، ص:57-58.

[2]- لا يفوتنا أن نذكر هنا بطريقة أخرى لتخزين الحبوب لم تسعفنا المصادر الاخبارية عن مدى استخدامها على العهد الزياني، ورغم ذلك لا مناص من التعرض إليها لما لها من أهمية في المحافظة على الحبوب مدة طويلة، وباختصار تتمثل هذه الطريقة في حفظ الزرع في سنابله أغمارا، بعدما يكون قد جفّ جيدا، فيحفظ في محله من الأندر أو البيدر، على نفس النسق الذي يحفظ به التبن، وإذا دعت الضرورة إلى الحبوب أخرج الفلاح حاجته من الأغمار فدرسها وأذرى حبوبها وصفاها، ودفع بالتبن إلى الماشية. وهذه الطريقة ضاربة في تاريخ البشر، فقد وردت في القرآن الكريم في قصة قابيل وهابيل ابني آدم –عليه السلام، وفي قصة يوسف في تعبير رؤيا الفرعون اخناتون، وتقريبا لم يبق في يومنا هذا من هذه الطريقة إلا أثر بسيط يتمثل في ظفائر تزينية تتخذ من سنابل القمح المختارة بعناية، وتدوم هذه الظفائر سنين لا تتناثر. وحول هذه الطريقة يقول بن ليون التجيبي: وَكُلُّ مَا يُخْزَنُ فِي سُنْبُلِهِ يَدُومُ إِنْ حُفِظَ فِي مَحَلِهِ. **المصدر السابق**، ص:36(الوجه)؛ وانظر: الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:4، ص:390.

[3]- **المغرب العربي**، **المصدر السابق**، ص:121-122. وأشار نفس المؤلف إلى أن قلعة بني حماد كانت تختزن بها الحنطة، فتبقى السنة والسنتان فلا يطرقها فساد ولا تتغير. وأثبتت الحفريات التي أجراها الأثري لوسيان قولفين في القلعة الواقعة في سفح الجبل ما ذكره الادريسي، حيث تم اكتشاف مطامير كثيرة محفورة في صحن دار قريبة من القصر المعروف بقصر السلام. أنظر: **الملحق رقم: 12**؛ Lucien GOLVIN, ***Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad***, Maisonneuve et Larose, Paris, 1965, fig: 21, p.81

أو راجع: رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، الشكل:4، ص:138.

ومن القرائن على ذلك أيضا بناء مكان خاص لهذه المادّة الحيوية في حياة إنسان المجتمع الزياني وبالخصوص في مجال التغذية، فقد وضعت بحي المطمر[1] من الجهة الغربية بتاكرارت الأهراء والمطامير لحفظ الحبوب المختلفة والعديد من المؤن الأخرى كالزّيوت والآدم واللحوم المجففة وغيرها، وكانت تفتح في حالة الحصار والحرب،[2] فتوزع مؤنتها على أهل تلمسان وغيرها من البلاد، وفي بعض الأحيان كانت ترسل منها الاعانات إلى أهل الأندلس.

وكانت المطامير تحافظ على الحبوب لمدة طويلة، فمطامير تلمسان كانت مخصوصة بطول مكث المخزونات بها، فربّما بقي القمح والشّعير في بعض أماكنها ستين سنة لا يتغيّر، ولا يسوّس ثم يخرج بعد هذه المدّة ويزرع فينبت،[3] وقد صمدت هذه المطامير في ميرة أهل المدينة أثناء الحصار الطويل الذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر؛[4] وكانت الحبوب تقيم في مطامير مدينة قسنطينة مائة سنة لا تفسد.[5]

وكان حي المطمر الذي اتخذه الزيانيون كمخزن سلطاني لحفظ الحبوب، كان يموج بالخزّانين والحمّالين خاصّة في مواسم الحصاد وجمع الحبوب لتخزينها، وكذلك في أوقات فتح المطامير لتصريف الحبوب وتوزيعها، وقد عينوا لهذا المخزن موظفا عُرفَ ب: "خازن الزرع" في ديوان السلطان الزياني، وكان ابن الحجّاف أحد الذين

---

[1]- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، المجلد:7، ص:206.

[2]- جورج مارسي، **مدن الفن الشهيرة: تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر التل، البليدة – الجزائر، 2004، ص57.

[3]- ابن فضل الله العمري (ت 749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الامارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2002، ج:4، ص: 205؛ أحمد بن علي القلقشندي(ت 861ه)، **صبح الأعشى في صناعة الانشاء**، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ت، المجلد:5، ص:145.

[4]- ابن خلدون، **المصدر والمجلد السابقان**، ص:197؛ وينظر: - Sid Ahmed BOUALI, ***Les deux grands sièges de Tlemcen***, L'Arbres à Livres Editions, Tlemcen-Algérie, édition 01, 2011, p.21.

[5]- **المغرب العربي، المصدر السابق**، ص:121-122.

شغلوا هذه الوظيفة، وتولى إدارة العمل داخل المخزن بحي المطمر، وكان يشرف على بقية الحرفيين والعمّال وسائر الأعمال ومعرفة الدخل والخرج.[1]

ومن هنا يتضح لنا أن تخزين الحبوب لم يكن مقتصرا على الفلاحين أو الرعية بصفة عامة، بل حتى الدولة كانت تعمل على حفظ الحبوب كإجراء احترازي من أجل تأمين الغذاء لأفراد الجيش والرعية والماشية ودابة الحرب، وكذلك من أجل التدخل لإسعاف الساكنة في فترات الحرب والحصار والجدب والمجاعة والغلاء وغيرها.[2]

أما عن مناطق انتاج الحبوب فتشير المصادر الجغرافية إلى تواتر انتاجها في الجهات الأربع من بلاد المغرب الأوسط، فكانت مدينة تنس تنتج الزرع حتى أصبح رخيصا في الأسواق لكثرته، بل صار يحمل منها إلى الأصقاع لا سيما إلى بلاد إفريقية والأندلس والمغرب،[3] وكانت بسائط ندرومة الخصيبة ومزارعها الكثيرة تنجب زرعا كثيرا،[4] أما تلمسان على حدّ تعبير لسان الدين بن الخطيب فقد كانت "خزانة زرع"،[5] وكان بينها وبين أرشقول فحص واسع مشهور بالبركة والاصابة عرف بفحص زيدور خصص لحرث القمح،[6] أما برشك فقد ضمت بين جنباتها جملة

---

[1]- لم تذكر لنا المصادر عن ابن الحجّاف هذا سوى أنه كان يزاول هذه المهنة على عهد السلطان أبي زيّان (703-707هـ/1303-1308م). ابن خلدون، **المصدر والمجلد السابقان**، ص: 199.

[2]- وهنا نشير إلى مادة الحبوب كانت ضمن قائمة المساعدات التي كان يقدمها الزيانيون إلى أهل الأندلس، ففي سنة ثلاث وستين وسبعمائة للهجرة أرسل السلطان أبو حمو موسى الثاني إعانة للمسلمين بالأندلس قدرها "خمسين ألف قدح من الزرع، وثلاثة آلاف دينار من الذهب للكراء عليه في البحر"، وفي سنة سبع وستين وسبعمائة للهجرة أمدّ السلطان أبو حمو موسى الثاني كذلك السلطانَ أبا عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن السلطان أبي الوليد(حكم 760-763ه) "بالأحمال العديدة، من الذهب والفضة، ...، والمراكب المشحونة زرعا". وكانت الحبوب كذلك من بين الأعطيات التي كان يقدمها هذا السلطان لإكرام وفود الهناء والبيعة والأنصار من قبيله وأحلافه، فيذكر يحي بن خلدون أن أبا حمو موسى الثاني استركب من قبيله في يوم واحد ألف فارس، يكسي الرجل منهم بكل ما يحتاج إليه من العدة الحربية والمال، ويدفع إليه عشرون برشالة من القمح(ما يعادل 250 رطل) وثلاثون من الشعير(ما يعادل 375 رطل). وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على دور الدولة الزيانية في التخطيط لحفظ كميات معتبرة من الحبوب لتحقيق الأمن الغذائي والتكافل الاجتماعي. **بغية الرواد**، تحقيق: بوزياني دراجي، ج:2، ص: 244، 245، 348، 99، 100؛ مؤلف مجهول، **زهرة البستان، المصدر السابق**، ص:331.

[3]- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:133؛ الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص:138.

[4]- **نفسه**، ص:135.

[5]- **معيار الاختيار، المصدر السابق**، ص: 184.

[6]- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:134.

من المزارع التي كانت تنتج الحنطة والشعير بكثرة،[1]وأما الجزائر فكانت أهم زراعاتها الحنطة والشعير،[2] أما شرشال فقد كفت عولتها، وزاد انتاجها للحنطة والشعير عن الحاجة.[3]

وبالإضافة إلى ما جاء في هذه النصوص من شواهد ثمينة حول انتاج الحبوب ووفرتها بكميات زادت في بعض الأحيان عن الحاجة، بل كانت تخرج بها المراكب والقوافل إلى الآفاق، فكان قمح المملكة الزيانية يصدر إلى مدينة جنوة،[4] وإلى برشلونة وميورقة،[5] وغيرها من المدن الأوروبية والأندلسية التي كانت تصلها كميات كميات معتبرة من هذه المادة الحيوية.[6] ويقدم الجدول الآتي خريطة توزيع مناطق انتاج الحبوب بالمغرب الأوسط مرفوقة ببعض الملاحظات الاقتصادية والتجارية المتعلقة بها.

---

[1]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:88.

[2]- **نفسه**، ص:163.

[3]- **نفسه**، ص:340.

[4] - Philippe CONTAMINE, Marc BOMPAIRE, et autre, ***L'économie Médiévale***, ARMAND COLIN, Paris, 2001, p. 379.

- تشير إحدى الوثائق الأرشيفية الجنوية التي نشرها أرتورو فريطو إلى أن جنوة بسبب الظروف التي كانت تمر بها خاصة نقص مادة الحبوب وتزايد الطلب عليها خلال سنة 1272م، أرسلت هذه الأخيرة سفارة تتكون من مبعوثين (هما: لامبا دوريا وإنريكو سكوارشفيكو) إلى يغمراسن بن زيان، ليوقعا معه معاهدة سلم وتجارة وللحصول على دفعة من الحبوب قدرها "8000 مين".

-Arturo FERRETTO : "Codice diplomatico della relazioni fra la Liguria la Toscana e la Lunigiana ai tempi di Dante(1265-1321)" , in: ***Atti della Società ligure di storia patria***, Vol: 31/1901, S. Giuseppe, Roma, p.260; Diminique VALERIAN, ***Les affaires de Giovanni da Pontremoli au Maghreb après la chute de Constantinople***, Communication in congrès "La conquête de Constantinople*: l'événement, sa portée et ses échos(1453-2003)", Déc. 2003, Tunis, CERES,* p. 188.

وأنظر: مصطفى نشاط، **جنوة وبلاد المغرب: مساهمة في دراسة العلاقات الايطالية المغربية أواخر العصر الوسيط (609ه/1212م-759ه-1358م)**، مطبعة الرباط نت، الرباط-المغرب، د. ط، 2014، ص:84.

[5] - Atallah DHINA, ***Le Royaume Abd-Eloadid*** …,**Op. cit**, p. 165.

[6]- لطيفة بشاري، **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13-16م)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص:196-199؛ – Atallah DHINA, ***Les Etats de l'Occident Musulman aux XIII^{e}, XIV^{e} et XV^{e} siècles,*** O. P. U., Alger, édition 01, 1984, p.338-339. مصطفى نشاط، **المرجع السابق**، ص: 130.

مناطق الانتاج	الحبوب	الكمية	ملاحظات	المصدر
بسكرة	زروع.	غلتها كثيرة	قاعدة بلاد الزاب.	- أبو الفداء، **البلدان**، **المصدر السابق**، ص: 139؛ ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، ص:95-96.
الزاب	زرع	كثيف	///	- الورثلاني، **الرحلة**، **المصدر السابق**، ج:1، ص: 117.
تاهرت	///	///	بها مزارع وضياع جمة، وغلاتها كثيرة.	- الحميري، **الروض**، **المصدر السابق**، ص:126-127؛ **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:110.
برشك	الحنطة والشعير	كثير	جملة مزارع	- الحميري، **الروض**، **المصدر السابق**، ص: 88؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:355.
تنس	الحنطة	ممكنة جدًا.	بها مزارع كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار، وسائر الحبوب موجودة.	- أبو الفداء، **البلدان**، **المصدر السابق**، ص: 138؛ **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:104-105؛ الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:36.
الجزائر	الحنطة والشعير	زراعتهم الأعظم.	أهم الزراعات.	- الحميري، **الروض**، **المصدر السابق**، ص: 163؛ **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:114.
قلعة هوارة	///	///	من نظر تلمسان، وهي في جبل خصيب، به مزارع.	- الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:399؛ الحميري، **الروض**، **المصدر السابق**، ص: 470.
مليانة	///	كريمة البقعة	مزارعها خصيبة	- الحميري، **الروض**، **المصدر السابق**، ص: 546-547؛ مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:359-360.
مازونة	مزارع.	///	الخصب بها.	- الحميري، **الروض**، **مصدر السابق**، ص: 521-522.
شرشال	الحنطة والشعير.	ما يزيد عن الحاجة.	///	- الحميري، **الروض**، **مصدر السابق**، ص: 340.
واركلان	الزرع.	كثير.	بلد خصيب.	- الحميري، **الروض**، **مصدر السابق**،

				ص: 600.
ندرومة	الزرع.	كثير.	أسعار رخيصة.	– الحميري، الروض، مصدر السابق، ص: 576.
طبنة	الحنطة والشعير.	كثير.	كثيرة المياه.	– أبو الفداء، البلدان، المصدر السابق، ص: 139.
المسيلة	قمح وشعير.	///	بها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه.	– المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق، ص:108.
مرسى الدجاج	زرع وحنطة.	إصابته واسعة مباركة.	لها أرض ممتدة ومزارع متصلة.	– المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق، ص: 115.
بجاية	الحنطة والشعير.	كثير	///	– المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق، ص: 115-116.
مقرّة	حبوب.	///	بها مزارع، بينها وبين المسيلة مرحاة.	– المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق، ص: 119.
قسنطينة	الحنطة والشعير.	///	لها مزارع ممتدة في جميع جهاتها، يورّد قمحها إلى تقرت.	– المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق، ص: 121-122؛ الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:135.
متيجة	القمح الجيد.	بكثرة.	///	– الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:37.
ميلة	القمح.	يكثر.	///	– الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:60؛ مارمول، إفريقيا، المصدر السابق، ج:3، ص:13.
دلس	القمح.	بوفرة.	///	– الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:42.
المدية	الزرع	يجود بها.	///	– مارمول، افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:373.
كوكو	قمح شعير	كثير. بوفرة.	مدينة على سفح جبل كوكو، على مقربة من مدينة الجزائر.	– مارمول، افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:373-374.
وهران	زروع.	حسنة.	///	– ابن إياس، نشق الأزهار، المصدر السابق، ص: 11.

سهل تسلة	القمح.	يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب.	ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب.	– الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:25؛ مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:325.

تلك هي إذن أهم المناطق التي رسمت الخارطة الانتاجية للحبوب في المغرب الأوسط، وساهمت لفترات طويلة – وإلى غاية يومنا هذا – في توفير مادتي القمح والشعير لفئات المجتمع المختلفة، وحتى لتعليف الماشية والدواب،[1] وقد بلغت درجة الاكتفاء في بعض الأحيان، وانعكست وفرتهما على أسعار البيع في الأسواق فرخصت وأصبحت الحبوب في متناول الكثير من الأسر بمدن المغرب الأوسط؛ لكن لا بد من التنويه إلى أن الانتاج بهذا النوع والكمية لم يكن قارا في معظم الأحوال، بل كان يتأثر في بعض الأحيان بالموقع الجغرافي أو الظروف المناخية المتغيرة والظروف الأمنية السائدة وغيرها، لذا كانت بعض المدن والقرى والمناطق الجبلية تعيش ضائقة غذائية بسبب ضعف الانتاج، أو بسبب أن الأرض لا تصلح لزراعة الحبوب أحيانا، وهنا تضطر إلى تعويض النقص الحاصل عن طريق التوريد من المدن المجاورة أو القريبة، كما هو الحال بمدينة تسابيت التي لم تكن تنبت أرضها

[1]- فضلا على ما كان يصنع من القمح والشعير من صنوف المأكولات من الخبز والثريد والحساء والجشيش والفريك والمرمز، فيستعملان في الكثير من الوصفات العلاجية، فمدقوق القمح ينفع من عضة الكلب، وإذا خلط بالملح وضمدت به الدماميل أنضجها، ونخالته تلين الصدر إذا اتخذ الحساء من مائها مع سكر؛ ويتخذ من الشعير ماء الشعير وكشك الشعير وماء دشيش الشعير، وهو شراب يشربه الناس في الوباء والطواعين، وخبزه مفيد جدا للأكرة، وحساؤه نافع للصدر والرئة. ينظر: ابن رزين التجيبي، **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان**، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1984، ص:36-93؛ ابراهيم شبوخ، **المائدة في التراث العربي الاسلامي**، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، د. ط، 2004، ص:26، 27، 30؛ ابن الوردي(ت 749هـ)، **منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين**، تحقيق: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د. ط، د. ت، ص: 119؛ أبي جعفر ابراهيم الجزار(369هـ)، **طب الفقراء والمساكين في التداوي بالأعشاب**، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006، ص:106، 121؛ ابن الجزار، **زاد المسافر وقوت الحاضر**، تحقيق: محمد سويسي، الراضي الجازي وآخرون، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، شركة أربيس للطباعة، تونس، الطبعة الأولى، 1999، المجلد:2، ص:663، 664، 647. ابن وحشية، **المصدر السابق**، ص: 422، 424، 433؛ ثابت بن قرة(ت688هـ)، **الذخيرة في علم الطب**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1998، ص:57، 58، 83، 114، 131، 174.

غير التمر وقليل من الشعير،[1] ولم تكن تقرت بأحسن حالا من سابقتها فالقمح منعدم فيها، وتستورده من مدينة قسنطينة مقايضة بالتمر،[2] وكذلك الحال بقرية بودا أكبر قرى توات، فلا زرع بها، ويجلب لها من بلاد المغرب.[3] وكان جبل بني يزناسن غربي تلمسان لا ينتج إلا القليل من الشعير،[4] ولم يكن ينبت بجبل مطغرة -على ستة أميال من ندرومة- حب غير الشعير،[5] أما جبل ولهاصة المجاور لمدينة هنين فكان نتاجه من القمح قليل.[6]

2- البقول والمقاثي والباقلاء وتوزيعها الجغرافي:

تعد البقول والمقاثي والباقلاء من الزراعات التي لا يستغني عنها الفلاحون في ممارسة نشاطهم الانتاجي الموسمي، ومواد أساسية في المعيشة إلى جانب الحبوب، ومن المكونات الرئيسة في ألوان الطعام التي كانت تتزين بها الموائد والخوان الزيانية.

ومن الواضح أن شعبة البقول تضم كل ما يقع تحت مسمى الخضر أو الخضراوات،[7] ذلك لأن البقل هو كل ما نبت من زريعته لا في أرومة أو أصل ثابت،[8] والأرض المتخذة لها تسمى مبقلة،[9] تهيئ المبقلة على شكل أحواض مستوية وتزود بالسواقي، وتقوى تربتها بالزبول، ثم تزرع الأحواض بزريعة البقول -التي تنمو مباشرة دون تنقيل مثل اللفت- وتغطى الزريعة عن طرق المكنسة، أو تنقل لها شتلات البقول المراد زرعها –كشتلات البصل، فتغرس ويتبعها السقي حتى تنبت.[10]

---

[1]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:133؛ ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص:706.

[2]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:135.

[3]- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص:706.

[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:43.

[5]- **نفسه**، ص: 43.

[6]- **نفسه**، ص: 44.

[7]- نكادي، **المرجع السابق**، ص: 274.

[8]- الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:981.

[9]- ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:58.

[10]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:445-446، 452؛ ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:58.

وتتمثل البقول بصفة عامة في: اللفت، الخسّ، الكرنب، السلق، الثوم، البصل، الجزر، الخرشف، الباذنجان، الكزبر، البسباس، القنيبط أوالقرنبيط، النعنع.[1]

أما المقاثي تنتمي إلى الفصيلة القرعية، وتهيئ أرض المقثأة وتقسم إلى أحواض، ويزال ما كان بها من حجر ومدر وعشب، وتسمد بالأزبال، ثم يشرع في غرس الزريعة حبتين أو ثلاث في حفر صغيرة بين كل حفرة وأخرى مقدار شبر،[2] ويرد على الزريعة التراب غلظ إصبع أو أربعة مضمومة،[3] ثم إذا نبتت تسقى وتنقش وتنقى وتنقى إلى أن تنمو وتثمر.[4]

وتضم المقاثي: القرع، القثاء (الفقوس)، الخيار، البطيخ الأصفر، البطيخ الأحمر(الدلاح أو الدلاع).[5]

والباقلاء وهي لا تنفك عن ما يدعى اليوم بالبقول الجافة، وتضم الفول، الحمص، الجلبان، اللوبيا، العدس، الترمس، الكرسنة.[6]

أما عن مناطق انتاج البقول والمقاثي والباقلاء فالنصوص حولها تكاد تنعدم، ذلك لأن ما وصلنا من أخبار حول هذه الأصناف عن طريق الجغرافيين يدخل في إطار الفلح والزرع بشكل عام، وهو الذي نستشفه من عبارات تتكرر دائما مثل: مزارع واسعة، بسائط خصيبة، المزدرعات، الغلال، البساتين، الجنات، الأدواح، الحدائق، وغيرها؛ ولا يتناول في كثير من الأحيان أسماء الأصناف المذكورة آنفا، وهو ما يجعنا نعتقد أن هذه المستغلات كانت تقوم على زراعتها، يقول صاحب الاستبصار عن ندرومة: "وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار، ولها بسائط خصيبة ومزارع كثيرة"،[7] ونجد أن نفس المعنى المشار إليه يتكرر مع جملة من مدن

---

[1]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:434، وما بعدها.

[2]- ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:62؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 455.

[3]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص: 128-129.

[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 455.

[5]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص: 168، وما بعدها.

[6]- أغلب كتب الفلاحة الواردة في هذا البحث تذكر هذه الأصناف. وينظر: حسن حافظ علوي، **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي في العصر الوسيط**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، منشورات عكاظ، الدار البيضاء-المغرب، د. ط، 2011، ص:281.

[7]- **المصدر السابق**، ص:135؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص:576.

مدن المغـ رب الأوسط، من بينها على سبيل المثال تلمسان يذكر الادريسي: إنّ "ما جاورها من المزارع كلها مسقي، وغلاتها ومزارعها كثيرة، ...، وخيراتها شاملة".[1]

ورغم هذا لا بأس من الاشارة إلى بعض هذه المحاصيل، التي وردت بعض أسمائها عرضا في سياق بعض الأحداث والظروف التي شغلت اهتمام بعض الاخباريين والجغرافيين، ومن جملة ذلك نص فريد في غاية الأهمية ذكره ابن خلدون عبد الرحمن في ديوانه، يتعلق بما كانت تنتجه مدينة تلمسان من محاصيل فلاحية أثناء فترة الحصار الطويل، حيث سجل لنا هذا المؤرخ لائحة بأسماء بعض البقول والمقاثي والباقلاء،[2] نلخصها في الجدول التالي:

العائلة	الأنواع	المقدار (الكمّية):	السّعر:
البقول	- الكرنب. - الخس. - اللفت.	أصل واحد. " " " "	ثلاثة أثمان المثقال. 20 درهمًا. 15 درهمًا.
المقاثي	- القثاء. - الفقوس. - الخيار. - البطيخ.	أصل واحد. " " " " " "	40 درهمًا. 40 درهمًا. ثلاثة أثمان الدّينار. 40 درهمًا.
الباقلاء	- الفول.	أوقيّة واحدة.	20 درهمًا.

ولا نستبعد أن العديد من مدن المغرب الأوسط كانت تقوم على زرع مثل هذه المحاصيل، بسبب المميزات الطبيعية المتشابهة فيما بينها كالموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ والتربة والمياه، وخلفت نتائج ذلك تماثلا في الانتاج الزراعي والمحاصيل الزراعية.[3]

[1]- **القارة الافريقية..، المصدر السابق**، ص:149، وما بعدها.

[2]- **ديوان العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:198.

[3]- عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري(16م)**، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2008، ص:9.

وبالإضافة إلى ما تضمنه الجدول من محاصيل، تشير بعض المصادر إلى انتاج مادة البصل في الأحواض بعض المناطق،[1] ولم يشأ يحي بن خلدون أن يفصح عن كمية انتاج الشعير والباقلاء بسهل ملاتة بعد أن هالته إصابة البرّ فيه سنة ثمان وخمسين وسبعمائة،[2] وتعجب الطغنري لما رأى الثوم بقلعة حماد "دارسًا مصمتًا لا حبّ فيه مثل التفاح".[3]

ومن الوارد جدا أن تكون هناك محاصيل أخرى كانت توفرها حواضر وبوادي المغرب الأوسط، وتصبح اشكالية عَدِّ أنواعها وحصرها صعبة المنال، ذلك لأن المصادر التي بين أيدينا صفحت عن ذكرها، كالذرة الخضراء والجزر والخرشوف والبسباس،[4] والرجلة والترفاس أو الكمأة والقرنينة، وغيرها.[5]

3- الفواكه والأشجار المثمرة:

من الوهلة الأولى نلاحظ أن المصادر قد أولت اهتماما خاصا لهذا النوع من المغروسات، وذلك لكونها مكملة للحبوب في تغذية[6] ساكنة المغرب الأوسط، ويبدو أن الثقافة الفلاحية والتقنيات الزراعية التي اكتسبها الفلاح الزياني كان لها أثرها البالغ في توفير الفواكه والثمار لأبناء المجتمع الزياني، واقامة البساتين والضياع والحدائق والجنان، التي سلبت أنظار الجغرافيين والمؤرخين فلم يبرحوا الأماكن حتى يصفوها بأروع الأوصاف في نصوص رائقة الأدب. وقبل أن نفسح المجال للنصوص نشير إلى أن الفلاح الزياني استخدم في زراعة الأشجار المثمرة والفواكه الأساليب

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:119؛ **المغرب العربي للادريسي**، **المصدر السابق**، ص:106.

[2]- **المصدر السابق**، ج:1، ص:90.

[3]- **المصدر السابق**، ص:446.

[4] - G. MUNBY, ***Catalogue des plantes indigènes du Royaume d'Alger***, J. B. BAILLIÉRE, Paris, 1847, p. 11, 12, 50, 51.

[5] - Mohamed Houbaida, ***Le Maroc Végétarien 15 ème – 18 ème***, Edition WALLADA, Casablanca, 2008, p.65-66.

[6]- عبد الرزاق بن عمر ازريكم، **مدينة أغمات وما إليها في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمدينة الوسيطية ببلاد المغرب**، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش-المغرب، الطبعة الأولى، 2012، ص:240.

والتقنيات المعروفة إلى يوم الناس هذا من خدمة الأرض وغراسة الشتائل وزبر الشجر[1] وتركيب الأصناف الطيبة[2] ودفع الآفات عنها وجني المحاصيل وغيرها.

كانت غراسة الأشجار وإقامة البساتين والجنان والضياع تتطلب جهدا مضاعفا، وكثيرا من الصبر الجميل والمواظبة على تعهد الشجيرات والشتائل، لأنها ليست كالحبوب تظهر غلتها في أشهر معدودة، فالشجيرات أو الفسائل لا تؤتي ثمارها إلا بعد أن يثبت أصلها في الأرض وتبسق فروعها في السماء، وقد يستغرق ذلك بعض السنوات حتى يفرح الفلاح بأول غلة لها، وإلى هذه المرحلة يكون قد صرف الكثير من الجهد في انباتها وعلاجها وتقويمها.

وقد أشرنا سابقا إلى العمليات الزراعية التحضيرية التي كان يقوم بها الفلاح قبل إبَّانِ بَذرِ الحبوب من كل موسم، فكذلك غراسة الأشجار المثمرة كان لا بد لها من جملة من المراحل، يأتي في مقدمتها اختيار الأرض التي تصلح للنوع المراد غراسته، ثم تقلب تربتها بعمق مرتان أو ثلاث، ثم تتم تسويتها ويماط عنها الحجر وجذور النباتات وغيرها.

فإذا انتهى من ذلك عمد إلى تقسيم الأرض بنفسه فخط بها خطوطا متوازية ومتناسبة في الطول والعرض،[3] أو انتدب لذلك من ينوب عنه كالمغارس ونحوه في إطار عقود شركة المغارسة، ثم يحدد مواضع الحفر على طول الخطوط فيدع بين كل موضع وآخر اثنا عشر ذراعا،[4] ثم تحفر تلك المواضع حفرا عمقها أربعة أشبار في

---

[1]- تشير إحدى النوازل التي وقعت في أرض العباد بمدينة تلمسان إلى ذلك في سؤال وجه إلى أبي عبد الله محمد بن سليمان السَّطِي: "، ...، جوابكم في مسألة رجل وجد أرضا بمقربة من العبّاد مضت عليها سنون وهي دائرة لا يعلم لها مالك، وافتتحها وخدمها وغرسها منذ أزيد من خمسين عاما، ثم باع ذلك من رجل آخر، وهي بيده إلى أن نزلت تلمسان في الحصار الأول الذي كان أخره أواخر عام ستة وسبعمائة، وزبر شجره كلها وبقي كذلك زمانا إلى أن توفي، ...". الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:5، ص ص:116-117. راجع ترجمة أبي عبد الله السطي: ابن خلدون عبد الرحمن، **رحلة ابن خلدون**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 2009، ص:48؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، **المصدر السابق**، ص:408.

[2]- **نفسه**، ج:8، ص:178.

[3]- يحي بن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:86؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص:277.

[4]- ما يزال هذا القياس معتمد إلى اليوم في غراسة الأشجار، وبشكل خاص مع كل الأنواع التي تمتد فروعها في الاتجاهات الأربعة، ولعل المرجو من ترك هذه المسافة هو ضمان التهوية والضوء للأرض والشجرة، لأنه في

عرض شبر،[1] وتجعل الشجيرات أو الفسائل[2] في أسفل الحفر وتردم بالتراب ثم تسقى.[3]ويكون ذلك في ابان الغرس الذي يبدأ من أول شهر يناير ويستمر أربعين يوما وهو الأجود،[4] بل قد يستمر موسم الغراسة حتى شهر مارس.[5]

فإذا فرغ الفلاح من الغراسة شرع في سقي الأشجار، وسمّدها بما يصلحها من أنواع الزبول، ويتعهدها بالنقش وإزالة الحشائش والتنقية[6] – التي تنافسها الغذاء والماء في الأرض- عنها حتى تنمو بسرعة، كما يسهر على إقامة جذوعها وتسوية فروعها بقطع فضول القضبان،[7] حتى تنال كل أجزائها حقها من الهواء والضوء[8] بالاعتدال.

ومن بين الأعمال التي كان يباشرها الفلاح كذلك تركيب (التلقيم أو التطعيم) الأشجار المثمرة بأصناف أخرى تفوقها طيبا وجودة، حرصا منه على تحسين نوعية

بعض الأحيان تقام زراعة بعض المحاصيل بين الأشجار. الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 187؛ ابن ليون، **المصدر السابق**، ص: 12(الوجه والظهر).

[1]- **نفسه**، ص:185-186.

[2]- للتذكير هذه الفسائل أو شتائل الأشجار المثمرة يهتم الفلاح بتربيتها لسنتين، فيختار من الأشجار اليافعة الأغصان الطيبة ويتخذ منها أوتادا يغرسها في التربة ويعتني بها حتى تصبح بعد سنتين شجيرات جاهزة للتنقيل والغرس، أو بقطع الأغصان القائمة في أصول الشجر المثمر (تدعى عندنا اليوم بالخلفة) قطعا جزئيا دون فصلها عن أمها ثم يحفر لها بجانبها وتردم، وتترك بعض أطرافها على سطح الأرض، وبعد سنتين تستخرج وتفصل عن الشجرة الأم، وتنقل إلى موضع الغراسة مع شيء من التراب المحيط بها فتغرس. كما كان يتخير من نوى الثمار أصلحها وأسمنها فيزرعها ويتعهدها حتى تكون في منازل الشجيرات فتنقل وتغرس. ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص: 110؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص:189، 216، 220، 222، 229،232؛ قسطوس، **المصدر السابق**، ص:172.

[3]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:186.

[4]- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18.

[5]- لذلك كانت تقول العامّة **"فَاتَكْ الغَرْسْ قَبْل مَارس"**، وفي هذا الشهر يشهد النبات حركة عجيبة فينمو بسرعة بسبب جريان الماء في الأغصان وبداية فترة الدفيئة، لذا كان يقال لبعض من فاتتهم الغراسة قبل شهر مارس على سبيل الحث لاغتنام الوقت للغراسة قبل فوات الأوان **"مَارسْ هَرَّسْ وَاغْرَسْ"**. وللإشارة فكتب الفلاحة التي بين أيدينا لا تشير إلى موسم موحد لغراسة كل الأشجار المثمرة، بل تربط كل صنف أو نوع بوقت خاص به، على عكس ما نراه اليوم(موسم موحد من شهر فبراير إلى شهر أفريل تقريبا) الزجالي، **المصدر السابق**، الهامش رقم: 1161، ص:296؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 189؛ ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص: 64-66.

[6]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 240.

[7]- ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:64-66.

[8]- ابن ليون، **المصدر السابق**، ص: 12(الظهر).

الانتاج، بإصلاح الأشجار وتقريب وقت الاثمار وتجميل البساتين،[1] وكانت هذه العملية تحتاج إلى معرفة ونظر بالتركيب وأنواعه وطرقه، والمام بأصناف الأشجار وما يصلح منها للتركيب، والأوقات التي يجب أن تركب فيها.

وتشير كتب الفلاحة إلى أن أحسن التركيب ما كان في يوم معتدل[2] من شهر يناير في البلاد الحارة،[3] أو في شهر فبراير لمن قصد التبكير،[4] وفي مارس للمتأخر،[5] للمتأخر،[5] ويختار الفلاح الأغصان المتفجرة ماء، والملساء الناعمة وغير المنفتلة، ويشق الشجيرة المراد تركيبها فيطعمها قلما أو "عينا"[6] منها ويحكم الشدّ ويسرع في العمل حتى لا يصل الهواء إلى الموضع التركيب فيصيبه خلل،[7] ثم يكسو الموضع بطين أبيض مخلوط بتبن، ويلف عليه لفافة من كتان تضبطه،[8] ويغطي الموضع بعد ذلك بالتراب.

وما من شك فيه أن ما ذكره الجغرافيون من اشارات - متعلقة بالفترة محل الدراسة - وأوصاف دقيقة لأشكال من الفواكه والثمار، قد تكون بعض الأحيان في الصنف الواحد، نعتقد أنها أكبر دليل على معرفة فلاحي المغرب الأوسط لتقنية التركيب، وسيتضح ذلك من خلال النصوص التي ستقدم لاحقا.[9]

ومن العمليات الفلاحية المهمة التي لربما انعدم الانتاج إذا أهملها الفلاح، إنها عملية التلقيح أو التذكير، وذلك أن الله تعالى خلق من كل شيء زوجين الذكر والأنثى، وجعل سنة التزاوج باقية ما دبت الحياة على الأرض، وسخر لها أسبابا تحدثها كالريح

---

[1]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 374.

[2]- ابن ليون، **المصدر السابق**، ص:20(الوجه).

[3]- ابن حجاج الاشبيلي، **المصدر السابق**، ص:64.

[4]- ابن ليون، **المصدر السابق**، ص: 20(الوجه).

[5]- **نفسه**، والصفحة ذاتها.

[6]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 178، 180.

[7]- **نفسه**.

[8]- نفس طريقة التلقيم أو التركيب مستمرة اليوم وتعرف تقريبا بنفس التسمية تلقيم "الوتد" يعني "الغصن" أو "القلم"، وتلقيم "العين" وهي النتوء البارزة على طرفي الغصن، ما تغير هو أن مكان الطين المخلوط بالتبن حل الشمع المذاب. ابن العوام، **المصدر السابق**، ج:1، ص:408.

[9]- ينظر فيما يأتي جدول توزيع انتاج الفواكه بالمغرب الأوسط.

تسري بين رحمته –جلّ وعلا- وتنقل "ريح الذكر إلى الأنثى فينضج ثمرها"،[1] أو تسلك الحشرات أزهار الزرع ونحوه ذللاً فتذكر هذه بلقاح تلك، أو أن يتدخل الفلاح يدويا في تحقيق ذلك كما هو الحال في تلقيح النخل، حيث ينقل للنخلة الأنثى "الذكار"[2] "الذكار"[2] المتمثل في شماريخ عذق النخلة الذكر فتوضع بين شماريخ عذق النخلة الأنثى وتربط بسعفة من الجريد، ومن اختلاف حال النخل "أنّه يثمر عند التلقيح، ولا يثمر مع عدمه".[3]

وتشير نازلة إلى نوع آخر من أنواع تلقيح الثمار، حيث سئل: "عن شجرة تكون في جنان رجل يريد رجل أصولها ويسقيها ويعلق لها الذكار ويأكل ثمرتها، ..."[4] ولعل النازلة تشير إلى تذكير التين من أجل استقدام نوع منه ينضج باكرا في منتصف شهر ماي[5] يعرف بـــ: "باكور التين"[6]، وطريقة التذكير "أن يجنى التين الذكر حين يبيض أو يصفرّ،... فينظم منه اثنتان أو أكثر في شعرة أو خيط ويعلق على أغصان التين".[7]

وفي نفس سياق حديثنا عن أعمال الفلاح، تأتي عملية جني محاصيل الفاكهة والثمار، التي أوشكت على الصلاح،[8] فكان الفلاح يجهز لها كل الوسائل، فيعد الدواب

---

[1]- مجهول، **مفتاح الراحة، المصدر السابق**، ص:93.

[2]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:499.

[3]- مجهول، **مفتاح الراحة، المصدر السابق**، ص:93.

[4]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص: 270؛ وتشير نازلة أخرى إلى هذا المعنى نقلها المعداني عن المفتي أبي عبد الله محمد بن عبد الله اليفرني المكناسي(ت917 أو 918ه) نصها: "فيمن أعطى جنانه لمن يذكره بجزء مما يخرج من التين". **المصدر السابق**، ص:133.

[5]- بينما ينضج التين العادي منذ بداية شهر غشت(أوت). مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص:30.

[6]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص:30؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:296.

[7]- وهي من الطرق البديعة في انتاج باكور التين، ولا زالت باقية في المجتمع الفلاحي القروي إلى يومنا هذا. النابلسي، **المصدر السابق**، ص:67؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص:273.

[8]- وحسب الحسن الوزان فإن أوقات نضج الفواكه والثمار ببلاد البربر كما يلي: "...، في أبريل تكاد جميع الفواكه الفواكه تبتدئ في أخذ شكلها بحيث يؤكل حب الملوك في سهول موريطانيا أوائل ماي بل وفي أواخر أبريل. وبعد مرور الأسابيع الثلاثة الأولى من ماي يقتطف تين ناضج نضج تين الصيف. وفي الأسبوع الثالث من شهر يونيه يبدأ العنب ينضج ويؤكل، وينضج في شهري يونيه ويوليوز التفاح والاجاص والمشمش والبرقوق جميعها، كما ينضج في شهر غشت تين الخريف والعناب، غير أنه لا يكثر التين والخوخ الا في شتنبر. ...، ...، ويقتطف التفاح والرمان والسفرجل في شهر أكتوبر، والزيتون في نونبر". **المصدر السابق**، ج:1، ص:78.

الدواب للنقل، ويحضر سلال[1] التحميل ونحوها، ويباشر الجني بنفسه أو مع أفراد أسرته، أو بعبيده، وفي بعض الحالات يتفق مع الأكرة[2] الذين اختارهم[3] على وجه العمل وثمنه ومدته، ويوكل لهم مهمة جمع الفواكه والثمار ويتولى هو متابعتهم ومراقبتهم.

وكان القطاف على العموم يتم باليد مع سائر الفواكه، وكانت بعض الثمار تنفض كالجوز واللوز والزيتون، حيث كان الفلاح أو الأجير يتسلق الشجرة ويقوم بهزها[4] فتتساقط الثمار ثم يجمعها، أو يحمل في يده عصا طويلة يضرب بها الأغصان ليسقط الثمر،[5] ولكن طريقة النفض كانت تؤثر كثيرا على الأشجار ومردوديتها في المواسم اللاحقة فكانت الكثير من البراعم والعيون والأغصان تنقطع وتنكسر، وأوصى أهل الفلاحة بضرورة تجنب هذه الطريقة لما فيها من مضار، خاصة إذا تعلق الأمر بجني الزيتون الناضج الذي يستحسن أن يجلب باليد ولا ينفض.[6]

وإذا أتم الفلاح قطاف اليوم أو ما تيسر له جمعه، فإن كان مما يخاف عليه الفساد نقله إلى السوق لبيعه من الناس،[7] وإن كان مما يصلح للتجفيف نشره أمام أشعة الشمس ليجف، وإن كان مما ينشد زيته دفعه إلى المعصرة، على حسب التدبير أو العائد الذي يروم الفلاح تحقيقه من خلال العملية الانتاجية.

ولما كانت الفواكه والثمار على اختلاف شكلها ولونها وطعمها من "النّعم الطرية"[8] التي منّ الله تعالى بها على الانسان، فقد حاول الفلاح بالمغرب الأوسط استغلال ما فيها من فوائد، فاتخذ من أجل ذلك بعض التدابير الغذائية كالتجفيف

---

[1]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:485.

[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:374، 375/ ج:5، ص:83/ ج:6، ص:325.

[3]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:123 وما بعدها.

[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:192.

[5]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:1، ص:78.

[6]- أثبتت التجارب المعاصرة اليوم أن أحسن طريقة لجني الزيتون أن يجلب باليد، وبذلك تحافظ على سلامة حبات حبات الزيتون إذا ما حفظت وكميات الزيت التي تحتويها إذا ما عصرت، وعلى العكس فالضرب بالعصي يجعلها أكثر عرضة للتشقق والتلف وتفقد الثمرات الكثير من الدهن. الطغنري، **المصدر السابق**، ص:192-193.

[7]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:84.

[8]- أبو الحسن علي بن ابراهيم الأندلسي المراكشي، **أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية**، تحقيق: عبد الله بنصر العلوي، المجمع الثقافي، أبو ظبي-الامارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1999، ص:35.

والتصبير ونحوهما، حتى يمكنه تخزينها لمدة طويلة وبالتالي ضمان توفرها كغذاء على مدار السنة.

وهنا تجدر بنا الاشارة إلى عملية التجفيف أو التيبيس[1] التي كانت تطال جملة من الفواكه كالتين والتمر والعنب والمشمش وغيرها؛ فالتين كان إذا تناهى في الطيب قطف ووضع شرائح أما أشعة الشمس حتى يجف، فإذا يبس جعلت تلك الشرائح بعضها فوق بعض حتى تصبح على هيئة "الطوبة"،[2] أو تنظم حبات التين في حبال وتعرّض للشمس حتى تجف،[3] ثم يدهن بالزيت ويدخر "في الخوابي أو في أعدال الحلفاء"[4]، أو يوجه للأسواق فيباع.[5]

وقد اهتم فلاحو المغرب الأوسط بغراسة أشجار التين وبتجفيف ثمارها، فكانت الممتلكات الهائلة خارج تلمسان تنتج تينا شديد الحلاوة، وهو أسود غليظ طويل جدا يجفف ليؤكل في الشتاء،[6] وكان ببرشك أجود ثمار التين في افريقية، كانت تجفف وتحمل إلى جميع مدن بلاد البربر،[7] وعرفت مدينة مرسى الدجاج بامتداد أراضيها واتصال مزارعها، وبكثرة تينها ورخص سعره، وكان يجفف وينقل إلى الآفاق وأقاصي المدن والأمصار شرائح طوبا ومنثورا حتى اشتهرت به،[8] والظاهر أن إقبال إقبال أهل المغرب الأوسط على تجفيف التين بسبب كثرة انتاجه وقلة مؤنته وسهولة عمله.

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:261.
[2]- **نفسه**، ج:3، ص:142.
[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:255.
[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:163.
[5]- نفس الطرق لا زالت مستخدمة إلى يومنا هذا بما في ذلك دهن التين، ولم يجزه بعض المفتين لما فيه من التدليس على المبتاع منهم. الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:409.
[6]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:20.
[7]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:355.
[8]- **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:115.

أما التمر فإذا جناه الفلاح قطع جريد النخل وفرشه ونشر عليه التمر قبالة أشعة الشمس لييبس،[1] أو نشره على سطوح المنازل وغيرها مما يجوز النشر عليه،[2] فإن استحكم نشافه أمكن ادخاره[3] في الأزيار[4] أو الجرار والخوابي.[5]

وأما العنب فيبدأ تجفيفه في الشمس بعد منتصف شهر أوت،[6]حيث تكون عناقيد العنب قد تناهت طيبها وحَلَت حباتها، وعندئذ تقطع العناقيد ويتخذ لها مكان خال من التراب يوضع فيه ما يقوم مقام الفرش فتنشر فيه وتترك لتجف،[7] فتصبح زبيبا، وإن أراد رفعها وتخزينها جعلها في الكيزان والجرار وأحكم إغلاقها بالطين ووضعها في مكان بارد لا يدخله دخان.[8]

ومن النشاطات التي أولاها الفلاحون بالمغرب الأوسط اهتماما خاصا عملية زبر الأشجار،[9] وذلك من أجل المحافظة على قوتها وسرعة إثمارها وتحسين شكلها، شكلها، وتنقيتها من فضول الأغصان وضعافها التي تحجب الشمس والهواء عن الفروع الرئيسية المنجبة للثمار،[10] وكان وقت الزبر ينطلق من شهر نوفمبر ويستمر حت يستكمل في شهر فبراير، ويستخدم في ذلك الفلاح منجلا حادا للقطع، وفأسا للكشف عما انبعث من الأشجار في أصولها، ومنشارا لنشر ما جف من الأغصان،[11]

[1]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:484-485.

[2]- **نفسه**، ص:464؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:293.

[3]- **نفسه**، ج:2، ص:74.

[4]- **نفسه**، ج:1، ص:17.

[5]- راجع: **الملحق رقم**: 13.

[6]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:1، ص:78.

[7]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:159-160.

[8]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:34.

[9]- تشير نازلة رفعت إلى المفتي أبي عبد الله السّطي أن تقنية الزبر أو التقليم كانت معروفة عند أهل المغرب الأوسط خاصة عند التلمسانيين، النص: "جوابكم في مسألة رجل وجد أرضا بمقربة من العباد مضت عليها السنون وهي دائرة لا يعلم لها مالك وافتتحها وخدمها وغرسها منذ أزيد من خمسين عاما ثم باع ذلك من رجل آخر وهي بيده إلى أن نزلت تلمسان، ...، عام ستة وسبعمائة وزبر شجره كلها وبقي كذلك زمانا إلى أن توفي المشتري المذكور، ...". الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:117؛ وأنظر نازلة أخرى: **نفس المصدر والجزء**، ص:130.

[10]- ابن العوام، **المصدر السابق**، ص:500-501؛ ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:106.

[11]- ابن ليون، **المخطوط السابق**، ص:19(الوجه).

ويوصي خبراء الفلاحة الفلاحين بضرورة التقليم بقطع الأغصان المراد قطعها قطعًا بليغًا أملسًا من الأسفل إلى الأعلى، ثم يغطي موضع القطع بالطين جيدا حتى لا يلحقه السوس فيفسد الشجرة.[1]

تلك هي إذن الخطوط العريضة والعمليات المهمة التي كان يقوم بها معظم الفلاحين في بساتينهم على مدار السنة خاصة كبار الملاكين وأصحاب الاستغلاليات الواسعة، من الأجل المحافظة على تواصل العملية الانتاجية، والمحافظة على الأشجار شابة حسنة الشكل، لكن رزنامة[2] نشاطات الفلاح تتجاوز ما عرضناه بكثير، لأن طبيعة العمل في الفلاحة تتعلق بكل فصول السنة بل إن في كل شهر من شهورها عمل لا بد على الفلاح أن يقوم به في ذلك الشهر ولا يتجاوزه، وإلا تأخر كل ما يأتي بعده من موعد الاثمار والجني والتجفيف والتخزين ووقت التسويق وغيرها، وبالتالي فالفلاح كان يبذل الكثير من الجهد ويصرف وقته وماله في رعاية البذور والزروع، والعناية بالفواكه والثمار قصد جني غلال وفيرة ترد له أتعابه، وتوفر له عولة السنة.

ويستوقفنا في هذا السياق الكثير من ملاحظات الجغرافيين والرحالة ومشاهداتهم التي دونوها عن بعض مناطق إنتاج الفواكه والثمار، وهي تعتبر بحق قرائن قوية على ريادة إقليم المغرب الأوسط في انتاج الفواكه والثمار المتنوعة، ومن تلك المشاهد والقرائن ما ذكره يحي بن خلدون عن تلمسان: "وتحفّ بخارجها، ...، الحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من الفواكه والرمان والتين والزيتون"،[3] وكانت جنات جنات الصفصيف القريبة من تلمسان "بهجة القلوب ونزهة العيون"،[4] وكانت ببرشك فواكه جمّة وجملة مزارع،[5] ولم تشذ عنهم كل من المسيلة ووركلان فالنخل والبساتين والبساتين كثير فيهما،[6] وأوشكت نقاوس أن تنال قصب السبق بكثرة ثمارها وجوزها

---

[1]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:106؛ الطغنري، **المصدر السابق**، ص:269.

[2]- راجع: بقية الأعمال الفلاحية **الملحق رقم**: 16.

[3]- **المصدر السابق**، ج:1، ص:86؛ القلقشندي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:145.

[4]- ابن الحاج النميري، **فيض العباب** ...، **المصدر السابق**، ص:487.

[5]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:88.

[6]- **نفسه**، ص: 558، 600؛ **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص: 171، 172، 224.

وفواكهها التي كان يتجهز بها إلى ما جاورها من الأقطار،[1] وضمت وهران بين جنباتها البساتين والجنات والفواكه،[2] وكانت بيوت هنين مغروسة بكروم العنب "المعروشة"[3]، وتنتج كميات وافرة من الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والاجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون،[4] لكن حاشاها من كروم تلمسان المعروشة المعروشة الممتازة والهائلة، التي تنتج أعنابا من كل نوع، طيبة المذاق جدا،[5] وكانت أراضي وجدة غزيرة الانتاج، قد أحاطت بها حدائق خصت بالكروم وأشجار التين.[6]

وبالإضافة إلى ما تضمنته هذه النصوص من احالات مستفيضة حول انتاج الفواكه والثمار بالغرب الأوسط على العهد الزياني، نحاول من خلال الجدول الآتي تقديم خريطة توزيع مناطق انتاجها:

الفواكه أو الثمار	مناطق إنتاجها	الكمية - النوع - الصفة	المصدر
السفرجل	تاهرت	سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما ورائحة.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، 178.
	تنس	سفرجل طيب.[7]	الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص:138؛ **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص:104-105.

---

[1]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:579.

[2]- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:133-134.

[3]- تشير هذه الكلمة إلى إحدى التقنيات الفلاحية التي عرفها الفلاح على العهد الزياني، وقد كانت تستخدم في كروم المنازل أو في البساتين والملكيات الكبيرة خارج المدن كما هو الحال في تلمسان في النص اللاحق، وتدعى التقنية بالتعريش، وهو تدريج الكروم على أسرة تتخذ من الخشب والأعواد والقصب محمولة على ركائز، ولا يتم التعريش إلا بعد مدّ الحبال وتعديل الصفوف وقسمة الأرض وتوقيف الركائز إلى الكروم لتربط إليها، ويكون علو التعريش أقل مما يدخل الراكب تحته في البساتين الكبار، أما في الرياض فبقدر ما يمشي الماشي ويكون بين العناقيد وبين رأسه شبرا. ينظر: الطغنري، **المصدر السابق**، ص:363-365.

[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:16،15.

[5]- **نفسه**، ج:2، ص:20.

[6]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:13.

[7]- يسميه ابن حوقل بـ: "السفرجل المعنق"، ويذكر أن السفرجل الذي كان على عهده بالمسيلة، انما أصله من تنس، وهنا يطالعنا هذا الجغرافي بقضية مهمة جدا نستخلص منها عدة فوائد منها: تناقل الأخبار بين الفلاحين في البلدان البعيدة حول الأصناف الطيبة من الأشجار المثمرة، توريد الأشجار المثمرة المشهورة بنوعيتها وثمارها الجيدة من موطنها الأصلي وغراستها في مواطن جديدة. **صورة الأرض، المصدر السابق**، ص:85.

	الخضراء	كثير. كبير.	الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:223.
	شرشال	كثير.	الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:340؛ **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:114.
الرمان	تلمسان	/////	- يحي بن خلدون، **بغية الرواد**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:86.
الزيتون.	بسكرة	كثيرة.	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، 173.
	جبال قسنطينة	تنتج الكثير من الزيتون. تزود جميع المدن المجاورة.	- الوزان، **وصف إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:58.
	هنين	ما لا يحصى من الزيتون.	- - الوزان، **وصف إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:15-16.
	وادي الزيتون	بتلمسان.	Brosselard (ch) :“ ***les inscription arabes de Tlemcen***”,in ***Revue Africaine*** , N°15,février 1859 ; volume 03,p.169,170/N°29,septembre 1861,volume 05,p.p.321-336.
	تيفدا (زيتون تيفدا)	بتلمسان.	
	الحنايا (تلمسان)	غلته في كل سنة تساوي المئين.	- المقري أحمد بن محمد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1983، ص:95.
الفواكه.	ندرومة	كثيرة، رخيصة الأسعار.	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:135.
الثمار.	وهران	كثيرة.	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص: 133-134.

النخل	بسكرة	كثيرة. تمرها طيب يجلب إلى تونس وبجاية.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 173؛ أبو الفداء، **المصدر السابق**، ص:139؛ ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص:96.
	طبنة	كثيرة.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:172
	بلاد الزاب	كثير.	- - **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 171.
	واركلا	كثير.	الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص:600.
	المسيلة	كثير.	الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق**، ص:558.
	بلاد ريغ	بلاد نخل.	ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا، المصدر السابق**، ص:95.
	توات	بها من التمر أنواع كثيرة. رخيص.	- العياشي، **الرحلة، المصدر السابق**، مجلد:1، ص:79-80؛ ابن بطوطة، **الرحلة، المصدر السابق**، ص:706.
الجوز.	نقاوس	كثير، يحمل شجر الجوز منها إلى قلعة حماد وبجاية.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:172.
	تلمسان	كثير.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص: 176.
	مليانة	كميات كبيرة.	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:359-360.
المشمش	تلمسان	يقارب في الحسن مشمش دمشق.	- القلقشندي، **صبح الأعشى، المصدر السابق**، ج:5، ص:145.
	هنين	كميات وافرة.	- الوزان، **وصف افريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:15-16.
التين	شرشال	قليل.	- **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص:114.

	مرسى الدجاج	كثير ورخيص. يجفف وينقل إلى الآفاق وأقاصي المدن.	- **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:115.
	بجاية	ما يكفي لكثير من البلاد.	- **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:115-116.
	وجدة	حدائق مخصصة للتين.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:13.
	هنين	ما لا يحصى من التين.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:15-16.
	جبال قسنطينة	تنتج الكثير من التين.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:58.
	تلمسان	تنتج تينا أسود، غليظ طويل جدا، شديد الحلاوة.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:20.
	العباد تلمسان	كان كثيرا حتى لم يكن كثير اعتبار بوجه.	- ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، **المصدر السابق**، ص:127.
حب الملوك	تلمسان	كثير، مشهورة به.	- لسان الدين، **معيار الاختيار**، **المصدر السابق**، ص:184.
	هنين	كميات وافرة.	- الوزان، **وصف افريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:15-16.
الأعناب	قلعة هوارة	/////	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:178-179.
	شرشال	كثيرة.	الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:340.
	برشك	العنب الأسود.	- القرماني(ت1019ه)، **أخبار الدول وآثار الأول**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1992، مجلد:3، ص:323.
	الخضراء	كثير.	الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:223.

	بنو وازلفن	كروم كثيرة.	- المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق، ص:106.
	هنين	كرم معروش.	- الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:15.
	تلمسان	تنتج عدة ألوان من العنب، طيبة المذاق.	- الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:20.
	مليانة	العنب الأبيض.	- مؤلف مجهول، مناقب أحمد بن يوسف الراشدي، المصدر السابق، ص:18.
	شلف	العنب الأكحل.	- موسى بن عيسى، ديباجة الافتخار، المصدر السابق، ص:660-661.
	بنو راشد	يشتغلون بزراعة الكروم.	- مارمول، إفريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:324.
الإجاص	هنين	كميات وافرة.	- الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:15-16.
	تلمسان	كبير، حسن المنظر، متناهي في الطيب.	- مارمول، إفريقيا، المصدر السابق، ج:1، ص:30؛ الملالي، المواهب القدوسية، المصدر السابق، ص:325.
	ميلة	يكثر في البلاد.	- الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص: 60.
التفاح	هنين	كميات وافرة.	- الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:15-16.
	تلمسان	/////	- مارمول، إفريقيا، المصدر السابق، ج:1، ص:30.
	ميلة	يكثر في البلاد.	- الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص: 60.
الخوخ	هنين	كميات وافرة.	- الوزان، وصف افريقيا، المصدر السابق، ج:2، ص:15-16.

	تلمسان	/////	- مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:30.
التوت	شرشال	أشجار التوت أهم مورد.	- مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:356.
الليمون والبرتقال	مليانة	بها أحسن ما في بلاد البربر منه. تعطي ثمارا جيدة تباع في تنس وغيرها من المدن.	- مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:359-360.
	جبل أغبال في عمل وهران	الليمون الحلو والحامض والبرتقال.	- مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:352-353.
البرقوق	تلمسان	وهو العبقر.	- العقباني، **تحفة الناظر**، **المصدر السابق**، ص:91.

تلك هي إذن أهم مناطق انتاج الفواكه والثمار بالمغرب الأوسط على العهد الزياني، ومن خلال الجدول نلمس تنوع الانتاج وكثرته، واختصاص مناطق دون أخرى في انتاج بعض الفواكه والثمار، وكذلك تميز بعض الأصناف من الثمار بحسنها وطيب مذاقها عن أصناف أخرى مماثلة لها في بعض المدن والأقطار.

هذا ولم تقتصر الفلاحة في المغرب الأوسط على بذر الحبوب وحصادها، وغرس الأشجار وجني ثمارها، بل نشطت سواعد الكثيرين من ممتهني هذا النشاط إلى الابداع في اتخاذ البساتين والجنات والحدائق والرياض والمتنزهات، ولم يكن ذلك حكرا عليهم فقد نافسهم السلاطين والعلماء والزهاد، ولا شك أن الغرض من إقامتها الترويح عن النفس والنزهة والتمتع بالنظر إلى الرياحين والياسمين، والتفكه بثمارها وغلالها. وحسبنا في هذا ما ذكره البلوي عن تلمسان: "فرأيت،... روضات يعتري ويعترض إليها اهتزاز وارتياح، وجنات ريقها ندى وثغورها أقاح"،[1] ويضيف يحي بن خلدون: " بها (تلمسان) للملك قصور زاهرات، إشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه، ونمقت غروسه،

[1]- **تاج المفرق**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:148-149.

ونوسبت أطواله وعروضه،... وتحف بخارجها،... الحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين".[1]

ويتبن من خلال وصف يحي ابن خلدون أن بني زيان قد اغترسوا الكثير من البساتين والحدائق والرياض داخل تلمسان وخارجها، ومن بين الأدلة على ذلك أعمال السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول (23 جمادى الأولى 718-736هـ/1318-1336م) في البناء والبستنة ونظم الغروس حتى نُعِتَ بـ "مشيّد القصور ومروض الغروس ومتبنّك الترف"،[2] ولم يكن أبو حمو موسى الثاني بأقل شأنا منه فاختص نفسه وأهله ببعض البساتين وجعل فيها من الفواكه الطيبة الطعم، وجعل عليها "جَنَّانًا" يقوم على خدمتها وسقيها والعناية بها وجنيها.[3]

4- محاصيل أخرى:

إلى جانب المحاصيل السابقة، أنتجت بعض المناطق من بلاد المغرب الأوسط محاصيل أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها، وهي:

أ- النباتات النسيجيّة:

ومنها الكتان فقد اشتهرت بإنتاجه بعض المناطق من المملكة الزّيانية، فقزرونة (متيجة) كانت أكثر النواحي إنتاجا للكتّان ومنها كان يحمّل إلى مختلف الجهات،[4] وعرفت مدينة برشك بحياكة الأقمشة لتوفره بها،[5] وكان أهل مقرّة يزرعون الكتان وهو كثير عندهم.[6]

---

[1]- المصدر السابق، ج:1، ص:86؛ وأنظر: عبد الرحمن بن خلدون، **ديوان العبر**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:161.

[2]- لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية**، **المصدر السابق**، ص: 121.

[3]- ابن الأحمر اسماعيل، **الدولة الزيانية**، **المصدر السابق**، ص :81.

[4]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:523.

[5]- الوزّان، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 32- 33.

[6]- **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:119.

وكان نبات الكتّان في هذه المناطق مهدّدًا ببعض الثباتات الضّارة التي كانت تهلكه في بعض الأحيان ومنها نبات سبع الكتّان، وكان يسمّى عند أطبّاء الغرب الإسلامي بالكشّوث.[1]

أما القطن فكانت ندرومة تنتج الكثير منه لأنه ينبت بناحيتها، ويصنع أهلها منه الأقمشة القطنية، التي كانت تجلب إلى تلمسان،[2] وكان يزرع بأراضي مستغانم والمسيلة فيجود،[3] وكانت طبنة تنتجه بكثرة،[4] وكانت له بالمسيلة مزارع ممتدة،[5] وكان أهل هنين نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات.[6]

هذا بالإضافة إلى الحلفاء التي كانت تجمع من الأحراش والجبال وتجعل حزما وتباع بالأسواق،[7] ومنها كانت تنسج السلال[8] والبرادع[9] وبلغة الحلفاء؛[10] والدوم الذي الذي ينمو بالجبال وتقطع أوراقه وتجفف وتصنع منها الطبيقات والقفاف ثم تباع،[11] وكانت تنسج منه حصر الصّلاة،[12] كما كان يفتل الدّوم اليابس ويجعل منه حزماً يسارع النّاس لشرائها.[13] وبالإضافة إلى نبات الدّوم والحلفاء الذي كان متوفرًا بالكثير

---

[1]- سبع الكتّان أو الكشّوش: من النباتات المتطفّلة التي تبني دورة حياتها على التغذي ممّا ينتجه النبات الحيّ مباشرة من الجذور ولعله المعروف في وقتنا هذا بالكشكوت المتسلق أصفر اللون. ابن بيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، دار الصّادر، بيروت، د. ت، مجلد: 2، ج:3، ص:4.

[2]- الوزّان، **المصدر والجزء السابقان**، ص:14.

[3]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:558.

[4]- أبو الفداء، **المصدر السابق**، ص:139.

[5]- **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص:108.

[6]- الوزّان، **المصدر والجزء السابقان**، ص:15-16.

[7]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:37. المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:335.

[8]- أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي، **كتاب في آداب الحسبة**، نشر: جورج كولان وليفي بروفنصال، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الثانية، 2011، ص:64،19، 71.

[9]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:386.

[10]- نوع من الأحذية كالبلغة المتخذة تماما من الجلد، ارتبط وجودها بالزهاد والعباد، تسمى في اللغة العامية بـ: "بومنتل"، ونادرا ما نجدها في أيامنا هذه. عيسى بن موسى، **المصدر السابق**، ص:763.

[11]- فضلا على إستخدام أوراق الدوم في النسيج، كانت جذوره وثماره التي تشبه التمر تعتبر غذاء، تدعى جذوره بـ "الجمّار"، وتسمى عند العامة اليوم بـ" الجماخ" . ابن مريم، **البستان، المصدر السابق**، ص:178؛ ابن صعد، النجم الثاقب، **المصدر السابق**، ج:2، ص:407.

[12]- ابن الزيّات التادلي، **المصدر السابق**، ص:294.

[13]- ابن صعد، **روضة النسرين**، ص: 202.

من أراضي الدّولة الزيانية لا سيما بالمناطق الساحلية والداخلية، وما يزال متوفرا إلى يوم الناس هذا، كان جريد النّخل المتوفر بالواحات يستخدم لنفس الأغراض تقريبا.

ب- النّباتات الطبيّة:

ومن النّباتات الطبيّة التي كانت تنمو بأنحاء المغرب الأوسط في الجبال والغابات والأحراش، وكان العشابون يجمعونها ويبيعونها في سوق الأعشاب والعطارة لمن ينشدون الشفاء، نذكر: نبات الفوليون الحراني الذي كان ينبت بكثرة في قلعة بني حماد، وكان يستخدم كمضاد للسعات العقارب السود،[1] أميليلس وهو إسم بربري لشجر معروف بكامل بلاد المغرب، يستعمل لحاؤه للصّفار في الوجه،[2] ونبات الضّرو الضّرو الذي كان يستخرج منه صمغ المصطكى الذي يدخل في تركيب العديد من الأشربة النّافعة،[3] ونبات الأفسنتين ومن أنواعه شيبة العجوز[4] المزدرع في البيوت، وكان يستعمل لتقوية المعدة الضعيفة،[5] ونوارة الخرشف التي كانت تستخدم في صناعة الجبن.[6] بالإضافة إلى السداب وهو الفيجن(الفيجل)،[7] والعرعر والحلحال وتمر الدردار والمرددوش والرجلة والعنصل والبرواق والحريق،[8] والكلخ،[1]

---

[1]- **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص:109.

[2]- ابن البيطار، **المصدر السابق**، مجلد:1، ج:1، ص:6.

[3]- ابن الجزّار القيرواني، **المصدر السابق، المجلّد:2**، ص:763 ؛ أيضا: عبد الرزّاق بن حمادوش الجزائري، **لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال** ، تحقيق: أبي القاسم سعد الله، دار الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص:121؛ عبد الرحمن حمادو الكتبي، **مع ابن يوسف السنوسي(رسالة في الطب: تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية)**، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص:147؛ السقطي، **المصدر السابق**، ص:41.

[4]- وتسمى كذلك بالشيخ الرومي. مؤلف مجهول، **كتاب تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب**، مطبوعات معهد العلوم المغربية، مكتبة بول قطنيز، باريز، 1934، ص:4؛ وينظر: ابن البيطار، **كتاب الطب**، مخطوط، المكتبة الملكية الدانمركية(Det Kongelige Bibliotek)، الدانمارك، الرقم:CXIV، ص:2 (الظهر).

[5]- سعدي شخوم: "الصناعة الصيدلية بالدولة الزيانية من خلال مؤلفات ابراهيم بن أحمد الثغري التلمساني(القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي)"، **مجلة الناصرية**، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر-الجزائر، العدد:4، جوان 2013، ص:521.

[6]- عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المرجع السابق**، ص:147.

[7]- سعدي شخوم، **المرجع السابق**، ص:521؛ ابن البيطار، **المصدر السابق**، مجلد:2، ج:3، ص:5.

[8]- سعدي شخوم، **المرجع السابق**، ص:522، 523؛ أنظر حول توفر شجر الدردار بالمغرب الأوسط: المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص: 325.

والنيلج،[2] والكافور،[3] والسدر،[4] والسواك المتخذ من أصول شجر الجوز للإستياك به.[5] وكذا الحناء التي كانت تنتج ببني وازلفن[6] وكانت لها مزارع خاصة ببلاد الزاب.[7]

ج- الثباتات العطرية والأفاويه:

يحظى هذا الصنف من النباتات باهتمام كبير في معظم بلاد المغرب الاسلامي، لارتباطه بالطعام الذي عليه حياة الناس، حيث يضفي استعمال تلك النباتات على أصناف المأكولات نكهات طيبة تذكي الشهية ويجد صاحبها نهمة وحيوية في الأكل، وقد أشارت كتب الطبخ إلى ألوان كثيرة من الأكلات التي لم يكن يستغنى فيها عن مثل هذه النباتات العطرية المنكهة، وذكرت من بينها: الفلفل والقرفة والقرنفل والكزبرة اليابسة والكرويا والكمون والنعنع.[8]

وقد اشتهرت بعض مدن المغرب الأوسط ونواحيه بإنتاج بعض من تلك المحاصيل، فكان الزعفران يزرع وينبت بمجانة،[9] وكان الكمون يزرع ببني وازلفن،[10] بالإضافة إلى كمّون الجبل أو تامْسَاوَرت وهو البَسْبَسَة في عرف العشّابين، ويسمّى البَسْبَاسُ في زمننا هذا، كان ينتشر في البرية، ويستعمل حبّه في التوابل،[11]

---

[1]- ابن الشماع، **المصدر السابق**، ص:38؛ ابن البيطار، **المصدر السابق**، مجلد:2، ج:3، ص:17.

[2]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:76، 264.

[3]- سعدي شخوم، **المرجع السابق**، ص:522.

[4]-- ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، **المصدر السابق**، ص:132؛ وأنظر: إسم موضع قرب تلمسان "ولجة السدرة". محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، د. ط، 1986، ص:601.

[5]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:95-96.

[6]- **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:106.

[7]- الورثلاني، **المصدر السابق**، المجلد:1، ص:117.

[8]- ابن رزين، **المصدر السابق**، ص:143، 144، 108.

[9]- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، تقديم: أ.مهران، نوفتار أمبرسروم، 1923، ص: 237؛ القرماني، **المصدر السابق**، مجلد:3، ص:479.

[10]- **المغرب العربي للإدريسي**، **المصدر السابق**، ص:106.

[11]- ابن البيطار، **المصدر السابق**، مجلد:1، ج:1، ص:134.

وكان أهل مدينة نقاوس يهتمون بالقرنفل أيما اهتمام فكانوا يزرعونه في حدائق بيوتهم.[1]

د- نباتات الزينة والزهور:

لم يقتصر تفكير الفلاح في العهد الزياني على انتاج المحاصيل المختلفة لتلبية حاجاته الغذائية فقط، بل صرف نظره إلى غراسة نباتات الزينة وزراعة الزهور المختلفة الألوان والأشكال والروائح وإقامة الحدائق والرياض لها في البيوت أو خِلالَ الحقول والبساتين، ولا شك أن غايته من ذلك الترويح عن النفس والاستمتاع بالنظر إليها والاستفادة من فوائدها الطبية والتمتع بظلها في وقت القيض.

وقد تضمنت مصادر الجغرافيين ملاحظات معتبرة في هذا الباب تشير إلى معاني متقاربة، تصب في ذات السياق، نذكر من بينها نصا مهمًا أورده الوزان في وصف بيوت مدينة نقاوس يقول: "الدور...، أنيقة بهيجة، لأن لكل واحدة منها حديقة مليئة بمختلف الأزهار، وخاصة الورد الدمشقي والآس والبنفسج والبابونج والقرنفل وغيرها من الأزهار المماثلة لها في البهاء،... والجانب الآخر من الحديقة كروم معروشات جميلة تعطي أيام الصيف ظلا ظليلا ممتعا جدا، كثيرة البرودة والنعيم حول الجزء المغطى من السكن".[2]

وما من شك في أن غالبية مدن وقرى المغرب الأوسط كانت لا تخلو من وجود مثل هذه الأساليب الفلاحية، ذلك لأن النصوص المتوفرة تشير إلى انتشار البساتين والحدائق والرياض في كثير من هذه البلاد، وبالتالي فهي لا تدل إلا على معرفة فلاحي العصر بطرق البستنة التي لا تخلو من وجود فضاء مخصص مزين بأصناف الزهور والورود وغيرها.[3]

---

[1]- الوزان، **المصدر السابق**، ج: 2، ص:53.
[2]- **نفسه**.
[3]- ينظر ما سبق: عنصر الفواكه والأشجار المثمرة.

هـ- الخشب:

تعتبر مادّة الخشب - سواء كانت عثرية في الطبيعة أو فلاحية - من بين المواد الفلاحية الأكثر استعمالا عند أهل البادية والمدينة، فالبدو كانوا يتّخذون منها العُمُدْ والأوتاد لرفع الخيام، والرّماح، والقوس والسّهام لسلاحهم، ويتخذون منها الحطب والفحم للتدفئة وطهي الطعام، وأمّا أهل المدينة فيجعلون منها السُّقف لبيوتهم، والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم، ولا تتّم هذه الأشياء إلا بتحويل مادة الخشب حسب الصوّر المطلوبة.[1]

ومن خلال مصادر التّاريخ الزّياني يظهر لنا أنّ هذه المادة قد استخدمت بشكل واسع في المجتمع الزياني، خاصة بعد إنتقال بني عبد الواد من حياة البداوة والنجعة والترحال إلى حياة الاستقرار وسكنى المدن، واشتغال الجيل الجديد للدّولة بالبناء والتّعمير، فالعديد من المشاريع العمرانية كالمساجد، والقصور، والدور، والزّوايا، ومرافق أخرى كانت بحاجة إلى السّقوف، والشّبابيك، والأبواب، والمنابر، والمقصورات، والأثاث، وبناء ألة الحرب من المجانيق والسلالم والسفن وغيرها، لذا يستلزم توفير كل هذه الحاجيات توفر المادة الأولية المتمثلة في مادة الخشب.

ولعلّ أهم المناطق المنتجة للخشب بالمغرب الأوسط على العهد الزياني هي: جبال بني ورنيد،[2] جبال آرزيو،[3] وغابات القطاع القسنطيني التّي إشتهرت بأشجارها الصّالحة لعمل المراكب.[4] بالإضافة إلى أشجار اللوز والجوز التي كانت تغرسُ كثيرًا بالبساتين، والرّياض، والحقول المنتشرة عبر تراب الدّولة، بالإضافة إلى شجر

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة، المصدر السابق**، ص 730.

[2]- تقع هذه الجبال جنوب مدينة تلمسان وتطل عليها، وبها أشجار يصنع منها الفحم، وأهله فحامون وحطابون. عطاء الله دهينة: "الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان"، ضمن **كتاب الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص:421؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:352-353؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:44.

[3]- آرزيو: بينها وبين وهران أربعون ميلا، وهي في جبل فيه قلاع ثلاث مُسورة، في فحص سيرات، وفي هذا الجبل شجر إذا أرسلت فيه النار فاحت منه ريح طيبة. الحميري، **المصدر السابق**، ص28.

[4]- دهينة، **المرجع السابق**، ص470؛ وكانت جبال بجاية وأوديتها توفر الكثير من الخشب، الذي كان يوجه لصناعة السفن. **كتاب الإستبصار، المصدر السابق**، ص:128-130؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص:80-81.

الدردار والبلوط الذي كان ينمو بالمنطقة،[1] وشجر الصنوبر الذي يقال له الشربين ويستخرج منه القطران، ويعرف بشجر "التايدا" في لغة البربر،[2] وشجر الخروب[3] الذي كان ينتشر بكثرة في جبل بني يزناسن وجبل مطغرة وجبل ولهاصة،[4] وبجبل بني زناتة الذي كانت تغطيه أشجار الخروب،[5] وكان بندرومة أراضي مغروسة بأشجار الخروب يأكل الناس ثمره بكثرة،[6] وفي الجبال المجاورة لها كذلك أشجار الخروب ثمارها حلوة لدرجة أن السكان يصنعون منها عسلا يأكلونه طوال السنة.[7]

وبينت كتب الفلاحة أن وقت قطع الخشب من أجل البناء يكون في شهري نوفمبر وديسمبر عند استتار القمر.[8]

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن البلاد الصحراوية كانت تتوفر بها أشجار النخيل، الذي كان يعول عليه في كل عمليات البناء، حيث أن هذه البلاد لا تنتج غير مستخرجات النخلة، حتى أصبحت تعرف ببلاد الجريد(جريد النخل).

ويدخل ضمن المحاصيل الأخرى قصب السكر، تذكر إحدى المصادر أنّ الأراضي القريبة من مدينة الجزائر كانت تنتج الكثير من هذه المادّة،[9] وهي الإشارة الوحيدة حول غراسة قصب السكر بالمغرب الأوسط، ولا نملك أي أدلة أخرى حول إمكانية زراعته في مناطق أخرى من هذا الاقليم.

---

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:325. فضلا على استعمال خشب هذه الأشجار في البناء وغيره، فقد كان لثمارها فوائد جمة، فالدردار ثمرته تسمى تمر الدردار ولها خواص طبية نافعة جدا، أما البلوط فقد كانت تجمع ثماره في شهر نوفمبر من الغابات، ثم تنشر حتى تجف ويطحن ويصنع من دقيقه الخبز. ينظر: عبد الهادي بياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس(ق 6-8ه/12-14م)**، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص:181-182.

[2]- مؤلف مجهول، **كتاب تحفة الأحباب، المصدر السابق**، ص:31؛ ابن البيطار، **المصدر السابق**، مجلد:2، ج:3، ص:87.

[3]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:295، 351؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:44.

[4]- **نفسه**، ص:43، 44

[5]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:351.

[6]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:14.

[7]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:295.

[8]- ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 66.

[9]- العمري، **المصدر السابق**، ص195.

إنّ انحصار زراعة قصب السّكر في أحواز مدينة الجزائر دون بقية مدن المغرب الأوسط- في الفترة موضوع الدّراسة- رغم توفر الشروط الملائمة لذلك، يجعلنا نطرح الكثير من التساؤلات التي قد لا نجد لها إجابات في كثير من الأحيان، لاسيما في ظل سكوت المصادر التاريخية والجغرافية، وبالتالي يحول ذلك دون إعطاء صورة واضحة عن انتاج مادة السكر.

لكن في اعتقادنا أنه من المحتمل جدا أن سبب ذلك يرجع إلى كثرة إنتاج عسل النحل الذي انتشرت تربيته في مناطق عديدة حتّى أصبح ضمن قائمة الصّادرات،[1] كما طغى استعماله على السكر في الأطعمة والحلويات.[2]

ويبدو أنّ مناطق إنتاج قصب السكر كانت تتوفر على عدّة أماكن مخصّصة لاستخراج السكر، حيث كان يطحن قصب السكر ثمّ يعصر، والناتج منه يدعى "القندُ": وهو عصير القصب يجمد ثم يتخذ منه السكر على شكل قوالب، فسمي بها "سكر القالب".[3]

5- العوامل المؤثرة في الإنتاج الفلاحي:

مرّ معنا في المباحث السابقة توزيع مختلف المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها بلاد المغرب الأوسط على العهد الزياني، وحاولنا قدر الامكان الوقوف على النوعية والكمية من خلال المادة الخبرية التي تضمنتها النصوص، لكن ما ينبغي أن ننوه إليه هو أن الانتاج الفلاحي في المغرب الأوسط على هذا العهد لم يكن مستقرا خلال كل الفترات التاريخية التي مرت بها الدولة الزيانية، وليس كما صورته بعض المصادر الجغرافية والتاريخية، حتى وإن سلمنا في بعض الأحيان ببعض نصوصها ومعطياتها فهي في الحقيقة معطيات آنية خاصة بالمصدر الذي تضمنها والعصر أو الوقت الذي دونت فيه ولا تنسحب على كل المراحل التاريخية، ودون أن نبت في

[1]- الإصطخري أبو إسحاق، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، 1961 المجلد:4، ص37.

[2]- العمري، **المصدر السابق، والصفحة ذاتها**.

[3]- راجع حوله: محمد العربي بن الهاشم الزرهوني، **تحفة السائل الراغب في بيان الحكم في سكر القالب**، مخطوط، ضمن مجموع تحت رقم: 4738، ص:108.

بعض المصادر التي تناقلت الأخبار والأوضاع في بعض الأحيان؛ لأن الانتاج الفلاحي في كثير من الأحوال تحكم فيه جملة من العوامل تؤثر عليه من حيث نوعا وكما، وتتمثل هذه العوامل في الأمن والاستقرار والضرائب والكوارث الطبيعية والمجاعات والأمراض والأوبئة واجتياح الجراد والحيوانات الضارة.

أ- الأمن والإستقرار:

ذكر أحد الباحثين في معرض تأصيله لظاهرة الأمن الغذائي، أن الأمن ضد الخوف، وهو من الضروريات الأساسية للإنسان، فما من جهد يبذله أو نشاط يقوم به إلاّ وهو يعتقد أنه سيعود عليه بالأمن في العاجل أو الآجل، فإذا وجد الأمن في نفسه وماله فكر في العمل والكدّ، وإلاّ فإن الخوف يؤثر فيه فيحبس قدراته ويعطله عن الانتاج والسعي، أو يضطره إلى هجر المكان إلى مكان آخر ينشد الأمن والاطمئنان.[1]

ولهذا ضاعف الملوك الزيانيون الجهود لتوفير مختلف شروط النمو،[2] وسعوا لنشر الأمن عبر أرجاء المملكة،[3] فشنوا لذلك الغزوات والغارات والحروب شرقا وغربا، ضد الدولة الحفصية والدولة المرينية ، اللتين لم ترضيا بالمناطق التي أسستا عليها كيانيهما، بل حاولتا التوسع على حساب الأراضي الزيانية؛[4] كما عمل بنو عبد الواد على فتح وتمهيد بلاد الحركات المناوئة[5] لحكمهم وضمها لملكهم، كما شن الزيانيون الكثير من الحملات لتأديب القبائل العربية التي كانت تنكث العهد يذكر يحي ابن خلدون أن يغمراسن بن زيان قد غزا العرب بصحرائها بين سنة خمس وستين وستمائة وسنة ثمان وستين وستمائة للهجرة إثنان وسبعون غزاة إلى أن استلحقهم واستغرم أموالهم، هذا سوى غزواته مع بني توجين ومغراوة.[6]

---

[1]- محمد البركة، وآخرون، **النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد**، مطبعة بني يزناسن، سلا – المغرب، د. ط، أكتوبر 2016، ص:28.

[2]- عبد الحميد حاجيات، **المرجع السابق**، ص:186.

[3]- حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته ...**، **المرجع السابق**، مج: 2، ج: 3، ص:140.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 19812، الجزء2، ص873.

[5]- تزعمت هذه الحركات بعض قبائل المغرب الأوسط مثل: بني توج ين ومغراوة، التي كانت تنبذ الدعوة للزيانيين.

[6]- **المصدر السابق**، ج:1، ص:205؛ **تاريخ بني زيان**، **المصدر السابق**، ص:128.

وكانت الدولة الزيانية أكثر تأثـرًا بالصّـراع الذي جمع بين قوى المغرب الإسلامي وبسبب مـوقعها الجغرافي المتوسّط بين هذه الدول، أصبحت أكثر عرضة له، وظلت حدودها مذبذبة.[1]

كما كان للتنافس على سدة الملك وأريكة السلطان، وحرب الأمراء داخل البيت الزياني بل حرب الأمراء الأبناء ضد آبائهم السلاطين، خاصة المتأخرين منهم واشتغالهم بالدسائس والتآمر ضد بعضهم والاستعانة بالآخر،[2] "متخلين بذلك عن شؤون الأمة وترتيب أوضاعها ولمّ شملها وحماية أرضها وحدودها"،[3] الأثر البليغ في ضعف الدولة وتراجع نفوذها وانتشار الفوضى واستقلال الأقاليم.

وبالتالي فالآثار التي أفرزتها تلك الحروب والمؤامرات، جعلت بعض الفقهاء يعدونها من الجوائح والفتن التي لا يستطاع دفعها،[4] فكثيرا ما كانت تلحق أضرارا بليغة بالإنتاج والفلاحين من جراء ما كان يصاحب الحرب من نهب وسلب للمحاصيل والمخازن، وتخريب المزارع وانتسافها وحرقها بساتينها، وتهجير الفلاحين أو فرارهم عنها، ولا شك أن تواصل العمليات الحربية على العهد الزياني قد أدى إلى واقع جديد صعب يتسم بظهور تحولات اقتصادية على مستوى المجال وأنظمة الاستغلال والانتاج، تجلت في تحول السهول الخصبة إلى مجالات ممتدة للرعي والانتجاع، وتراجع المساحة الزراعية وانحصارها في أراضي المرتفعات والجبال وداخل المدن في المساحات الممتدة بين أسوارها، وتحولات اجتماعية تمثلت في

[1]- عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف، المرجع السابق،** ص156؛ ينظر: جملة من الحروب التي خاضها الزيانيون مع نظرائهم من بني حفص وبني مرين، **الملحق رقم:17**، ص:

[2]- ينظر على سبيل المثال: أحداث أواخر سنة 791هـ بين الأمير أبي تاشفين وأبيه السلطان أبي حمو موسى الثاني. ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق،** مجلد:7، ص:303-305؛ وحول حرب الأمراء والاقتتال على السلطة ينظر: **نفس المصدر والمجلد،** ص:307-310.

[3]- عبد العزيز لعرج: "تلمسان وعمرانها وعمارتها الدينية"، **مجلة الوعي،** دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد: 3و4، أفريل-ماي 2011، ص ص: 22-35.

[4]- أبو بكر بن عاصم، **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام(المعروف بمتن العاصمية)**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1928، ص:49.

انتشار الفوضى واللاأمن، وتراجع عدد السكان بسبب كثرة القتل، والهجرة، وتفشي الأوبئة والمجاعات وقلة الغذاء والغلاء.[1]

ولم تكن الحروب مسؤولة لوحدها عن تذبذب الأمن والاستقرار، بل كانت الحرابة واللصوصية والغصب الذي انتهجته بعض القبائل العربية كنمط حياة من بين الأسباب التي أشاعت الفوضى وعدم الاستقرار والخوف، فكان بعض قطاع الطرق يسعون في الأرض فسادًا ويقطعون السّبيل، ويعترضون القوافل التجارية ويسرقونها، ويتخطفون الناس وأرزاقهم من حوالي القرى والمدن، وهذا ما جعل العبدري يصف الطريق الرّابط بين تلمسان والمغرب الأقصى بالمهول، يقول: "...، ولما انتهينا إلى المفازة الّـ تي في طريق تلمسان، وجدنا طريقًا منقطعًا مخوفًا لا تسلكه الجموع الوافرة، إلاّ على حذر واستعداد ، وتلك المفارة مع قربها من أضرّ بقاع الأرض على المسافر لأنّ المجاورين لها من أوضع خلق الله وأشدهم إذاية، ولا يسلم منهم صالح ولا طالح، ولا يمكن أن يجوز عليهم إلاّ مستعدٌ يتفادون من شرّه، وطلائعُهُم أبدًا على مرقب لا يخلو منها البتة، ...".[2]

إنّ ملاحظات العبدري هذه لم تكن وحيدة في بابها وحسب، فالبلوى[3]عاش نفس الظرف الأمني في بلاد المغرب الأوسط قاصداً بلاد المشرق؛ كما أن ابن قنفذ القسنطيني حبسته حالة الخوف والجوع قرابة الشّهر بتلمسان.[4]

لقد فتح الواقع السياسي المشحون بالتوترات والنزاعات المجال أمام عناصر قبلية استغلت الوضع لتلقي بكلكلها على أقاصي العواصم والدول، وتثأر لأيام

---

[1]- للاستزادة أكثر حول انعكاسات الحروب ينظر: حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني(609-869هـ/1212-1465م) اسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناس- المغرب، 2008؛ محمد الطويل، **الفلاحة المغربية في العصر الوسيط**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط-المغرب، 1987-1988، ص:195وما بعدها؛ عبد العزيز لعرج، **المرجع السابق**، ص ص: 22-35.

[2]- **الرحلة المغربية، المصدر السابق**، ص: 09.

[3]- **المصدر السابق**، ج1، ص164، 165.

[4]- **أنس الفقير، المصدر السابق**، ص105.

الهضيمة والعسف والمغرم،[1] ويصور ابن خلدون هذا الواقع بالمغرب الأوسط على عهده (سنة 781هـ) يقول: "والحال لهذا العهد على ما شرحناه مرارا، من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار، وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكزها بسيف البحر، وتضاؤل قدرتها عن قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الأموال، واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الأمصار".[2]

وتشهد لهذا الواقع كذلك الكثير من النوازل التي رفعت إلى العلماء في حواضر العلم ببلاد المغرب الاسلامي، منها مسألة رفعها الإمام أبو العباس أحمد[3] سنة ست وتسعين وسبعمائة للهجرة إلى شيخه أبي عبد الله ابن عرفة[4] بالديار التونسية يقول: "عن مسألة جماعة في مغربنا من العرب ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد ليس لهم حرفة إلا شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق، ويأخذون حرم الاسلام أبكارا وثيبا قهرا وغلبة، هذا دأب سلفهم وخلفهم، مع أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم، بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم، بل إنما يداريهم بالعطية والانعام ببعض بلاد رعيته ونصب عمالهم فيها وقطع عمال السلطنة عن النظر في جبايتها وفصل أحكامها، بل هم مع ذلك لا تأمن الرفاق من جانبهم. نصبوا الغارات على هذه البلاد التي نحن بها وقتلوا من عاجلوه وطلبوه على قطع رقاب المساكين وأخذ أموالهم وسبي حريمهم، فأمرناهم

---

[1]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، المجلد:7، ص:271، 273.

[2]- **نفسه**، ص:290.

[3]- هو: أحمد بن العباس الشهير بالمريض، تتلمذ على الامام ابن عرفة، ومن مؤلفاته شرح على عقيدة الضرير في العقائد، ونقل أحمد بن يحي الونشريسي بعض فتاويه في المعيار المعرب. ابن مريم، **البستان، المصدر السابق**، ص:117؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج، المصدر السابق**، ج:1، ص:105/ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق**، ص:111.

[4]- هو: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي نسبا التونسي بلدا، إمام جامع الزيتونة، توفي بتونس في شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمائة، وكان مولده سنة ستة عشر وسبعمائة أو سنة سبعة عشر وسبعمائة للهجرة، له مؤلفات كثيرة منها: المختصر الكبير في فروع المذهب، ومن تلامذته ابن قنفذ القسنطيني. ابن قنفذ القسنطيني، **كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 2009، ص:259؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق**، ص:463؛ محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر، د.ط، د. ت، ص:227؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:316 وما بعدها.

بقتالهم وصرحنا بأنه جهاد،... فاجتمع الناس على قتالهم، فهزمهم الله وقتل منهم خلقا كثيرا،...".[1] وبصرف النظر عما تضمنه جول المفتي الذي اعتبر جهادهم لهذه الفئة الباغية صحيحا لأن فعلهم منكر معلوم من الدين بضرورة، فإن ما جاء في هذه النازلة يثبت الوضع الذي بينه ابن خلدون ويشرحه.

وتطالعنا إحدى النوازل أيضا بمشاهد لذلك الواقع المرير الذي كان يعانيه الفلاحون وأهل القرى من جراء البطش والغصب والخوف والعيث الذي كانت تتسبب فيه القبائل العربية، الذي لم يسلم منه في بعض الأحيان لا مقيم ولا مسافر ولا تاجر ولا حاج[2] أيضا، ونظرا لأهمية نص النازلة في تصوير ظاهرة خوف الفلاحين من مداهمة هؤلاء المحاربين لهم أثناء ممارسة نشاطاتهم الفلاحية، ارتأينا تقديم النص كما هو حتى يكون أكثر تعبيرا: "وسئل عم ابتلي به المسلمون من هؤلاء الأعراب الذين اقتطعوا أراضيهم ورباعهم ومنازلهم واقتسموها بالسيف وحالوا بينهم وبينها، فيخرج الناس إلى الحرث والحصاد وجمع الزيتون مستوفرين مستعجلين إلى الرجوع إلى مدائنهم، يخاف كل واحد منهم إن تأخر عن أصحابه على نفسه وماله، يتركون في الحرث أرضهم ويحرثون غيرها بحكم وقسم العرب، ويتركون كثيرا من زيتونهم عند جمعه لبعدهم عنه وعدم تمكنهم من الأسباب فيه والمخاصمة عليه، فيحتاجون لضرورتهم أن يستأجروا على جمع الزيتون قبل طيبه بثله وربما كان بنصفه، ولو وجدوا العافية لجمعوه على مهل بعد طيبه بأيديهم وعبيدهم، ويستأجرون على حصاد الزرع سبعة أيام بدينار لكل حصّاد غير طعامه، ويكون على نقله إلى المدينة بثلث دينار لكل حمل، فربما بلغ كراؤه وحصاده للضرورة المتقدمة قدر نصف الزرع وأكثر من ذلك. ولو وجدوا العافية لتولوه بأنفسهم وعبيدهم، ...، والمساكين شركاؤهم فيه بعشره،...".[3]

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:367 وما بعدها؛ الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:435-436/ ج:6، ص: 153.

[2]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:152-153؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:433، 441/ ج:2، ص: 115، 116، 402.

[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:374-375.

ويلاحظ من خلال النوازل أن ظاهرة الحرابة وقطع الطريق لم تخص بلاد المغرب الأوسط فقط، بل كانت ظاهرة عامة تعاني منها بقية الدول المجاورة، حيث نجد أنها قد طرحت على المفتين في الكثير من حواضر بلاد المغرب الاسلامي، فقد سئل ابن عرفة "عن السلطان إذا ظفر بفرقة من بوادي افريقية وجلهم مستغرق الذمة"،[1] وسئل عبد الرحمن الوغليسي[2] مفتي بجاية "عن محاربين أتوا لأخذ أموال قوم وضرب رقابهم،..."،[3] وسئل شيخنا الفتوى بتلمسان أبو عبد الله محمد بن مرزوق[4] وأبو الفضل قاسم العقباني[5] "عن خمسة رجال من أهل السرقة والخيانة وقطع الطريق وغير ذلك من أنواع الفساد،...".[6]

وفي حقيقة الأمر فالواقع الذي صوره ابن خلدون، وبنت ووضحت مشاهده النوازل الفقهية، يتناغم مع ما صوره أحد الجغرافيين في رحلته من مدينة فاس إلى مدينة الاسكندرية يقول: " وكيف لا تكون الدنيا على ما أصف وأقول،... وقد صار الملك الذي هو نظام الأمور، وصلاح الخاصة والجمهور، في أكثر الأرض منقوض الدعائم، مصدّع القوائم، يدعيه كل غوي،... أوليس من الأمر الخارج عن كل قياس، أن المسافر عندما يخرج من مدينة فاس، لا يزال إلى الاسكندرية في خوض ظلماء وخبط عشواء لا يأمن على ماله ولا على نفسه، ولا يأمل راحة في غده إذ لم يرها في

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:117.

[2]- هو: أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، عَالِمُ بجاية ومفتيها، تتلمذ على يد جماعة منهم بلقاسم بن محمد المشدالي، ومن مؤلفاته المقدمة الوغليسية في الفقه المالكي والفتاوى، توفي سنة ست وثمانين وسبعمائة ببجاية. التنبكتي، **المصدر السابق**، ص:248.

[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:116.

[4]- هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، الامام المشهور، العلامة الحجة، الحافظ المحقق، المصنف، أخذ عن العلامة أبي محمد عبد الله بن الامام الشريف التلمساني، وعالم المغرب سعيد العقباني، وأبي اسحاق المصمودي، ومن تلامذته عبد الرحمن الثعالبي ونصر الداودي والحسن أبركان وغيرهم، ألف في الكثير من العلوم العقلية والنقلية. توفي في الرابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة. أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي(ت891هـ)، **رحلة القلصادي**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص:96-98.؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:331 وما بعدها؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص:388-389. الونشريسي، **الوفيات**، **المصدر السابق**، ص:89؛ ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص:60 وما بعدها.

[5]- سبق التعريف به أنظر ترجمته: ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:256 وما بعدها، الونشريسي، **الوفيات**، **المصدر السابق**، ص:95؛ الحفناوي، **المصدر السابق**، ص:85.

[6]- الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:402.

يومه وأمسه يروح ويغدو ولحمه على وضم يظلم ويجفى ويهتضم، تتعاطاه الأيدي الغاشمة، ..."[1].

وبالرّغم من تراجع حبل الأمن في بلاد المملكة الزيانية، إلا أنها عرفت فترات انتقالية "فترات السّلم"،[2] ساعدتها على استرجاع هيبتها، وإعادة ترميم وبناء ما هدمته آلة الحرب، وبالتّالي بعث الحياة الاقتصادية والاجتماعية من جديد.

وهنا لا بد أن نشير إلى بعض الجهود التي بذلها بعض السلاطين الزيانيين والمرينيين من أجل توفير عنصر الأمن، الذي لا شك في أنهم أدركوا مدى تأثير بالسلب أو الايجاب على حياة مجتمعاتهم، فبالنسبة للزيانيين على سبيل المثال قام السلطان أبو زيان محمد الأول (703-707هـ/1303-1308م) بحملة عسكرية سنة ست وسبعمائة للهجرة مع أخيه أبي حمو موسى الأول (701-718هـ/1308-1318م) لإخراج العرب الذين استولوا على سهل السرسو.[3] أما بالنسبة للمرينيين فقد عمل السلطان أبو الحسن المريني(731-752هـ/1331-1351م) على تأمين الطريق من فاس إلى مراكش وإلى تلمسان وغيرها من البلاد، وأعمرها بالسكان من أهل كل وطن وأقطعهم الأراضي يعمرونها على قدر الكفاية ثوابا على سكنى الأراضي المواضع المذكورة، ويعملون على توفير ما يحتاج إليه المسافرون من الراحة والقوت والحراسة وحفظ المتاع والعلف للدواب.[4]

ب- الضرائب:

تعتبر الضرائب بصفة عامة حجر الزاوية في النظام المالي الزياني، ومصدرا رئيسيا لتمويل بيت مال الدولة، ويبدو أن الجباية في بداية أمر الدولة كانت تتضمن ما

---

[1]- العبدري، **المصدر السابق**، ص:04.

[2]- مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1350هـ، ج:2، ص:377.

[3]- ينظر: **الملحق رقم:17**.

[4]- ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، **المصدر السابق**، ص:429.

أوجبه الشرع من الزكاة والخراج والجزية والأعشار وخمس الغنائم،[1] وكانت عائدات الجباية في هذه المرحلة كافية لسد كل النفقات وتوفير كل ما تحتاجه شؤون المملكة السارية في طريق البناء من وظائف وعطاء وتجهيز الجيوش وغيرها، وكانت عادة -حسب ما يذهب إليه ابن خلدون في ذكره سنن قيام الدول وأفولها- أكثر من النفقات،[2] لكن استمرار الدولة الزيانية وتعاقب سلاطينها الواحد تلوى الآخر، وتظافر جهودهم لتوسيع نطاق دولتهم ونفوذها وتكوين الأحلاف العسكرية، وتعيين العمال والولاة، وصف الجيوش، وبناء وتعمير المدن الزيانية بالمساجد والمدارس والقصور والرياض، وازدياد عوائدهم وحوائجهم؛ وبالتالي فإن المصادر السابقة لم تعد تفي بالتزامات الدولة العسكرية[3] والعمرانية، وجعلتهم دائما في حاجة إلى المزيد من الموارد لإفعام بيت المال من أجل مواصلة عملية بناء الدولة وتحصينها، وضمان حياة الترف في القصور السلطانية، ولا غرو فإن هذه الموارد الإضافية كانت من خلال فرض ضرائب جديدة على الرعية مما "لم يفرضه الشرع"،[4] ومعظمها إنما هو من الفلاحين والتجار.[5]

إذن كان الفلاح على العهد الزياني ملزم بدفع نوعين من الضرائب إلى سلطة المخزن المتمثلة في الجباة والعمال وغيرهم، نذكرها كما يلي:

<u>1- المغارم الشرعية (أو الضرائب الشرعية):</u>

وتتمثل في الحقوق التي نص الشرع على إخراجها، وتضم الزكاة والخراج والأعشار.

أ- الزكاة:

---

[1]- فاطمة بلهواري، خالد بلعربي، وآخرون، **النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيي (160-962هـ/777-1554م)**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014، ص:79.

[2]- ابن خلدون، **المقدمة، المصدر السابق**، ص:493، 497.

[3]- سامية مصطفى محمد مسعد، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين(484-620هـ/1092-1223م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2003، ص:170.

[4]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص:510؛ أنس رأفت، **نظرية الضرائب في تراث ابن خلدون، المرجع السابق، ص:69.**

[5]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص:499.

ظلت الزكاة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ركنا من أركان الدين الحنيف، وحقا شرعيا يؤخذ من الأغنياء ويرد على الفقراء والمساكين، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.[1]

والدولة الزيانية كغيرها من دول بلاد المغرب الاسلامي قامت بجمع أموال الزكاة[2] ممن حقت عليهم عينا ونقدا، وكانت تضعها في بيت مال المسلمين، عن طريق عمال ديوان الأشغال[3] أو كما يسميه ابن خلدون "ديوان الأعمال والجبايات"،[4] الذي يشرف عليه "صاحب الأشغال"،[5] وكان كتبة الديوان يحصونها في سجلات خاصة أعدت لذلك،[6] ثم يعاد توزيعها على مستحقيها[7] المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.[8]

وتشير بعض المصادر النوازلية إلى وجود بعض الاستثناءات تخص جمع الزكاة، حيث وجد من أهل المغرب الأوسط من يصرفون زكواتهم بأنفسهم لمن يستحقونها، ويترصدون لها عاشوراء من كل سنة، لكونها موسما للمساكين يبرزون فيه ويلحون في الطلب؛[9] وأحيانا كانوا يجمعونها ويبعثونها لمن غاب في طلب العلم ليستعين بها في أموره.[10]

---

[1]- **سورة التوبة**، الأية: 103.

[2]- تشير احدى النوازل إلى ذلك: "عمن يأخذ منه السلطان زكاة ماله، ...". المازوني، **المصدر السابق**، ج:1، ص:336.

[3]- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد**، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 97.

[4]- **المصدر السابق**، ص:430.

[5]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 376.

[6]- **نفسه**، ص:357.

[7]- بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص:220.

[8]- **سورة التوبة**، الأية: 60.

[9]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:1، ص:337.

[10]- **نفسه**، ص:339.

أما الأصناف التي كان يدفع الفلاحون وغيرهم زكاتها فهي الزروع والثمار والمواشي والأنعام والأموال.[1]

ومما يقع شاهدا على اعتناء الدولة الزيانية بجمع الزكاة والاشراف على توزيعها على الناس خاصة الضعفاء منهم والمحتاجين، ما قام به أبو حمو موسى الثاني في شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وسبعمائة للهجرة(1375م) من الحملة العسكرية لتمهيد البلاد الشرقية من سيطرة الأعراب المنابذين لسلطانه لا سيما أهل أبي بكر بن عريف بن يحيى من قبيلة سويد العربية، فدخلوا في طاعته وخدمته على أن يؤدوا غرامة من الحبّ ويدفعوا زكاتهم له،[2] وفي نفس السنة بعث السلطان أبو حمو الثاني ابنه أبا تاشفين لقبض الصدقات من بني عامر وسويد.[3]

ومن حرص السلطة الزيانية على حفظ الأموال عموما ومال الزكاة بشكل خاص، ومعرفة حسابات الدخل والخرج، فقد حاول السلطان أبو حمو موسى الثاني، الذي كان ضابطا لأموره أن لا ينال مهمة ضبط جباية أمواله ومشارفة عمّاله إلا عالم ملم بذلك،[4] فبلغه عن محمد ابن ابراهيم الآبلي[5] تقدمه في علم الحساب، فدفع إليه المهمة، ثم أكرهه عليها لما رفضها، ثم فرّ الآبلي إلى فاس بالمغرب الأقصى.[6] ورغم ورغم فرار الآبلي فلا نستبعد أن أبا حمو موسى الزياني قد عين شخصا آخر ليشرف

---

[1]- حول الأصناف التي تجب فيها الزكاة ونصابها وشروطها ينظر: ملك بن أنس، **الموطأ، المصدر السابق**، كتاب الزكاة، ص:211 وما بعدها؛ أبي زكرياء يحي التلمساني، **اللمع في الفقه، المصدر السابق**، ص: 11(الوجه) وما بعدها؛ القاضي عياض بن موسى بن عياش اليحصبي السبتي (544هـ)، **الاعلام بحدود وقواعد الاسلام**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-مصر، 1995، ص: 119 وما بعدها.

[2]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 582.

[3]- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:6، ص:113. وراجع دور بعض القبائل العربية في جمع الصدقات الصدقات وضرب الضرائب وجمعها كذلك من القبائل البربرية والعربية. **نفس المصدر**، ص:99، 76، 88، 96.

[4]- راجع حول اهتمام السلطة الزيانية وتقديمها للعلماء على رأس الوظائف. عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، ص:94.

[5]- هو: أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم الآبلي، أصله من الأندلس من أهل آبلة، ولد ونشأ بتلمسان في طلب العلم، فبرع في التعاليم، وجلس الناس عنده لتعلمها، من تلامذته ابن مرزوق الجد، والشريف التلمساني، توفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة. الونشريسي، **الوفيات، المصدر السابق**، ص:36؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:345-351.

[6]- ابن خلدون، **الرحلة، المصدر السابق**، ص:51؛ نعيمة بوكريديمي، **الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري(14م)**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2012، ص:45.

على المهمة، لأن قواعد الملك وسياسة الدولة والسلطان لا تقتضي الفراغ، بل تقتضي الاسراع لقضاء شؤونها بترتيب ألقابها[1] واقامة وظائفها.

ولما سيطر أبو الحسن المريني على تلمسان وقضى على بني عبد الواد بين خمس وثلاثين وتسع وأربعين وسبعمائة للهجرة، حرص كغريمه على استعمال الفقهاء والعلماء في هذه الخطة، لأنهم أعرف الناس بالأحكام الفقهية للشرع الحنيف، خاصة أحكام الزكاة وشروطها وأنصبتها وغيرها من المسائل، فاستعمل أحد أعلام تلمسان المعروفين آنذاك وهو أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني في الزكوات وسماع الشكايات.[2]

ولا غرو فإنّ السلاطين الزيانيين كانوا يفرقون الحاصل من الزكاة على الناس في صورة أعطيات أو صدقات، ففي أول شوال من سنة خمس وسبعين وسبعمائة(1373م) عطف أبو حمو موسى الثاني في طريقه إلى البلاد الشرقية على وهران فأوسع بها العطايا للناس من الزروع والمال،[3] وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة(1374م) تصدق ذات السلطان بنصف جباية حضرته في كل يوم على ضعفائها، فكان يجتمع هؤلاء بالآلاف في نهاية كل أسبوع بقصر المشور ورحابه الفسحية، "فيقسم ذلك بينهم حفظته عدلا بينهم".[4]

وتشير بعض المصادر[5] إلى أن زكاة الفطر كانت تجمع أيضا وتصرف في أبوابها الشرعية، وكانت تعرف بـ: "الفطرة"[6] ويجمعها العمال في شهر رمضان من كل سنة.[7] ولما كان الزيانيون في نظامهم المالي الضريبي لا يختلفون عما كان سائداً

---

[1]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 549.

[2]- أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني: هو من بني عبد العزيز، من أحواز تلمسان، نشأ بها وأخذ عن ابني الامام، توفي سنة ثمان وستين وسبعمائة. التنبكتي، **كفاية المحتاج، المصدر السابق**، ج:1، ص: 95؛ ابن القاضي المكناسي، **درة الحجال، المصدر السابق**، ص:36؛ معمر الهادي محمد القرقوطي، **المرجع السابق**، ص:421.

[3]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 508.

[4]- **نفسه**، ص: 575-576.

[5]- يشير محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(909ه) إلى أن: "من الأموال التي أحل الله للأمير قبضها وصرفها: زكاة العين والحرث والماشية، وزكاة المعدن، وزكاة الفطر، ...". **فيما يجب على الأمير**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، منشورات ثالة، الجزائر، 2008، ص:29.

[6]- ابن مرزوق، **المسند الصحيح، المصدر السابق**، ص:284.

[7]- الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:1، ص:373.

زمن دولة الموحدين،[1] فمن الواضح أن القاضي كان يتحمل تحصيل أموال الزكاة بما في ذلك زكاة الفطر ويوزعها على مستحقيها من الضعفاء والمساكين،[2] ولعل ما يفسر هذا محاولة تعيين أبي حمو موسى الزياني لمحمد بن إبراهيم الآبلي "لضبط أمواله ومشارفة عمّاله"،[3] ويحتمل أنّ ورع هذا العالم واهتمامه بالعلم وتدريسه[4] جعله يرفض المهمة رغم إصرار السلطان الزياني عليه؛ وما يزيد هذا الطرح جلاء تعيين أبي الحسن المريني لأحمد بن الحسن بن سعيد المديوني على رأس الزكوات وسماع الشكايات بتلمسان ولم يلبث حتى أصبح قاضيا لها على أيام أبي عنان فارس المريني(752-759هـ/1351-1358م).[5]

ب- الخراج:

الخراج مختص في الغالب بالضريبة على الأرض،[6] والأرض المحكرة فهي التي عليها نوع من الأخاريج،[7] و البلاد الخراجية التي افتتحت صلحا ووظّف ما صولح عليه أهلها على أراضيهم،[8] أي أن البلاد التي وقعت في حوز الدولة من الفتوحات أو الحملات العسكرية التوسعية تصبح وقفا على مصالح أفراد مجتمعها،

---

[1]- عطاء الله دهينة، **المرجع السابق**، ص487؛ بلعربي خالد، ورقات زيانية، دار هومة، الجزائر، 2014، ص:58. وحول الدولة الموحدية انظر: ابن القطاف المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1990؛ أيضا: ابن عذاري المراكشي **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، 1983؛ سعد زغلول عبد الحميد **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، الجزء الخامس.

[2]- صابر عبد المنعم محمد علي البلتاجي، **النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين(524-668هـ/1130-1269م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2012، ص:174.

[3]- ابن خلدون، **الرحلة**، **المصدر السابق**، ص:51.

[4]- **نفسه**.

[5]- يذكر أحمد بن يحي الونشريسي أن للحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ولايات وخطط شرعية، من بينها ولاية يسميها: "ولاية صرف النفقات والفروض المقدرة على مستحقيها وإيصال الزكاة لأصنافها". **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية**، تحقيق: محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، الجزائر، د.ط، د.ت، ص:34؛ أبو القاسم ابن رضوان المالقي(783هـ)، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق: علي سامي النشار، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، 1984، ص:331-332.

[6]- الشرباصي، **المرجع السابق**، ص:128؛ بوزياني الدراجي، **المرجع السابق**، ص:220، بولعسل احسن، **الضرائب في المغرب الاسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين(96-668هـ/715-1269م)**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، ص:46.

[7]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:284.

[8]- **المعجم الوسيط**، **المرجع السابق**، ص:224.

ويضرب عليها الخراج كأجرة تقر إلى الأبد، ولا تتغير بإسلام ولا ذمة، ولا يجوز بيع رقبتها باعتبارها في حكم الوقف.[1]

وقد فرض الزيانيون الخراج في بلاد المغرب الأوسط على كل الأراضي وضربت لذلك الدواوين، فأحصيت فيها البلاد الخراجية والقبائل والأفراد المعنيون فيها بدفع وجيبة الخراج، وكانت الوجيبة تدفع على رأس كل عام لعامل السلطان، حيث تتضمن إحدى النوازل التي رفعت إلى الامام محمد ابن مرزوق سؤالا "عن رجل كان يحرث زوجا من أرض الخراج ويعطي وجبتها لعامل السلطان، ..."؛[2] وفي نازلة أخرى سئل عنها أبو فضل العقباني: "عن أرض معروفة لأناس ومنسوبة إليهم قديما وحديثا ينتفعون بها بالحراثة ويؤدون خراجها للإمام الخليفة."[3]

فبين سنتي ثمان وستين واثنين وسبعين وستمائة للهجرة أجهز يغمراسن بن زيان على بلاد مغراوة، فتمكن من مليانة وتنس وجعل عليهم خراج اثني عشر ألفا من الذهب؛[4] وفي سبع وثمانين وستمائة للهجرة قضى أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681- 703 هـ) حركته إلى توجين فدوخ بلادهم ودخلوا في طاعته، وألزم هؤلاء رعاياهم وأعمالهم المغارم له؛[5] وفي سنة عشر وسبعمائة أوجف أبو حمو الأوسط موسى بن عثمان(701-718هـ) على توجين فشردهم وأخذ منهم الرهن على الطاعة والجباية.[6] وكانت بعض القبائل العربية على عهد بني عبد الواد يدفعون لها الاتاوات والمغارم والصدقات، حتى أصبحوا في عداد القبائل الغارمة.[7]

---

[1]- بيداء محمود، **المرجع السابق**، ص:198؛ وينظر: كاتبي غيداء خزنة، **الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري(الممارسات والنظريات)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1997، ص:341؛ الونشريسي، **المعيار**، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 220/ ج:6، ص:208.

[2]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:28، 41؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:289.

[3]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:21.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:137.

[5]- **نفسه**، 191.

[6]- **نفسه**، 204-205.

[7]- كسويد والثعالبة وحصين. **نفسه**، مجلد:6، ص:91، 92، 96، 97، 98، 99، 113/ مجلد:7، ص: 271، 273. 273.

وأضحى الخراج من مصادر الدولة هامة التي توفر جباية المال، الذي كان عليه أمر دولة بني عبد الواد، لا سيما على عهد أبي حمو موسى الزياني[1] الذي عين "القواد والعمال، وحدد، ...، الحدود، ورتب الألقاب، ومهد الأرجاء، وأمن السبيل، وأعاد للرعايا مواسم العدل، ..."،[2] حتى أنه حدد وقتا لجباية غرامة أحواز البلاد؛[3] كان هذا السلطان يشرف على ديوان الخراج لمعرفته الواسعة بدور المال في بناء الدول واستئلاف القبيل والأحلاف وغيرها، ولا نستغرب ذلك منه فهو صاحب باع في سلوك السياسة، لكن في منسلخ شهر شعبان من سنة ست وسبعين وسبعمائة أصدر أمرا باستنابة ولده أبي تاشفين "واطلاق يده على السيف والقلم، والخراج والحكم".[4]

والظاهر أن أموال الخراج التي كانت تجبى إلى خزائن العاصمة الزيانية كانت كثيرة، نظرا لسعة مساحة بلاد المغرب الأوسط وانتشار المدن والقرى والبوادي والقبائل عبر كامل ترابها، يذكر أحد المؤرخين "أن خراج عامين عند الولاة وجده عونا على المعضلات، لا يخدم قائدا إلا وجاء بخراجه معه ولا يعطي صفقة يده حتى يوصل له جمعه. فاتسعت يده (أبو حمو موسى الثاني) في الأموال".[5] وفي شهر صفر صفر من سنة أربع وستين وسبعمائة(1362م) قدّم أبو حمو موسى الثاني وزيره عبد الله بن مسلم على جيشه وأمره أن يغزو أوطان بجاية، فغزا البلاد الشرقية حتى بلغ جرجرة وشرع في تغريمها، ولما رجع إلى تلمسان بأمر السلطان قدم بمال وافر من الخراج انبسطت له أحوال بني عبد الواد.[6]

---

[1]- إضافة إلى الحملات السابقة التي أرسى الزيانيون من خلالها فرض جباية الخراج، قاد هذا السلطان الزياني حملة على قبيل الثعالبة بمتيجة في الثامن عشر من شهر ربيع الثاني سنة إحدى وسبعين وسبعمائة(1369م)، وأمر قائده بإغرامهم كل ما غلبوا عليه من مخازن السنين السالفة، وهذا يبين أن الزيانيين كانوا يعلمون القبائل التي دفعت خراجها، والتي لم تدفع كذلك، ولربما معرفة ذلك ترجع إلى حسابات ديوان الأشغال السنوية. يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 440-441.

[2]- **نفسه**، ج:2، ص: 549.

[3]- للأسف لم تذكر المصادر صراحة التاريخ السنوي الذي يجمع فيه خراج البلاد. مؤلف مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:197.

[4]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:555.

[5]- مؤلف مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:77.

[6]- مؤلف مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:331-317.

ويطالعنا الحسن الوزان عن جملة من المناطق بالمغرب الأوسط، والتي فيما يبدو أنها كانت تدفع خراجا منتظما لخزينة الدولة في الفترة المتأخرة من العهد الزياني، ففلاحوا ديار هبرة في السهل الممتد بين وهران وتلمسان كانوا يؤدون الخراج لملك تلمسان، وسكان وجدة أنهكهم الفقر من جراء ما يدفعون من خراج إلى تلمسان وإلى الأعراب المقيمين بمفازة أنكاد، أما تسلة فكان خراجها مرتفعا، وأما بنو راشد فكانوا يقدمون ما قوامه خمسة وعشرين ألف مثقال، والبطحاء عشرون ألف مثقال،[1] ويظهر من خلال ذلك تفاوت في درجة عائدات الخراج بين المناطق التي ذكرها الوزان بين مرتفع ومتوسط، وعلى ما يبدو فإن هناك عوامل متحكمة في ارتفاع وتراجع قيمة الخراج كتوفر المناطق الخصبة، وتأثير الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ، كما يتجلى تأثير دفع الخراج على الناس سلبا في بعض الأحيان فيضعف وضعهم الاجتماعي.

ج- الأعشار الشرعية:

وهي حقوق شرعية تتراوح بين العشر ونصف العشر تؤخذ من الفلاحين على الزروع والثمار التي حصدوها وجنوها من أراضيهم، على حسب طرق سقيهم لها، فاذا سقيت بالألة دفع نصف العشر، وان سقاها المزن دفع العشر.[2]

وأرض العشر أو العشار هي الأرض البعيدة عن العمران التي أحياها الناس وليست في ملك أحد، ويدفع أصحابها كذلك العشر لبيت المال.[3]

وتشير المصادر إلى تسمية "ديوان الأعشار الشرعية"[4] و"ديوان الأعشار"[5] وهو في الحقيقة الديوان الذي يسهر على جمع الأعشار من أصحابها وممن وجبت عليهم وتحصى وتوجه لمخازن الدولة.

وفي السادس عشر من محرم لسنة ستة وثلاثين وسبعمائة قام السلطان أبو الحسن المريني بتقسيم بلاد المغرب إلى مناطق ضريبية، حيث تمثل كل منطقة وحدة

1- المصدر السابق، ج:1، ص:51/ ج:2، ص: 13، 25، 26، 27، 28، 60.
2- ابن صعد، **النجم الثاقب**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:408؛ ابن قنفذ، **أنس الفقير**، **المصدر السابق**، ص:25.
3- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:44-46.
4- المقري، **نفح الطيب**، **المصدر السابق**، ج:7، ص:203.
5- الغبريني، **المصدر السابق**، ص:120.

اقليمية مالية، لواليها الحق في جباية العشور داخل حدودها، ومن بين الأقطار التي حددها لذلك بالمغرب الأوسط "تلمسان وما والاها وما وراءها من البلاد إلى الجزائر قطر، ...".[1]

وأمام نقص المادة الخبرية، وسكوت المصادر، فمن الصعوبة بمكان تقديم معلومات إضافية حول هذا الجانب من الحقوق الشرعية على العهد الزياني، ويبقى ما قدم إضاءة لمواصلة البحث مستقبلا إذا ما ظهرت مصادر أو اكتشافات جديدة.

2- المغارم غير الشرعية (المكوس):

قبل أن نباشر تفكيك مضمرات هذه القضية لا بد من الاشارة إلى أن ثمة صعوبات منهجية تعترضنا في هذا المجال، تتمثل في تعدد المصطلحات المستعملة للتعبير عن مكونات الظاهرة، وعدم وضوح مفاهيمها، وغياب عنصر القيمة الإقتصادية الممنوحة لها والذي يعتبر في الحقيقة مربط الفرس في معرفة حجم الضرائب المفروضة وعائداتها ومنه الوقوف على مخلفاتها الاقتصادية والاجتماعية على النشاطات والأفراد والمجتمع والدولة.

وتشير مصادر الفترة المدروسة إلى تداول مصطلحات كثيرة تتضمن معاني الضرائب في المجتمع الإقتصادي الذي أرست معالمه الدولة الزيانية ضمن نظامها المالي المخزني[2] ومنها: المكوس، ومستحدثات المظالم،[3] والوظائف[4] المخزنية والمغارم السلطانية،[5] والاتاوات، والوضائع،[6] والوزائع،[7] والرسوم،[8] والملازم،[9] والملازم،[9] بالإضافة إلى تسميات أخرى تخص أنواعا من المغرم - سنعرف بها فيما

[1]- أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، 1986، ص: 138.
[2]- موسى بن عيسى، **مختصر ديباجة الاختصار**، **المصدر السابق**، ص:899.
[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:492./ **المنهج الفائق**، **المصدر السابق**، ص:140.
[4]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:215؛ العقباني، **المصدر السابق**، ص:118.
[5]- الونشريسي، المعيار، **المصدر السابق**، ج:6، ص:171.
[6]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:6، ص:91، 92.
[7]- ابن خلدون، **المقدمة**، **المصدر السابق**، ص: 494.
[8]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:90.
[9]- ابن مرزوق، **المسند**، **المصدر السابق**، ص:285.

فيما يأتي – منها: الخفارة،[1] والخرص، ومغرم الجمون، والبرنس، والضيافة، والانزال، والقاعة، والخطيئة، ومغرم الماء، وغيرها.[2]

وأمام هذا الكم الوافر من المصطلحات الضريبية تزداد مهمة الباحث صعوبة، لا سيما إذا رام البحث في حقيقتها وتعريفها وبيان قيمتها وتاريخ ضربها والسلطة التي تولت صلاحية ذلك، وأسباب فرضها لها، وتلك أسئلة لا يمكن لمصادرنا أن تقدم إجابات دقيقة لها في كثير من الأحيان، وهنا ربما نكتفي بتعليق ابن خلدون حول أسباب كثرة ألقاب الضرائب يقول: "اعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها،... واحتاجت إلى مزيد المال والجباية، فتارة توضع المكوس،...، وتارة بالزيادة في ألقاب المكوس إن كان قد استحدث من قبل،..."،[3] ويضيف: "فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية،...، ثم تتدرج الزيادات،...، حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مفروضة".[4]

وزيادة على المغارم الشرعية المذكورة، فرضت السلطة الزّيانية الضّرائب على الصنّاع والتجار المحليين والأجانب، حيث كانوا يدفعون المغارم للعشار[5]عادة عند أبواب المدينة؛[6] وعلى الفلاحين حيث كانوا يدفعون رسومًا على محاصيلهم، وهو وهو ما عبر عنه ابن الخطيب بقوله: "ولا فلاحة، إلا لمن أقام رسم الفلاحة".[7]

وتضمنت بعض الرسوم الضريبية المفروضة على الفلاحين بأراضي ملاتة،[8] سنة ثمان وخمسين وسبعمائة للهجرة ما قيمته "في الزّوج[9] الواحد منها إلى أربعمائة

1- العبدري، **الرحلة المغربية، المصدر السابق**، ص:278.
2- ابن مرزوق، **المصدر السابق**، ص:283-285.
3- ابن خلدون، **المقدمة، المصدر السابق**، ص: 497.
4- **نفسه**، ص:393.
5- وهو الشخص الذي يتولى جباية المغارم من أصحابها الذين وجبت عليهم. الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ج:2، ص:492.
6- العربي لخضر، **الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011، ص:32.
7- **معيار الاختيار، المصدر السابق**، ص:184.
8- ملاتة: سهل بين وهران وتلمسان. يحيى ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، هامش رقم: 165، ص97.
9- الزوج: "هو محرث أربع من البقر، لأن الزوج بشعبتين، والشعبة رأسان من البقر". العمري، **المصدر السابق، السابق**، ج:4، ص:205.

مُدٍّ[1] كبير، وهو ستون برشالة، زنتها ثلاثة عشر رطلا، من البرّ، سوى الشعير والباقلاء".[2]

وكذلك من الضرائب التي درج عليها الناس بالمغرب الأوسط على العهد الزياني ما جاء في كتاب المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق، ما يلي:

الضريبة	المكان	مقتضاها	الصفحة
مغرم الجمون	سجلماسة وسائر بلاد القبلة.	- حيث كان أهل هذه البلاد يغرمون هذا المغرم على النخل والزرع. ويجتمع فيه كل سنة أحمال من الذهب، حتى ألفوه.	ص:283.
مغرم	تلمسان وأحوازها. (المغرب الأوسط)	- على الحطب والبيض والدجاج والتبن.	ص:285.
مغرم الماء[3]		- على سقي الجنات، ويضطر فيه إلى مغرم للبراءة، ولصاحب الحوز والحراس.	ص:285.
مغرم الحبل والمطوى		- لقبان معروفان عندهم.	ص:286.
مغرم ايبزغدن		- على كل من خرج عن وطنه لفقره وحاجته، ولم يترك مستغلا يطلب حيث كان من البلاد وان كان قد فارق وطنه السنين الطائلة، وربما طولب به ذريته، فيؤخذ منه ما وظف على كل واحد ممن هو في ذلك الوطن، حتى أن الشخص يغرم مع أهل الموضع الذي رحل عنه والموضع الذي رحل إليه.	ص:285-286.

[1]- يقول الشاطبي: "المدّ الشرعي: حفنة من البرّ أو غيره، بكلتا اليدين مجتمعين، من ذي يدين متوسطتين، بين الصغر والكبر". نقله: الونشريسي، **المعيار، المصدر السابق**، ج:11، ص:144؛ وانظر: مؤلف مجهول، **تلخيص القول في الأكيال والأوزان والنصب الشرعية وتبيين مقاديرها من أقوال العلماء المعتنين بتحقيق ذلك**، تحقيق: محمد الشريف، نشر مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد:11، جويلية 1999، ص:11.

[2]- يحيى ابن خلدون، **المصدر والجزء السابقان**، ص90.

[3]- تشير إحدى النوازل التي رفعت إلى أحمد بن نصر الداودي(تـ 402 هـ) إلى وجود هذا النوع من المغارم في فترات سابقة للعهد الزياني ترجع إلى عصر المفتي(ق 4هـ)، وهو ما يعزز قول توارث بعض الدول المتعاقبة لنظام المغارم. النص: "سئل: إن السلاطين يأخذوننا بمغارم يسمونها الخراج، ...، وربما وضعوها على المياه السائحة، ...، ...، وتقادم ذلك، وأخذ به جيل بعد جيل، ولا يدرى كيف أصله؟، ...". عبد العزيز الصغير دخان، **موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي، المرجع السابق**، ج:2، ص:334.

وتكشف كتب النوازل عن وجود شكل آخر من المغارم يضرب على الجنات يعرف بوظيف نصف الأثمن يدفعه أصحابها في كل سنة إلى قبائل الجباية من العرب أو إلى عمال السلطان في الجهات.[1]

ومن المغارم التي أبانت عنها النوازل أيضا الخرص في الحبوب[2] والجنات[3] واعتبرها الفقهاء غير شرعية لأن الخرص إنما يكون في العنب والتمر يقدر على أصحابه في الأشجار ويقدر ما عليهم من الزكاة.[4]

ولم تكن الدولة مسؤولة عن تقرير الضراب في كل الأحول، بل كان الأعياص والمتغلبون على الأوطان والمنتزون بالجهات يفرضون على الناس والفلاحين، وذلك منا نستشفه من هذه النازلة: "سئل عن مستول على قبيلة وغيرها وطالت يده عليهم بغرم الأزواج الحارثة وخراج الجبال وزكاة الماشية وغير ذلك مما جرت العادة به عند القبائل من الخطيات وما جرى مجراها واستمر على ذلك أعواما، ...".[5]

وعلى العموم فإنّ الإدارة الزيانية قامت بتحصيل الضّرائب عن طريق الجباية عبر كل مناطق المملكة الزيانية، فكان العمال والولاة وأعوانهم وحراسهم يجوبون أنحاء البلاد التي وُلّوا عليها ويجبون ضرائبها، ثم تحصى في دواوينها. وكانت القبائل العربية الحليفة لبني زيان إلى جانب اعتبارها قوة مقاتلة، كانت في نفس الوقت مكلفة بجباية الضرائب، أو مساندة الأمير، أو العامل المكلف بالجباية.[6]

ومن خلال ما ذكره يحيى ابن خلدون حول الرسوم الضريبية المفروضة على الفلاحين بأراضي ملاتة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة للهجرة، يتبين بأن الضرائب لم تك تعين بطريقة عشوائية، بل كانت تحدد على قدر المساحة المشغولة، وحسب نوع المحصول ومردوديته، ويقدر ذلك الوالي أو الجابي أو العامل أو العشار أو الخارص،

---

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:65/ ج:4، ، ص:46.
[2]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:243.
[3]- ابن مرزوق، **المصدر السابق**، ص: 282. وقد وجد هذا النوع من المغارم في كل من فاس وإفريقية، ومن المحتمل جدا أنه كان موجودا بالمغرب الأوسط إذا ما سلمنا بعموم ظاهرة المغارم والجبايات غير الشرعية.
[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:243.
[5]- رفعت إلى العالم أبي عبد الله الزواوي. المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:93؛ يقول ابن خلدون: "ولما فشل ريح زناتة وجاش بحر فتنهم مع العرب، ...، وغلبوا عليها من جميع جوانبها وفرغوا لجبايتها واقتضاء مغارمها، وهم على ذلك لهذا العهد. **العبر، المصدر السابق**، مجلد: 6، ص: 88، 96.
[6]- جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق، المرجع السابق**، ص:323.

ويحرر رسما أو صكا باسم صاحب الضيعة أو الاستغلالية ونوع الضريبة وقدرها، ويكون بمثابة براءة لصاحبه من المتابعة، كما يحتفظ الوالي أو غيره بإحصاء شامل للأشخاص الذين تم أخذ المغارم منهم، والضرائب التي تم تحصيلها في كل جهة، كل ذلك يدون فيما يشبه السجل يسمى بـ "الزمام".[1]

وعلى الرغم من غياب معطيات واضحة تمكننا من معرفة قدر الضرائب المحصلة خلال فترة حكم بني عبد الواد؛ إلا أنه من الواضح أنّ خزينة الدولة كانت بحالة جيدة، نظرا لإمتداد أراضي المملكة وكثرة جبايتها، على الرّغم من بعض التّقلبات المناخية والجوائح الطبيعية والأمراض الوبائية، التي كانت تهلك الحرث والنّسل من حين لآخر، بالإضافة إلى فترات الضعف واللاأمن بسبب الحروب ونتيجة التّدخّل الأجنبي من الدولتين الحفصية والمرينية.

ومن البراهين التي تؤيد حال الخزينة هذا هو أنّ الزيانيين قدّموا في مناسبات عديدة مبالغ مالية - قرضا- لملك أرغونة،[2] الذي كان يطلب مساعدات سنوية من مملكة تلمسان[3]. وقد إختلفت وجهات النّظر حول قيمة هذه القروض، فقيل أنّها بلغت في البداية عشرين ألف دينار ذهبي، وأصبحت فيما بعد خمسمائة دينار ذهبي فقط.[4]

ومما يشهد على سعة أموال الدولة أيضا ما استأثر به أبو الحسن المريني في حملته على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة(1337م) من النفائس والذخائر: "واستولى،...، على تلك الايالة المؤثلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلي وثمين الذخيرة وخطير العدة وبديع الآنية وفاخر المتاع وصامت المال،...".[5]

أفرزت السياسة الضريبية التي سلكها سلاطين بني زيان واقعا مريرا، وأردت أوضاع الفلاحين، وكبحت قدراتهم الانتاجية، فقد أدت في بعض الأحيان إلى فرارهم

[1]- المازوني، **المصدر والجزء السابقان**، ص:112.

[2]- أرغونة: (أرغون) هو اسم بلاد فرنسية شانجة يشتمل على بلاد ومنازل وأعمال منها برشلونة وبلنسية وسردانية. **الحميري**، **المصدر السابق**، ص27.

[3]-Atallah Dhina, ***Le Royaume Abd-Eloudide, op…cit,*** p. 220. /***Les Etats de l'Occident Musulman, op…cit,*** p. 503,505.

[4]- دهنية، **المرجع السابق**، ص487.

[5]- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1988، المجلد:1، ص:535.

من ملكياتهم وإهمالها لشدة المغارم المخزنية المفروضة عليها،[1] كما إضطرت بعضهم إلى بيع بعض من الأرض من أجل دفع المغرم،[2] وفي بعض الأحيان كانت المعاناة من جور العمال وتشططهم في قبض مغارم زائدة عن المغارم الشرعية.[3] وكل هذا وغيره ساهم في معناة الفلاحة بالمغرب الأوسط، وجعل السعي واعتمار الأرض في "تراجع مستمر"،[4] وأثر على تحقيق الكتفاء الغذائي.[5] ولعل ما يثبت ذلك تفطن بعض سلاطين بلاد المغرب إلى تداعيات هذه السياسة المجحفة في حق العاملين بالفلاحة، وتوجههم نحو التخفيف من وطأة المغرم، فهذا أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول(718-737هـ/1318-1337م) فبعد مبايعته في شهر جمادى الأولى من سنة ثمانية عشر وسبعمائة للهجرة شرع في ترتيب مملكته فـ:" بسط آمال الخاصة، ورفع عن العامة مبتدع الوظائف"،[6] أما أبو حمو موسى الثاني فـ: "أعاد للرعايا مواسم العدل، وأضحك فيهم مباسم الفضل"،[7] وأما أبو الحسن المريني فقد أسقط كثيرا من المكوس التي عمت بلواها بلاد المغارب، ولم يترك غير ما أجازه الشرع من الخراج والزكاة والعشر.[8]

ج- الكوارث الطبيعية:

تعتبر الكوارث الطبيعية من بين الأخطار التي كانت تؤثر سلبا على الانتاج، خصوصا وأن بعضها يأتي بغتة وبسرعة، فيتسبب في خسائر كبيرة وفادحة في الانتاج والانسان وبهيمة الأنعام. وتضم ما يلي:

- الجفاف والمجاعات:

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:269.

[2]- **نفسه**، ج:9، ص:564.

[3]- **نفسه**، ج:9، ص:255، 572؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:63، 58.

[4]- عمر بن ميرة، **المرجع السابق**، ص:97.

[5]- عبد العالي أحتمي، **التغذية بالمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط –قضايا ونماذج**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-2002، ص:119.

[6]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:215.

[7]- **نفسه**، ج:2، ص:549.

[8]- ابن مرزوق، **المصدر السابق**، ص:284-286.

يعد الجفاف العوامل المؤثرة في الانتاج الفلاحي، لأن في معناه انعدام عنصر الحياة المتمثل في الماء، الذي به يكون الحرث والغرس والنسل، وتسببت التذبذبات المطرية التي أصابت بلاد المغرب الأوسط خلال فترات متقطعة من تاريخ بني زيان إلى حدوث موجات من الجفاف، وتراجع منسوب مياه الأودية والأنهار والعيون والآبار، مما أدى إلى تراجع العمليات الفلاحية أو توقفها في بعض الأحيان، وأصبحت مصادر المياه القليلة تذكي الأزمات والصراعات والنزاعات خاصة إذا تأخر موسم الأمطار، وفي ظل هذه الظروف يحل القحط والمجاعة بالناس بسبب قلة القوت الذي هو من قلة الماء وتراجع الانتاج.

وشهدت بلاد المغرب الأوسط محطات من الجفاف على إثر انعدام سقوط الأمطار في بعض الفترات، ففي سنة سبع وثلاثين وستمائة(1239م) شهدت بلاد المغرب قحطا وقلة مطر أدت إلى غلاء الأسعار وانتشار الفتن،[1] وخلال النصف الأول من القرن السابع الهجري(14م) أصاب أهل بجاية "جفوف عظيم، وقلت المياه، وجفّ أميسون،...، وكان الناس يملؤون من الوادي الكبير"،[2] وفي سنة تسع وثمانين وستمائة (1290م) أصاب الناس قحط شديد إستمر إلى غاية سنة تسعين(1291م) فرحم الله بلاده وعباده،[3] وفي أعوام اثنين وتسعين وستمائة وما بعدها (1262م) أصاب الناس قحط، ونالتهم سنة أوهنتهم،[4] وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة(1361م) وسبعمائة(1361م) أمسكت السماء وقد ذهب من فصل البذر أكثر من شطره،[5] وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة(1374م) كانت المجاعة العظيمة بالمغرب، وعم الخراب،

[1]- ابن عذاري المراكشي(712هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب(قسم الموحدين)**، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1985، ص:351.

[2]- الغبريني، **المصدر السابق**، ص:151؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج، المصدر السابق**، ص:320.

[3]- الناصري، **الاستقصا، المصدر السابق**، ج:3، ص:89.

[4]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، المجلد:7، ص:354.

[5]- ابن الخطيب، **نفاضة الجراب، المصدر السابق**، ص:318.

وانتشر الخوف والجوع في الطرق،[1] وفي سنة اثنين وأربعين وثمانمائة (1437م) كانت مجاعة كبيرة غلبت على الناس وغلاء شديد.[2]

- الفيضانات والسيول:

يشترك هذا العامل والعامل السالف في السبب المتمثل في الماء أو المطر، فبندرته يكون الجفاف، وبانهماره تكون الفيضانات والسيول، فالأمطار إذا توالت أثقلت التربة وصعّبت الأعمال، وأصيب الناس بالفاقة لنقص السعي،[3] وعفنت بذور الزرع قبل نموه، وكبحث حركة الضرع، وغذت الشعاب، فأرفدت الأودية والأنهار فزاد منسوبها عن الحد، وتعاظمت سرعتها، فكانت بذلك أقوى على إهلاك الأنفس وتدمير الأقوات والدور والسدود والقنوات، وسلت ما على الأرض من محاصيل ومنتوجات وغيرها. فإن وقع منها ذلك شح الغذاء وارتفع سعره، فيضرب القحط بظله، وتستحكم المجاعة في الناس.

وقد عرفت بلاد المغرب الأوسط تساقطات مطرية على غير العادة، أثرت بشكل أو بآخر في بعض الأحيان حركية النشاطات الفلاحية؛ فقد عمّ بلاد المغرب في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة (1324م) المطر العظيم،[4] وفي قسنطينة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (1356م) أرسل الله المزن بماء منهمر، حتى اجتاح السيل محلة السلطان أبي عنان المريني،[5] وفي يوم العشرين من جمادى الأولى لسنة ست وثلاثين وثلاثين وسبعمائة(1335م) انطلق خالد بن عيسى البلوي -صاحب الرحلة- من تلمسان متوجها إلى الجزائر، فقضى ثلاثة عشر يوما إلى هذه الوجهة في ظروف مناخية صعبة يقول: "ولم نزل نقطع مهامه قفار، ونجوز في أودية وبحار، ونشاهد من الأرض والسماء كل نهر سائل وغيم مدرار، إلى أن وردنا(الجزائر)، في أخر يوم

---

[1]- ابن قنفذ، **المصدر السابق**، ص:105؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:115؛ يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:575.

[2]- ابن صعد، **روضة النسرين**، **المصدر السابق**، ص:215-216.

[3]- التادلي، **المصدر السابق**، ص:405.

[4]- الناصري، **المصدر السابق**، ج:3، ص:179.

[5]- ابن الحاج النميري، **فيض العباب**، **المصدر السابق**، ص:258.

الخميس الثاني لجمادى الثانية"،[1] وقد عاش نفس ظرفا مناخيا مماثلا بعد خروجه في الحادي عشر رجب من نفس السنة من بجاية إلى قسنطينة تحت المطر الغزير وفي أعظم الأوحال،[2] وفي ربيع الثاني من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة(1371م) أصاب الناس مطر دام أياما،[3] وفي إحدى جمعات شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وسبعين وثمانمائة(1466م) نزل مطر كثير بتلمسان.[4]

وبالإضافة إلى ما أشرنا إليه من الأثار المترتبة عن الفيضانات والسيول كذلك تحول التربة وتغير المواضع، وترسب الرمال بها والحجارة وغيرها، وتعطلها عن العمل إلا بعد إصلاحها.[5]

- العواصف والزلازل والثلوج:[6]

تعتبر هي الأخرى القوى الطبيعية المدمرة والقاسية، يقول الوزان: "في آخر الخريف وأثناء الشتاء كله وبعض فصل الصيف تحدث عواصف مصحوبة بالبرد والصواعق والبرق، وينزل الثلج في أماكن كثيرة من بلاد البربر، والرياح الثلاث التي تهب من الشرق والجنوب الشرقي بالغة الضرر، لا سيما في شهر مايو ويونيه، لأنها تفسد جميع الغلات وتمنع الفواكه من النمو والنضج، وكذلك الضباب يضر الحبوب كثيرا لا سيما إذا وقع في وقت الازهار".[7] وفي منتصف شهر أفريل تهب ريح تعرف بـ: "شراق التفاح" يخاف منها على كثير من الفواكه،[8] أما الرياح الغربية فيطيب معها الانتاج ويحسن.[9]

---

[1]- **المصدر السابق**، ج:1، ص:151-152.

[2]- **نفسه**، ص:159-160.

[3]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:462-463.

[4]- الزركشي، تاريخ الدولتين، **المصدر السابق**، ص:158.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:7، ص:157.

[6]- حول تساقط الثلوج ينظر الفصل الأول.

[7]- **المصدر السابق**، ج:1، ص:79-80.

[8]- الصفاقسي، **المخطوط السابق**، ص:18 . يذكرنا بالمثل الأندلسي القائل: "أريَاحْ مَرْس، وجوائِح أبريل". الزجالي، **المصدر السابق**، ص:30.

[9]- التادلي، **المصدر السابق**، ص:474.

وقد تعرضت بلاد المغرب الأوسط في آخر سنة سبع وثمانين وستمائة (1288م) إلى رياح شرقية متوالية صحبها قحط شديد،[1] وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة(1374م) ضربت البلاد ريح ذات إعصار، أفرجت عن هلاك الحيوان وزرع تلك الصائفة، ومجاعة شديدة أكل الناس فيها بعضهم بعضا.[2]

أما عن الزلازل في هذا العهد بالمغرب الأوسط، فلم نقف من خلال المصادر التي بين أيدينا إلا على هزة واحد، حدث بمدينة الجزائر، وكان ذلك في العشرين من ربيع الثاني لسنة ست وستين وسبعمائة (1364م)، وربما يفهم من خلال وصفها بالزلزلة العظمى[3] هول ما تسببت فيه من خسائر فادحة في الممتلكات والأنفس وغيرهما.

د- الأوبئة والطواعين:

تؤثر الأوبئة والطواعين بشكل حاد جدا على الإنسان والمجتمع، إذ أنها تتسبب في موت أعداد كبيرة من البشر في فترة وجيزة، وهي تدخل في سياق المرض العام الذي ينتشر ليشمل مدنا بأكملها بل بلدانا وقارات، وتكون أعراض هذا النوع من الأمراض متماثلة وأسباب الموت فيه كذلك.[4]

ويشير ابن خلدون إلى أن الأسباب الكامنة وراء حدوث هذه الأوبئة والطواعين تتمثل في: وفور العمران في مرحلة هرم الدولة، والمجاعات الناتجة عن نقص الغذاء بسبب قبض الناس أيديهم عن الفلاحة لما فرض عليهم من ضرائب وجبايات، وكثرة

---

[1]- هذا الخبر غير مذكور في أحداث هذه السنة في طبعة أوبسالة 1843. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1999، ص:538.

[2]- ابن خلدون يحي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:575-576.

[3]- ابن خلدون يحي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:314.

[4]- للمزيد حول موضوع الأوبئة والطواعين والمجاعات وآثارها ينظر: مزدور سمية، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009؛ بن دومي عابد، **الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة في المغرب الأوسط وأثرها في المجتمع ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (القرن 13 - 15 م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011؛ خالد بلعربي: "المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني"، **دورية كان التاريخية**، العدد:4، يونيو 2009، ص ص:19-29.

الفتن والحروب والقتل، وفساد الهواء(غذاء الروح الحيواني) بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة، وتقارب البناء الذي يمنع تموج الهواء الي يذهب ما علق بالهواء من عفن وفساد وغيره.[1]

والكوارث الطبيعية المشار إليها من جفاف وفيضانات وسيول وزلازل وأعاصير وثلوج، مما من شك أن من جملة نتائجها ظهور الأمراض والأوبئة، وذلك لتلازم العلاقة بينهما، فانعدام الماء على سبيل المثال يكف الأيدي عن الفلح والسعي، فينقص وجود القوت أو يعدم، وبالتالي تخار جهود الإنسان عن العمل بسبب عدم توفر الغذاء الذي يقيم به صلبه ويكسبه طاقة حركية للعمل، وبالتالي تظهر المجاعة كنتيجة حتمية للوضع، الأمر الذي سيؤدي بدوره إلى تفشي الموت الجماعي بسبب التنافس على القوت القليل. وعلى حد تعبير ابن خلدون: "وأعلم أنه إذا فقدت الأعمال، أو قلت بانتقاض العمران، تأذن الله برفع الكسب".[2]

وتعرض المغرب الأوسط لحملات وبائية وطواعين متفرقة حصدت أعدادا هائلة من ساكنته منها على سبيل المثال: الوباء الذي اشتد على الناس سنة خمس وثلاثين وستمائة (1237م) حتى أكل بعضهم بعضا، وكان يدفن منهم في الحفرة الواحدة مائة من الناس،[3] وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة(1293م) كان الوباء العظيم بالمغرب وإفريقية ومصر، صحبته مجاعة وغلاء شديدين، وهلك فيه خلق كثير،[4] وفي سنة خمسين وسبعمائة (1349م) كان الوباء العظيم العام كذلك.[5] وفي سنة خمس وستين وسبعمائة (1363م) عاود الطاعون أهل العمران عامئذ بعد أن أهلكهم سنة سبع وأربعين وسبعمائة(1346م)،[6] وفي الطاعون الجارف سنة تسع

[1]- **المقدمة، المصدر السابق،** ص:537-539.
[2]- **المصدر السابق،** ص:671.
[3]- ابن أبى زرع الفاسي، **المصدر السابق،** ص:36.
[4]- **نفسه،** ص:539-540؛ الناصري، **المصدر السابق،** ج:3، ص:90.
[5]- ابن قنفذ، **المصدر السابق،** ص:47.
[6]- ابن خلدون، **المصدر السابق،** المجلد:7، ص:265.

وأربعين وسبعمائة(1348م)،[1] وعاود الكرة عليهم سنة إحدى وسبعين وثمانمائة (1466م).[2]

هـ- الآفات الزراعية:

ومنها:

- النباتات الضارة: وهي نبات تنمو في الحقول مع الزروع والثمار، وتنافسها الماء وسماد الذي في التربة، فتؤثر على انتاجها كما ونوعا. ومنها النجم[3] وهو نبات "يمتد ويتعشب، ويأخذ في كل عقدة عروقا حتى تنقفل بها الأرض" فإذا شبك الأرض فلا يقدر على حرثها أو حفرها،[4] وطريقة التخلص منه هو أن يحرث في سموم الصيف، ثم يجمع بجذوره ويخرج من الأرض التي تكون بها وتحرق، لأنه إذا تركت واشتمت الرطوبة أو الماء نبتت من جديد.[5] ومنها أيضا نبات السُعدى وهو مضر كذلك، وطريقة مكافحته أن يوالى عليه الحرث في هواجر الصيف.[6]

ومن أوجه مكافحة النباتات الضارة اتخاذ معاول وسكاكين ومناجل من النحاس ينقش وبها الزرع وتقطع بها النباتات مثل العوسج والشوك وغيرها.[7]

- الحشرات والحيوانات الضارة:

ومنها:

الجراد:

يعتبر من أخطر الآفات الحشرية التي أرقت الفلاحين في العصر الوسيط بسبب الخسائر الجسيمة التي يلحقها بالزروع والثمار، وكثرة أسرابه حتى انها لتحجب

---

[1]- ابن خلدون يحي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:119؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:228؛ ابن الشماع، **المصدر السابق**، ص:98؛ التنبكتي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:264.

[2]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:357؛ الملالي، **المواهب القدوسية، المصدر السابق**، ص:55.

[3]- الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:440.

[4]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:92.

[5]- **نفسه**، ص:138. لا تزال هذه الطريقة متبعة إلى يومنا هذا في إزالة هذا النبات الذي لم يتغير اسمه.

[6]- **نفسه**، ص:138 . يحتمل أن يكون النبات الذي يسمى في حاضرنا بـ: "السَّعْدْ".

[7]- مؤلف مجهول، **مفتاح الراحة، المصدر السابق**، ص:119.

ضوء الشمس عندما تطير، تأكل كل ما في طريقا، وتترك خلفها بيضا يتولد منه جراد آخر لا يطير، لكنه أسوأ من أمهاته، وحيث ما مر الجراد ترك مجاعة خلفه.[1]

وعلى الرغم من أن الجراد يعتبر نقمة في كثير من الأحيان، إلا أن البعض ينظر إليه على أنه منحة، ذلك أن بعض المناطق من بلاد المغرب الأوسط يتخذونه غذاء لهم إلى جانب التمر كأهل بودا أكبر قرى توات، حيث لا يتوفرون على ما سواهما، ولكثرته عندهم فهم يخرجون لصيده قبل طلوع الشمس، ويختزنونه كما يختزنون التمر.[2]

وقد اكتسحت جحافل الجراد بلاد المغرب الأوسط كبدت الفلاحين خسائر جسيمة وأتلفت الزروع والثمار، ففي سنة سبع وسبعين وستمائة (1278م) غزا الجراد كل بلاد المغرب فأكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الأرض، وغلت أسعار القمح،[3] وفي سنة تسع وسبعين وستمائة(1280م) عم بلاد المغرب الجراد وأكل جميع زروعها فلم يترك بها مخضرا.[4]

فراشة الكتان:

وهي من الحشرات التي اختصت باجتياح نبات الكتان وأكله، الذي كان يزرع بالعديد من مناطق المغرب الأوسط، وكانت هذه الفراشة تقضي على غلال الكتان في بعض الأحيان. وهي تضع بيضها في التربة التي بها نبات الكتان.[5]

أما عن سبل مكافحة الحشرات الضارة فتشير بعض كتب الفلاحة إلى طريقة طرد الدود والهوام عن الشجر والكروم، حيث يؤخذ القار ومثله من الكبريت ويوضع على الجمر فيدخن بها الشجر والكروم، فإن كل دود تصله ريح ذلك الدخان يهلك، أو

[1]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:278-279.

[2]- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص:706-707. ولم يبن لنا هذا الرحالة كيفية وطرق تخزينه والمواد المستخدمة في ذلك.

[3]- الناصري، **المصدر السابق**، ج:3، ص:89.

[4]- ابن أبى زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص:535.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:369.

تؤخذ أخثاء البقر وزيت ويدخن بها الكرم، أو بأخذ الجلبانة وزبل بقر عتيق وتحرق في أمكنة مختلفة من الحقل فتهرب الحشرات.[1]

وإلى جانب الحشرات الضارة عانى الفلاحون من تهديدات الحيوانات الضارية كالسباع والأسود،[2] وبعض الحيوانات الأخرى كالخنزير والأرانب والطير. وحتى من الحيوانات الأليفة المستأنسة عند الناس،[3] لذلك لم يتوانوا في إحاطة الحقول والبساتين بالأسوار والأسيجة والأشواك (الزروب) وغيرها.[4]

من حصاد ما سبق لامسنا جهود الفلاحين على العهد الزياني في السعي والفلح، واتضح أن معظم مناطق المغرب الأوسط كانت توفر معظم المنتوجات الفلاحية الضرورية من الحبوب والبقول والمقاثي والباقلاء والفواكه والثمار، بالإضافة إلى محاصيل أخرى كانت تنتجها الطبيعة ويستفيد منها المجتمع؛ هذا رغم كل الظروف الصعبة التي كانت تحول في كثير من الأحوال بينهم وبين أداء أعمالهم الفلاحية على أكمل وجه لا سيما في فترات الكوارث الطبيعية والحروب وغيرها من العوامل المؤثرة التي كانت تكبدهم خسائر بالجملة في أنفسهم وممتلكاتهم وعيون غلاتهم. ولا ننسى مساهمة هؤلاء في المشاريع العمرانية والعسكرية التي كانت تقوم بها الدولة، من خلال الضرائب المختلفة التي كانوا يدفعونها لخزينة الدولة الزيانية، ووقفنا من خلال بعض النصوص المقتضبة جدا على مواساة الدولة لهم في بعض الأحيان بالأعطيات والصدقات، أو بتخفيف وطأة بعض الضرائب وإلغاء بعضها الآخر.

---

[1]- ابن الحجاج، المصدر السابق، ص:24-25.

[2]- موسى بن عيسى، **المصدر السابق**، ص:891-892؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:266؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص:75-77؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:376.

[3]- ابن مرزوق الحفيد، **المخطوط السابق**، ص:9؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:200، 353؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:376. Robert BRUNCHVIG, ***Deux Récits de Voyage Inédits en Afrique du Nord: ABD ALBASIT B. HALIL ET ADORN***, LAROSE Éditeurs, Paris, 1936, p.63.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:18، 41،67، 68.

الفصل الرّابع:

الرعي وتربية الأنعام والصيد

1- الرعي وتربية الأنعام.

2- أصناف المواشي والدواب وتوزيع إنتاجها.

3- تربية النحل.

4- تربية دودة الحرير.

5- الصيد وأنواعه.

تمهيد:

نستعرض في هذا الفصل نشاط الرعي وتربية الماشية والدواب الداجنة بالمغرب الأوسط على العهد الزياني، إذ لا يكتمل العمل بالفلاحة دون ممارسة الرعي وتربية الماشية، فهو جزء منها من خلال انتاج الحيوان، ومكمل لها بتوفيره لبعض المستلزمات التي لا تقوم الفلاحة إلا بها كتوفير الثيرة وغيرها من الدواب للحرث واثارة الأرض، والظهر للحمولة والنقل، والأزبال بأنواعها المختلفة لتسميد الأرض، وغيرها من الأركان التي تنبني عليها حرفة الفلاحة مما أشرنا إليه سلفا. فضلا على المواد الغذائية العديدة التي توفرها هذه الحرفة للمجتمع من اللحوم والزبد والألبان والأجبان والأسمان وغيرها.

ولهذا اعتبر ابن خلدون في عرضه لأوجه المعاش أن الفلح يكون عبر دعامتين، الأولى: "من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه واعداده لاستخراج ثمره"، والثانية: "من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفة بين الناس في منافعهم، كاللبن من الأنعام، والحرير من دوده، والعسل من نحله"، ويعلق على ذلك قائلا: " ويسمى هذا كله فلحاً".[1]

كما سنقف على أنواع المواشي والدواب الداجنة، بالإضافة إلى كيفية تربية النحل وانتاج العسل وغيره، وكذا طريقة تربية دودة القز لإنتاج مادة الحرير؛ كما نستعرض نشاط الصيد وأنواعه وأصناف الصيود والطرائد.

إن البحث في تاريخ هذه النشاطات بالمغرب الأوسط على عهد بني عبد الواد تكتنفه الكثير من الصعاب، منها تهميش المصادر لأخبار الفلاحين والرعاة والصيادين، رغم أنهم في الحقيقة هم من شكلوا القاعدة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع المغرب الأوسط لهذا العهد كما ساهموا بالكثير في بناء ثروة الدولة ومآثرها، وحتى المصادر المتخصصة ككتب الجغرافيا والرحلات التي لطالما اهتمت بالأنشطة الاقتصادية عموما، إلا أنها تدخل في نفس السياق، حيث أنها لا تذكر تفاصيل كافية

[1]- **المقدمة، المصدر السابق**، ص :682.

عن الرّعي وتربية الأنعام والصيد، والمسارح، والأضرار والمخاطر والمشاكل التي كانت تكتنفانهما، بل لم تتجاوز ذكر بعض الأصناف الحيوانية التي شاعت تربيتها في هذا البلد وذاك دون ذكر تفاصيل أخرى.

وعلى العموم فقد أسعفتنا بعض مصادر التراجم والنوازل بنزر يسير جدا، ساعدنا على توضح واقع هذه النشاطات خلال الفترة محل الدراسة.

1- الرعي وتربية الأنعام:

يقول الله تعالى: ﴿وَالاَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَاكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ اِلاَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۝﴾.[1]

يعتبر رعي الماشية والدواب الداجنة من الأعمال الضاربة في حياة الناس منذ القدم، ومن الحرف الباقية والمستمرة إلى اليوم، ولم تكن من الحرف الوضيعة، بل نالت قصب السبق في الشرف حيث امتهنها الأنبياء،[2] وقد ألهمهم الله لذلك حتى يحصل لهم التمرن برعيها على القيام بأمر أممهم، ولأن بمخالطتها وتعهدها وجمعها بعد تفرقها ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع المضار عنها، يحصل لهم الحلم والشفقة والصبر على طباعها.[3]

---

[1]- سورة **النحل**، الآية: 5-8.

[2]- فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:"ما بعثَ اللهُ نبيًّا إلاَّ رَعَى الغَنم. قال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم كنتُ أرعاها على قَرَاريطَ لأهلِ مكةَ". البخاري، **المصدر السابق**، ص:539.

[3]- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (856هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تصحيح وتحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون، دار الريان للتراث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 1986، ج:4، ص: 516-517.

وقد دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى اتخاذ الغنم ورعايتها لما فيها من الخير والبركة، فعن عائشة -رضي الله عنها- أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم هانئ: "اتّخذوا الغنم، فإن فيها بركة"؛[1]

وحرفة الرعي وتربية الحيوانات وبهذا القدر من الاهتمام الإلهي والنبوي تصلح لكل من له "زرع ومواضع رعي إما في ملكه أو مستأجره ويقرّها في القرية التي زراعته فيها وله أعوان وكفاة. أو لرجل بدوي يرحل في طلب المراعي ويسكن بيوت الشعر ويستوطن البرّ وله عزّ من عشيرة".[2]

ومن المتعارف عليه أن الاعتناء بالرعي وتربية الأنعام كان من أهم النشاطات الفلاحية التي عرفتها بلاد المغرب الاسلامي عامة، وإن لم نبالغ فهي تضاهي الزراعة كثيرا، ويبدو من خلال المصادر أن مختلف قبائل المغرب من زناتة والعرب كانت تعتمد في كسبها ومعاشها بالدرجة الأولى على الرعي وتربية الماشية من الغنم والمعز والبقر والابل وغيرها، يقول ابن خلدون: "ومكاسبهم الشّاء، والبقر، والخيل في الغالب للرّكوب والنّتاج، وربّما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم، شأن العرب منها ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السّائمة، ومعاش المعتزّين أهل الإنتجاع والإظعان في إنتاج الإبل وظلال الرماح،...، ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصّوف".[3]

وقبائل زناتة التي ينحدر منها بنو عبد الواد استقرت منذ عهد قديم في بلاد إفريقية والمغرب من جهات طرابلس إلى جبل أوراس والزاب إلى جنوب تلمسان ثم إلى وادي ملوية،[4] ولم يخل نمط معيشتهم من سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل، والتغلب في الأرض وتعود حياة الترحال بين المشاتي والمصائف بين القفار

---

[1]- الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة، المصدر السابق**، ص:219.

[2]- أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي (ق 6هـ)، **الاشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها**، تحقيق: محمود أرناؤوط، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1999، ص:52.

[3]- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، المجلد: 6، ص:175-176.

[4]- **نفسه**، المجلد: 7، ص:15.

والتلول، متشبهين بحياة القبائل العربية.[1] وهم إبان ذلك يجمعون بين الزراعة والرعي، حيث يمتلكون أراضي بالتلول يعكفون على زراعتها مع بداية فصل الربيع (رحلة الربيع والصيف إلى أراضي التل) ثم يحصدون ويدرسون ويجمعون أقواتهم، فإذا أقبل الشتاء ارتحلوا وخيموا بأراضيهم في القفر والصحراء مما يلي التلول ويرتادون بمواشيهم أنحاء تلك البلاد طلبا للكلأ ومواضع المياه، وخلفوا أتباعهم بالتلول لاعتمار أرضهم وزراعة فدادينهم وجباية خراجهم،[2] ومنهم بنو عبد الواد وبنو مرين ومغراوة وتوجين وبنو راشد وغيرهم كثير، لكن أكثر قبائلهم وفروعهم كانت بالمغرب الأوسط حتى أنه نسب إليهم فقيل: "وطن زناتة".[3]

ونشير إلى أن القبائل العربية قد ساهمت بقسط وافر في مجال الرعي وتربية الأنعام، حيث تكيفوا مع مجالات استقرارهم،[4] ولم يغيروا من نمط معيشتهم، وأبدوا عناية واضحة بتربية المواشي والخيول، وامتد هذا الاهتمام إلى جيرانهم من قبائل المغرب الأوسط (زناتة وغيرها) فاكتسبوا خبرة عالية في تربية الخيول ومعرفة أنساب الخيول الجيدة،[5] ومن الأمثلة على ذلك بروز بني راشد في انتاج "الخيول الراشدية"[6] التي اشتهرت على سائر أنواع الخيول.[7]

---

[1]- ابن خلدون، **المصدر والمجلد السابقان**، ص:3.

[2]- **نفسه**، ص:159.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، المجلد: 7، ص:4.

[4]- مواطن القبائل العربية: بنو عامر بن زغبة قبلة تلمسان بقصور الربا وأبي سمغون؛ وذوي عبيد الله من المعقل مواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية، ومنبع وادي صا (زا) في الجنوب وتنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيت وربما عاجوا ذات الشمال إلى تسابيت وتكورارين؛ وأما الثعالبة إخوة ذوي عبيد فموطنهم متيجة من بسيط الجزائر؛ ذوي منصور أقطعهم أبو حمو موسى بضواحي تلمسان؛ وسويد بن عامر بن مالك بن زغبة ضواحي وهران، ومنهم: يوسف بن مهدي أقطعه يغمراسن البطحاء وسيرات، وعنتر بن طراد أقطعه يغمراس كذلك قرارة البطحاء؛ ومواطن أولاد حصين بن زغبة تيطري ونواحي المدية؛ والدواودة فمواطنهم بضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ ووراكلا وما وراءها من القفار في الجنوب؛ ومواطن أولاد سباع بن يحي من الدواودة بالزاب وجبل الأوراس والحضنة. **نفسه**، مجلد:6، ص:118، 119، 123، 126،133،97، 96، 92، 72، 73، 74.

[5]- مزاحم علاوي الشاهري: "قبائل هلال وجشم والمعقل في المغربين الأوسط والأقصى: الاستقرار والدور الاقتصادي والثقافي(584-800هـ)"، **أعمال ندوة: الوطن العربي- النواة والامتدادات عبر التاريخ**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص:162.

[6]- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، **المصدر السابق**، ص:116.

[7]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، **المصدر السابق**، مجلد:2، ص:44.

ومن بين العادات التي ألفتها القبائل الزناتية وماثلت فيها العرب[1] في حياتها البدوية في الفيافي والقفار الالمام بأساليب العيافة[2] والريافة[3] والقيافة[4] التي لا يستغني يستغني عنها البدو الرحل في يومياتهم بالمشاتي والمرابع والمصايف.

ولا يفوتنا التوضيح بأن بني عبد الواد هؤلاء كانوا كبقية قبائل زناتة والعرب في نمط الحياة من التغلب والحل والترحال بين التلول والقفار وتربية الماشية وغير ذلك مما ذكرناه، ولكنهم تحولوا إلى الاستقرار بناحية المغرب الأوسط، بعد دخولهم في خدمة الموحدين فأقطعوهم تلك النواحي،[5] وفي سنة أربع وعشرين وستمائة (1226م) كتب لهم المأمون الموحدي[6] العهد على ولاية تلمسان[7] وسائر بلاد زناتة،[8] زناتة،[8] فكانت هذه التولية أولى درجات ارتقاء بني عبد الواد لتأسيس قواعد الملك وبناء الدولة.

---

[1]- ابراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، د. ط، 1996، ص:25-26.

[2]- والعيافة هي: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها. **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:640؛

[3]- والريافة هي: علم معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الاشارات الدالة على وجوده، حيث يعرف بعده وقربه بشم التراب، أو برائحة النباتات، أو بحركة حيوان مخصوص. صديق بن حسن القنوجي(1307هـ)، **أبجد العلوم: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، اعداد: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت، د. ط، ج:2، ص:309.

[4]- والقيافة هي: تتبع الأثر، والقائِفُ من يحسن معرفة الأثر وتتبُّعَه. والقيافة علم، وهو اصابة الفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد والقرابات ومعرفة الأثر. وتتجلى منافع القيافة في نَشدِ الفارّ والتائه من البشر أو الحيوان، وهو ضربان: الأول قيافة الأثر، والثاني قيافة البشر أي تتبّع الشبه والملامح والأنساب. **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:752، 766؛ أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري(ت429هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص:104.

[5]- ابن خلدون، **المصدر السابق**، المجلد: 7، ص:135، 150، 151.

[6]- وهو: المأمون أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الخليفة الثامن لدولة الموحدين، حكم بين: 624-629ه/ 1226-1231م. ابن السماك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص:247-251، يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:171.

[7]- تأثل بأمرها جابر بن يوسف بن محمد، وهوابن عم زيان والد السلطان يغمراسن بن زيان، وكانت ولا يته حسب ابن خلدون بين: 624-629ه/ 1226-1231م، أو بين: 627-629ه/ 1229-1231م على رأي التنسي ويحي ابن خلدون. **المصدر والمجلد السابقان**، ص:152-153؛ **تاريخ بني زيان، المصدر السابق**، ص:112-113؛ يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:171.

[8]- ابن خلدون، **المصدر والمجلد السابقان**، ص:152-153.

ومن خلال بعض الاشارات المقتضبة نسجل اهتمام فئات مختلفة من المجمع الزياني بتربية الماشية والدواب، لحاجتهم الماسة إليها وصعوبة الاستغناء عنها في حياتهم اليومية، حيث خصصت السلطة الزيانية في نظام الوظائف وظيفة قائد الاصطبلات،[1] ومن مهامه الإشراف على مراكب السلطان الفارهة والعناية بها بالإضافة إلى تربية الدواب المختلفة وترويضها وتجهيزها للحرب، كما يشرف على ماشية القصر[2] ويعتني بها لأن بها تقام مناسبات الأسرة الملكية وأعيادها. وكان أحمد بن الحاج اليبدري[3] من جبل بني ورنيد "يخدم فرسه بيده، يرمي عليها الزبل، ويعلف لها الشعير، ويعطيها التبن ويسقيها، وإذا أخرجها من داره جعل لها كمامة لئلا تأكل زرع الناس في طريقها".[4] وكان أبو جمعة المطغري قضى ضربا من حياته في رعي رعي المعز بمطغرة.[5] كما أن النساء ساهمن في رعي المواشي عند الحاجة وكان يقع يقع على عاتقهم مهمة حلبها، واستخراج سمنها ولبنها وجبنها، وتصنيع صوفها وغيرها من الأعمال.[6]

وقبل أن نشرع في ذكر أهم مناطق تربية وانتاج الأنعام على العهد الزياني لا بد أن نشير إلى بعض الامكانيات التي ساعدت على استفحال حرفة الرعي، وتكثير الثروة الحيوانية بالمغرب الأوسط. حيث تكشف النصوص عن أنواع مختلفة من المراعي كانت ترتادها القبائل الرحل، أو الرعاة الخلطاء، أو الرعاة الأجراء، أو ملاك القطعان بحد ذاتهم وغيرهم بحثا عن الكلأ لتغذية الحيوانات ومنها:

---

[1]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:22.

[2]- ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، **المصدر السابق**، ص:80.

[3]- هو: أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب، عرف بابن الحاج المانوي اليبدري التلمساني، علامتها بلا منازع، أخذ عن جملة من العلماء منهم: ابن زكري والتنسي والسنوسي وغيرهم، له تأليف وتعاليق في بعض العلوم، توفي في حدود ثلاثين وتسعمائة (1523م). ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:61-80؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:131-132/ **نيل الابتهاج**، **المصدر السابق**، ص:136.

[4]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:61، 79.

[5]- هو: أبو جمعة الكواش المطغري، من عباد تلمسان وأوليائها العاملين، دفن بباب كشوط، تاريخ وفاته غير معروف. **نفسه**، ص:148-149.

[6]- نبيلة عبد الشكور، **المرجع السابق**، ص:166؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:4، ص:88؛ ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:302.

لما كان المغرب الأوسط يتميز بكثرة مدنه وأرباضها، وكثرة كوره ومداشره؛ وتباين تضاريسه بين الشمال والوسط والجنوب حيث نجد السهول والجبال والنجود والصحاري والقفار؛ واختلاف أقاليمه المناخية والنباتية؛ ساعد على وجود مجالات رعوية طبيعية مختلفة تتوفر على أنواع عديدة من النباتات المفيدة للحيوانات. وهنا تشير النصوص الجغرافية إلى الكثير من المجالات الخصبة التي كانت تتوفر عليها البلاد كما تظهر في الجدول التالي:

المكان	المرعي / أو ما يقوم مقامه	ملاحظات أخرى	المصدر
البلاد الساحلية	كثيرة الخصب، طيبة المراعي.	تجلب أغنامها إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحمها.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:179.
مليانة	البلدة الخصيبة. أخصب بلاد افريقية.	تشرف على واد شلف.	- العبدري، **الرحلة، المصدر السابق**، ص:24؛ **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:171.
متيجة	سهل كبير عظيم الخصب.	كثير القرى والعمائر، وتشقه الأنهار.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:132.
وهران	من أعزّ البلاد.	كثيرة المياه.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:134.
ندرومة	لها بسائط خصيبة.	///	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:135.
تلمسان	كثيرة الخصب.	كثيرة الخيرات والنعم.	- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:176.
وجدة	مراعيها أنجع المراعي	جيدة التربة، طيبة	- **كتاب الاستبصار**،

	وأصلحها للماشية.	الهواء، كثيرة الماء. في الشاة من شياههم مائتي أوقية من الشحم.	**المصدر السابق**، ص:177.
قلعة هوارة	سهل سيرات.	تسكنه قبائل مطغرة وزناتة.	- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:178-179.
تلمسان	موضع شريف. بطاح وأدواح وربى ملاح، وبسيط واسع وفسيح. كثيرة الخصب.	تجمع بين الصحراء والريف. صحيحة الهواء. كثيرة الخيرات والنعم.	- ابن الخطيب، **معيار الاختيار**، **المصدر السابق**، ص:184؛ البلوي، **تاج المفرق**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:149. **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:176.
الجزائر	كثيرة الخصب. مروج خضرة.	كثيرة السمن يتجهز به إلى الأقطار المجاورة والبعيدة عنها.	- الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:163؛ البلوي، **تاج المفرق**، **المصدر السابق**، ج: 1، ص:152.
واركلا	بلد خصيب.	مدنه كثيرة الضرع.	- الحميري، **الروض المعطار**، **المصدر السابق**، ص:600.
قصر تمزيزدكت	البلاد المحيطة به فيها مراعي كبيرة.	///	- مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2، ص:293.
بين تلمسان	المراعي كثيرة.	///	- مارمول، **إفريقيا**، **المصدر السابق**، ج:2،

والبحر			ص:291.
تفسرة	تجود بها المراعي.	///	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:323.
بنو راشد	تجود بها المراعي.	///	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:324.
تنس	كثيرة المراعي.	///	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:353-354.
بالقرب من مدينة القل	مرعى فسيح.	تقصده سائمة أهل الجزائر قصد الرعي، نظرا لجودة كلئها.	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:362.
وادي متيجة	كثير الكلأ.	///	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:364.
بين كومي وفجيج	مراعي شاسعة.	لذوي عبيد الله من المعقل.	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:1، ص:108.
جبل الأوراس	به المراعي الكثيرة.	به المياه الغزيرة، والعمارة الدائمة.	- ابن حوقل، **صورة الأرض، المصدر السابق**، ص:85.
توات	خارجها مرعى حسن.	تصلح فيه الابل.	- العياشي، **الرحلة، المصدر السابق**، ج:1، ص:79.

تلك هي إذن المجالات الرحيبة والمراعي الممرّعة الواسعة التي كانت تشكل الوجهة الأولى لسرح السائمة من الغنم والابل والمعز، ويبدو أن هذه المراعي والمراعي بالمغرب الأوسط عموما كانت تنقسم إلى أقسام ثلاثة: القسم الأول: مراعي الملاك وكانت تقع ضمن الأراضي الواقعة في ممتلكاتهم فهي حبس على قطعانهم دون غيرهم وهي لا تبعد المدن والقرى كثيرا؛ والقسم الثاني: مراعي القبائل وتتمثل في المجالات التي أقطعتهم إياها الدول المتعاقبة أو تغلبوا عليها بالقهر والقوة، فتستغلها القبائل كابرا عن كابر في رعي قطعانها، إلا أن تنتزع منهم أو يجلوا عنها كالمراعي بأراضي قبائل ذوي عبيد الله المشار إليها؛ والقسم الثالث: الأراضي المعطلة والبور والجبال والأراضي التي ليست في ملك أحد وضفاف الأودية والأنهار وآجام المياه فهذه كانت شائعة بين الناس، حيث يكونون خلطاء في الرعي بها ويستقيدون من منافعها. ومن بين الملاحظات التي يشير إليها الجدول انتقال الرعاة أو القبائل لمسافات طويلة جدا في طلب الكلأ والمراعي الجيدة، كأهل الجزائر الذين كانوا يسيرون بسائمتهم إلى حواف مدينة القل لتوفرها على مرعى فسيح يتميز بجودة كلئه. ولم تكن هذه التحركات خاصة بأهل الجزائر بل هي عامة في البوادي والأرياف والقفار وبين أهل القبائل من زناتة والعرب الذين تتطلب حياتهم التنقل الدائم، وهنا نشير إلى بعض التسميات التي لا تزال شائعة عند بدو هذا الزمان وضاربة بجذورها في تاريخ نشاط الرعي، وهي في حقيقة الأمر ترتبط أساسا بالقبيلة كوحدة للرعي وانتاج الحيوان، وإن وجدت في بعض العلاقات بين المدينة والبادية، غير أنها بالنسبة للقبيلة أوضح وأعمق لأنها تعبر بحق عن نمط السعي للكسب والانتاج، وتتمثل هذه التسميات في: المشاتي والمرابع والمصايف، وهي اصطلاحات للتعبير عن الوقت والفصول التي ترتحل فيها القبيلة أو القبائل لابتغاء مواطن النبات والماء ولقضاء أيام السنة بين فصولها، فالمشاتي تطلق عادة على المناطق القريبة من حواف الصحراء إلى ما دونها يعني جنوب سلسلة جبال الأوراس والونشريس والعمور وغيرها فتخيم القبائل بالأراضي الواقعة منها في ملكها، والمرابع وتعني المناطق التي حل بها فصل الربيع، أو تعني المناطق أو المراعي التي سقط بها المطر فاخضرت فتستعجل القبائل

قصدها للرعي، أما المصائف فهي عادة أرض التلول ترتحل إليها القبائل في فصل الصيف بسبب القيض في الصحراء، واعتدال هواء التل وتوفر الكلأ في استغلاليات القبائل المتروكة للوكلاء وفي الجبال والسفوح وغيرها؛ وقد أوجز بن عابد الفاسي الفرق بين التل والصحراء "أن التل جبال وزرائع وأمواه كثيره وأرض وأرياف، بخلاف الصحراء فإنها أرض مفاوز وقفار".[1]

ومما ساعد على تغلغل الرعي وتربية الماشية بالمغرب الأوسط انتشار المزارع والضياع والحقول بمساحات مختلفة، ووجود مناطق اشتهرت منذ وقت بعيد بانتاج الحبوب والخضر وغيرها كوجدة وندرومة وتلمسان ووهران ومليانة ومتيجة والجزائر وقسنطينة وبجاية والمسيلة ووراكلا وتيكورارين وغيرها،[2] هو ما حافظ على توفير مصادر إضافية للكلأ، ووجود المراعي على طول فصول السنة الزراعية، فالمحاصيل الزراعية التي كان يطرقها النضج وتقلع أو تحصد، كان أصحابها يعتبرون أماكنها مرتعا لقطعان ماشيتهم وحيواناتهم التي يعتمدون عليها في أداء نشاطهم، ويستفيدون مما بقي في الأرض من حشائش وغيرها.

وتشير النوازل الفقهية إلى هذا المعنى بالذات منها مسألة تتعلق برعي ما بقي من فضلة التبن في مزارع الحبوب التي تم حصادها ورفع تبنها، ونصها: "عمن اغتصب أرضا وزرعها وحصدها وبقيت فضلة التبن هل يجوز رعيه بمنزلة الكلأ أم لا؟"، وتضمن جواب المفتي جواز رعيه إذا كان مما لا يرجع إليه صاحبه، والأولى بذلك الفقير دون الغني.[3]

ومن مواجهة مشكل نقص الكلأ بسبب التقلبات المناخية ونقص المطر، أو بسبب تدهور الظروف الأمنية أشرنا فيما سبق بأن الفلاح على العهد الزياني كان يقوم بتخزين التبن في الأندر، حيث يكدسه ويقوم بتغطيته بخليط من الطين والتبن والماء، وعند الحاجة يخرجه للأنعام.

[1]- **الرحلة، المصدر السابق**، ص:67.

[2]- حول هذا راجع الانتاج الفلاحي بالمغرب الأوسط الفصل الثالث.

[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:548/ ج:6، ص:149.

وقد عرف الفلاح على العهد الزياني مجموعة من الطرق والأساليب الناجعة الرامية إلى حصد النوعية في تربية المواشي منها: زراعة الأعلاف الخضراء، وتعليف المواشي، تخير أنواع المواشي من السلالات الطيبة عن طريق عسب الفحل.

وتفطن الفلاح إلى القيمة المضافة الناتجة عن تقديم الأعلاف الخضراء إلى مواشيه خاصة من خلال إدرار الحليب ورفع نسبة إنتاج اللبن والجبن والزبد، فاهتم بزراعة الفصّة[1] والقصيل.[2]

أما الفِصَّة أو الفصفصة[3] أو القضب[4]، فهي نبات عشبي معمر يعرف بالبرسيم،[5] تزرع من أول شهر مارس إلى شهر سبتمبر بنفس طرق زراعة القمح المشار إليها سلفا، فإن بلغت شبرا حصدت، وكلما علت عن الأرض حصدت دائما لأن ذلك يقويها، وقد تمكث في الأرض سبعة أعوام إذا ما اهتم بنقشها وتسميدها خلال السنة.[6] ويعلف لجميع الدواب.[7]

وأما القصيل فهو الزرع إذا نبت وأورق، يجذ أخضرا لعلف الحيوان،[8] ويتخذ من الشعير ويكون وقت زراعته من أخر شهر أوت إلى أخر شهر سبتمبر.[1]

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:188.

[2]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:122؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:71/ج:5، ص:103، 251؛ الغبريني، **المصدر السابق**، ص:165.

[3]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص:431.

[4]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص:151.

[5]- **المعجم الوسيط**، **المرجع السابق**، ص:691.

[6]- الطغنري، **المصدر السابق**، والصفحة ذاتها.

[7]- النابلسي، **المصدر السابق**، ص: والصفحة ذاتها.

[8]- الفرسطائي، **المصدر السابق**، الهامش:3، ص:346؛ عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 1997، ص:303. من بين العادات الفلاحية القديمة في بلادنا "التقصيل"، وهو لا ينفك أبدا عن زراعة الشعير، حيث كان الفلاحون في العهود السابقة إذا علا نبت الشعير وعلا قدرا معينا، لا سيما في السنوات المطرة حيث تكثر سيقان الشعير وأوراقه، فهنا يرعون فيه قطعانهم رعيا منظما لتحقيق الأهداف التالية:
* تغذية الحيوانات بالعلف الأخضر الذي يساهم في تحفيز الانتاج الحيواني بمختلف أشكاله.
* تقصيل أو تشذيب مقدار معين من الزرع لاستعجال خروج السنابل من أصول الزرع بالرعي المنظم، حيث يساهم ذلك في تدفق عالي للمياه والمركبات العضوية بأعالي النبات مما يسهل خروجها بسرعة، وبالتالي تعجيل وقت الحصاد.
* في حال التقصيل لا يتبقى ورق كثير في السنابل وبالتالي سهولة في الحصاد والدرس والتذرية.

وإلى جانب إلمام المربّين بخواص الأعلاف الخضراء المؤثرة في تسمين الحيوان فقد استخدموا الأعلاف اليابسة المتّخذة من الحبوب لا سيما الشعير[2] الذي من كثرة ما تصلح المواشي والدواب عليه قالت فيه العامة "ضَرْبُ الشعير"[3]، وكان أهل القلعة جنوب تلمسان يعلفون الثيران فيشتريها منهم أهلها على عادتهم في شهر يناير من كل سنة.[4]

كما سهر المربون في المغرب الأوسط على أن تكون مواشيهم وسائر دوابهم سليلة من الأجناس الحيوانية الطيبة عن طريق اختيار الفحول الجيدة من كسبهم لِعَسْب ماشيتهم ودوابهم، أو عن طريق استعارتها[5] أو استئجارها[6] ممن يعرفون بجودة قطعانهم.

وقد اختص الكثير من أهل القرى والأرياف والبوادي والأرباض برعي مواشيهم بأنفسهم، حيث تنمي إحدى النوازل التي رفعت إلى الفقيه عبد الرحمن الوغليسي (ت:786هـ/1374م): "عن رجل له ماشية تلجئه إلى منازل قليلة الماء، ..."،[7] أو عن طريق أولادهم الذين كانوا يطلبون بمواشيهم المواضع الخصبة فلا يرجعون إلى مواطنهم إلا في بعض الأيام؛[8]وفي بعض الأحيان اتخذوا الرعاة لذلك

ومن المحتمل جدا أن الأهداف نفسها كانت محل إهتمام الفلاحين على العهد الزياني، ولعل هذا ما نستشفه من جواب في إحدى النوازل المتعلقة ببيع القصيل الذي يشير إلى ضرورة مبادرة القصيل بالجذ قبل أن يتحبب أي قبل أن يصير سنبلا. الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:71.

[1]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 407.

[2]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:757، 898.

[3]- الزجالي، **المصدر السابق**، ص: 371.

[4]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 420.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:109.

[6]- عبد الواحد المراكشي، **المصدر السابق**، ص: 514.

[7]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:67.

[8]- **نفسه**، ج:7، ص:70. تتضمن ذلك نازلة رفعت إلى القاضي عياض بن موسى بن عياش اليحصبي السبتي (ت544هـ): "سئل عياض عن جماعة بقرية من البادية إلتزمت إماما بأجرة معلومة إلى أمد معلوم وفي الجماعة المذكورة من له بقر وغنم وأولاد يطلبون بالغنم المذكور المواضع الخصبة، فلا يأوون إلى القرية إلا في بعض الأيام، ...".

وتداولوا الرعي بينهم بالأيام.[1] أما أهل المدن المياسير فكانوا لا يستغنون عن اتخاذ الرعاة للسعي بمواشيهم خارجها حيث تشير إحدى النوازل إلى "رجل من أهل الفضل والصلاح عنده البقر والغنم وسرح معها الراعي في الربيع، ...".[2] ومن أجل المحافظة على الثروة الحيوانية وضمان وصول مشتقاتها الغذائية لساكنة المدن، كانت السلطة الزيانية قد تركت في بعض المدن مساحات واسعة ومروجا بين أسوارها خصيصا لرعي الماشية بها، لا سيما في فترات الحرب والحصار كما هو الحال بمدينة تلمسان حيث يوجد مكان فسيح عرف بـ: "المرج" ما بين الأسوار ناحية باب الجياد.[3]

ومن العادات المتجذرة في مجتمع المغرب الأوسط والتي أفرزها الحياة اليومية للناس والتضامن فيما بينهم -وتدخل ضمن هذا السياق- عادة المودع للماشية، وهي أن يقدم صاحب الماشية ماشيته على وجه الإعارة مدة زمنية يستفيد فيها من كل ما تجود به عليه؛ كما كان أصحاب هذه العادة لا يتوانون في إرفاق المساكين بلبن هذه الماشية.[4]

وأبانت كتب الفلاحة عن مجموعة من الشروط التي يجب على أرباب الماشية والدواب مراعاتها عند تأجير الرعاة وهي: أن يكون الراعي شابا جلدا لأنه أقدر على الأعمال من الشيخ؛ ويستعمل على رعي البقر كل طويل شديد جهير الصوت، لأن طوله يجله مشرفا على أماكنها في المسرح ولا تغيب عن بصره؛ ويجعل على الغنم وأشباهها كل قصير خفيف طلق اللسان شجاعا صابرا.[5]

---

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:153.

[2]- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:555. وكما تشير مسألة أخرى:" إذا استأجر الرجل راعيا بأجرة معلومة عاما عاما كاملا، فرعى له ستة أشهر ثم هرب،...". أبو علي عمر بن قداح الهواري(734هـ)، **المسائل الفقهية**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2011، ص: 152؛ وفي الدرر المكنونة: "سئا بعض العلماء عن البقر تخرج من منازل أربابها ولها راع أقام لرعايتها وحفظها،...،". المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:375.

[3]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:85.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:4، ص: 88.

[5]- الطغنري، **المصدر السابق**، ص: 123-124.

وأصر المتبصرون بالوثائق على أن استعمال الرعاة على المواشي والدواب لا بد أن يكون في إطار عقود الإخدام أو الاستئجار،[1] وحددوا شروط عقد امضائها المتمثلة في ذكر المستأجر والراعي، ونوع الحيوان الموجه للرعاية وموضعه وعدده، ومدة الرعي وأجرته، وما على المستأجر من نفة الأجير أو الراعي من مؤنة الأكل والثياب إلى انتهاء وقت الرعي المتعاقد عليه.[2]

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الرعاة تميزوا بمعرفة وخبرة النباتات، حيث كانوا حذرين في رعي قطعانهم إلا في المناطق التي تنمو فيها الأعشاب النافعة، ويجنبونها أماكن الأعشاب السامة القاتلة، فكان الرعاة بشلف وأحوازها يسرحون مواشيهم في المروج التي يكثر بها نبات "المجّير" فكانت تشبع منه ويسمن لحمها عليه؛[3] واشتهر بأحواز البلاد التواتية موضع بين رعاة الإبل الذين كانوا يجوبون المنطقة بحثا عن الكلأ موضع عرف بـ: "الدميرنة"، سمي بهذا الاسم نسبة لشجرة الدّمران التي كانت تأكلها الابل وتصلح عليها.[4] وكانت أرض "الهبور" على مقربة من بلاد الحمادة جنوب تلمسان لا تنبت إلا "الهبيد"[5] وهو الحنظل لكن هذا النبات تعافه حتى الابل لمرارته.

وتطالعنا بعض النصوص عن حسن التصرف وسرعة بعض أصحاب الماشية والرعاة في كثير من الحالات التي تنزل بهم، منها على سبيل المثال مبادرة الماشية التي عاجلها المرض أو الموت فجأة بذبحها قبل أن تموت،[6] فيستفيد من لحمها ويقلل من الخسارة. ومنها كذلك اجتماع الرعاة والرعي في مسرح واحد والتداول فيما بينهم

---

[1]- الونشريسي، **المنهج الفائق، المصدر السابق**، ص: 162.

[2]- عبد الواحد المراكشي، **المصدر السابق**، ص: 479.

[3]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص: 606-607.

[4]- العياشي، **الرحلة، المصدر السابق**، ج:1، ص:78.

[5]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:470.

[6]- عيسى بن موسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:658؛ أبو عمران الزناتي، **المصدر السابق**، ص:375.

على رد الماشية،[1] من أجل تخفيف التعب من كثرة شرود الماشية عن المرتع إلى الجهات أو إلى زروع الناس.

ولم يكن عمل الرعاة من الأعمال السهلة، بل كان يتطلب منهم الكثير من الجهد والصبر، وتحفه الكثير من المخاطر التي لربما يذهبون ضحية لها في بعض الأحيان، فكانوا يسيرون بالماشية إلى مواطن الكلأ والماء مسافات طويلة تستغرق في بعض الأحيان أياما ويبيتون في منأى عن منازلهم، وكانوا أيضا يترددون عليها ليلا ونهارا لحفظها من المؤذيات فيؤذيهم الشوك من كثرة ذلك، وهو ما جعلهم يتوقفون عن مواصلة العمل.[2] وبصحراء أنكاد كان بعض الرعاة من القبائل العربية يتوجهون نحو الصحراء الكبرى بعد نهاية فترة المصيف، والبعض الآخر منهم يقضي الشتاء في هذا القفر لكن السباع تفترس أو تعطب عددا كبيرا من الغنم وحتى الناس إن استطاعت إلى ذلك سبيلا.[3]

ولتفادي خطر الحيوانات المفترسة كالسباع والذئاب اتخذ كسّاب الماشية والرعاة الكلاب كي ترافقهم أثناء الرعي وتساعدهم في حماية الأغنام من الأخطار في الليل والنهار، كما تعينهم على تجميعها عند الحاجة؛ وتشير إلى ذلك نازلة سئل عنها المفتي عبد الرحمن الوغليسي: "وسئل،...، هل يجوز اتخاذ كلب في البادية يحرس الماشية بالليل أم لا"،[4] وأجاب الوغليسي بجواز ذلك للماشية والزرع والصيد فقط.[5]

وتبين النوازل بأن التعب وظروف التنقل والحيوانات الضارية لم تكن المعاناة الوحيدة التي عرفها الرعاة وأرباب الماشية، بل من بين المشاكل الأكثر ضررا عليهم إغارة الأعراب واللصوص على قطعانهم وغصبها منهم بالقهر والقوة، فقد سئل عبد

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:3، ص:351.

[2]- عيسى بن موسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:659؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:109.

[3]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:11.

[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:7.

[5]- يحيلنا الوغليسي بفتواه إلى ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا، إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ زَرْعٍ، انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ، كُلَّ يَوْمٍ، قِيرَاطٌ". مسلم، **المصدر السابق**، ص:1203.

الرحمن الوغليسي: "عن أقوام مرابطين أغار عليهم أقوام من العرب فأخذوا ما في أيديهم من الماشية وغيرها،..."؛[1] كما تشير نازلة إلى "لصوص حملوا ثورا"،[2] وتنمي أخرى "عن غاصب غصب فرسا"[3]. هذا بالإضافة إلى أن الماشية والدواب

كان يعتريها ما يصيب الناس وبقية المحاصيل الفلاحية من آثار الحروب المدمرة والكوارث الطبيعية الطارئة والمجاعات والأمراض الكاسحة وغيرها.[4]

وكان الرعاة يتسببون في كثير من الأحيان في مخاطر وخسائر وخيمة على أرباب الماشية بسبب تفريطهم في أداء واجباتهم ومنها:

- الرعي على مقربة من حمى زرع الغير: فكان بعض الرعاة يرعون ماشيتهم على أطراف وحمى مزارع الفلاحين، فكانت الماشية إذا رأت الزرع وقعت فيه وأتت على بعضه.[5] لذا كان بعض الفلاحين يضربونها ويطردونها من فدادينهم،[6] ويوضح ذلك نازلة سئل عنها أحد علماء المغرب الأوسط: "عن رجل دخلت فدانه بقرة جاره فرماها بحجر فجاء في عجلها فمات، ...".[7]

- ترك الماشية من دون راعي: قرب العمران والمزارع، أو بعيدا عنه، كان يؤدي غالبا إلى وقوعها في زروع الناس[8] بالليل أو النهار.[9]

- الرعي الجماعي للماشية والدواب: كان بعض الرعاة يجمعون بين البقر والخيل وغيرها في مسرح واحد، ويرد بعضهم على بعض في المرج، فيضرب ثور فرسا فيهلكها.[10]

1- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:135؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:6، ص:142، 191.

2- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، 125.

3- **نفسه**.

4- راجع فيما سبق العوامل المؤثرة في الانتاج الفلاحي الفصل الثالث.

5- عيسى بن موسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:811؛ المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، 375؛ ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:555.

6- أبو عمران الزناتي، **المصدر السابق**، ص:257.

7- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:133.

8- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:3، ص:351، 361، 362.

9- أبو عمران الزناتي، **المصدر السابق**، ص:373.

10- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:3، ص:351، 361.

- تضييع بعض الماشية: فبسبب تفريط الراعي في حراستها وتفقدها كانت تضيع بعضها، وتلتهمها الضواري، مما كان يؤدي إلى شجار بين الراعي ومستأجره.[1]

أما عن الحالة الاجتماعية للرعاة بالمعلومات التي بحوزتنا حولها قليلة نوعا ما، لأنها لا تغطي كل أوضاع الرعاة بربوع المغرب الأوسط، وما تم التوصل إليه يخص في بعض الأحيان مناطق دون أخرى، ولا يمكننا تعميم ذلك في غياب القرائن التاريخية. يطلق الوزان تسمية "الشاوية" التي ترادف "رعاة الشاء" أو "رعاء الشاء" على القبائل الإفريقية التي تحترف تربية الغنم والبقر في سفح الأطلس وجبله، ويشير إلى شاوية جبل الأوراس في جنوب شرقي قسنطينة أو على التخوم بين تونس وبلاد الجريد،[2] غير أنه لم يتعرض لوضعهم الاجتماعي بتفاصيل أكثر؛ ويضيف أن سكان السهول ببني راشد أشرف بكثير، ويقيمون بالبادية في الخيام حيث يعتنون بماشيتهم، وهم أثرياء جدا.[3] لكنه يناقض نفسه صراحة لما يتناول في مؤلفه مساوئ الأفارقة بعد بعد أن ذكر محاسنهم لا سيما فئة الرعاة يقول: "والرعاة سواء منهم سكان الجبال وسكان السهول يعيشون معيشة ضنكا ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام. وهم جفاة ولصوص وجهال، ولا يردون اطلاقا ما اقترضوا من مال، ...".[4] ومن خلال هذا يبدو أن المستوى المعيشي للرعاة بالمغرب الأوسط لم يكن جيدا في كل الأحوال،[5] وكان يتفاوت من منطقة إلى أخرى.

2- أصناف المواشي والدواب وتوزيع انتاجها.

إنّ إمتداد المراعي والمسارح الشّاسعة بالمملكة الزّيانية، وكثرة الخصب خاصة في الجبال وسفوحها والسّهول وعلى ضفاف الأودية والأنهار، حيث توجد في هذه المناطق الأعشاب والنباتات الطيّبة، بالإضافة إلى توفر المزارع، ومواضع جني المحاصيل وحصاد الحبوب، ساعد على تنوّع تربية الحيوان وانتشارها، فالأغنام

---

[1]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:4، ص:219.
[2]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:1، ص:66.
[3]- **نفسه**، ج:2، ص:26.
[4]- **نفسه**، ج:1، ص:88.
[5]- بلمداني نوال: "حرفة الرعي بالغرب الاسلامي"، **ضمن كتاب: الحرف والصنائع بالغرب الاسلامي**، مطبعة بني بني ازناسن، المغرب، 2016، ج:2، ص:252.

والماعز ترعى في الجبال وسفوحها، والأبقار والخيول تربّى في السّهول وحول المروج الممرّعة.[1] حتى أصبحت الأغنام تجلب من أراضي المغرب الأوسط إلى الأندلس وبلاد المغرب لرخصها وطيب لحمها،[2] وعرفت تاهرت بمراعيها الغنية فكان بها الكثير من البقر والغنم، ومن البراذين والخيل والبغال كل شيء حسن،[3] حتى عرفت بأنها أحد "معادن الدواب"[4] بهذا القطر، أما وجدة فكانت مراعيها أنجع المراعي وأصلحها للماشية حتى "إنه يوجد في الشاة من شياههم مائتي أوقية شحما".[5]

شحما".[5]

وكانت أسواق المغرب الأوسط تعج بهذا النتاج الوفير من المواشي المسمّنة فكانت لها أسوقها خاصّة خارج أسوار المدن وفي ضواحيها، وكان لها حراس يقومون بحراستها كما هو الحال في تلمسان؛[6] التي اشتهر بعض تجّارها بجلب الغنم وغيرها وبيعها بسوقها ومنهم أبو علي حسين بن الجلاب[7] الذي أصبح من المعروفين المعروفين باتساع الحال وكثرة المال،[8] وكان أحمد بن الجلاب المريني (حوالي 937هـ/1530م) يجلب الغنم ويبعث بها إلى وارجلان ووادي ريغ،[9] وشاع بين كسّاب كسّاب الأغنام باعتها على سبيل العادة في أسواق البادية استخدام مصطلحات ومفاهيم اقتصادية تدل على تمرسهم والمامهم بأحوال الماشية ومراحلها العمرية كمصطلح "الخروفة البكرية" و"الضامنة" و"النعجة"،[10] كما تشير إلى ذلك نازلة رفعت إلى أحد علماء المغرب الأوسط: حيث "سئل،... عن البوادي يتبايعون بالخروفة البكرية

---

[1]- إسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2007، ص:275.

[2]- **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:179.

[3]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:126-127.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، 86.

[5]- **الاستبصار، المصدر السابق**، ص:177.

[6]- عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج: 1، ص:135.

[7]- لم نتوصل إلى ترجمة وافية عن هذه الشخصية. سوى أنه كان معاصرا لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق(629-681ه/1231-1282م)، الجد الثالث لأبي عبد الله محمد بن مرزوق(ت781ه/1379م). ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية، المصدر السابق**، ص:61، 149.

[8]- **نفسه**، ص:162.

[9]- الطاهر بن دومة، **المرجع السابق**، ص:106-107.

[10]- ابن خنتاش المسيلي، **نهاية المرام، المخطوط السابق**، ص:64.

ويتأخر القبض عاما أو عامين، فقيل له تأخذ نعجة، فهل القول قوله في اقتضاء نعجة في بكرية،...، ويقول بعضهم إن أتيتك في الربيع فهي بكرية وان أتيتك في الخريف فلي ضامنة وإلى الربيع الآخر فنعجة".[1] أما الابل والخيل والبغال والحمير فاختصت بتحميل سلع القوافل التجارية، وكان معولا عليها في الحرب، كما كانت في أوقات السلم خير ظهر لنقل المحاصيل الفلاحية وغيرها.

وكانت تربية الماشية توفر العديد من المواد الأولية من صوف الغنم ووبر الجمال وشعر الماعز، والألبان والأجبان والآدم واللحوم والأسمان والجلود، وكلها تشكل مصدرًا حيويا تنبني عليه حرف وصناعات أخرى، كالصّوّاف الذي يبيع الصوف، والنساج والحباك الذين ينسجونها، واللبّان الذي يبيع اللبن، والجزّار الذي يبيع اللحم، والخراز الذي يخرج الجلد، وغير ذلك ممّا له علاقة بتلك المواد.[2]

أمّا أصناف الماشية والدواب التي اعتني بتربيتها وانتاجها على العهد الزياني فهي كما يلي:

أ- تربية المواشي:

يعتبر رعي الماشية من النشاطات الرئيسة في حياة الانسان، وأشرنا إلى أنها كانت مهنة الأنبياء، بل إن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألحّ على اتخاذ الغنم ورعايتها لما فيها من الخير والبركة، واعتبرها صلى الله عليه وسلم من المنجيات التي يحفظ بها المسلم دينه في زمن انتشار الفتن الدنيوية فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال

[1]- هذا العالم هو عبد الرحمن المشدالي، لم نعثر على ترجمة له في كتب التراجم والمناقب التي بين أيدينا. ابن خنتاش المسيلي، **نهاية المرام، المخطوط السابق**، ص:64.

[2]- العربي لخضر، **المرجع السابق**، ص:73.

رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُوشكُ أن يكونَ خيرُ مالِ المسلمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعفَ الجبالِ ومواقعَ القَطْرِ يَفِرُّ بدينِهِ من الفِتَن".[1]

واهتم أهل المغرب الأوسط بتربية المواشي، لاسيما البقر والغنم[2] والماعز، وكانت مسارحها منتشرة في السّهول، والبسائط، والأحراش، وكان صغار الملاك أو الكسّابة يرعون ماشيتهم بأنفسهم وبمساعدة زوجاتهم، وأبنائهم حيث يتناوبون بالدولة على الرّعي، أمّا كبارهم فكانوا يستأجرون الرّعاة على شيء من الطعام أو المال، وراعوا في ذلك عدّة شروط كالشجاعة والصبر والفتوّة.[3]

وقد وفرت رعاية الماشية الغذاء المتمثل في اللحم بأنواعه، والزبد بأصنافه، والشّحم والسمن كذلك؛ وبالمواد الأوّلية كصوف الأغنام التي كانت موجّهة لعمل للنسيج والحياكة، وشعر الماعز الذي كان يستخدم في نسج الخيام والقياطين والأحصرة، ووبر الجمال الذي كانت تصنع منه بعض الألبسة الفاخرة التي لا تبتل بسقوط المطر عليها لدقتها ونعومتها، وكان إنتاج هذه المواد مرتفعًا، لكثرة الماشية حتّى كان فائض الصّوف يصدّر إلى أوروبا والأندلس.[4]

واشتهرت بالمغرب الأوسط أماكن عديدة اختصت بنسج الصوف وغيره فكانت تنسج البسط الملوكية الفائقة بجبل ونشريس،[5] وكان غالب تكسب أهل تلمسان "الفلاحة وحَوْكُ الصّوف، يَتغَايَوْنَ في عمل أثوابه الرِّقاق، فتلقى الكساء أو البرنس من ثماني أواقٍ والإحرام من خمس، بذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يُجلبُ إلى

[1]- البخاري، **المصدر السابق**، ص:1754.

[2]- ذكر البكري أن بلاد زناتة كانت تتوفر على سلالة جيدة من الغنم، خاصة بحصن "يرارة"، الذي ترجع أصول أغنامه من قيس من أرض فارس، وصوفها من أجود الأصواف. **المسالك والممالك، المصدر السابق**، مجلد:2، ص:331.

[3]- عز الدّين موسى، **المرجع السابق**، ص:201.

[4]- أوليفيا ريمي كونستبل، **التّجارة والتجّار في الأندلس**، تعريب: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002، ص:244.

[5]- ابن سعيد، **المصدر السابق**، ص:113؛ أبو الفداء، **المصدر السابق**، ص:66.

الأمصار شرقا وغربا"[1]، وذكر الزّهري أنّه: "يعمل فيها من الصّوف كلّ شيء بديع من المحرّرات والأبدان وأحاريم الصّوف، والسّفاسير، والحنابل المكلكلة وغير ذلك، ولقد وُجد فيها كساء كامل وزنه تسع أواقي ونحوها، وهذا من بديع ما خصّ به أهلها من جميل صنعهم".[2]

ويقدم الجدول الآتي المناطق الجغرافية التي اشتهرت بإنتاج الماشية في المغرب الأوسط على العهد الزياني:

نوع الماشية	مناطق الانتاج	الكمية	المصدر
الغنم	البلاد الساحلية	كثيرة ورخيصة.	- كتاب الاستبصار، **المصدر السابق**، ص:179، 177؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص:126-127،132، 135، 138، 163، 340، 588، 600، 612، 613؛ **المغرب العربي للادريسي**، **المصدر السابق**، ص: 109، 115؛ مارمول، المصدر السابق، ج:2، ص:295، 373، 374، 352، 353، 351 /ج:3،ص:13؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:27-28.
	وجدة	سياه سمينة جدا.	
	تاهرت	كثير جدا.	
	تدلس	كثيرة ورخيصة.	
	الجزائر	مواشي.	
	تلمسان	لحومها شحمة.	
	شرشال	كثيرة.	
	مسيلة	اللحم كثير ورخيص.	
	وهران	رخيص.	
	واكلان	الضرع كثير.	
	قلعة بني حماد	لحومها طيبة سمينة.	
	مرسى الدجاج	اللحوم كثيرة.	

---
[1]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:92؛ ابن سعيد المغربي، **المصدر السابق**، ص: 112.

[2]- **كتاب الجغرافيا**، **المصدر السابق**، ص: 113.

	ندرومة	عددا كبيرا من القطعان.	
	مدية	مختلف أنواع المواشي.	
	ميلة	كثيرة الماشية.	
	جبل بني ورنيد	تكثر القطعان	
	البطحاء	كثيرة.	
	جبل مطغرة	قطعان كثيرة من الماشية.	
الماعز	جبل بني بوسعيد	كمية وافرة.	- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:45، 101-102، 134؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:149؛ البلوي، **المصدر السابق**، ج:1، ص:148.
	بجاية	عدد كبير	
	مطغرة	/////	
	هنين	/////	
	تيكورارين	بعض الماعز من أجل اللبن.	
البقر	تاهرت	كثير جدا.	- الحميري، **المصدر السابق**، ص:126-127،132، 612، 613، 521؛ **كتاب الاستبصار، المصدر السابق**، ص:179؛ **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:114؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:27-28، 101-102؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:419.
	البلاد الساحلية	كثيرة ورخيصة.	
	تدلس	كثيرة ورخيصة.	
	وهران	رخيص.	
	الجزائر	أكثر أموالهم.	
	البطحاء	كثيرة.	
	بجاية	عدد كبير	
	تلمسان	/////	
	مازونة	/////	

ويبدو من خلال الجدول أن معظم المناطق الساحلية كانت تنتج الماشية بأعداد وفيرة، مما انعكس على تراجع أسعارها في الأسواق فأصبحت رخيصة، ولا شك أن هذه الوفرة في الماشية قد أدت إلى تزايد كميات الألبان والأجبان واللحوم والأسمان والآدم والجلود والأصواف في الأسواق مما أدى –حسب قانون العرض والطلب- إلى رخصها، وبالتالي فكل هذه المنتوجات كانت في متناول أفراد المجتمع. لا نبالغ إذا قلنا لأن من بين الأسباب التي ساهمت بقسط كبير في ارتفاع الانتاج الحيواني والزراعي فترات الأمن والاستقرار التي مرّ بها المغرب الأوسط وقوة الدولة في مراحلها الأولى، ففي تلك الأزمنة كانت البلاد تعرف فترات رخاء تمتد لسنوات تتميز بتعدد الأقوات وتوفرها بأثمان في المتناول، وكمثال على ذلك فقد شهدت بلاد المغرب عامة رخاء عظيما سنة سبع وخمسين وستمائة(1258م) ولم يزل كذلك خمس عشرة سنة.[1]

ويطالعنا الحسن الوزان بمعلومات تعكس تنامي الماشية بعد استتباب الأمن والسلم بمدينة البطحاء وخاصة سهلها، بعد الخراب[2] الذي نالها على يد كل من بني توجين ومغراوة انتقاما من ملوك بني عبد الواد على ما ساموهم به من الحروب وغيرها من أجل إخضاعهم إلى الطاعة لهم ونبذ مظاهرتهم لمرين، فيذكر أن السهل بدأ يعرف استقرار السكان تدريجيا بعد قدوم أحد النساك[3] في عدد من أتباعه، وأمرهم بحرث الأراضي، وكان له رعاة يسهرون على رعي الغنم والبقر والخيل، فتكاثرت حتى عسر عليه إحصاءها، وحسب الوزان فقد كان له من الغنم عشرة آلاف، وألفين من البقر، وخمسمائة من الخيل ذكورا وإناثا.[4] وأمام هذه الأعداد الهائلة من الثروة الحيوانية التي تقع في ملك رجل واحد، وفي أنواع من الماشية، كم هي أعداد ماشية السلاطين ورؤساء القبائل والأمراء والولاة وكبار الملاك؟، وهو سؤال تصعب

---

[1]- ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، **المصدر السابق**، ص:89.

[2]- راجع حول تدمير البطحاء وتخريبها الملحق رقم:17.

[3]- ولكن للأسف لم يحدثنا الوزان بكبير عن هذه الشخصية الفاعلة التي يعظمها الأعراب ويخشاها سلطان فاس وتلمسان، عدا دورها في إقامة زاوية لإطعام الفقراء والمساكين والزوار، وتعليمهم الصلاة وبعض الأذكار، بالرغم من استضافتها له لثلاثة أيام في طريق رحلته إلى بلاد الحجاز حوالي سنة إحدى وعشرين وتسعمائة (1516م). **المصدر السابق**، ج:2، ص:29؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:326.

[4]- **المصدر السابق**، ج:2، ص: 27-29.

الاجابة عنه في زمن يظل فيه غياب المعطيات الرقمية الدقيقة هاجسا أمام الباحثين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الأوسط.

ب- تربية الطيور الداجنة:

تعد تربية الطّيور الدّاجنة كالدجاج والحمام والبطّ والإوز وغيرها، من الأمور المعروفة على العهد الزياني،[1] فقد كانت من معاش المستضعفين من زناتة[2] وغيرها من قبائل المغرب الأوسط، لأجل الانتفاع من بيضها، وأما لحومها فكانت من عامة مآكلهم بالإضافة إلى لحوم الضأن.[3]

وتذكر بعض المصادر الفلاحية إحدى الطرق المجربة في تغذية الدجاج قصد تسمينه، وقد كانت نتائجها حسنة جدا، حيث أن "الدجاج إذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون"؛[4] وتضيف أخرى أن أفضل علف لها طحين الشعير ونخالة القمح.[5]

ولا شك أن بعض الفلاحين كان يعرض الدجاج المعلوف والبيض لبيعه في الأسواق والاستفادة من عوائده في حياته اليومية؛ وكانت أسعار الدجاج والبيض تتراوح بين الرخص والغلاء، فمن البديهي أن تتأثر هي الأخرى بالظروف السياسية والطبيعية وغيرها، ففي فترة الحصار الطويل بتلمسان بلغ سعر الدجاجة الواحدة ستة عشر درهما، والبيضة الواحدة بستة دراهم.[6]

---

[1]- العمري، **المصدر السابق**، ج:4، ص:196.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، المجلد: 6، ص:175-176.

[3]- الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 323، 322؛ ابن خلدون، **المقدمة**، **المصدر السابق**، ص:153.

[4]- **نفسه**، ص:157.

[5]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:77.

[6]- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، المجلد: 7، ص:198. ويذكر ابن قنفذ أن ثمن الدجاجة بلغ "عشرة دنانير من الذهب للقوت لا للدواء". **أنس الفقير**، **المصدر السابق**، ص:70.

وكان أهل المغرب الأوسط يعدون من الدجاج أطباقا مشهورة، فكان أهل تنس يحبذون ما طبخ منه وقدم مع الرغيف،[1] أما أهل تلمسان فكانوا يفضلونه مشويا، بل كان يوصف في بعض الأحيان على هذه الطريقة للمرضى.[2] أما البيض فكان يؤكل مسلوقا أو مقلوا، ويدخلان بهذه الصفة في مكونات أطباق أخرى.[3]

أما الحمام فكان يفضل تربيته في غرفات أو بروج واسعة في مكان تصيبه ريح الشمال، وتكون أبوابها في اتجاه المشرق حتى تستنفع من أشعة الشمس، وتعلف العدس والقمح والشعير، أما الخبز المبلول فتعلف به الفراخ.[4]

وأما الإوز فتشير كتب الفلاحة إلى ضرورة اتخاذه في أماكن يتوفر بها الماء والعشب، ويسمن إذا علف القطاني.[5]

وتتضمن كتب النوازل بعض المشاكل الناتجة عن تربية الدواجن، حيث كانت بعض المزارع تتأذي من دجاج المربين وغيره، خاصة إذا ترك باب الخمّ مفتوحا، حينئذ يسيب الدجاج ويعيث في الزروع وغيرها.[6]

ج- الخيل :

تعتبر الخيل زينة وجمال ومتاع من أمتعة الحياة الدنيا التي درج الناس على حبها والتعلق بها، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۝٨﴾،[7] وأمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ إلى ضرورة اتخاذها واعدادها فقال عز من قائل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ

[1]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:792.
[2]- ابن مرزوق المسند، **المصدر السابق**، ص:491.
[3]- ابن رزين، **المصدر السابق**، ص:210-214.
[4]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:70.
[5]- **نفسه**، ص:77-78.
[6]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:275؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:9، ص:48، 44/ ج:8، ص:353.
[7]- سورة **النحل**، الآية:8.

تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴿٦١﴾﴾،[1]

يقول المولى عزّ وجلّ مقسما بها، تكريما لها وإعلاء لشأنها، وواصفا الحركات والأصوات التي تبدأ مع عدوها وتصاحبه كالضبح وهو صوتها إذا جريت، وقدح الشرر من قوة قرع الحوافر والأحواذ، واغارتها في الصباح الباكر على العدو:﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾.[2]

وقال رسول الله ﷺ : "الخَيلُ مَعْقُودٌ في نَواصِيهَا الخَيرُ إلى يَومِ القِيامَةِ: الأجرُ والمغنَم".[3]

والمغنَم".[3]

وللخيل مكانة[4] محفوظة لدى أهل المغرب الأوسط منذ فترات زمنية طويلة، وازدادت حظوة عندهم لمّا كانت سلاحًا من أسلحة الحرب، وعنصرًا يعوّل عليه في الحلّ والتّرحال، فاهتم الزّيانيون بتربيتها وتدريبها، كما اهتموا بسلامتها؛ وقد تضمّنت وصايا أبي حمّو موسى الثاني لابنه أبي تاشفين، ضرورة اتخاذ الخيول وإعدادها لوقت الضّرورة.[5]

وتنتمي الخيول المنتشرة في بلاد المغرب الأوسط إلى سلالة الفرس البربري، وأصله من بلاد نوميديا، وبشيء من التدقيق من التلال المرتفعة الشمالية، ويتميز بصغر حجمه وقوة بنيته وشدة مراسه، وقد انتقلت أجيال هذه السلالة بعد الفتح الاسلامي إلى البلاد الجديدة كالأندلس وصقلية، مما أدى إلى ظهور جنس جديد عرف بـ: "الحصان الأندلسي" أو "جنيت" (Jinet) باللغة الاسبانية، التي تعني "زناتي" نسبة

---

[1]- سورة **الأنفال،** الآية:61.

[2]- سورة **العاديات،** الآية: 1-3.

[3]- البخاري، **المصدر السابق،** ص: 705.

[4]- للاستزادة حول مكانة الخيل ينظر: سند بن مطلق السبيعي، **الخيل معقود في نواصيها الخير**، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2004، ص:16 وما بعدها.

[5]- واسطة السّلوك في سياسة الملوك؛ المصدر السابق، ص:134؛ وأنظر: عبد الحميد حاجيات؛ **أبو حمّو موسى الزّياني- حياته وأثاره،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص:275.

إلى قبيلة زناتة[1] التي كان المغرب الأوسط موطنا لها. ولا شك أن التسمية الأخيرة "زناتي" تدل على نوع من الخيول البربرية المحلية بالمغرب الأوسط، التي توصل إلى إنتاجها أفراد قبيلة زناتة من خلال محافظتهم على نسب خيولهم وعملهم الدؤوب في تهجين السلالات وبناء أجيال جديدة من الخيول تكون أكثر صبرا وقوة وتحملا؛ كما أن اختصاص إحدى نواحي المغرب الأوسط بإنتاج صنف من الخيول عرف بـ: "الخيول الراشدية" يعزز هذا المسعى.

كما نشير إلى أن القبائل العربية قد حافظت على خيولها العربية الأصيلة، وعملوا على أن لا تختلط دماؤها بدماء غيرها من الخيول،[2] ولكن يبدو أن التهجين قد وجد طريقه إلى الخيول البربرية بسبب اختلاطها مع الخيول العربية الوافدة، وهذا ما أدى إلى ظهور نوع يحمل مزايا الجنسين؛[3] وحافظ الزيانيون كذلك على ما بأيديهم من الخيول العربية الأصيلة وواصلوا في انتاج الخيل المسومة منها، وذلك ما نستشفه من شعر أبي حمو موسى الثاني يقول:

عَلَى سَوَابِقِ خَيْلٍ ضُمْرٍ عُرُبٍ   تَزْهَى بِحِلْيَتِهَا كَالخُرَّدِ العُرُبُ[4]

واهتم أهل المغرب الأوسط بالخيل أيما اهتمام فكان أحمد بن الحاج اليبدري[5] من جبل بني ورنيد "يخدم فرسه بيده، يرمي عليها الزبل، ويعلف لها الشعير، ويعطيها التبن ويسقيها، وإذا أخرجها من داره جعل لها كمامة لئلا تأكل زرع الناس في طريقها"؛[6] وكان بعض أهل مدينة دلس[7] يشتركون في تربية عدد من الخيول

---

[1]- موريس لومبار، **الاسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5ه(8-11م)**، ترجمة: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الثالثة، 1990، ص:250.

[2]- سند بن مطلق السبيعي، **المرجع السابق**، ص:66.

[3]- عبد الكريم جودت، **المرجع السابق**، ص:67.

[4]- محمّد الطمّار، **تلمسان عبر العصور، المرجع السابق**، ص:180.(القصيدة من البحر البسيط).

[5]- سبقت ترجمته. راجع: ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:61-80؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج، المصدر السابق**، ج:1، ص:131-132/ **نيل الابتهاج، المصدر السابق**، ص:136.

[6]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:61، 79.

[7]- دَلس أو تدلس: مدينة عتيقة مسورة، تقع شرق مدينة الجزائر، يحدها البحر المتوسط شمالا، وهي تابعة إداريا للجزائر. الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:42؛ **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:115؛

ويعتنون بها إلى وقت بيعها،[1] وكان بعض أهل البطحاء يمتلكون كبيرا من الخيل ذكور وإناثا من أجل الانتاج والتربية،[2] وكانت بتاهرت من الخيل كل شيء حسن،[3] وكان لبني راشد عدد وافر من الخيل،[4] وكان بجبال بجاية عدد كبير من الخيل،[5] ولم تكن المسيلة بأقل منهم شأنا.[6]

وأمتاز أهل تلمسان عن غيرهم بزينة خيلهم فكانوا يصنعون لها الألجم والسُّروج والرّكاب وجلال الفرس، وهي عدّة الخيل، وكانت معروفة بإنتاجها منذ القرن السّادس الهجري (12م)، ومنها كانت تحمل إلى غيرها من البلاد،[7] واستمرت إلى العهد الزّياني حيث عرفت ازدهارا كبيرا حيث دار الصنعة السعيدة تتضمن مجموعة من الصناع الذين انتدبتهم السلطة للسهر على صناعة العدة الحربية أو عدة الفرس، ومنهم: اللجّام والوشّاء والسرّاج.[8]

كما اهتم الزيانيون بترويض الخيل والحفاظ على لياقتها من خلال ألعاب الفروسيّة التي كانت تجري بملاعب المدينة المختلفة، ويحضرها الناس أيام الأعياد وفي ا لمناسبات والاحتفالات السّلطانية، والاستعراضات العسكريّة، ومن أهمّ

وأنظر: اسماعيل بنعمان، **مدينة دلّس(تدلّس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الاسلامي**، دار الأمل، تيزي وزو- الجزائر، د. ط، 2011، ص:17، وما بعدها.

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص: 58. حيث تشير نازلة سئل عنها عبد الرحمن الوغليسي مفتي بلد دلس: "عن رجلين كانت بينهما شركة في خمسة من الخيل بالإنصاف،...".

[2]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 27-29.

[3]- الحميري، **المصدر السابق**، ص:126.

[4]- الوزان، **المصدر والجزء السابقان**، ص: 26؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:324.

[5]- الوزان، **المصدر والجزء السابقان**، ص: 101-102.

[6]- **المغرب العربي للادريسي**، **المصدر السابق**، ص:108.

[7]- ابن سعيد المغربي، **المصدر السابق**، ص: 112.

[8]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:323-324.

الملاعب: ملعب برج الكيفان شمال المدينة، والملعب الذي يقع أمام باب العقبة والملعب الذي يقع بالقرب من باب الجياد، وملعب أخر يقع أمام باب القرمادين.[1]

وأمّا عن الخيل في الجانب العسكري، فكان عدد كبير من جنود الجيش الزيّاني "الفرسان" يستعملون الخيل في ركوبهم، وذكر يحي ابن خلدون في أحداث شهر ربيع الأول من سنة ستين وسبعمائة (1358م) أنّ أبا حمّو موسى الثاني استركب من أبناء قبيلته في يوم واحد "ألف فارس، يكسي الرّجل منهم بقدره، ويدفع إليه الفرس مسرّج ملجّم، ومهماز وسيف ورمح، ...".[2]

إن الملفت للنظر في هذه الرواية هو عدد الفرسان الكبير الذي منحت لهم الخيول، الأمر الذي يجعلنا نؤكد على وجود مصادر اعتمد عليها هذا السلطان في توفير كل هذه العدّة والخيل، ومن الواضح أن دار الصنعة السعيدة واصطبلات السلطان المعدة لتربية الخيول وغيرها كانت وراء توفير هذا العدد المهم من الأحصنة وغيرها. دون أن ننسى ما كانت توجف عليه الجيوش الزيانية من خيل وركاب وغيره من خلال حملاتها العسكرية ويقدم غنائم لبيت المال الزيان. وقد كان الاشراف على تربية هذا الكم من الخيول يتطلب كميات مضاعفة من الأعلاف والتبن وغيرها، وتنمي هذه الأعداد الوفيرة عن مدرى قدرة الدولة في توفير الخيول لحوالي ألف فارس، يعني ألف حصان بكل عدته الحربية "مسرج ملجم".

وفي شهر شوال من سنة سبع وستين وسبعمائة (1365م) بلغ عدد الفرسان في الجيش الزياني اثني عشر ألف فارس مرتزقة عدا الأحلاف من العرب الذي بلغ عددهم ثلاثة آلاف فارس؛[3] يعني ما مجمله خمسة عشر ألف فارس أي ما يعادل

---

[1]- حول هذه الملاعب ينظر: محمود لعرج، **المنصورة دراسة أثرية، المرجع السابق**، ص:110؛ محمد الطمّار، **تلمسان عبر العصور، المرجع السابق**، ص:151؛ ابن مرزوق، **المسند، المرجع السابق**، ص:137؛ فيلالي، **المرجع السابق**، ج:1، ص:155.

[2]- **المصدر السابق**، ج:2، ص:99-100.

[3]- يحي ابن خلدون، **المصدر والجزء السابقان**، ص:357.

خمسة عشر ألف حصان، وهذا عدد هائل يدل على وجود اهتمام كبير لدى السلطة والمجتمع بهذه الفصيلة من الحيوانات.

ولعل من بين أهم السّلالات الخ يلية التي كانت تستهوي بني زيّان، وكانوا يجهزون بها الجيوش الخيل الرّاشدية، التي عرفت بفضلها على سائر الخيل الأخرى،[1] واكتسابها لهذا الفضل انما يرجع إلى تميّزها بالشّدّة والصّبر على المتاعب، والسّرعة الفائقة، والرّياضة مع خفّة المناورة.

ومن مظاهر الاهتمام بالخيل والتعلق بها، تغني بعض سلاطين بني زيّان بها ووصفها في الجيوش والمراكب ومجالات الوغى، وألعاب الفروسية، وتعديد شياتها، ومن الأمثلة على ذلك شعر أبي حمّو موسى الثاني يقول في قصيدته الميمية التي أنشدها في رحلته الطويلة من بلاد إفريقية عبر بلاد الزاب إلى صحراء المغرب الأوسط ثم إلى قصور بني عامر بالربا و بأبي سمغون من أجل استرجاع دار ملكه تلمسان التي دخلها في غرة ربيع الأول سنة ستين وسبعمائة(1358م):

عَلَى متن صهَال أَغَرّ محجَل   مديْدِ الخُطَى لَم يَخشَ صَعبَ الصَّلادمِ.[2]

ويقول في أخرى:

عَلَى سَوَابِقِ خَيْل ٍضُمْرٍ عُرُبٍ   تَزْهَى بِحِلْيَتِهَا كَالخُرَّدِ العُرُبُ[3]

مِنْ أَحْمَرٍ عَسْجَدِيّ اللَّوْنِ مَذْهَبُهُ   وَأَشْـقرٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ مُلْتَهِبُ.

....

فَالحُمْرُ مِنْ فَلَقٍ وَالشُّقْرُ مِنْ شَفَقٍ   وَالدُّهْمُ مِنْ غَسَقٍ وَالشُّهْبُ مِنْ شُهُبِ

تَشُنُّ غَارَاتِهَا فِي كُلّ مَنْهَلَةٍ   فَتَنْثَنِي بِالَّذِي نَـهْواهُ مِنْ أَرَبِ

بِهَا وَطِئْنَا بِلاَداً لاَ سَـبِيْلَ لَهَا   وَمَا أَرَدْنَا تَنَاوَلْنَاه مِـنْ كَثَـبِ

---

[1]- ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، المجلد:2، ص:44.

[2]- واسطة السلوك، **المصدر السابق**، ص:16.

[3]- محمّد الطمّار، **المرجع السابق**، ص:180.(القصيدة من البحر البسيط).

ويصف محمد الثغري[1] أحد مشاهداته لاحتفالات الفروسيّة بإحدى ملاعب تلمسان قائلاً:

وَبِمَلْعَبِ الخَيْلِ الفَسِيحِ مَجَالُهُ   أَجَلُّ النَّوَاظِرِ فِي العِتَاقِ الحُفَّلِ

فلِحَلبَةِ الأَشْرَافِ كلُّ عَشِيَّةٍ   لَعِبٌ بِذَلِكَ المَلْعَبِ المُتَسَهِّلِ

....

مِنْ كُلِّ طَرْفٍ كُلُّ طَرْفٍ يَسْتَبِي   قَيْدُ النَّوَاظِـرِ فِتْنَة المُتَأَمِّلِ

وردٌ كأَنَ أديمُهُ شفقُ الدُّجى   أو أَشهَبٌ كشِهَابِ رجمٍ مُرسل

أو أحمَرٍ قاَنِي الأَديمِ كمسجد   أَو أَشقَر يزهُو بعُرفٍ أَشْعَل

أَوْ أَدْهَمٍ كَاللَّيْلِ إلاَّ غُرَّةِ   كَالصُّبْحِ بُورِكَ مِنْ أَغَرٍّ مُحَجَّلِ

عُقْبَانُ خَيْلٍ فَوْقَـهَا فُرْسَانُهَا   كَالأُسْدِ تَنْقَضُّ إنْتِقَاضَ الأَجْدَلِ[2]

ومن خلال هذه القصائد تتبين لنا عدة ملاحظات منها: أن الخيل كانت دائما حاضرة في حياة بني زيان في السلم أو الحرب؛ ومنها معرفة أفراد المجتمع الزياني (سلاطين، شعراء، ...) بالخيل وقوتها وحركاتها وألوانها، وأطلقوا عليها أسماء مثل: الأدهم والأشهب والأشقر وغيرها؛ ومنها أنه كان يعقد محفل للتدرب على ركوب الخيل وترويضها على الحرب عشية كل يوم بملعب الخيل بمدينة تلمسان، فيحضر هذا المشهد الخاص والعام من أهلها للفُرجة والاستمتاع.

وكان السلطان أبو الحسن المريني في فترة استلائه على تلمسان يخرج إلى ميدان الخيل يومي الاثنين والخميس إلى موضع جلوسه ليشاهد عرض الجيش، ويلعب الفرسان بين يديه فيميز الفارس من غيره.[1]

---

[1]- هو: محمد بن يوسف القيسي التلمساني، المعروف بالثغري، الشيخ الفقيه الامام، العالم الأديب، من شيوخه الامام الشريف التلمساني. أحد شهود الدخل والخرج على عهد أبي عمو موسى الثاني. يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:1، ص:87؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:355-356؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج، المصدر السابق**، ص:483/ **كفاية المحتاج، المصدر السابق**، ج:2، ص:120.

[2]- المقري، **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج:9، ص:348؛ محمّد الطمّار، **المرجع السابق**، ص:167.(الأبيات من البحر البسيط).

كما استعمل الزيانيون الخيل كأداة لكسب ولاء وود القبائل العربية الحليفة فضلا عن انعامهم بالأموال والاقطاعات، ففي الثالث أو الرابع من شهر ربيع الأول سنة ستين وسبعمائة(1358م) وصلت وفود أهل ندرومة ووجدة وهنين لمبايعة السلطان أبي حمو موسى الثاني، وجاءته وفود التهنئة من عرب بني عامر والمعقل، وحسب تقدير يحي ابن خلدون فقد بلغ عددهم حوالي ثمانية ألاف نفر، فقام أبو حمو "فكسا كلا منهم على قدره، ونفل خواصهم الخيل المسومة، والسروج المرهفة، والعدد المحلاة بالعسجد أو اللجين، ثم المال المتعدد،..."؛[2] واستخدم بنو عبد الواد الخيل باعتبارها المركب الذي لا يستغنى عنه السلطان في الركوب لإثبات فروسيته وللاطلاع على حال الرعية في الجولات التفقدية وفي قيادة الجيوش،[3] في إعانة بعض سلاطين إفريقية والمغرب من أجل استرجاع قواعد سلطانهم، وسنذكر مثالا يوضح ذلك عن كل دولة، فبالنسبة لبني حفص قدم على السلطان أبي حمو موسى الثاني الأمير ابراهيم بن السلطان أبي زكرياء الحفصي[4] راجيا اعانته لاسترجاع بجاية فأجابه "ووشحه زي الامارة وأضفى عليه لبوس الملك، وأفاض عليه أبحر النعم، فما شئت من مراكب فارهة، وعدد حالية"، وغادر هذا السلطان تلمسان قاصدا دار ملكه بجاية في العشرين من شهر ذي القعدة لسنة ست وسبعين وسبعمائة[5](1374م). أما بنو مرين فقد لجأ عبد الحليم بن أبي علي المريني[6] إلى أبي حمو موسى الزياني وبقي مدة لديه إلى أن

---

[1]- ابن مرزوق، **المصدر السابق**، ص:137.

[2]- **المصدر السابق**، ج:2، ص:99.

[3]- أبو حمو موسى، **المصدر السابق**، ص:134.

[4]- وابراهيم هذا هو أخو أبي عبد الله محمد الحفصي صاحب بجاية، الذي تغلب عليه أبو العباس أحمد الحفصي (ربيع الثاني 772- شعبان 796هـ / 1370- 1393م) وانتزع منه مدينة بجاية، وكان أبو عبد الله هذا صهرا لأبي حمو موسى الثاني. محمد العروسي المطوي، **المرجع السابق**، ص:476؛ الزركشي، **المصدر السابق**، ص:106؛ ابن الشماع، **المصدر السابق**، ص:108 وما بعدها؛ محمود مقديش، **نزهة الأنظار**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:585؛

[5]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:576-577.

[6]- هو: الأميرعبد الحليم بن السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني، حاول استرجاع فاس في شهر محرم من سنة ثلاث وستين وسبعمائة(1361م)، واسترجع إمارة أبيه سجلماسة في نفس السنة بعد هزيمته في فاس. ثم نازعه أخوه عبد المؤمن امارة سجلماسة سنة أربع وستين وسبعمائة(1362م)، فتخلى له عنها، وطلب منه أن يسرحه لأداء فريضة الحج ففعل فحج، وتوفي في طريقه إلى المغرب بالقرب من

قرر استرداد مملكة أبائه من الوزير المستبد عمر بن عبد الله[1] بعد أن استدعاه شيوخ بني مرين إلى فاس، فأسعفه "بالمال العديد، والكسي المفخمة، والمراكب الفارهة، والعدد المحلات، ..." وودّع هذا الأمير السلطان العبد الوادي متجها إلى فاس في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة اثنين وستين وسبعمائة[2](1360م).

وكانت الخيل كذلك من أهم الهدايا التي كان يبعث بها السّلاطين الزّيانيون إلى الملوك من أجل تقديم يد العون لهم، أو لتوطيد العلاقات وإمضاء الصلح، والجدول التالي يعطينا فكرة عن أعداد الخيول والمساعدات والسّلاطين المانحين لها:

السّلطان الزّياني	الهديّة أو المساعدة	السّلطان المرسل إليه	المصدر / المرجع
يغمراسن بن زيّان	ثلاثون من عتاق الخيل، وثياب من عمل الصّوف. سنة 677 هـ	ابن الأحمر محمد الأوّل (649-672هـ/ 1251-1273م)	- ابن خلدون، **ديوان العبر**، **المصدر السابق**، المجلد:7، ص417.

الاسكندرية سنة ست وستين وسبعمائة(1364م). ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:263، 655، 664، 665؛ الناصري، **الاستقصاء**، **المصدر السابق**، ج:4، ص:51.

[1]- وهو: عمر بن عبد الله بن علي الياباني، تقلد منصب الوزارة لدى بني مرين عند كل من: أبو عمر تاشفين بن علي بن يعقوب بن عبد الحق(19 ذو القعدة 762- 21 صفر 763هـ / 1360-1361م)، أبو زيان المتوكل على الله محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن علي(21 صفر 763- 22 ذو الحجة 767 هـ / 1361- 1365م)، أبو فارس عبد العزيز ابن علي بن علي بن عثمان بن يعقوب(22 ذو الحجة 767- 22 ربيع الآخر 774هـ / 1365-1372م)، استبد بالحكم على عهد السلطانين أبي عمر تاشفين وأبي زيان المتوكل، فخلع الأول وبايع الثاني، ثم قتله، واستدعى أبو فارس عبد العزيز فبايعة، واستبد عليه في أيامه الأولى، فدعي: بصاحب المغرب، لكن هذا السلطان كان على يديه خلاص بني مرين من استبداد هذا الوزير، حيث قام بقتله في شهر ذي القعدة من سنة ثمان وستين وسبعمائة(1366م). ابن الأحمر، **روضة النسرين**، **المصدر السابق**، ص:42-44؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:265، 660، 672.

[2]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:213-214.

أبو حمو موسى الثاني	مجموعة من عتاق الخيل. سنة 762هـ (1360م) أو مائة حصان من العتاق وما يوافقها من الذخائر.	أبو سالم المريني (760-762هـ/1358-1360)	- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:2، ص: 196، 197؛ **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:191.
أبو حمو موسى الثاني	سنة 763هـ (1361م) السماح بشراء الخيل.	لأهل الأندلس أصدر الأوامر إلى قادته وعماله بأن يسمحوا لمبعوثي الأندلس بشراء الخيل في بلاده وانتقائها لعدوة الأندلس على وفق مرادهم.	**زهر البستان، المصدر السابق**، ص:331.
أبو حمو موسى الثاني	سنة 767هـ (1365م) فأمدهم في سبيل الله بالخيل المسومة.	لأهل الأندلس. لأبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد من ملوك بني نصر (760-763هـ/1358-1361م)	- يحي ابن خلدون، **بغية الرواد، المصدر السابق**، ج:2، ص: 348.

أبو زيان ابن أبي حمّو (796-801هـ (1393-1398م)	أرسل سنة 799هـ (1396م) ثلاثون جوادًا بمراكبها المموّهة وأحمال من الأقمشة.	الملك الظاهر برقوق[1] بمصر (784-801هـ/1382-1398م)	- ابن خلدون، **الرحلة، المصدر السابق**، ص: 267، 271.
أبو عبد الله محمد الثالث الثابتي (902-909هـ (1396-1503م)	مجموعة من الخيول العربية العتيقة.	فرديناند ملك اسبانيا. فرناندو الثاني (856-922هـ /1452–1516م)	- محمد الطمار، **تلمسان، المرجع السابق**، ص:217.

تلك هي إذن بعض صور الاهتمام بتربية الخيل ومكانتها في المجتمع الزياني، ولا مناص أن نشير هنا إلى صورة أخرى من صور اسهام هذه الحيوانات في المحافظة على حياة الناس زمن الحصار والمسغبة، فقد اضطرهم الجهد والجوع إلى الاستفادة من لحومها، على شاكلة ما حدث في تلمسان خلال الحصار الطويل الذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر(من شعبان 698هـ إلى 706هـ) حيث بلغت أثمان لحوم الخيل الرطل بعشرة دراهم صغار، والرطل من لحوم البغال والحمير بثمن المثقال بالعملة الزيانية.[2]

د- الإبل:

[1]- في سنة تسع وتسعين وسبعمائة(1396م) رغب السلطان الظاهر برقوق في شراء الخيول الأصيلة من بلاد المغرب، وبعد أن استفسر ابن خلدون -الذي كان يقيم بمصر آنئذ- عن مواطن وجودها، فبعث الملك الظاهر حاجبه قطلوبغا بن عبد الله(ت821هـ) مصحوبا بهدايا ورسائل من تحرير ابن خلدون إلى ملوك بلاد المغرب؛ ومنها رسالة إلى صاحب تلمسان أبي زيان بن أبي حمو، يطلب فيها ما يحتاج إليه من خيول، ولبى هذا السلطان الطلب، وعاد مبعوث الملك برقوق محملا بالهدايا ومعها الخيل المسومة المنتقاة. ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص: 267.

[2]- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص: 197-198؛ **تاريخ بني زيان، المصدر السابق**، ص:130.

للإبل دور هام في حياة الزّيانيين، لا سيما قبل دخولهم أرض المغرب الأوسط وتغلبهم على ضواحيها على عهد الموحدين،[1] وكانت الإبل من مكاسب أهل الثجعة منهم، ومعاش المعتزّين أهل الإنتجاع والإظعان في إنتاجها.[2] فكانت الابل ملازمة لهم في الصحاري والقفار، فليس لهم ثروة أغلى وأعز في حياتهم من الابل وقد كانت مقياسا للثراء والفخر لديهم حتى إنه ليذكر الشخص بما يملكه من أعداد الابل دون أن يُلتفت إلى قدر المال الذي لديه،[3] واستمروا في حفاظهم على تربيتها حتى بعدما انتقلوا من طور البداوة إلى حياة الإستقرار والحضارة.

والابل بطبعها حيوانات وديعة جدا،[4] وهي من الحيوانات المهمة في بلاد المغرب الأوسط، وأكثرها فائدة لأهلها، فهي سلاح في الحرب، ناقلة في السلم، ساقية للبن، ذبيحة للحم، بانية للبيت، كاسية للجسم.[5] ويوجد منها كمية وافرة في هذه البلاد خاصة في الصحراء وتخوم التلال، وهي تصبر على الظمأ والكلأ في الفيافي أياما عديدة.

ويبدو أن مربي الابل بالمغرب الأوسط قد خصصوا منها ما يصلح للسفر مسافات بعيدة من أجل الرحلة، وما يكون للإنتاج من الفحول والنوق، وما يكون للحرب والفروسية، واستعملوا في ذلك طرق التسمين أو التعليف والتهجين والتلقيح التي استخدموها مع الخيل وغيرها، لذلك نجد نوعا من البعير يتميز بالقوة والبطيء في السير خصص لحمل الأثقال، ونوع آخر منها يتميز بالخفة والسرعة في العدو يستعمل للركوب.[6] ولا يخلو كتاب وصايا أبي حمو موسى الثاني السياسية لإبنه من الإشارة إلى ذلك، وهو يستعمل فيه أسماء الابل في نثره وشعره، مما يؤكد القول السابق ويدل على معرفة هذا السلطان الجيدة بحال الابل وأنواعها وأسمائها وأوصافها

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، المجلد:7، ص:150.

[2]- **نفسه**، المجلد: 6، ص:175-176.

[3]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:259؛ وهي من عادات قبائل الأعراب في تسمية عدة قطعان الابل أنظر: أبو سعيد عبد الملك ابن قريب الأصمعي(216هـ)، **كتاب الإبل**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2003، ص:125.

[4]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص:69-70.

[5]- عبد العزيز بن إبراهيم العمري، **المرجع السابق**، ص:74.

[6]- لومبار، **المرجع السابق**، ص:249؛ جودت عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص:68.

وليس ذلك بالغريب عليه فهو سليل بني عبد الواد الزناتيين، فمن نثره: "فطوينا المراحل، وحثتنا الركائب والرواحل"،[1] ومن شعره:

قَطَعتُ الفَيافِي بالقِلَاصِ وإنَّمَا　　　تُجابُ الفَلاَ بالخُفِّ أَو بالمَنَاسِمِ.

وجَاوزتُهَا ما بينَ هَوجِ هجَائِنٍ　　　رِقَاقُ الهَوادِي عَاليَاتُ القَوائِمِ.[2]

فكلمات: الرواحل، القِلاص،[3] الخُفّ[4] أو المَنَاسِم،[5] الهجائن،[6] كلها ألفاظ تدل على أنواع وصفات للإبل ذكرا وأنثى، والمتأمل في معاني أسمائها يستكشف فعلا أن أبا حمو موسى كان على بصيرة في اختيار لهذا النوع من الابل والنوق في ترحاله، فهذه الأنواع: الرواحل، القِلاص، الهجائن، تتميز عن غيرها بالقوة والسرعة والفتوة وهي ما يحتاج إليه المحارب أو السلطان في حملاته. ويؤكد يحي ابن خلدون هذا المسعى فيقول لما يتحدث عن الخروج العسكري الاستراتيجي لأبي حمو موسى الثاني من حضرته إلى الصحراء يتحصن بها وينكفأ على عدوه منا إلى ناحية الغرب ليضعفه، يقول: "لم يكن له حصن، سوى متون عراب الخيل، المطهمة الجرد، وهجن الإبل".[7]

وكان لسلطان أبو زيان ابن أبي حمّو لا يقل معرفة عن أبيه بحياة الابل والظعن، حيث تنمي بعض أشعاره عن اشارات رائقة في وصف سير الابل، ودور

---

[1]- **واسطة السلوك، المصدر السابق**، ص:13.

[2]- تفعيلات الأبيات من البحر الطويل.

[3]- القِلاصُ: جمع قلوص، من الابل الشابّة الفتية، وهو أول ما يركب من اناثها إلى أن تثني. محمد بن الطيب الفاسي(1170هـ)، **شرح كفاية المتحفظ: تحرير الرواية في تقرير الكفاية**، تحقيق: علي حسين البوّاب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض –المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1983، ص: 253؛ الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:640.

[4]- الخُفُّ: هو مجمع فِرْسِن البعير، كالحافر للفرس. الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:822.

[5]- جمع مَنْسِم؛ مرادفة للخُفّ.

[6]- الهَجَائِنُ: أو الهجَانُ أو الهُجُنُ، جمع هَجين، وهو نوع من النوق خفيف الجسم سريع السير؛ والهجَان الإبل الكريمة، والتهجين في الابل معناه: كرامُ الأبوين؛ وإبل هجان: بيض كرام. محمد بن الطيب الفاسي، **المرجع السابق**، ص:262؛ الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:1247.

[7]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:586؛ مؤلف مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:149.

حادي الابل، وحركة الهوادج التي تحمل الظعن، ومنها قصيدته اللامية التي امتدح فيها سلطان مصر الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين برقوق يقول في مطلعها:

لِمَنِ الرَّكائب سَيْرهن ذَميلُ فالصَّبرُ إلاَّ بعدهن جميلُ.

يَا أَيها الحَادِي رُويدكَ إنَّها ظُعُنٌ يميلُ القَلبُ حيثُ تميلُ.

رفقًا بمَن حَمَلَتْهُ فوقَ ظُهورهَا فالحُسنُ فوقَ ظهُورها محمولُ.[1]

ففي البيت الأول يشير إلى "الذميل" وهو عند العرفين بشأن الابل ضرب من سيرها، "إذا سارت سيرًا ليّنًا، والذميل فوق العنق"؛[2] والبيت الثاني يشير إلى إحدى الحرف التي ارتبطت بالإبل لا سيما في القوافل ورعي القطعان، وهي "الحُدَاءُ" ويسمى صاحبها بـ: "الحادي" كما يظهر في البيت الشعري أعلاه، أو "الحدَّاء"،[3] ودور الحادي أن يسوق الإبل ويحثها على السير عن طريق انشاد أصوات، تطرب لسماعها الإبل فتزيد في سيرها، لذلك يدعو الحادي في البيت الأخير إلى ضرورة الرفق في سوق الابل كونها تحمل الهوادج التي تحمل النساء.[4]

وقد كانت الإبل منذ أمد بعيد أساس القوافل التجارية، حيث كانت تضم عددا كبيرا من الجمال القوية والمعلفة بشكل جيد، فكانت معظم الطرق الجارية تجوبها قوافل الجمال تغدو محملة بالسلع والتجارات وتروح بطانا بالأرباح وسلع البلاد البعيدة وطرفها؛ فإذا تعبت الجمال وهزلت أجسامها من بعد المسافة وكثرة التنقل، قام أصحاب القوافل ببيع ما ضعف منها بالأسواق التي في طريقهم واستبدلوا إبلا قوية

---

[1]- أنظر القصيدة كاملة: **تاريخ بني زيان، المصدر السابق**، ص: 221-227؛ ابن خلدون، **الرحلة، المصدر السابق**، ص:268-271. تفعيلات الأبيات من البحر الكامل.

[2]- والعنق: "المشي السريع الذي يتحرك فيه عنق البعير". محمد بن الطيب الفاسي، **المرجع السابق**، ص:279، 275؛ ابن قريب الأصمعي، **المصدر السابق**، ص:138.

[3]- الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:1280.

[4]- وكأنه يشير إلى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه -ومعهن أم سليم- فقال: "ويحكَ يا أنجَشة رُوَيدكَ سَوقًا بالقَوارير". البخاري، **المصدر السابق**، ص:1537.

يواصلون عليها رحلتهم.[1] ولا ننسى ركب الحج القافلة السنوية التي كانت تجمع حجاج بلاد المغرب في رحلة مهيبة إلى بلاد الحجاز من أجل حج ببيت الله الحرام.

وكان لا يستغنى على الجمال في الجيش الزياني، فكانت تحمل على ظهورها الفرسان والأقتاب والقباب والأمتعة والخيم، والهوادج التي كانت تحمل حرائر بني زيّان باديات الوجوه ويلبسن الحُلل والثياب الموشّاة، فتحضرن المعارك وتصطففن "خلف الجيوش،... يحرّضن الأبطال على الأبطال"؛[2] وهو ما يشكل دافعاً نفسيا ومحفزا يجبر الجنود على الإستماتة في ميدان الوغى، حفاظاً على حريمهم من معرّة السّبي.

كما كانت الابل حاضرة في الاستعراضات العسكرية، حيث كانت تزين بأنواع القماش الملون والحلي والهوادج وتحمل فتيات حسناوات ترددن أشعارا زناتية احتفاء بالسلطان الذي يراقب العرض، ففي شهر شعبان من سنة سبع وستين وسبعمائة (1365م) أمر السلطان أبو حمو موسى الثاني باستدعاء قبيلته وكافة قواده، بحشد العساكر إلى العاصمة الزيانية تلمسان لتعرض بين يديه، وفي فاتح شهر شوال اجتمعت المحلات العسكرية كافة بالسهل الواسع المقابل للمدينة، واصطفت الكتائب في أعداد وافرة وجو مهيب، "قد أخذوا زينتهم، تحسبهم الخمائل المزهرات، من فوق الكثبان الهائلة، وسط كل كتيبة فنيق[3] (عليه) جلد الوشي، وخلخل اللجين، يخمطه بسلسلة من الفضة، غلمان لبسوا فيه الخز الملون، وعليه هودج مغشى بألوان الحلل، قد برزت منه قنية يسبي جمالها ...، فأمسكت بشجاره، تغني بأشعار زناتية، مما يهيج أرحيات الهمم،...".[4]

وكانت الابل من ضمن الهدايا والأعطيات التي كان يقدمها سلاطين بني عبد الواد، فهذا أبو حمو موسى الثاني يبتغي أسنى المتاجر في خدمة العلماء وتذليل

---

[1]- العياشي، **المصدر السابق**، المجلد:1، ص:79، 81.

[2]- ابن أبي زرع، **الذّخيرة السنّية، المصدر السابق**، ص: 115-116.

[3]- من الإبل: الفحل المُكرم. الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:932.

[4]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:356-357.

مصاعب السفر عنهم فقد أعطى لأبي عبد الله بن مرزوق وأبي البركات القرموني[1] "من المَوَادَة والجمال ما يوصلهما إلى بلد الأوطان" لحج بيت الله الحرام، وكان ذلك في الثالث من شهر ذي الحجة سنة أربع وستين وسبعمائة(1363م) وكتب لصاحب بجاية وصاحب تونس يوصيهما ببرّ واكرام هذين العالمين.[2]

وبالإضافة إلى الاستخدامات المتعددة للإبل التي أشرنا إليها، استفاد الفلاحون في البلاد الصحراوية بالمغرب الأوسط من فضلاتها "بعر الابل" كسماد لإصلاح زراعة النخيل وانتاج التمور، يقول العياشي في وصفه لمراحل عملية غرس النخل فبعد الحفر وبلوغ الطبقة المشبعة بالماء تغرس النخلة، ثم يرد عليها الرمل: "فلا تحتاج إلى السقي أبدا، ويعالجونها بعد ذلك بأبعار الابل وغيرها، فيضعونها في أصولها ولولا ذلك لماتت"، بل يقومون بذلك في سائر أنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه.[3]

أما عن مناطق انتشار تربية الإبل فالإشارات حولها قليلة، وعلى ما يبدو فصحراء المغرب الأوسط كانت المركز الأساسي لنمو هذه الثروة الحيوانية، بالإضافة إلى أن بني راشد كانوا يمتلكون عددا وافرا من الجمال وكانوا أثرياء جدا،[4] أما أهل وركلة فلم يكن بها عدد كبير من الجمال، حتى أضحى اللحم نادرا، بسبب

[1]-لا نعلم عن هذه الشخصية الكثير سوى ما ذكره صاحب زهر البستان يقول:" أبو البركات القرموني خطيب الجامع الأعظم المشهور"؛ ويشير أحمد بن محمد المقري (ت 1045هـ) إلى: أبي عبد الله محمد بن محمد القرموني، كأحد شيوخ سلفه محمد المقري(710- ت 759هـ)، وذكر أن القرموني كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني(685-731هـ/1286-1331م) أيام محاصرته لتلمسان الحصار الطويل(698-706هـ/1299-1307م)، وكان معه في السجن أبو جمعة بن علي التلالسي الشاعر الأديب والطبيب الجرائحي، وسيصبح فيما بعد الطبيب الخاص لأبي حمو موسى الثاني. وفي المناقب المرزوقية: " الشيخ الفقيه الصالح المقرئ"؛ وأمام غياب القرائن التاريخية لا سيما تاريخ الولادة والوفاة من الصعب جدا التسليم بأن أبو البركات القرموني هو نفسه أبو عبد الله محمد بن محمد القرموني خاصة بعد معرفة تاريخ وفاة أحد تلامذته وهو محمد المقري(ت 759هـ). مؤلف مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:378؛ **نفح الطيب، المصدر السابق**، ج:7، ص:230؛ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر– القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، ج:5، ص:43؛ ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية، المصدر السابق**، ص: 234.

[2]- مؤلف مجهول، **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:378.

[3]- **المصدر السابق**، المجلد:1، ص:123.

[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:26.

اهتمامهم بالتجارة مع القوافل، حيث تعتبر نقطة التقاء قوافل القادمة من بلاد السودان وبلاد المغرب،[1] وأما بلاد أنكاد فكان خلق كثير أهل إبل وخيل وغنم "كل شيخ يحمل على إبله قوت قبيلته وعلى إبل من كان في جماعته ربما يكون قوت سنة، وينجعون إلى جهات في أيام وأشهر معلومة عندهم"،[2] وهذا يوحي إلى أن المنطقة كانت تتوفر على كمية لا يستهان بها من الإبل والخيل والغنم.

هـ- البغال والبراذين:

البغال حيوانات هجينة ونتاج لتزاوج الخيل والحمير، وقد ورثت من أمهاتها (الخيل: الفرس) صفات القوة والسرعة ومن آبائها (الحمير) الصبر وتحمل المشاق، وهذا الصنف من الحيوانات لا يقل أهمية عن سابقيه، فقد كان وسيلة الجيوش والقبائل والأفراد للسير خلال الجبال والمناطق الوعرة والأحراش.

وقد تضمنت تشكيلة الجيش الزياني مجموعة من البغال المنتقاة بعناية عرفت بـ: "البغال المبرذعة" استاق عليها أبو حمو موسى الثاني مخالفيه من أشياخ العرب وتوجين – بعدما تمكن من غزوهم- من بلاد شلف والبطحاء إلى عاصمته تلمسان، في شهر محرم من سنة تسع وتسعين وسبعمائة (1367م).[3]

وكانت بعض اصطبلات السلطان الزياني مخصصة للاعتناء بتربية البغال الفارهة والرفيعة، وقد خصص السلاطين مجموعة من الحرفيين يسهرون على ذلك، عرفوا في المصادر بـ: "البغالين"[4]، وكان السلطان أو صاحب ديوان الأشغال أو غيرهم من الفلاحين ومن في شاكلتهم يجدون صعوبة كبيرة في البحث عن بغالين لاستئجارهم على العناية بالبغال في اصطبلاتهم، بسبب قلة منتحليها ووضاعة هذه

---

[1]- **نفسه**، ص:136.

[2]- ابن عابد الفاسي، **المصدر السابق**، ص: 25، 26، 29.

[3]- يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص:149.

[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:27.

الحرفة وكثرة مشاقها، وضعف أجرتها؛ وهو ما أدى بهم في بعض الأحيان إلى السرقة.[1]

وعلى مرّ العصر الزياني اشتهرت مناطق بإنتاج وتربية البغال، ولا شك أن معظم الجهات التي عرفت تربية الخيول خاصة قد زادت تربية البغال إلى جانبها ولو بقدر ضئيل، لأن العملية الانتاجية في الفلاحة تقتضي وجود مثل هذه الحيوانات. وقد كان أهل وجدة لا سيما الفلاحون يتخذون أرماكا من الخيل ويهجنونها بالحمير فتنتج "لهم بغالا جميلة عالية تباع في تلمسان بأغلى الأثمان"؛[2] ولا غرو فقد توصلوا لمثل هذا لإنتاج نوع من البغال خاص بأهل وجدة، وقد لا يوجد له مثيل في بقية النواحي والأحواز، ويتميز بالجمال والعلو، وهذا بسبب انتقائهم لأحسن السلالات من اناث الخيول وذكور الحمير، وبالتالي انعكس نوع الإنتاج على أثمانها فارتفعت أسعارها في الأسواق، فكانت عائدتها على مربيها وفيرة.

وأما البراذين فهي البغال غير العربية، عظيمة الخلقة، غليظة الأعضاء، قوية الأرجل، عظيمة الحوافر؛[3] وقد حيت هي الأخرى بالاهتمام من طرف المربين بالمغرب الأوسط، وبحسب الاشارات المتوفرة لدينا عرفت مدينة تاهرت بتميزها في انتاج كل شيء حسن من البراذين،[4] وخصص بنو زيان مجموعة منها تحمل أثقالهم وتشد أحمالهم إلى أوطان لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس، فقد قرر أبو حمو موسى الثاني في غرة جمادى الثانية من سنة إحدى وستين وسبعمائة(1360م) السفر إلى الصحراء "فجهز البغال والجمال وبراذين الأثقال".[5]

و- الحمير:

أما الحمير فهي من الحيوانات التي يقع عليها الكثير من عمل الفلاحين والتجار والحمالين للزرع، فكان لا يستغنى عنها في موسم الحرث والبذر، وكذا في الحصاد

1- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:27.
2- **نفسه**، ص:13؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:295.
3- **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:48.
4- **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:110.
5- **زهر البستان، المصدر السابق**، ص:149.

ونقل أغمار الزرع، وفي البيادر والأندر للدرس، ونقل الجص والرمل؛ وكان البعض يستقلها في السفر إلى بيت الله الحرام لتأدية فرضه،[1] وكان بعض الخاصة من الزهاد وغيرهم لا يتنقلون إلا بها.[2]

وأشارت كتب الحسبة إلى ما كانت تعانيه هذه الحيوانات والبهائم بصفة عامة، كإثقال كاهلها بالأحمال التي تفوق قدرتها، واجبارها على السرعة في المشي بالضرب والزجر، وهو ما كان عادة شائعة بين الحمالين والنقالين والخدمة وغيرهم.[3]

وبالرغم من الاستخدامات المتعدد للحمير إلا أن المصادر لا تطالعنا بمناطق انتشارها وتربيتها خاصة المصادر الجغرافية المعول عليها في مثل هذه القضايا، إلا أن هناك إشارة يتيمة تتعلق بمدينة وجدة، حيث أن مربي المواشي والدواب بها يربون "عددا من الحمير الجميلة الكبيرة القامة"، التي كانت تعتبر فحولا جيدة تستعمل لإنتاج البغال.[4]

3- تربية النحل:

قال الله تعالى:(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾).[5]

﴿٦٩﴾).[5]

ولما كان المغرب الأوسط يزخر بالمراعي الطبيعية المنتشرة بين جنباته ووهاده، وسهوله وجباله، وكانت هذه المراعي تصدح بأزهارها، وتتغنى بالأشجار المختلفة والأعشاب وغيرها؛ كما أن انتشار الزّراعات وكثرة الحقول والرّياض

[1]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:152-153.
[2]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:899-900؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص: 254.
[3]- العقباني، **تحفة الناظر**، **المصدر السابق**، ص:69.
[4]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:13.
[5]- **سورة النّحل**، الآيات: 68-69.

والبساتين والحدائق في المداشر والقرى والمدن والأوطان، كان له أثره البارز في جذب الناس إلى تربية النّحل، فصنعوا لها الأجباح[1] وأقاموا لها المناحل،[2] فكانت أسراب النحل تغدو من الأجباح تجوب تلك الأماكن تجمع الرّحيق وغبار الطّلع، ومن أصماغ العرعر والضرو والصنوبر تصنع الشهد الذي تخزّنُ فيه العسل.

وكان النّحل الذي بأراضي المغرب الأوسط على ضربين، الأول: برّي جبلي يعيش في الجبال والكهوف والأشجار، وكان منتشراً في مناطق عديدة من هذه البلاد، وسعى بعض النّاس إلى اصطياده وجنيه والاستفادة منه، أمّا الثاني: فهو النّحل المستأنسُ بالتربية في الأجباح والمناحل عند الفلاحين وغيرهم.

واهتم أهل المغرب الأوسط بأمر النحل وانتاج العسل، فكان بعض أهل وطن شلف هيأوا أماكن وخصوصها لعدد من خلايا عرفت بالمناحل،[3] وكان بعض أهل تلمسان اتخذوا العديد من دوائر النحل،[4] والمجبحات؛[5] وكان أهل الجزائر يتخذون النحل كثيرا؛[6] وكان بجبل كوكو[7] وبالجهات المحيطة به كثير من أجباح النحل التي تعطي العسل.[8]

ورغم إشارة بعض المصادر إلى اهتمام بعض الناس بتربية النحل والاتخاذ المناحل والأجباح لذلك، إلا أنها لم تقدم لنا شيئا إضافيا أو تفاصيل تخص كيفية صنع الخلايا والمواد ونوع الخشب المستخدم في ذلك، وطرق اسكان النحل فيها، وأماكن

---

[1]- الأجباح: جمع جبح، وهو صندوق يُتخذ من الخشب، يُجعل في مقدّمته ثقب بحجم نحلة، يربّى فيه النّحلُ فينتِجُ عسلاً، كما يسمّى خلية العسل أو النّحل. الفيروز آبادي، **المصدر السابق**، ص:240.

[2]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:612.

[3]- موسى بن عيسى المازوني، **المصدر السابق**، ص:612.

[4]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:194. ودوائر النحل هو جمع دار أو دويرة (تصغير دار) وهي الخلية أو مكان تواجدها الذي يضم عادة عددا من الخلايا؛ وما يزال هذا المصطلح متداولا إلى الآن بين أوساط المربّين والنّحالين.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:365.

[6]- **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:114.

[7]- جبل كوكو: نسبة إلى مدينة واقعة فيه، توجد عند حدود سهول متيجة، من جهات الجنوب والشرق، على سلسلة سلسلة جبال الأطلس الكبير. مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:373-374.

[8]- **نفسه**، ج:2، ص:374.

وضعها والشروط المراعة في ذلك، وطرق معالجة النحل، وأوقاف قطاف العسل؛ لذلك سنحاول تدارك بعض من هذا النقص من خلال ما تضمنته كتب الفلاحة.

توصي هذه المصادر بضرورة اختيار مكان المنحلة في وسط يكون كثير العشب والشجر والأزهار والرياحين، قريب من الماء، بعيد عن الضجيج والأسواق، فتوضع فيه أجباح النحل مطلة إلى المشرق؛ ولا بد أن تتخذ الخلايا من خشب الأرز وتطلى بطين طيب الرائحة.[1]

وكما تنهي إلى علم القائم على النحل بضرورة فحص الخلايا والتخلص من ملكات النحل الكثيرة وترك ملكة واحدة في كل خلية، وكذلك عليه فعل ذلك بالذكور فلا يذر إلا واحدا منهم يختاره بعناية؛ كما يحرس الخلايا والنحل من أخطر آفة تتمثل في طير الشقراق (الشَّرَقراق)[2] إذا رآه حول حِمَى النحل.[3]

ويتضح من خلال بعض النوازل أنّ بعض مربي النحل كانوا يشتركون في القيام على الأجباح بصيانتها ومعالجتها، فقد سُئل عبد الله الشريف[4]:"هل يسوغ أن تعطي أجباح النحل لمن يخدمها بجزءٍ منها، بنصفٍ مثلا"،[5] كما اهتم بعضهم بصناعة بصناعة الخلايا وملئها بالنحل ثم يبيعها لمن يريد تربيتها.[6]

---

[1]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:67.

[2]- الشَّرَقرَاق: "طائرٌ، مرقط بخضرة وحمرة وبياض". الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:912. وهذا الطائر وبهذه الأوصاف يعرف في عصرنا بطائر "الوروار" آكل النحل، وهو خطير جدا يؤثر على عدد النحل في الخلايا وكمية العسل، فهو يصطاد النحل في سماء المنحلة إذا غدا منها أو جاء إليها.

[3]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:68.

[4]- عبد الله الشريف: هو أبو محمد عبد الله الشريف ابن أبي عبد الله الشريف التلمساني، ولد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة(1347م)، عُرف بالفقه والتحقيق، و الحفظ والفهم والوجاهة والدّيانة، تلقى العلم عن والده، وعن شيوخه : كابن مرزوق الجدّ، وأبي عمران العبدوسي، وأبي العبّاس القبّاب، وابني الإمام؛ وتعلم على يديه أحمد بن موسى البجائي، وابن مرزوق الحفيد، توفي غريقا سنة اثنين وتسعين وسبعمائة(1389م). محمد ابن مخلوف، **المرجع السابق**، ص:234؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج**، **المصدر السابق**، ج:1، ص:210؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:214-219.

[5]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج: 8، ص:235؛ وأنظر: المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:380/ ج:4، ج:4، ص:65.

[6]- **نفسه**، ج:5، ص:270.

وتطالعنا مصادر أخرى أن النحل كان يفرخ في شهر فبراير،[1] وكان يقطف العسل ثلاث مرات في العام إذا كان خصبا في شهر جوان، ثم في سبتمبر، ثم في أكتوبر، في يوم مشمس،[2]وعلى عادة النحالين والناس في وقت لا تهب فيه الريح،[3] ويستخدم النحال دخان النار بحذر حتى لا يحدث حريقا،[4] ويُسَكِّن النحل ويشرع في قطع شهد العسل بالسكين أو نحوه، ويميط عنه النحل ثم يضعه في اناء، ويستمر هكذا مع كل خلية نحل حتى ينهي العملية؛ وكان النحال بعدما ينتهي من القطع ينتقل إلى عصر[5] العسل من الشهد، فإن عصره صفّاه وخزنه فيما يصلح فيه التخزين من أواني أواني فخارية وغيرها؛ وإن كانت خلايا النحل بين شركاء اقتسموا ما قطع من أقراص العسل بينهما تحريا أو وزنا حسب نصيب كل واحد منهما.[6]

وكانت عملية قطف العسل تسفر في بعض الأحيان عن وقوع بعض المشاكل التي شغلت النحالين واضطرتهم إلى سؤال المفتين عنها، منها مسألة: "في العسل تموت النحل فيه عند القطع ما يكون حكمه"؛[7] ومنها نازلت رفعت إلى لأحمد بن يحي يحي الونشريسي[8] "عمن أدخل نارا لمجبحة له ولغيره لقطع[9] عسله،... فلما أخذ في القطع وسمع زفير النار، حتى أكلت المجبحة وما حولها من الدور،...".[10] هذا فضلا

---

[1]- **المخطوط السابق**، ص:18.
[2]- ابن حجاج، **المصدر السابق**، ص:69.
[3]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:365.
[4]- **نفسه**.
[5]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:65.
[6]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:65.
[7]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:238.
[8]- هو: أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، الفقيه المفتي بالمغرب، من كبار العلماء الراسخين والأئمة المحققين، نزل فاس سنة أربع وسبعين وثمانمائة(1469م)، وتوفي بها سنة أربع عشرة وتسعمائة(1508م)، من مؤلفاته مدونة الفتاوى المشهورة "المعيار المعرب"، و"الفائق في الوثائق"، و"قواعد المذهب" وغيرها. محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي(الدار البيضاء)، مطبعة الكرامة، الرباط-المغرب، الطبعة الثالثة، 2003، ص:48؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج، المصدر السابق**، ص:135-136؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:119-122.
[9]- تستخدم كتب الفلاحة لفظ "قطف" للدلالة على جني العسل، بينما تستعمل كتب الفتاوى كلمة "قطع" لنفس الغرض، وهذه الكلمة لا تزال شائعة إلى اليوم بين النحالين (جهة الغرب الجزائري) ولا سيما في موسم العنصرة(24 جوان من كل سنة) الذي يحبذ فيه قطع العسل لأنه في هذا الوقت يكون صافيا وخاليا من بيض النحل.
[10]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:365.

على أذية النحل للناس المجاورين للمناحل أو الماشية وغيرها في غير أوقات القطع.[1]

القطع.[1]

أما عن مناطق انتشار تربية النحل وانتاج العسل بالمغرب الأوسط فسنوجزها في الجدول الآتي:

المكان	كمية الانتاج	ملاحظات أخرى	المصدر:
تاهرت	عسل كثير.	- بها ضروب الفواكه، البساتين، المزارع، الضياع، المياه.	- الحميري، **الروض المعطار، مصدر السابق،** ص:126-127؛ **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق،** ص:110.
الجزائر	عسل كثير.	- يتجهز به إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة والبعيدة. - يتخذون النحل كثيرا.	- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق،** ص: 163؛ **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق،** ص:114.
شرشال	العسل ممكن.	- النحل عندهم كثير.	- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق،** ص: 340.
وهران	العسل كثير.	- فواكه ممكنة، بساتين وثمار كثيرة، ومياه سائحة. - العسل رخيص.	- الحميري، **الروض المعطار، المصدر السابق،** ص: 612-613؛ **كتاب الاستبصار، المصدر السابق،** ص:133-134؛ **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق،** ص:105-106.

[1]- **نفسه**، ص:353/ ج:9، ص:44، 48.

قسنطينة	العسل كثير.	- ينقل إلى سائر البلاد. - مزارع ممتدة في جميع جهاتها.	- **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:121-122.
مازونة	العسل كثير.	- لها أنهار ومزارع، وبساتين، وفواكه كثيرة.	- **المغرب العربي للادريسي، المصدر السابق**، ص:128.
تنس	كثيرة العسل.	- كثيرة الشمع. - كثيرة الزروع والخصب.	- الوزان، **وصف إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:36؛ مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:353-354.
ندرومة	عسل وفير.	- يتغذى به أهلها. - بها بساتين عديدة.	- الوزان، **وصف إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:14.
جبل كوكو	عسل.	- به كثير من أجباح النحل.	- مارمول، **إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:373-374.
تبحريت	العسل كثير.	- ينتجون العسل بكثرة. - شمال ندرومة، على سيف البحر.	- الوزان، **وصف إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:15.
جبل بني بوسعيد	كمية وافرة من العسل.	- يحملون الشمع إلى شاطئ تنس ويبيعوه إلى التجار الأوربيين.	- الوزان، **وصف إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:45.
المعسكر	كميات وافرة من العسل.	- تباع في سوقها الأسبوعي كل يوم خميس.	- الوزان، **وصف إفريقيا، المصدر السابق**، ج:2، ص:26.

تلك هي أهم المناطق التي عرفت تربية النحل بها على العهد الزياني اهتماما كبيرا، سجلنا من خلاله كثرة خلايا النحل والمناحل، وتوفر شروط اتخاذ النحل من

مياه وأشجار مزهرة ومثمرة ونباتات مختلفة وزروع متعددة وغيرها، مما أدى إلى انتاج كميات وافرة من العسل، حقق من خلالها المربون الاكتفاء الذاتي للمجتمع، فأصبحت غذاء وشفاء للناس، بل سلعة نافقة في الأسواق الداخلية والمناطق البعيدة، وتعدى انتاج مربيي النحل العسل إلى انتاج مادة الشمع التي كان الشماعون يحولونها إلى شموع تستخدم في الانارة، فكانت هذه المادة تمول الأسواق الداخلية وتصدر كذلك نحو أوروبا.

4- تربية دودة الحرير: [1]

تعتبر دودة الحرير من الحشرات النافعة، حيث توفر مادة الحرير الطبيعي الذي يستخدم في حياكة ونسج الألبسة الفاخرة، وقد عكف الإنسان على تربيتها منذ عصور بعيدة،[2] حيث كان موطنها في بلاد الصين، ثم انتقلت إلى أسيا الوسطى، ومنها إلى بيزنطة في القرن الخامس للميلاد، واستمر انتقال هذا النشاط وتقنياته بعد الفتح الاسلامي حتى بلغ منطقة بلاد المغرب.[3]

أمّا تربية دودة الحرير بالمغرب الأوسط على العهد الزياني تكاد تكون النصوص حولها منعدمة، ورغم إشارة بعض الباحثين إلى وجود صناعة حريرية

---

[1]- دودة الحرير أو دودة القز: هي يرقة من أنواع مختلفة من فراشات الحرير، وسُمّيت بهذا الاسم لأنها تبني حول نفسها شرنقة من الخيوط الحريرية التي يمكن استخدامها لإنتاج الحرير الطبيعيّ، حيث يمكن الحصول على أفضل أنواع الحرير وأكثره شهرة من نوع محدد من الفراشات يُعرف علمياً باسم (Bombyx mori)، وتتغذى يرقات هذا النوع من الفراشات على أوراق أشجار التّوت، وتعدّ الصين الموطن الأصلي، وجميع أنواع دودة القز مُستأنس، أيّ أنّه يعتمد على الإنسان في تغذيته. *http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Silkworm*

[2]- يرى كثير من المؤرخين والعلماء أن الحرير الطبيعي ظهر لأول مرة بالصين، حيث تذكر الأسطورة الصينية اكتشافه بالصدفة حوالي 2700 قبل الميلاد في حديقة الإمبراطور هوانجدي، وذلك عندما طلب من زوجته زليش تقصي أسباب تلف أشجار التوت الموجودة في الحديقة، وتوصلت إلى أن السبب في ذلك ديدان بيضاء تتغذى على أوراق التوت وتغزل شرانق جميلة بيضاء اللون، فالتقطت زوجة الامبراطور هذه الشرانق فسقطت منها صدفة في ماء دافئ فشاهدت خيطا رفيعا ينفصل عنها. فقررت هذه المرأة تخصيص بعض أشجار التوت لتغذية آلاف الديدان لانتاج الشرانق واستخراج ما يسمى اليوم بالحرير الطبيعي. ابراهيم ابراهيم مصباح ورمضان مصري هلال: "دودة الحرير"، **مجلة العلوم والتقنية**، العدد: 57، محرم 1422هـ(أفريل)، ص ص:36-39.

[3]- لومبار، **المرجع السابق**، ص:270-271.

بالمنطقة منذ القرن الثالث والرابع الهجريين(9-10م)،[1] إلا أن هذا ليس دليلا كافيا لأن وجود الصناعة لا يقتضي وجود تربية دودة القز خلال هذه الفترة.

وتشير بعض الدراسات إلى أن خيوط الحرير والحرير المصبوغ كان ضمن قائمة واردات الدولة الزيانية؛[2] وحتى بلاد المغرب الأقصى خلال هذه الفترة كانت تستورد هذه المادة من البلدان الخارجية، ولم يظهر فيها انتاج الحرير المحلي والاعتماد عليه في الصناعة النسيجية إلا مع بداية القرن التاسع الهجري(15م).[3]

وبالتالي يمكننا القول بأنّ تربية دودة الحرير بالمغرب الأوسط وببعض الأقطار المجاورة لم تظهر في وقت مبكر، وربما يعزى ذلك لقلة معرفة أهل البلاد بأساليب تربيتها.[4]

وعلى العموم فقد أشار الوزان إلى أن هذا النشاط كان موجودا ببعض مدن المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجري(16م)، ومنها دينة شرشال التي كان بها عدد لا يحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود، فاستقر بها المهاجرون الفارون من غرناطة بعد سقوطها سنة سبع وتسعين وثمانمائة(1492م)، واشتغلوا بصناعة الحرير، فعاشوا في رخاء دائم،[5] وصار الحرير أهم مواردهم.[1]

---

[1]- عبد الكريم جودت، **المرجع السابق**، ص:94. خلال هذه الفترة كانت الأندلس تعرف أوج انتشار تربية دودة القز وانتاج الحرير، لأن المجتمع الأندلسي عرف طريقه إلى هذا النشاط مع القرون الأولى للمسلمين في الأندلس، وازدهر على عهد ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين. سامية مصطفى، **المرجع السابق**، ص:111، 127؛ لومبار، **المرجع السابق**، ص: 272.

[2]- بشاري لطيفة، **المرجع السابق**، ص: 207، 225.

[3]- عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصر المريني والوطاسي(669-960هـ/1270-1550م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 2011، 354.

[4]- وكأننا نقع في تناقض بين ما أقرّ به لومبار من انتشار تربية دودة القز في بلاد المغرب والأندلس بداية من عصر الفتوحات، وحسب دراسته بداية من القرن الثاني للهجرة(ق. 8م)، بالإضافة إلى ازدهار هذه الحرفة في الفترات التاريخية اللاحقة، لكن الغموض يبقى يخيم على المغرب الأوسط والأقصى، رغم أنهما كانا خلال القرون الهجرية: الخامس والسادس والسابع جزءا لا يتجزأ من دولة المرابطين والموحدين، وهو ما يمكن من انتقال المؤثرات الأندلسية والخبرات الفلاحية إلى القطرين؛ إن سكوت المصادر وانعدام القرينة يجعلنا نهتدي إلى التسليم بنص الوزان الآتي ذكره كمصدر ابتدائي للاستدلال حول وجود الظاهرة.

[5]- **المصدر السابق**، ج:2، ص:34.

وكان في العاصمة تلمسان بعض المعامل لنسج الألبسة الفاخرة التي نالت حظوة عند ملوك المغرب، وكان يدخل في حوكها مادة الحرير، فقد كان "زَيٌّ صاحب إفريقية، ...، قماش يعرف بالتلمساني مما يعمل في تلمسان، وهو نوعان مختّم وغير مختّم، منها صوف خالص، ومنها صوف وحرير"؛[2] ومما اشتهر أيضا بين الحاكة تزيين العمائم بأشكال تنفذ بخيوط الحرير الخالص ومنها عمل "عمل جوزة الحرير"، حيث تتضمن ذلك نازلة سئل عنها الفقيه أحمد بن يحي الونشريسي: "وسُئِلتُ ...، عن مسألة رجل من صناعته عمل الجوزاء المنسوجة من الحرير المعلومة في طرفي العمامة".[3]

وتشير جملة من النوازل الفقهيّة إلى بعض القضايا المتعلقة بتربية دودة الحرير كالشّركة في علوفة دودة الحرير،[4] وحكم تربية دودة الحرير بالأجرة ممّا يخرج منها،[5] وبيع ورق التوت بالحرير المعلوم المقدار.[6] ويبدو أن ضعف معرفة الفلاحين في المغرب الأوسط بتربية دود الحرير، أملت عليهم التفكير في إيجاد طرق جديدة لمواصلة العمل بهذا النشاط الذي يدر رزقا حسنا، فعقدوا لذلك الشركة مع أصحاب الخبرة، واستأجروا المتمرسين لذلك، وخاصة في العصور المتأخرة التي شهدت دخول العديد من العناصر والجاليات الأندلسية التي برعت في هذا المجال.

أما عن كيفية تربية دودة القز وانتاج الحرير، فيكشف ابن البيطار عن الطريقة التي كانت معتمدة في تنمية هذه الدّودة، وهو- حسب علمنا- المصدر الوحيد الذي تطرّق لها، يقول: "هو دودٌ أصله بزرٌ يلده دودٌ آخر دقيق على هيأة بزر الحثاء، يوجد في شهر بابه وهو أيّار.[7] ويوضع في خرقة نقية وتعلقه المرأة في عنقها بين ثدييها بعد النظافة والزينة ولبس الثياب السّرية، ويبقى كذلك تقعد وتنام إلى أن يتمّ له مقدار

[1]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:2، ص:356. وكان أهل مدينة القل يكسبون ثروات عظيمة من تربية دودة القز، لأن بها غابات شاسعة من الأشجار المثمرة ومن أشجار التوت. **نفسه**، ص:362.
[2]- العمري، **المصدر السابق**، ج:4، ص:159.
[3]- **المصدر السابق**، ج:6، ص:233.
[4]- **نفسه**، ج:5، ص:36/ج:6، ص:254.
[5]- **نفسه**، ج:5، ص:59.
[6]- ابن مرزوق الحفيد، **المخطوط السابق**، ص: 9-10.
[7]- هو شهر مايو أو ماي.

عشرين يوماً، وتقعده في بيت لا يدخله ريح ولا ضوءٌ كثيرٌ حتّى يعلق ما تحرّك منه بورق التّوت، فتزيله وتمسك الباقي معلقاً عليها إلى أن يتحرّك كله، وهي تنقله شيئاً بعد شيءٍ إلى ورق التّوت ويربّى في آلاتٍ مصنوعةٍ من الحلفاء مطرّات بأرواث البقر إلى أن يعمل الحرير الخام تبنيه على أنفسها بنيانا ويموت داخله، فإذا أغزل الحرير استخرجت وعلفت بها الدّجاجة فسمّنتها".[1]

إذن من خلال هذا النّص يتّضح لنا أنّ تربية دودة الحرير كانت تتم وفق المراحل التالية:

1- إعداد مكان التربية:

حيث يقوم المربى بتخصيص إحدى غرف المنزل، التي يشترط أن تكون نظيفة، متوسطة التهوية والضوء؛ ويجهز بها مواضع بأكوام من ورق التوت، يسحب إليها دود القز إذا توالد، ولابد أن يكون مكان التربية قريبا جدا من مواضع تواجد أشجار التوت، حتى يسهل جلب الورق منها كلما احتاج إلى ذلك.

2- العناية بدود القز:

ويتم ذلك على خمس مراحل:

- الأولى: حضن بيض الدود[2] لمدة عشرين يوما.
- الثانية: الفقس بعد انتهاء مدة الحضن، ويكون عادة في شهر مارس[3] من كل سنة (فصل الربيع، وقت توفر ورق التوت).
- الثالثة: سحب تعليق الدود بورق التّوت وبداية العلف.
- الرابعة: التربية في آلات الحلفاء، وهي عبارة عن أعشاش مصنوعة من سعف الحلفاء ومطلية بأرواث البقر توضع حول المواضع التي تتغذى فيها

1- **المصدر السابق**، المجلد:1، ج:2، ص:120.
2- تطلق عليه المصادر لفظ: البزر أو الزريعة. **المصدر نفسه**، والصفحة ذاتها؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:5، ص:59-60.
3- الصفاقسي، **المخطوط السابق**، ص:18.

ديدان القز، فتتسلقها الديدان التي اكتمل نموها، وتشرع في بناء شرانق الحرير على أنفسها.

- والخامسة: تتمثل في جمع شرانق الحرير من الأعشاش، وتنقى مما علق بها من شوائب. وفي هذه الحال تكون شرانق الحرير الطبيعية جاهزة للبيع في السوق، أو تعكف النساء على حلّ الحرير واستخراج خيوطه وغزله.

وفي هذه المرحلة كان بعض المربّين يمارسون نشاطهم بمفردهم أو كانوا يشركون معهم بعض من لهم خبرة في هذا المجال، على أنّ تكون مهمّة علوفة دود الحرير على واحد والخدمة والعناية على الآخر، ويكون الناتج من الحرير بينهما على النسبة المتّفق عليها.

وحتّى تكون الشراكة قانونية ونافذة اشترط الفقهاء على أن تكون الورق قد ظهرت وبدا صلاحها، وأن ينظر إلى الورق ويحرزها ويعلم مقدارها بالتقريب والتّخمين، أن يشترط الشّركاء أنّهما إن نفذت الورق احتاج إلى ورق آخر أن يشتريها معاً من غير أن يختص أحدهما بذلك، وأن يكون العمل بينهما معلوما حسب الشّراكة كما كان الشّراء بينهما كذلك.[1]

5- الصيد وأنواعه:

يعتبر الصيد من النشاطات التي احترفها الانسان وتعلق بها قديما وحديثا، كما يعدّ عملا مكملا للرعي وتربية الأنعام[2] ببلاد المغرب الأوسط، واعتبره البعض رياضة للنفس والبدن، أو للهو والمتعة والتسلية، لكنه كان في المقام الأول مصدر للمعاش من خلال ما كان يوفره من اللحوم والجلود والبيض والريش التي كانت توجه للتغذية أو البيع.[3]

---

[1]- الونشريسي, **المصدر والجزء السابقان**, ص61,60.

[2]- محمد البشير شنيتي: "صورة من حياة الريف في افريقيا الرومانية من خلال مشاهد الفسيفساء"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد:10، 1997، ص:231.

[3]- عبد العزيز بن براهيم العمري، **المرجع السابق**، ص:49؛ العقباني، **المصدر السابق**، ص:63؛ عبد الرزاق بن عمر، **المرجع السابق**، ص:250.

وفي هذا يقول الشاعر إبراهيم بن أحمد الفجّيجي[1]؛ وكان من أبناء فجيج[2] التي تتوفر على مجال للصيد عرف بـ: "ثنيّة الصيادة"، ولعل شاعرنا من أولئك المتيّمين بالصيد في المنطقة، ألف قصيدة في هذا المضمار سمّاها "الصّيدية" مطلعها:[3]

يَلُومُونَنِي فِي الصَّيْدِ وَالصَّيْدُ جَامِعُ لِأَشْيَاءَ لِلإِنْسَانِ فِيْهَا مَنَافِعُ.

فَأَوَّلُهَا الكَسْبُ الحَلاَلُ أَتَتْ بِهِ نُصُوصُ كِتَابِ اللهِ وَهِيَ قَوَاطِعُ.[4]

وكان على الفلاح في العهد الزياني اتقان الصيد والقنص، خاصة البري، حتى يستطيع ضمان سلامة محاصيله وحقوله وماشيته وحمايتها من بأس الحيوانات الضارية والمُفسِدَة كالسباع والأسود والخنازير والأرانب والطير بصفة عامة.

والصيد نوعان برّي وبحري،[5] أمّا الصيد البريّ فقد كانت بلاد المغرب الأوسط جيدة لممارسة مثل هذا النشاط بسبب انتشار الغابات والأحراش والجبال والشّعاب، والمغارات، والقفار التي تساعد على استقرار وتكاثر الوحش، فصحراء أنكاد كان بها عدد كثير من الغزلان والوعول والنعام والسباع،[6] ولما كانت تلمسان بين الصحراء والريف فقد جمعت أصنافا شتى من الصيود،[7] وكانت شلف وجبالها تتوفر على الأسود والطير والحجل،[8] وكان بمرسى الدجاج الكثير من طير السماني،[9] وبوركلة كان النعام يصطاد ويربى ويؤكل؛[10] كما انتشر ببلاد المغرب الأوسط نوع من الطيور يسمى الكركي ويعرف عند أهلها بالغرانيق، وهو صيد الملوك.[11]

---

[1]- إبراهيم بن أحمد الفجيجي: أخذ بمدينة فاس عن الأستاذ الصغير، وعن الشّيخ ابن غازي، وأبي العبّاس أحمد الونشريسي، ولقي بتلمسان شيوخا جُ لة كالإمام السنوسي، وابن مرزوق، والعقباني، والتّسني. الحفناوي، **المرجع السابق**، ق:2، ص:3.

[2]- فيجيج: واحة من واحات النخيل؛ تقع على الحدود المغربية الجزائرية، وهي عبارة عن قصور وسط الصّحراء اشتهر أهلها بنسج الصّوف. الوزّان، **المصدر السابق**، ص:133.

[3]- الحفناوي، **المرجع والقسم السابقان**، ص:3.

[4]- تفعيلات الأبيات من البحر الكامل.

[5]- أبو زكرياء يحي التلمساني، **المخطوط السابق**، ص:18.

[6]- الوزّان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:11.

[7]- لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار**، **المصدر السابق**، ص:183- 184.

[8]- موسى بن عيسى، **المصدر السابق**، ص:623، 829.

[9]- **كتاب الاستبصار**، **المصدر السابق**، ص:131.

[10]- الوزان، **المصدر والجزء السابقان**، ص:136؛ وانظر: مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص:71.

[11]- العمري، **المصدر والجزء السابقان**، ص:196.

واتخذ الصيادون للظفر بهذه الطرائد الكواسب التي يصاد بها،[1] من الكلاب المدربة، والصقور، والبزاة، والفهود[2] وغيرها مما سنذكره بمحله في طرق الصيد؛ بالإضافة إلى التجهز بما تدعوا الحاجة إليه من الأقواس والسكاكين والرماح والعصي وغيرها.

وكان الصيد البري على العهد الزياني يتم عبر عدة طرق، تختلف باختلاف الطرائد التي يرغب الصيادون إمساكها،[3] ومن خلال النصوص المتوفرة نصنفها إلى ما يلي:

1- الصيد على المشي:

حيث كان الصيادون يخرجون إلى المناطق المعروفة بكثرة الطرائد، يمشون على أرجلهم ومعهم الكلاب أو الصقور، فإذا انتفض أمامهم الصيد ذكروا الله تعالى وأرسلوها عليه، فاذا أمسكته ذكوه وحملوه، وطابوا به نفسا.

وكان السّلطان أبو عبد الله محمد الثابتي (902-909هـ/1496-1503م) يخرج يوم الجمعة إلى منطقة الحناية الغنيّة بالصيد، يصطاد على المشي في الأرض.[4]

وكان بعض أهل صحراء تلمسان يطاردون الذئب بكلاب الصيد، ويلاحقونه إلى أن ينال منه التعب وتدركه الكلاب، فتحبسه وتثخنه بالجراح، فإذا ورد عليه الصيادون ذبحوه وانصرفوا؛[5] ولعل اقبالهم على قتل هذا النوع من الحيوانات وبهذه الطريقة بسبب هجومها على الماشية، ومن أجل التقليل من تزايد أعدادها وخطرها في المستقبل.

---

[1]- أبو الوليد ابن رشد، **المقدمات الممهّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدوّنة من أحكام الشّرعيات**، دار صادر، بيروت، ط. ج، د. ت، ص: 316-317.

[2]- أبو زكرياء يحي التلمساني، **المخطوط السابق**، والصفحة ذاتها.

[3]- راجع: **الملحق رقم**: 18.

[4]- ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:245.

[5]- الملالي، **المواهب القدوسية**، **المصدر السابق**، ص:289؛ ابن مريم، **المصدر السابق**، ص:380.

وذكر ابن بطوطة أن أهل قرية بودا، وهي من أكبر قرى توات بصحراء المغرب الأوسط، كانوا يعتمدون في أكلهم على التمر وصيد الجراد، لكثرته عندهم، ويخرجون إلى صيده قبل بزوغ الشمس، لأنه لا يطير في مثل هذا الوقت بسبب البرد، فيجمعونه ويدّخرونه كما يدّخر التمر.[1]

ومن الصيد على المشي أن كان بعض الصيادين ينطلقون للجبال والغابات في البرّية، في زمن وضع طائر الحجل للبيض، فيبحثون عن أعشاشه هنا وهناك، فإن عثروا عليه حملوه واستفادوا منه، أو عرضوه للبيع.[2]

ومن هذا الصيد كذلك استعمال البازي والصقر وهما من الطيور الجارحة القوية، ويشير الوزان إلى أن النوع الأول يوجد "بكثرة كاثرة" في افريقيا، بعضه أبيض اللون يصطاد من جبال القفار، ويعتبر الأجود والأغلى، ويستخدم في صيد الكراكي؛ ومنه أنواع أخرى مختلفة منها ما يصلح لقنص السمّاني والحجل، ومنها ما يعتمد عليه في صيد الأرانب.[3]

وبالنسبة للنوع الثاني فقد عني السلطان أبو حمو موسى الثالث المعروف بأبي قلمون (909-923هـ/1503-1517م) بتربية الصقور الجارحة من الجنسين (ذكور وإناث)،[4] وكان الأعراب المقيمون حول تلمسان يقبلون في فصل الرّبيع على صيد جميع أنواع الحيوانات ذات الشّعر والرّيش، واتّخذوا لذلك كلابا وصقورا جيّدة.[5]

وفي نفس السياق تشير بعض النوازل إلى أنّ الصيّادين عرفوا تربية حيوان صائد مهم، وعملوا على تدريبه وتعليمه، ألا وهو: "النّمس"،[6] وكان يستعمل خصيصا

1- **المصدر السابق**، ص:706-707.

2- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:72.

3- الوزان، **المصدر والجزء السابقان**، ص:277-278.

4- **نفسه**، ص:10.

5- **نفسه**، ص:62-63.

6- وهو حيوان: "يأخذ شبها من الكلاب، ومن الهر ومن السّباع، فيما تقتضيه أحكام الكلّ إلا أنه أقرب شبها للهر في المعنى". الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:67.

خصيصا في صيد الأرانب التي تعيش بالمغارات، حيث تغلق جميع أفواه المغارات ولا يترك إلا فوهتين واحـ دة لإدخال الشمس، والثانية يوضع عليها قفص أو كيس، وأثناء عملية ملاحقة الصائد للطريدة تخرج باتجاه القفص، أو يأخذ بمخنقها إلى صاحبه فيقبض عليها.

2- الصيد على الفرس:

بالإضافة إلى الخدمات التي قدمتها الخيل -سبق وأن أشرنا إليها- في وقت السلم والحرب، كانت كذلك ملاذا للصيادين الذين كانوا يقطعون على ظهورها المسافات يطلبون الصيد، أو يطاردونه، حيث تطالعنا إحدى النوازل التي سئل عنها الفقيه أبو الفضل العقباني: "عن رجل له فرس يركبها للصيادة فاصطاد عليها يوما، ..."؛[1] ومن الممكن جدا أنها كانت تستخدم في ملاحقة الحيوانات التي يصعب صيدها على المشي كالنعام الذي أشار الوزان إلى توفر صيده ببلاد المغرب الأوسط، حتى أن بعضهم كان يأخذ فراخ النعام فيربيها ويسمنها ويرعاها في المراعي فاذا بلغت الغاية في ذلك ذبحوها لطعامهم، وباعوا ريشها للتجار،[2] وأشار مارمول أن صيد النعام كان يتم عن طريق ملاحقتها بالخيل، لكن لم يوضح لنا تفاصيل ذلك.[3]

3- الصيد بالفخاخ والشباك:

[1]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:3، ص:153.

[2]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:1، ص: 60؛ مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص: 71.

[3]- لكن ثمة نص بعيد عن فترة الدراسة ويرجع إلى بداية الربع الثاني من القرن التاسع عشر، غير أنه يصف طريقة صيد النعام بدقة، ونعتقد أنها لم تتغير كثيرا إذا قارناها بما أورده مارمول، ولأهمية النص نورده كما هو: "...، يركب (الصياد) فرسه ويأخذ معه الطعام الضروري، كما يأخذ بعض الماء. وهو يسير ببطيء إلى منتصف النهار، وفي هذا الوقت يجتمع النعام في قطعان تبلغ المائة أو تزيد. وبمجرد ما يلمح النعام الانسان يطير هربا منه. ويطارده الصياد أربع ساعات أو أقل. وفي هذا الوقت يكون ركض النعام قد خف من شدة العطش والخوف، أما الصياد فيشرب الماء إذا عطش، وأخيرا ينجح الصياد في القبض على النعامة التي يكون العياء قد أدركها، والتي جفت أحشاؤها من الحرارة، ويضربها الصياد ضربة على رأسها فتسقط على الأرض، ثم ينزل الصياد، من على فرسه ويقطع أوداج النعامة". **نفسه**، والصفحة ذاتها؛ الحاج ابن الدين الأغواطي، **رحلة الأغواطي في شمال افريقية والسودان والدرعية**، تقديم: أبو القاسم سعد الله، **مجلة التاريخ**، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، العدد:13، 1982، ص:74.

لم تشر المصادر الاخبارية وحتى الجغرافية التي بين أيدينا بالقدر الكافي إلى حيثيات استخدام هذه الطرق، ونوع الحيوانات التي توافقها، وتسمياتها وطرق نصبها واقامتها، وأوقات ذلك؛ لكن واقع الحياة اليومية من خلال بعض الأسئلة النوازلية قد ينير بعضا من تلك الزوايا المظلمة.

فبالنسبة للفخاخ فتشير إحدى النوازل إلى تداول بعض الطرق الخاصة بها، والمتبعة في صيد السباع بالمغرب الأوسط، وتتمثل في اتخاذ حفرة يجتمع على حفرها جماعة من الناس في المكان الذي ترتاده السباع، ثم تغطى بشيء للتمويه، فإذا مرت بها السباع سقطت فيها وصَعُب عليها الخروج، حينئذ يقتلها الصيادون قعصا بالرماح ونحوها، ولا شك في أنّ السبب من وراء اقبالهم على بناء الأفخاخ للسباع هو الضرر الذي كانت تسببه لهم من الخوف والهلع وتخطف الماشية وغيرها، وهذا ما تضمنه النازلة: "سئل عن قوم سكنوا بدوار في أرض تخلى عنها أهلها زمانا ولا يرجى رجوعهم وبقيت خالية فأضر السباع أهل الدوار فحفروا فيها حفرة للسباع، ...".[1]

وكانت هذه الطريقة محاطة بكثير من التحفظ، رغم نجاعتها في دفع خطر السباع وصدها، لما كان يترتب عنها من مشاكل وخسائر، حيث كان يسقط في بعض الأحيان البقر أو غيره في الحفر المعدة لصيد السباع فيموت.[2]

أما بالنسبة للشباك فتنمي المصادر عن استخدامها في صيد الطائر الحجل، حيث كان الصيادون يختارون المواضع التي ينتشر بها الحجل ويرعى فيها، فيضربون شباكهم عليها، فإذا حبست الصيد أخذوه ورفعوا شباكهم؛ في بعض الأحيان كان يشترك الصيادون في عملية صيد الحجل، فيأتي هذا بشباكه وهذا بشباكه كذلك، ويتعاونوا فيحرس بعضهم بعضا، ويكون حاصل الصيد بينهم على التساوي.[3]

1- المازوني، **المصدر السابق**، ج:4، ص:127.

2- **نفسه**؛ وينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج:9، ص:556.

3- ابن هلال، **المصدر السابق**، ص:393-394.

وتشير بعض كتب الفلاحة إلى طرق أخرى للصيد يعتمد فيها على خواص بعض المواد والنباتات وتأثيرها على الحيوان، فلصيد الحجل ينصح بأخذ بذر البنج[1] وأصوله وينقع في الماء، ثم يوضع فيه قمح ويطبخ، ثم يؤخذ القمح وينثر في مواضع رعي الحجل، فإذا أكلتها سهل أخذها ولم تقدر على الفرار؛ أما طائر الكُرْكِي فينقع له حب الجرجير[2] في الخلّ ليلة، ثم يلقى في أماكن مبيته، فإذا أكله سَكِرْ وتيسر أخذه.[3] وتنمي بعض النوازل الفقهية عن وجود هذا الشكل من طرق الصيد في المغرب الأوسط فقد سئل عبد الرحمن الوغليسي: "عن من يطبخ القمح فيما شأنه أنه يسكر ويرميه للطير، فإذا التقطه سكر، هل يذبحه في حالة سكره؟ أو لا تعمل الذكاة فيه حتى يذهب عنه السكر؟".[4]

وكان احتراف الصيد يلزم صاحبه معرفة الأحكام الشرعية الخاصة به، خصوصا وأن ما يقع بيده من صيد سيكون طعاما لأهله، أو لمن يبيعهم إياه، لذا ومن خلال بعض النوازل المطروحة في هذا الباب نبه الفقهاء الصيادين إلى تجنب بعض الممارسات التي تجعلهم يقعون في المحظور، كشجّ رأس العصفور قبل ذبحه،[5] أو نتف ريشه حيا؛[6] وأكد الفقهاء على ضرورة تشديد العقوبة على من عرف بهذه الممارسات، التي توجع الطير وغيره، من الصيادين بالضرب والسجن،[7] ولا شك أن

---

[1]- البنج: هو نبات السيكران، وحبّ البنج بذوره. **تحفة الأحباب، المصدر السابق**، ص:10؛ وأنظر: أبي الخير الاشبيلي(ق6هـ)، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تقديم: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1995، ج:2، ص:91، 92، 562.

[2]- الجرجير(Roquette): بقلة. الفيروزآبادي، **المصدر السابق**، ص:389؛ **تحفة الأحباب، المصدر السابق**، ص:12؛ عبد الرزاق محمد بن حمدوش الجزائري، **كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ص:114.

[3]- ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:79.

[4]- المازوني، **المصدر السابق**، ج:1، ص:356؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:2، ص:15.

[5]- **نفسه**، ص:7.

[6]- **نفسه**.

[7]- **نفسه**.

في تشديد الفقهاء للعقوبات حفظ لمكانة الحيوان وتحقيق مبدأ الإرفاق به الذي أقرته الشريعة الغراء، وحرص على تطييب مصادر طعام الناس.[1]

وبالنسبة للصيد البحريّ، فإنّ توفر المغرب الأوسط على شريط من السواحل البحرية على ضفة البحر الأبيض المتوسط، على مجال يمتد من دلس شرقا إلى مصب وادي ملوية غربا، يسَّر على أهله الاشتغال بصيد الأسماك، وساعد تنوع جغرافية هذا الساحل واختلاف تضاريسه على وجود عدد من الموانئ الآمنة التي اتخذت كمراسي للمراكب والسفن للتجارة والصّيد، كما هو الحال في: دلس وتنس وشرشال ومستغانم ووهران وهنين وأرشقول.

ولاشكّ أنّ صّيد السّمك كان مزدهرا بهذه السّواحل، فقد تعود أهل دلس على اصطياد السمك بالشباك، فكانوا يحصلون على كمية كبيرة منه، حتى أنها كانت لا تباع ولا تشترى، بل كانوا يمنحونه على سبيل الهدية لمن يرغبون فيه،[2] ويضيف مارمول أن بساحل هذه المدينة أسماك كثيرة فيصطاد الناس منها كفايتهم، لكنهم كانوا يعيدون ما زاد عن حاجتهم وما لم يقبل الناس شراءه برميه في البحر،[3] وهذا إنما يدل يدل على وجود ثروة سمكية معتبرة، أدت إلى توفير السمك بكميات وافرة وبأنواع مختلفة وبالتالي تحقيق اكتفاء محلي، مما أدى في الأخير إلى سقوط أسعارها في الأسواق، بل أصبحت ترمى في البحر بسبب عدم حاجة الناس إليها؛ وهنا إشارة إلى وجود ثقافة في صيد السمك، تتجلى من عمليات رمي الحوت في البحر، إذ بالإمكان رميه في مكان آخر، وإنما فضل الصيادون ردها إلى مكانها الطبيعي حتى تكون غذاء مسمنا لما سيتم اصطياده مستقبلا، ولعل هذا الذي ساعد على بقاء الأسماك قريبة من السواحل وبكميات كبيرة.

---

[1]- ففي الحديث النبوي عن شداد بن أوس -رضي الله عنه- قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِن اللهَ كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإِذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبحَ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرته، فلْيُرِحْ ذبيحته". مسلم بن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:1547.

[2]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:42.

[3]- **المصدر السابق**، ج:2، ص:372.

أما عن أنواع الأسماك التي كانت تصطادها المراكب، أو الأفراد من الناس، فلم يصلنا عنها إلا نزر قليل، فقد ذكر ابن البيطار أنّ من بين أشهر الأسماك صيداً وطعمةً لدى أهل المغرب السّواحل، سمكٌ يسمّى "القناطة"؛[1] ويعرف كذلك بالسيبيا، ولا يزال هذا النّوع متوفراً بالشّواطئ الجزائريّة خاصّة بمستغانم؛ وآخر يدعى: "العرم"،[2] وهو سمك السّردين المشهور حتّى يومنا هذا، حيث تصنع منه ألوانٌ عديدة من الأطباق التّقليديّة الشّعبيّة. وكانت بسواحل جيجل "الحوت الكثير العدد المتناهي الطيب والقدر"،[3] وانتشر بالقرب من مصبات الأودية والأنهار في البحر المتوسط نوع من السمك يعرف بـ: البوري "حسن اللون طيب الطعم"،[4] ويشتهر الشابل وهو "بقدر طول الذراع لذيذ الطعم حسن اللحم".[5]

أمّا عن الآلات المستخدمة في الصّيد، فتشير المصادر إلى أن العهد الزياني عرف استخدام مجموعة من الأدوات في صيد الأسماك عرفت بـ: "آلة الصيد"،[6] وكانت تضم الشبّاك[7] التي كانت تتّخذ من الخيوط تعقد بعضها مع بعض وتضرب في في البحر ثم يستخرج وقد علقت به أصناف من السّمك؛ والصّنانير،[8] وهي عبارة عن عن قطع حديدية تشبه المسامير المعقفة والمحددة، ومعقود في طرفها خيط طويل،

---

[1]- **المصدر السابق**، المجلد:2، ج:3، ص:47.

[2]- **نفسه**، ص:121.

[3]- **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، مأخوذ من: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي، مطبعة بريل، ليدن، 1863، ص:98.

[4]- **المغرب وأرض السودان، المصدر السابق**، ص:18. هذا النوع متوفر في أيامنا هذه، ويصاد بكثرة على الشواطئ عند التقاء مياه الأنهار العذبة مع مياه البحر، حيث يدخل إلى الأنهار من أجل التكاثر فيصطاد بسهولة.

[5]- **نفسه** ، والصفحة ذاتها. وفي أمثال العوام: "شَابَلْ بإبْزَارْ" إشارة إلى قول الادريسي في لذة طعم هذا النوع من السمك وحسن لحمه. الزجالي، **المصدر السابق**، ص:437.

[6]- الغبريني، **المصدر السابق**، ص:162.

[7]- الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:42؛ القلقشندي، **المصدر السابق**، مجلد:2، ص:145.

[8]- **نفسه**، والصفحة ذاتها؛ التادلي، **المصدر السابق**، ص:322. وتشير بعض الدراسات المتخصصة إلى أن شباك شباك الصيد والصنانير من أساليب الصيد القديمة التي عرفها سكان بلاد المغرب القديم، وتشفع لذلك بعض الآثار التي عثر عليها في بعض المواقع الأثرية بالجزائر والمغرب الأقصى، خاصة الصنانير التي وجد منها أنواع مختلفة. شافية شارن: "الصناعات البحرية القديمة: طرق صيد وتمليح الأسماك ومرق الحوت"، **مجلة دراسات تراثية**، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، معهد الآثار جامعة الجزائر، العدد:2، 2008، ص ص:31-46.

مشدود إلى قصبة أو عمود من الخشب، ويوضع الطعم في رأس الصنارة، ثم يرمى بها في الماء، فإذا قضمت السمكة الطعم علقت بالصنارة، فيتناولها الصياد.

كما استخدم الصيادون في دلس وشرشال وغيرها من الأماكن التي تتوفر على الموانئ الزوارق والسفن،[1] فكانوا يقتحمون بها عرض البحر لصيد مختلف أنواع السمك، ولا شك أن عملية الصيد بالزوق أو السفينة كانت تستلزم عددا معتبرا من اليد العاملة، وهذا ما جعل بعض أرباب الصيد يستأجرون عمالا يعينونهم على رمي الشباك وسحبها وتحريك القارب والتجذيف وغيرها من الأعمال التي تلزمهم.[2]

وفي بعض الأحيان كان بعض الصيادين يشتركون في عمليات الصيد، حيث يأتي كل واحد منهم بشباكه، ويتفقون على العمل وعلى سهم كل واحد منهم من الصيد، وفي أحيان أخرى كان بعضهم يمنحه شباكه لصياد يتصيد بها ويدفع نصف ما يحصده لصاحبها، وتشير إلى ذلك نازلة استفتي فيها أبو القاسم الغبريني[3]: "عن جماعة صيادين يأتي أحدهم بشبكة وآخر باثنين وآخر بثلاث وأكثر، فالذي له ثلاث يأخذ سهمين، والذي له اثنان يأخذ سهما ونصفا ومن له شبكة يأخذ سهما، وقوم يعطون شباكهم لمن يصيد بها بالنصف"،[4] وتضمن جواب المفتي عدم جواز هذه الشركة.

و لم يقتصر الصيد البحريّ في المغرب الأوسط على الأسماك فقط، بل نشط صيد المرجان كذلك، ومن أهم المناطق التي كانت تتوفر على هذه الثروة سواحل مدينة تنس البحرية، حيث أشار ابن حوقل أنّها كانت توجد بها كمّيات تبدو معتبرة،[5] إلا أنّه لم يتعرّض لطريقة صيده والوسائل والآلات المستعملة في ذلك وعدد

[1]- الغبريني، **المصدر السابق**، ص:162؛ الوزان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:34، 42 .
[2]- التادلي، **المصدر السابق**، ص:320.
[3]- هو: أحمد بن أحمد بن أحمد، أبو القاسم، الغبريني: مقرئ، من أهل بجاية ، ولدُ أبي العباس الغبريني مؤلف عنوان الدراية، أخذ عن مجموعة من العلماء كإبن عبد السلام، وأخذ عنه جملة منهم: عبد الله القلشاني، وأبو مهدي عيسى الغبريني، تولى الافتاء بتونس، توفي سنة اثنين وسبعين وسبعمائة(1370م). التنبكتي، **نيل الابتهاج، المصدر السابق**، ص:104؛ عادل نويهض، **المرجع السابق**، ص: 332؛ ابن مخلوف، **المرجع السابق**، ص:224.
[4]- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج:8، ص:189.
[5]- **المصدر السابق**، ص:76.

الأشخاص العاملين في استخراجه من البحر، فضلاً عن الأوقات الملائمة لذلك وعملية التّسويق وكلها قضايا رئيسة من شأنها أن تكشف عن واقع هذه الثروة.

وذكر أيضا أن مرجان تنس أقل درجة[1]- من حيث النوعية – من مرجان مرسى الخزر ببجاية، الذي كان يتوفر على كميات كبيرة، "وهو أجلُّ جميع المرجان، الموجود بسائر الأقطار،... ويقصد التجّار هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات."[2]

لكن الإدريسي لم يفوت علينا فرصة معرفة ذلك، حيث وضّح طريقة استخراج المرجان والوسائل المستخدمة فيه، وبالرغم من خصوصيته بمرسى الخزر، لا نستبعد وجود واعتماد نفس الطريقة من طرف الصيادين في تنس وغيرها من المناطق، كما أن الضرورة العلمية تقتضي منا رفع اللبس والغموض الحاصلين في مثل هكذا قضايا؛ يقول: "ومعدن هذا الجوهر في هذه المدينة مخدوم في كل سنة، ويعمل في كل الأوقات الخمسون قاربا والزّائد والناقص. وفي كل قارب عشرون رجلاً وما زاد وما نقص، والمرجان ينبت كالشجر، ثم يتحجّر في نفس البحر بين جبلين عظيمين، ويُصادُ بآلات ذات ذوائب كثيرة تصنع بالقنب،[3] تدار هذه الآلة في أعلى المراكب، فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال إلى أنفسهم، ويستخرجون منه الشيء الكثير ممّا يباع بالأموال الطائلة وعمدة أهلها على ذلك".[4]

---

[1]- **نفسه**، والصفحة ذاتها.

[2]- **المغرب العربي للإدريسي، المصدر السابق**، ص:153؛ أبو الفداء، **المصدر السابق**، ص:137.

[3]- القنب: "نبات حولي زراعي، ليفي من الفصيلة القنبية، تفتل لحاءُه حبّالا". **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:761.

[4]- **المغرب العربي، المصدر السابق، الصفحة ذاتها**؛ وأنظر: القزويني، **المصدر السابق**، ص:261.

وكان وقت صيد المرجان يتم عادة في فصل الصيف، من شهر ماي إلى شهر أكتوبر، وقد يستمر طول السنة، حيث كان الصيادون يراعون الوقت وحالة البحر، التي قد تصعب من عملية الصيد.[1]

وإلى جانب وجود صيد السمك في المياه المالحة، اشتغل بعض الصيادين بالصيد في المياه العذبة التي تتوفر على ثروة سمكية، فنهر شلف ففي كل سنة من فصل الربيع يظهر فيه نوع من السمك يدعى بـ: "الشهبوق"، طوله ذراع، ولحمه طيب، يقبل الناس على صيده لمدة شهرين، ويرخص ثمنه في الأسواق؛[2] وفي مصب هذا النهر تصطاد كمية وافرة من السمك الجيد، منه كبير وصغير؛[3] وكان وادي يسّر نهرا كبيرا ينبع من جبال الأطلس الكبير، ويجري نحو الشمال، فيصب في البحر المتوسط، وعند هذا المصب تصطاد كمية من السمك.[4]

كما توفرت الأسماك بضواحي تلمسان، فقد كان الحوت بوادي الوريط،[5] وغدير الجوزة،[6] وبوادي التافنة غير أنه قليل وصغير،[7] ولاشكّ أنّ هذه الوديان كانت تستهوي قلوب عشاق الصّيد ومحبّي السّمك. وبوادي زا سمك كثير يصعب صيده بسبب شدة صفاء مائه،[8] أما الوادي الكبير قرب بجاية مليء بالأسماك، لكن سكان المدينة لا يولونه كبير اهتمام، لأنهم يفضلون أسماك البحر عليه.[9]

نستنتج من خلال ما سبق أن شساعة المجال الجغرافي الذي يشغله المغرب الأوسط، وتباين تضاريس أراضيه وأقاليمه المناخية، وتوفره على شريط ساحلي طويل يمتد من دلس إلى واد ملوية، ووفرة الأودية والمياه والغطاء النباتي، كلها

---

[1]- محمد بن عميرة: "الصيد البحري بالسواحل المغربية في العصر الوسيط"، **أعمال الملتقى الدولي حول: الموانئ الجزائرية عبر العصور 7-8 ديسمبر 2008**، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط(جامعة الجزائر)، دار هومة، الجزائر، 2009، ص:386.

[2]- القزويني، **المصدر السابق**، ص:148.

[3]- الوزّان، **المصدر السابق**، ج:2، ص:251.

[4]- مارمول، **المصدر السابق**، ج:1، ص:39.

[5]- ابن الحاج النمّيري، **المصدر السابق**، ص:487.

[6]- **نفسه**، والصفحة ذاتها.

[7]- مارمول، **المصدر والجزء السابقان**، ص:38؛ الوزّان، **المصدر والجزء السابقان**، ص:250-251.

[8]- **نفسه**، ص:250؛ مارمول، **المصدر والجزء السابقان**، ص:37-38.

[9]- **نفسه**، ص:40.

عوامل ألهمت ساكنة المغرب الأوسط العمل في تربية الأنعام والدواب المختلفة وتربية النحل ودود القزّ، واتباع الطرق والتقنيات الفلاحية في ذلك كاختيار السلالات الطيبة وانتاج الأعلاف الخضراء واليابسة؛ وساعدت على ممارسة الصّيد بكلّ أصنافه البرّي والبحري والنهري، ومن خلال المصادر تم تقديم معطيات هامة جدا، استوقفتنا على حجم الانتاج الذي بلغ كميات تجاوزت في بعض الأحيان حاجة البلاد، وأصبحت توجه إلى الأصقاع والأقاليم والبلاد المجاورة.

وقد ساهم هذا الانتاج في كثير من الأوقات في تيسير ظروف المحتاجين والفقراء بسبب انخفاض أسعار المواد التي تكدست في الأسواق خاصة اللحوم والآدم والألبان والأجبان، والجلود والأصواف والأوبار والأشعار والحرير، والعسل والشمع والسمك، فعاشوا أياما طيبة بسبب ذلك؛ ونشطت الأسواق والتجارات وكثرت المعاملات واستأنفت الصناعات والحرف وزادت الأرباح، فارتفعت لذلك عائدات الدولة من الضرائب، فباشرت المشاريع العمرانية التحصينية والتعليمية والدينية، ورتبت الجيوش وجهزتها وعقدت الأحلاف وأمضتها.

لكن كان يصيب هذا النشاط ما يصيب الفلاحة من آفات وأمراض ومجاعات وكوارث طبيعية وحروب وحرابة وغيرها، لما له من صلة وثيقة ومباشرة بها، فتراجعت أحواله بتراجع أحوالها، وانعكس ذلك على الانتاج فنقص واشتد الوضع على البلاد.

الخاتمـــــة

الخاتمة:

بعدما تعرضنا لواقع الفلاحة بالمغرب الأوسط على العهد الزياني تبين أن هذا النشاط كان سمة العصر، وقد ساهم بقسط وافر في بناء اقتصاد الدولة، وقدمت خدمات جمّة وجليلة لأفراد المجتمع الزياني.

الفلاحة في المغرب الأوسط هي تواصل لعمل قديم حظي بالاهتمام والتعلق كونه حرفة انتاجية عرفتها مجتمعات بلاد المغرب القديم بأدوات بسيطة، كما عرفتها مجتمعات العالم الإسلامي فيما بعد بوسائل أحدث وأنجع، فهي إلى حد بعيد نشاط العامة والمستضعفين من الناس بالدرجة الأولى، كما شغلت بال المياسير من الناس وأرباب المال والوجاهة والمناصب، وحتى السلاطين والولاة وغيرهم لم يكونوا بمنأى عن هذا التوجه، فهي أكبر مورد يفعم خزائنهم بأصناف المال، ومصدر يملأ أهراءهم ومطاميرهم بالأقوات المتعددة لوقت الرغب أو لزمن المسغبة والحرب.

وقد أولت مصادر الشريعة السّمحة خاصة القرآن الكريم والحديث الشريف وبعض الأثار هذا النشاط اهتماما بالغا، بالدعوة إليه والتدليل على فوائده وعوائده؛ ووقفنا من خلال النصوص التاريخية على حجم الاشتغال بهذا النوع من المعاش على عهد الدولة الاسلامية وصدر الاسلام حيث اهتم فلاحو هذا العصر بحرث وإعداد الأرض والعناية بالزروع ثم الحصاد والتخزين ومعالجة الآفات والأمراض، ثم تصنيع المزروعات، وبرعوا في تخير الأرض ثم استنباط المياه لأنها أساس العمل الزراعي.

وقد عمّت الظاهرة البلاد الإسلامية خاصة بعد اِتساع رقعتها على اثر حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب، حيث عرفت البلاد الجديدة خاصة بلاد المغرب في الفترة الممتدة بين القرن الخامس والسادس الهجريين(9- 10م)، وعلى الوجه الأغلب، اِعتماد سكانها سواء أصحاب البوادي والحواضر اِعتمادا كبيرا على الفلح والزرع.

وقد لمسنا هذا النوع من الاهتمام –خلال الفترة محل الدراسة- عند مختلف الشرائح الاجتماعية من عوام الناس والفقراء، وصل في بعض الأحيان إلى فئات من المستوى العالي كالسلاطين وبشكل ملفت للانتباه العلماء والزهاد أو المتصوفة؛ بل إن بعض العلماء كان يحث الناس على العمل بالفلاحة، ويذكر بفضلها على صاحبها وعلى الناس وعلى الحيوان.

ولمكانة النشاط في الحياة الاقتصادية للدولة الزيانية فقد بذل سلاطينها قصارى جهدهم في توفير الاستقرار والأمن عبر ربوع المغرب الأوسط، وخاضوا لذلك الحروب والحملات المتكررة، فتارة يجابهون الحفصيين للمحافظة على الجهات الشرقية وتوسيع المجال نحو بجاية، وتارة يردون غائلة المرينين أو يغزونهم، كما كان عليهم في كثير من الأوقات محابة القبائل المناوئة لحكمهم كبني توجين ومغراوة، بالإضافة إلى كسر شوكة القبائل العربية التي كانت تنقض عصا الطاعة كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وهنا كان الزيانيون دائما مقابل الأمن وحفاظا على مناطق نفوذهم وكرسي حكمهم، وأمام حاجتهم لهؤلاء كأحلاف في الحرب كانت تشري وردهم بإقطاعهم مجالات واسعة من الأراضي وتقليدهم مهام جبايتها، وامتاعهم بالمال والمراكب والأقوات.

كما عبرت السلطة عن تسامحها مع الفلاحين، ومع من تتحرك فيهم عروق إحياء الأرض الموات، فلم تكن تنكر على من استولى على أرض فأحياها، بل كان السلاطين والولاة يحبون ذلك لما فيه من المصلحة وإعمار للأرض، وكانوا يكتفون بضرب بعض الضرائب الخفيفة على ذلك.

ولم يكن لهذا النشاط أن يشهد انتشارا في بيئة المغرب الأوسط على العهد الزياني، لولا تظافر جملة من الامكانيات والعوامل كتوفر الأراضي الزراعية والسهول الواسعة والمروج والمراعي، وتعدد مصادر المياه، والأمن والاستقرار، ووجود أيدي عاملة نشيطة.

ومن خلال المعطيات المقدمة تأكد أن الفلاح في العهد الزياني قد أدرك أصناف التربة وخواصها، واستخدام الكثير من الطرق لاختبار مدى جودتها ورداءتها؛ كما أشارت النصوص إلى أشكال وكفيات تملكه للأراضي الفلاحية في هذا العصر، كما كان على اطلاع بطرق استغلالها، ولعل النماذج المقدمة في هذا السياق تقف دليلا على ذلك.

كما تأكد أن الفلاح الزياني استخدم أهم الوسائل والتقنيات التي استخدمها أقرانه وفلاحوا عصره في البلاد المجاورة في العمل وتهيئة التربة والري، وقد وضحت المصادر جانبا حقيقيا وواقعيا عن اضطلاعهم بأساسيات النشاط الفلاحي لا سيما الحرث ومراحل تهيئة التربة، واتخاذ وبناء آلات الري كالسواني والنواعير والخطارات وبناء السدود والمواجل والجسور والقناطر، ومد القنوات والسواقي والمصارف، اتخاذ ألات العمل اليومي كآلات الحفر والقطع والنشر والزبر والتركيب والحرث، وإقامة البيادر أو الأندر للدرس الحبوب وتخزين التبن، وبناء الأهراء وحفر المطامير لتخزين الحبوب وغيرها؛ الأمر الذي ساعده على التحكم في أساليب الحرث والغرس والري، وقد انعكس ذلك بالإيجاب في كثير من الأحيان على الانتاج كمًّا ونوعا.

أثمرت جهود الفلاحين على العهد الزياني كثيرا، فمعظم مناطق المغرب الأوسط كانت توفر الكثير من المنتوجات الضرورية كالحبوب والبقول والمقاثي والباقلاء والفواكه والثمار؛ بالإضافة إلى محاصيل أخرى كانت تنتجها الطبيعة ويستفيد منها المجتمع؛ هذا رغم كل الظروف الصعبة التي كانت تحول في كثير من الأحوال بينهم وبين أداء أعمالهم الفلاحية على أكمل وجه لا سيما في فترات الكوارث الطبيعية والحروب وغيرها من العوامل المؤثرة التي كانت تكبدهم خسائر بالجملة في أنفسهم وممتلكاتهم وعيون غلاتهم.

فرضت الدولة الزيانية الضرائب على الفلاحين، وقننتها برسوم معينة تحدد كل سنة، ورتبت لها جهازا إداريا تابعا لديوان الأشغال يشرف على تحصيلها، ومنها

الخراج، ووجيبة الأرض، وضريبة نصف الأثمن، بالإضافة إلى الحقوق الشرعية من الزكوات والأعشار. وكانت الضرائب المحصلة من هؤلاء تنفق في إقامة المشاريع العمرانية والاجتماعية والعسكرية التي كانت تقوم بها الدولة، واستوقفتنا بعض النصوص المقتضبة جدا على مواساة الدولة لهم في بعض الأحيان بالأعطيات والصدقات، أو بتخفيف وطأة بعض الضرائب وإلغاء بعضها الآخر.

ولم يكتمل نشاط فلاح الزياني إلا بالعمل في تربية الأنعام والدواب المختلفة وتربية النحل ودود القزّ، واتباع الطرق والتقنيات الفلاحية في ذلك، فاجتهد في اختيار السلالات الطيبة، وسهر على انتاج الأعلاف الخضراء واليابسة؛ فكثر انتاجه للسوائم والدواجن والدواب، فاشتهرت مدن عديدة بوفرة انتاجها، بل إن بعضها كان متخصصا في شعبة منها حتى عرفت بها كالخيل الراشدية نسبة لمربيها بنو راشد.

وإلى جانب الفلح والنتاج في الأنعام والدواب، شكل الصّيد بكلّ أصنافه البرّي والبحري والنّهري، مجالا للعمل يكمل بقية النشاطات الفلاحية من أجل التّمعش، ودفع مضار الحيوانات البرية عن الحقول والزراعات، والترفيه عن النفس، ومن خلال المصادر المتاحة تم تقديم معطيات هامة جدا، تشير إلى حجم الانتاج الذي بلغ كميات تجاوزت في بعض الأحيان حاجة البلاد، وأصبحت توجه إلى الأصقاع والأقاليم والبلاد المجاورة.

إن الانتاج الذي كانت تقدمه المزارع والضياع والبوادي بالمغرب الأوسط، ساهم في كثير من الأوقات في تنامي الحياة الاقتصادية بصفة عامة، وتحسين ظروف المحتاجين والفقراء، ذلك لأن الاكتفاء الغذائي الذي كان يحدث في بعض الفترات ساعد على انخفاض أسعار المواد التي تكدست في الأسواق، خاصة اللحوم والآدم والألبان والأجبان، والجلود والأصواف والأوبار والأشعار والحرير، والعسل والشمع والسمك، فعاش الناس خلالها أياما هنية.

كما ساهمت هذه الوفرة في اتساع الأسواق والتجارات وكثرت المعاملات ونشاط الصناعات والحرف وازدياد الأرباح، مما أدى إلى تضاعف عائدات الدولة

من الضرائب، فباشرت المشاريع العمرانية التحصينية والتعليمية والدينية والسياسية والعسكرية.

ولكن رغم كل الملاحظات المتقطعة التي كان يبديها الجغرافيون وحتى الرحالة في بعض الأحيان حول القضايا الفلاحية في المغرب الأوسط على العهد الزياني بصفة عامة، إلا أن ما كان يصيب البلاد من الضعف والوهن واللاأمن، بسبب تراجع ظل الدولة عن القاصية وانحصار سلطتها داخل المدن في أوقات كثيرة، وكثرة الحروب، وتوالي السنين والآفات والأمراض والمجاعات والكوارث طبيعية وغيرها، كل ذلك كان ينعكس بدرجات مختلفة على الفلاحين فتسوء أحوالهم، وتتعطل أعمالهم، فيقل الانتاج وينقص القوت الذي عليه حياة الناس، ويشتد وضع الدولة لقلة الجباية.

ينحصر البحث في النهاية عن تراث ثقافي مادي غزير، لا تزال بعض صوره الصادقة قائمة في أريافنا وبوادينا اليوم، تحتاج إلى من يستلهم من تجاربها التي حفظها التلقي لأجيال؛ لا سيما في زمن أضحى فيه الرجوع إلى طرق الانتاج الطبيعة ضرورة أكثر من ملحة.

الملاحـــــق

الملاحق

1- ملحق: أنواع التربة من خلال
كتاب زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغنري.

نوع التربة / الأرض	صفاتها:	تستصلح بـ:	تصلح لزراعة:
السوداء	- لطيفة الأجزاء. - سريعة التفتت.	- القليل من الزبل (فضلات الحيوانات).	- ينجح فيها أصناف الحبوب. - شجر الزيتون.
الأرض الصلبة (الطينية)	- أرض علكة مجتمعة الأجزاء. - لا تنحل بخدمتها. - لا يتخللها الهواء.	- التعهد بالزبل.	- متوسطة للحنطة إذا أجيدت عمارتها. - جيدة للكروم.
الأرض المملوحة	- مالحة. - لا خير فيها.	/////	- تنجب النخل.
الأرض المسبخة	- كثيرة التعفين (الخمج).	/////	- لا تطول مدة الشجر بها إذا غرس.
الأرض المرملة	- اذا كان رملها في وجهها وباطنها تربة حسنة.	- تنقية كبار الحصى. - الدمن الكثير. - العمارة الجيدة.	/////
	- إذا كان وجه الأرض ترابا والباطن رملا فشر أرض وأخبثها.	- تعميق حُفَرِ الغراسة. - التعهد بالزبل والعمارة.	- لا تطول بها أعمار جميع الشجر.

- الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك الغرناطي، **زهرة البستان ونزهة الأذهان**، تحقيق: محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر الجديدة- مصر، 2005، ص ص: 87-90.

2- ملحق: ظهير زياني لفائدة الأندلسيين اللاجئين إلى تلمسان (677-679هـ).

"هذا ظهيرُ عنايةٍ مديدُ الظلال، وكرامةٍ رحيبة المجال، وحمايةٍ لا يُخشَى على عقدهَا المبرَم وعهدهَا المُحكم من الانحلال والاختلال، أمر به – فلان – أيّدَ الله أمرَه، وأبّدَ عصرَه، لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان – حرصها الله – أحلّهُمْ به من رعْيه الجميل أكنافا، وبوَّأهُم من اهتمامه الكريم جنّاتٍ ألفافا، ووطّأ لهم جنابَ احترامه تأنيسًا لقلوبهم المنحاشة إلى جنابه العليّ واستيلافا، وأشاد بما له فيهم من المقاصد الكرام، وأضفى عليهم من جُنَنِ حمايته ما يدفع عنهم طوارق الاضطهاد والاهتضام، حين اختبر خِدمتهم فشكروا ما تولوا فيها من الجدّ والاجتهاد، واطّلع على أغراضهم السّديدة في اختيارهم حضرته السّعيدة للسُّكنى على سائر البلاد، فلحَظ لهم هذه الثنّية واعتبرها، وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة وآثارها، وأذِنَ لهم وامن شاء من أهل تلمسان البلديين في كذا، ...".

- عزاوي أحمد، **المغرب والأندلس في القرن السابع(13م): دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن الخطاب**، ربَا نات، الرباط، الطبعة الأولى، 2008، ص:159.

3- ملحق: أنواع السرقين.

السماد/الزبل	الترتيب درجة النفع للنبات	خواصه وشرط استخدامه	طريقة العمل فيه	تصلح به
الرجيع (العذرة)	الأفضل	– حار ورطب. – لـه تـأثير علـى بعـض الآفـات التي تصيب شجر السفرجل. – يستخدم اذا قدم، وعتق، وفنيت بعض رطوبته. – يجيد بطول المدة. – يذهب الدود من الأرض إذا خلط بالرماد.	– يستخدم مفردا في كل الغلات. – في حال توقف النبات عن النمو واصفراره. – يخلط بماء السقي أثناء الإرواء. – يستخدم جافا في الغلات التي يطول مكثها. – يخلط مع غيره من الزبول وماء الحمامات في حفر ويضاف له الرماد.	– جميع الشجر والحبوب. – المقاثي والقرع اذا احترقت واصفرت.
زبل ذوات الأربع من الخيل والبغل والحمير.	الثاني	– حار يابس.	– اذا برد هذا الزبل حتي يتعفن ومر عليه عام كان جيدا.	– كل بقل ضعيف، ونبات خفيف. – الياسمين، الريحان، الأترج، وأكثر الشجر.
زبل الغنم	الثالث	– حار يابس أكثر. – مصلح جدا عظيم النفع، كبير التأثير.	– تزبيل الغنم في الحقول بالمبيت ثلاث ليال. – تزبل الأرض في شهر يناير وأفريل ومارس. – يجمع هذا الزبل في زمن الصيف من دور البوادي بعرا وغبارا وكيف ما تيسر، ويخزن إلى وقت الزراعة.	– كبير التأثير في الزرع وفي جميع المستغلات.
زبل الحمام	الرابع	– أشد حرارة ويبسا. – يمنع الآفات التفاح عند الغراسة. – يذهب الدود الذي يصيب شجر التين.	– اذا استعمل على القانون.	– يصلح به الزيتون. – التفاح.

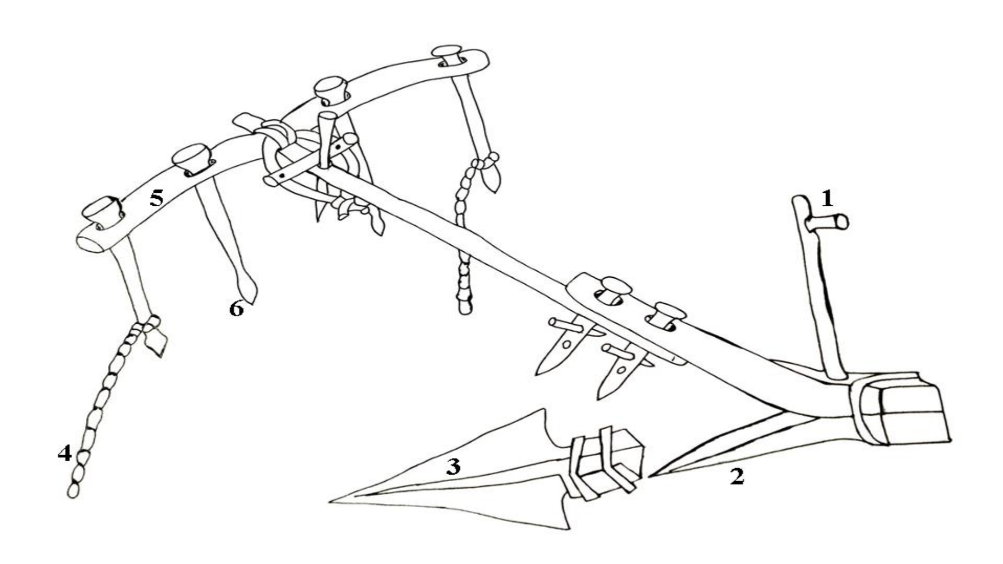
زبل البقر	الخامس	– بارد رطب. – طول مدته لتفنى رطوبته.	– لا يزل به منفردا. – يضاف إليه التبن والماء.	///////
التبن	السادس	– غير معفن.	– تبن الفول والقمح والشعير.	– تصلح به الكروم. – يذهب ملوحة الأرض المالحة.
كناسة الأفران	السابع	– رماد.	– تزبل به الأشجار المثمرة ليمنع ثمارها من السقوط.	– الأترج، التفاح، الإجاص.

- الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك الغرناطي، **زهرة البستان ونزهة الأذهان**، تحقيق: محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر الجديدة- مصر، 2005، ص ص: 87-103.

- ابن الحجاج الاشبيلي، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق: صلاح جرار، وجاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1982، ص:10.

- ابن ليون التجيبي أبو عثمان، **كتاب ابداء الملاحة وانهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة**، مخطوط بمكتبة مدرسة الدراسات العربية بغرناطة (***la biblioteca de la Escuela de Estudios Árabes de Granada***)، اسبانيا، رقم:A/5/14¯2˚، ص:8.

4- ملحق: ماعون الحرث.[1]







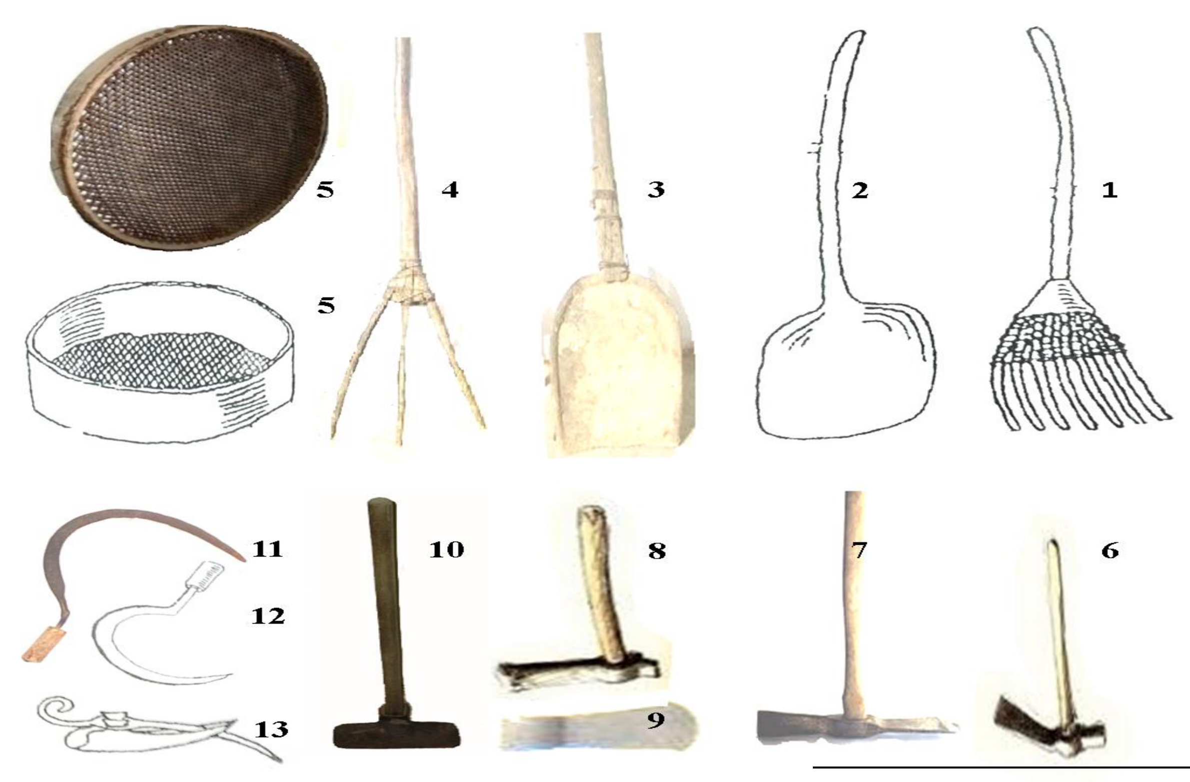
زوج حراثة من الثيرة. **زوج حراثة من الحمير**

[1]- تم اعادة رسم هذا الشكل من طرف الباحث. ينظر: منى حسن علي حدود: "عوامل ازدهار الفلاحة في جبل نفوسة (ق 2-4هـ/8-10م)"، **حوليات آداب عين شمس**، المجلد: 41، ابريل-يونيه 2013، ص:193.

شرح مكونات المحراث:

- رقم 1: **المقبض**: يتحكم به العامل في حركة المحراث، وبه يزيد الحارث في عمق الحرث بالضغط عليه. الفرسطائي، **المصدر السابق**، ص:447.
- رقم 2: **العود**: وهو نصل خشبي يشبه السكة ويحرث به في بعض الأحيان مباشرة دون إلباسه السكة الحديدية. **نفسه**، ص:442.
- رقم 3: **السكة**: وهي نصل حديدية تثبت على العود لتعميق الحرث وقلب التربة وقطع النباتات الضارة. **نفسه، والصفحة ذاتها**.
- رقم 4: **الحبل**: يربط به الثور المستخدم في جر المحراث. **نفسه**، ص: 445.
- رقم 5: **المضمدة**: وهي خشبة تجعل على أعناق الثيرة لقرنها في محراث واحد، وتسمى أيضا المقرن، وتدعى الثيرة المقرنة بالمضمدة والحبال بالزوج. **نفسه**، ص: 439.
- رقم 6: **القلم**: يوجد بالمضمدة أربعة أقلام تساعد على قرن الثيرة بعيدة عن بعضها البعض لمنع الاحتكاك الذي قد يؤذيها. **نفسه، والصفحة ذاتها**.

5- ملحق: أدوات فلاحية مختلفة.[1]



[1]– التعريف بالأدوات الفلاحية:

- رقم 1: **مـذراة**: أداة كثيرة الأسنان، تتخذ من الخشب الصلب، وتستخدم في تذرية الحبوب بعد درسها. مـنى حسن علي حدود، **المقال السابق**، ص:192.
- رقم 2: **رفـش**: تصنع على شكل قطعة واحدة من خشب البلوط أو الجوز، يذرى بها الحب مرة ثانية لتصفيته مما بقي به من تبن وغيره. **نفسه**.
- رقم 3: **رفش خشبي**: نموذج حقيقي أثري محفوظ بإحدى متاحف ولاية سطيف.
- رقم 4: **مذراة خشبية**: نموذج حقيقي أثري محفوظ بإحدى متاحف ولاية سطيف.
- رقم 5: **غربال أو منخل**: يستخدم لنخل الشوائب من الحب نهائيا قبل تخزينه.
- رقم 6: **قادوم**: من أدوات الحفر، تستخدم في نقش الغلال من النباتات الضارة، أو في الغراسة، وهي أصغر من المسحاة.
- رقم 7: **فأس**: تتكون من نصلين، نصل للحفر ونصل للقطع.
- رقم 8: **فأس**: تتكون من نصل واحد تستخدم للقطع أو الاحتطاب.
- رقم 9: **نصل فأس**: المبين في الشكل رقم: 8.
- رقم 10: **مسحاة**: تستخدم في السقي وفي كنس السواقي والمصارف، كما تستخدم في حرث مساحات البسيطة، وفي الغرس كذلك.
- رقم 11: **منجل**: يستخدم في حصاد الحبوب.
- رقم 12: **منجل صغير**: يسمى عند فلاحي عصرنا بـ: المْنِيْجْلَة، وهي تصغير لكلمة منجل.
- رقم 11: **الإصبع**: يصنع من القصب، ويلبسه الحصّاد في اليد التي تلي الزرع حت لا يؤذيها المنجل أثناء حصده للسنابل، وتعرف منذ زمن بعيد باسم الصّبّاعية، أو الصّباعيات.

6- ملحق: تقنيات السقي وجرّ المياه ورفعها.

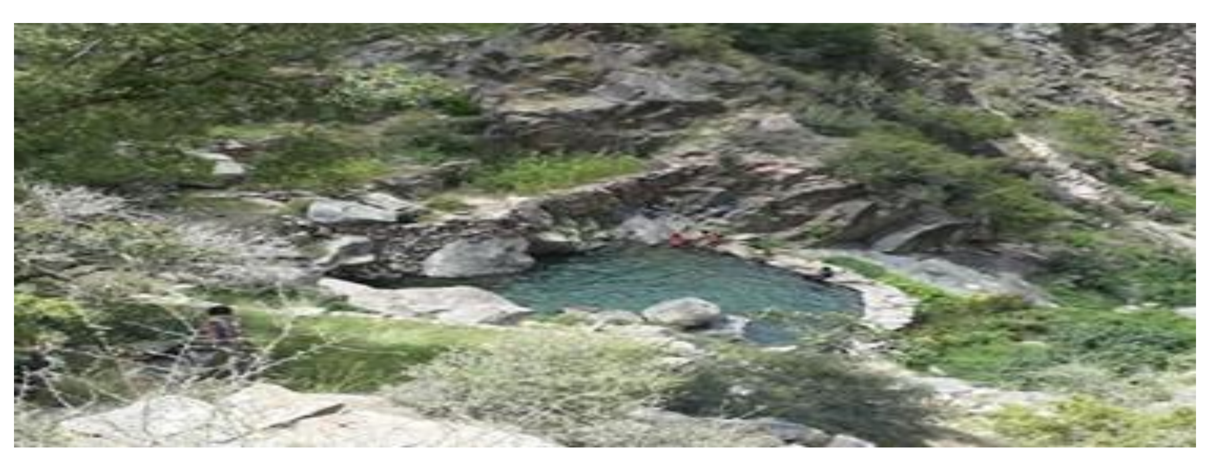


مجموعة من القواديس.[1]

[1] – القواديس كانت توصل فيما بينها –كما هو موضح في الصورة الثانية– عن طريق نوع من الملاط فتشكل مجتمعة قناة أو سربا، وتستخدم في جلب المياه أو صرفها، وقد تكون القناة في بعض الأحيان ظاهرة فوق سطح الأرض إذا رفعت على الجسر أو القنطرة في المناطق ذات التضاريس الوعرة، أما السرب فلا يظهر إلا عند موضع تدفق الماء للسقي.







مواجل مفتوحة لتجميع المياه في قمم الجبال وسفوحها وشعبها.



ماجل مغلق لتجميع ماء المطر.



ماجل منزل (صفاقس، تونس)





ماجن تجميع المياه القادمة من الفقارة بالصحراء الجزائرية.



قنطرة رومانية لتوصيل المياه إلى قرطاج تونس.



جسر يحمل قناة بتومار، البرتغال.

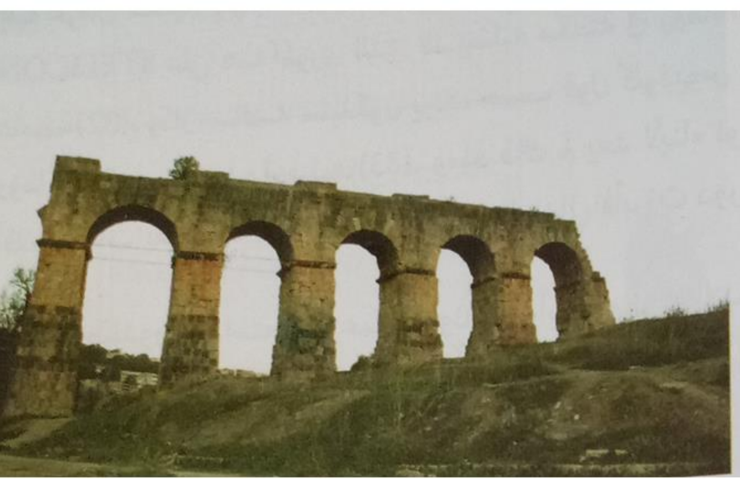
أثار قديمة بقسنطينة والمسيلة حول تقنية القناطر والجسور.[1]



بقايا قناة ناقلة للمياه من السد المقام على وادي القصب نحو مدينة زابي (بشلقة) الواقعة قرب المسيلة الحالية، ونرى خلف القناة القديمة قناة نقل مياه حديثة.



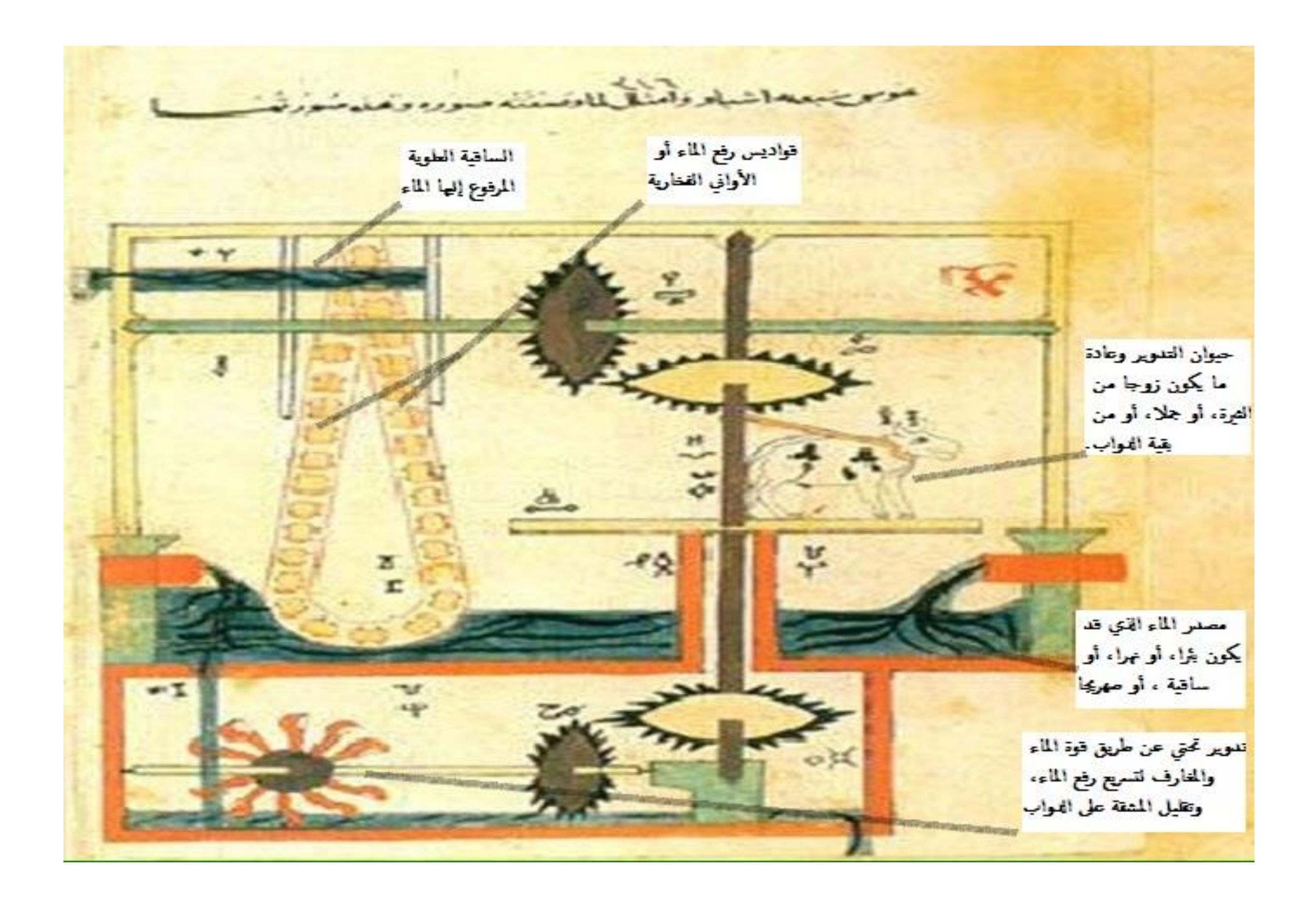
جزء من القناة الناقلة المذكورة آنفا نلاحظ مجرى الساقية يشق السور الحامل وهو مبني بالإسمنت والحجارة المكورة المستجلبة من مجاري الوديان لصلابتها لما تخلط بالإسمنت.



الجزء المتبقي من الحنايا الحاملة لقناة المياه نحو مدينة كرطا (قسنطينة).

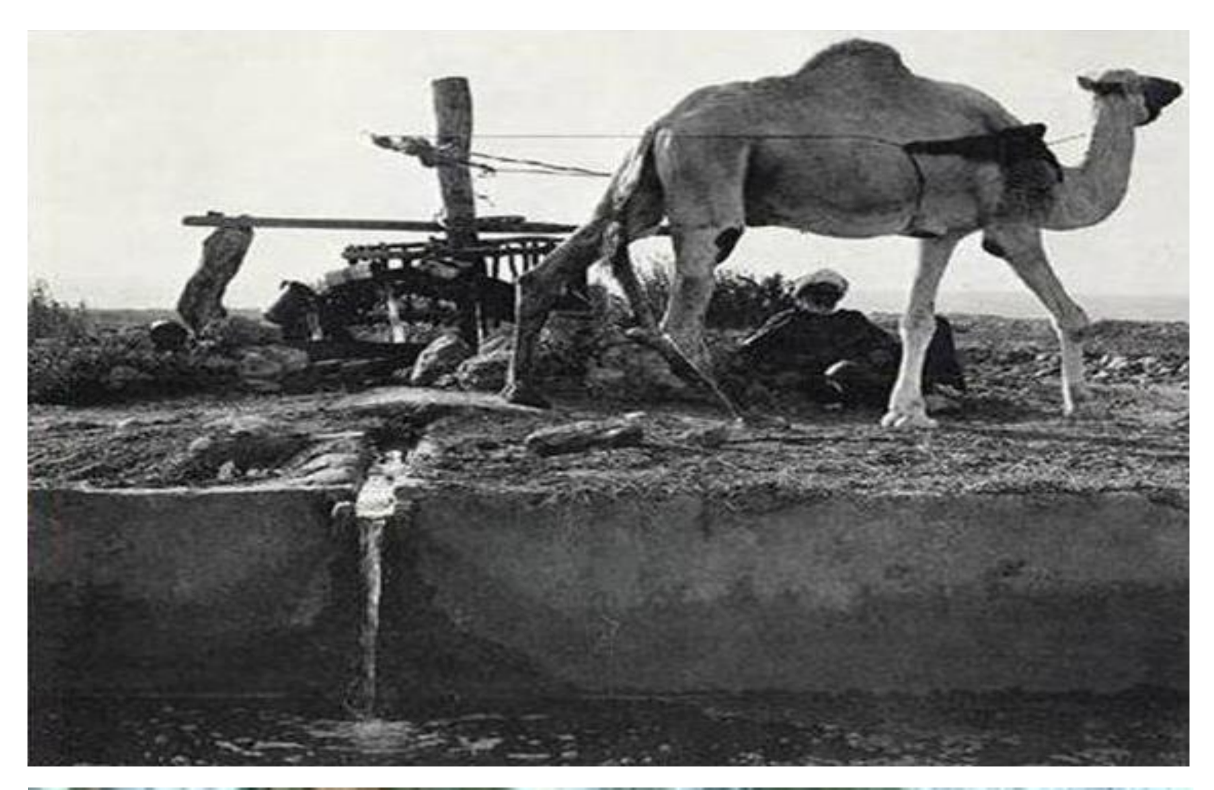
[1] – بسبب غياب الدليل المادي حول تقنية القناطر والجسور ببلاد المغرب الأوسط في الفترة محل الدراسة، حاولنا إعطاء تصور تقريبي عن وجود التقنية في الفترات السابقة للعصر الاسلامي(العهد الروماني)، ولعل الآثار المقدمة من خلال الصور تؤدي الغرض. محمد البشير شنيتي، **الجزائر: قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د. ط، 2013، ص: 231، 233.

مخطط هندسي لآلة السانية.



- ابن الجزري أبو العزّ بن اسماعيل، **الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**، مخطوط، معهد التراث العلمي العربي، حلب-سوريا، دون رقم، ص:122. (التعاليق على الصورة من وضع الباحث).

صورة واقعية لآلة السانية.





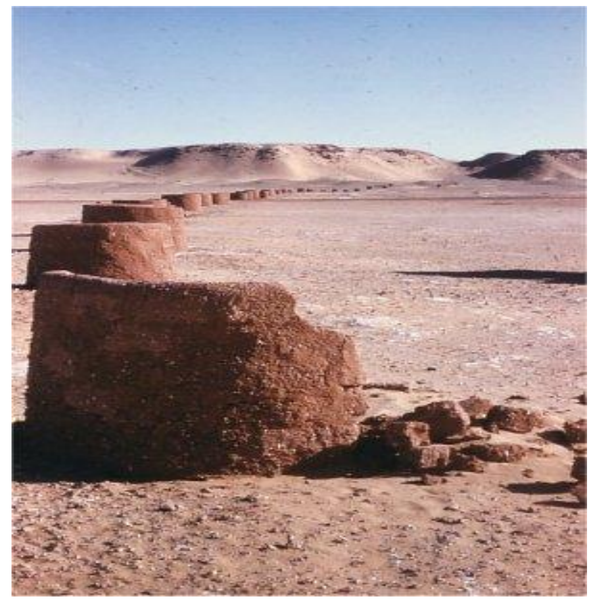
ألة رفع الماء الناعورة.[1]



ناعورة.[2]

[1] – ناعورة ذات عجلة كبيرة لرفع الماء لمستويات عالية ولمسافات قد تكون طويلة. التعاليق على الصورة من وضع الباحث.

[2] – ناعورة ذات عجلة صغيرة لرفع الماء لمستويات قريبة من مستوى النهر.



فقارة - سلسلة الآبار مبنية الحواف(ولاية أدرار).



مدخل الفقارة (أنفاذ) قصر بوزقزاد(ولاية أدرار).



بئر فقارة من الأعلى.





مدخل الفقارة (أنفاذ).

تلخيص تقنية السقي بالفقارة.[1]

التراب المستخرج من عملية الحفر والكنس

أبار الفقارة

منبع الفقارة الرئيسي

منفذ الفقارة

ساقية الفقارة

قناة الفقارة

الفرشاة المائية

القصرية

مشط توزيع الأنصبة

الأنصبة

النصيب أو الشرب نحو الساقية الخاصة بالمالك

نحو الماجل أو الماجن

عبر الساقية نحو الحقل أو غلال

الخطارة (الشاذوف) بزاوية كرزاز ولاية بشار.





[1] – الصورة والتعاليق من عمل الباحث، بالاستناد إلى أوصاف الفقارة لدى بعض الجغرافيين والرحالة والباحثين.



الشاذوف (مصر).





الغَرْبُ بولاية غرداية.

7- ملحق: الشقفة.[1]

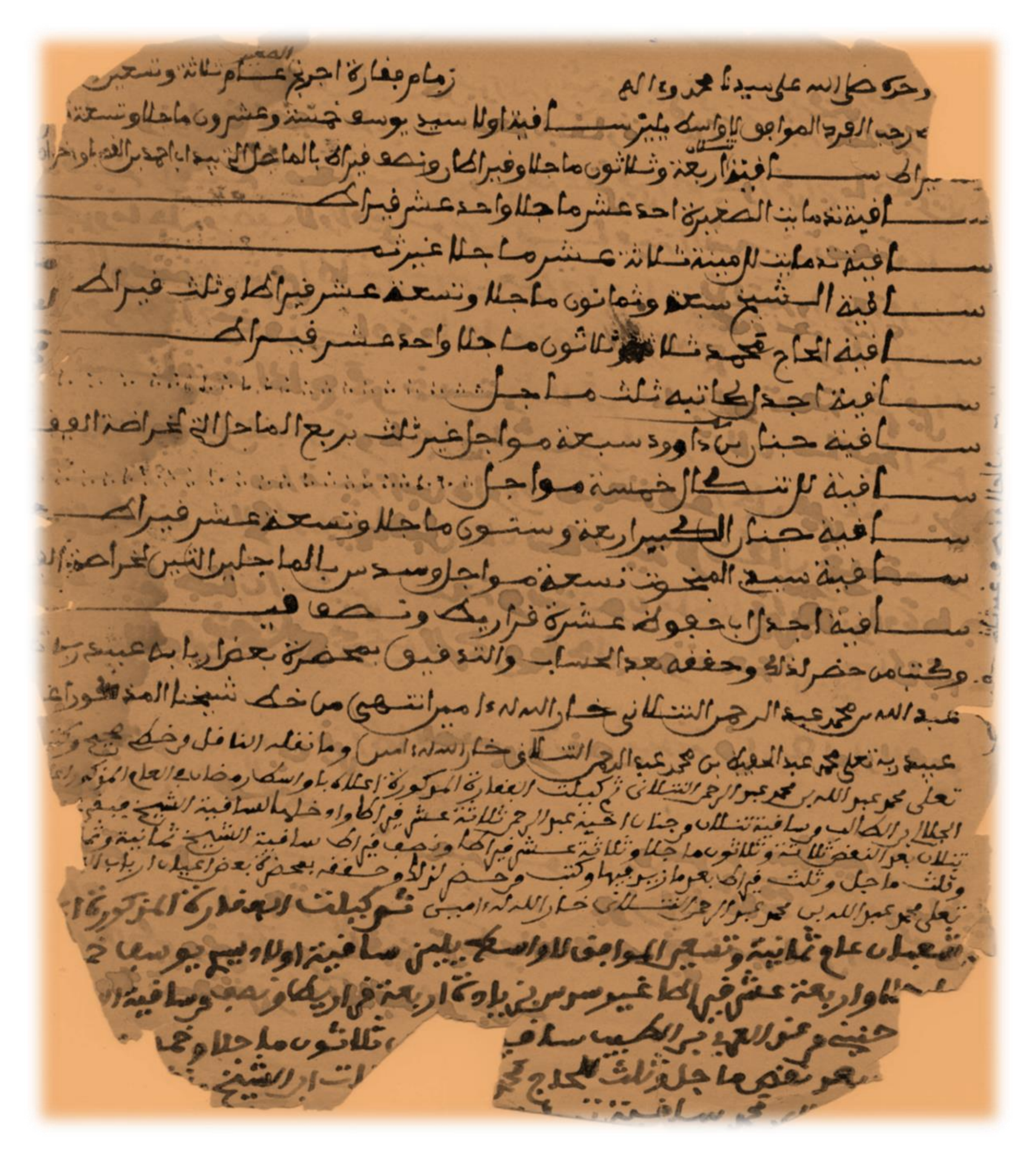




[1]- الشقفة أو الحلافة: هي عبارة عن صفيحة من نحاس أو من حديد تحتوي على ثقوب غير متساوية في صفين، وتمثل هذه الثقوب وحدات قياس مختلفة كالحبة والقيراط وغيرها، يدعى الشخص الذي يشرف على قياس أنصبة الماء بالكيّال، ويقيم الكيال هذه الآلة على ساقية الفقارة لمعرفة كمية الماء المتدفقة منها، ثم يحدد عن طريق ما يسمى بالقصرية (أو مشط التوزيع) لكل مالك حظه الفعلي من الماء، ويوجهه إلى ساقيته الخاصة به. الصور أعلاه تخص شقفة كيّال قصر بوزقزاد بزاوية كنتة. التقطت الصور في 21 مارس 2013. وينظر: قندوسي سعدية: "الفقارات: نظام وآلية توزيع المياه الجوفية"، **مجلة العلوم الاجتماعية**، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط-الجزائر، العدد: 13 / جويلية 2015، ص:76.

.

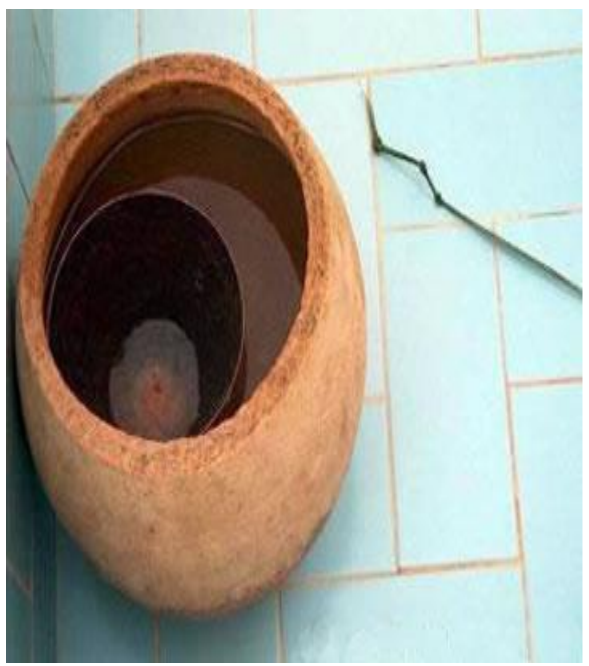
8- ملحق: زمام.



- صفحة من مخطوط زمام (سجل أنصبة ملاك الفقارة من المياه) فقارة أجرنج (أو أقرنيج كما يتداولها أهل أدراد)، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار. وينظر: وسيلة علوش، **الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها، مهشآتها، استغلالها، من القرن 1هـ إلى نهاية القرن 6 هـ**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2012-2013، ص:152.

9- ملحق: الساعة المائية:





الساعة المائية تناست(المغرب).

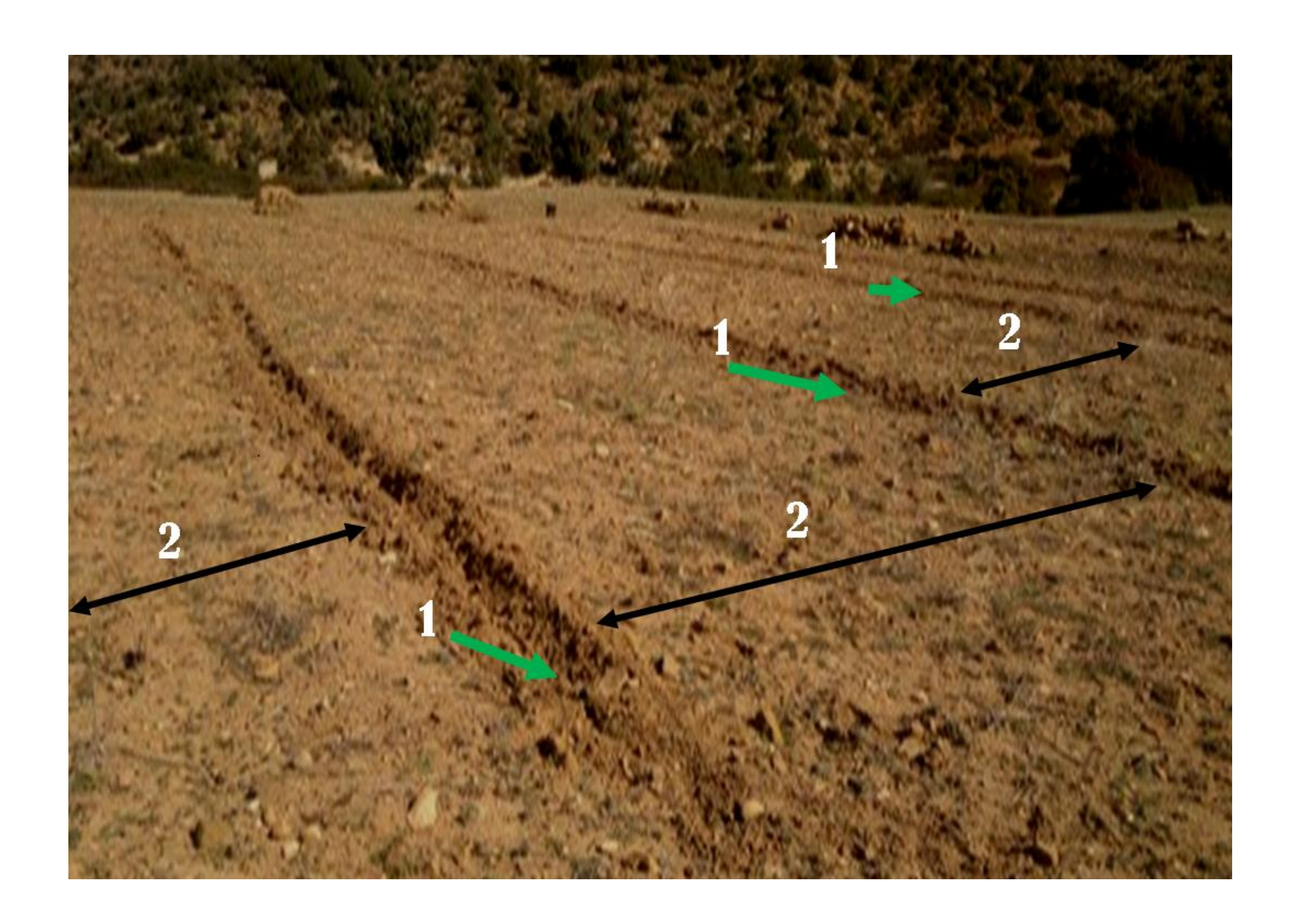
الساعة المائية (ايران).

–مصادر الصور:

- httpwww.hydriaproject.infoarabiccasesmoroccowater_works.html

httpscommons.wikimedia.orgwikiFileAncient_water_clock_used_in_qanat_of_gonabad

10- ملحق: تمطير الأرض.



- توضح الصورة عملية تمطير الأرض قبل بذرها:

- رقم1: خطوط تحديد، أو علامات.

- رقم2: المسافة المتروكة بين الخطوط، يبلغ عرضها مجال رمية يد من البذور من اليمين إلى اليسار، أو يزيد إذا تولى البذر أكثر من شخص واحد.

11- ملحق: الحصاد.

عملية الحصاد بالمنجل.



حزم سنابل الشعير والقمح بعد حصدها.



جمع الأغمار في حزم كبيرة وربطها بالحبال.



أغمار مكومة من أجل النقل.



نقل أغمار الزرع من الحقل إلى البيدر.

12- ملحق: عملية الدَرْسُ.



مسكن مجهز ببيدر أو أندر.

بيدر به محصول يُنتَظر جفافه ليدرس.





درس الزرع بالحيوانات في البيدر.



تذرية الزرع وتصفيته من التبن.





تصفية الزرع وغربلته وكيله.

13- ملحق: تخزين التبن.

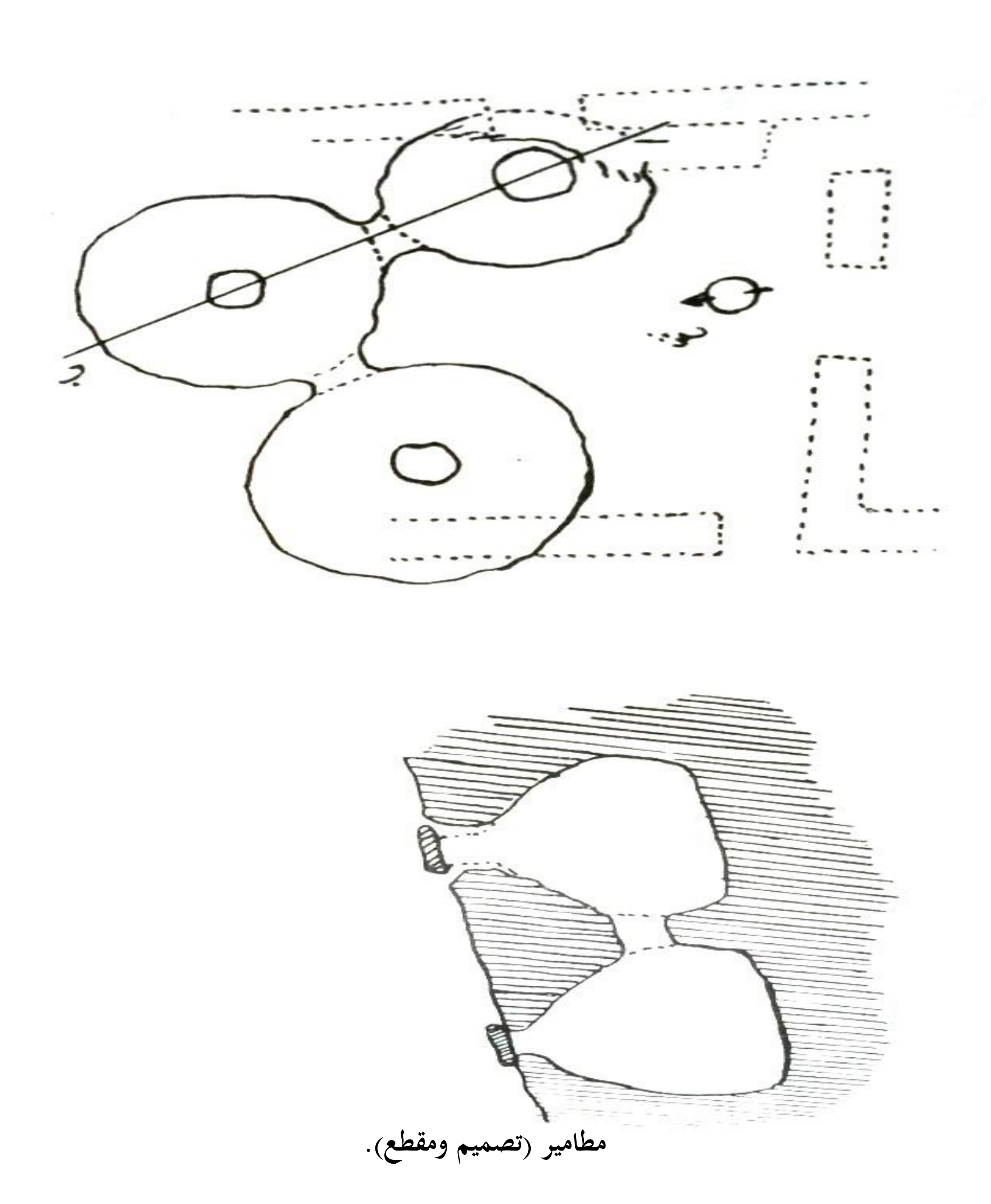






تبن مخزن في أندر بأشكال هندسية مختلفة.

14- ملحق: طرق تخزين الحبوب.



مطامير (تصميم ومقطع).

- Lucien GOLVIN, ***Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad***, Maisonneuve et Larose, Paris, 1965, fig: 21, p.81.

- رشيد بوروييبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، الشكل:4، ص:138.



فم مطمورة من الأعلى (محفورة حديثا)

مجموعة مطامير على ربوة (قديمة)



مجموعة مطامير على ربوة بسفح جبل (غير مستغلة وقديمة).

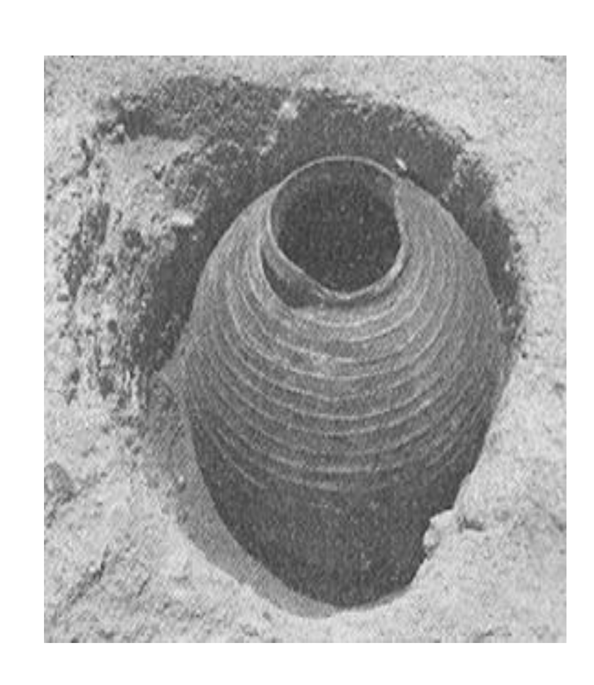


مجموعة مطامير على مرتفع في حالة نشاط، والمطامير مملوءة بالحبوب ومختّمة.

15- ملحق: تخزين التمر.



خابية مدفونة تحت الأرض لتخزين التمر والحبوب (بالمناطق الصحراوية).



زير أو خابية مدفون تحت الأرض.



جرّة.

16- ملحق: رزنامة الأعمال الفلاحية خلال السنة.

الشهر	الأعمال	الأحداث	المصدر
يناير	- من أوله إلى أربعين يوما تغرس الأشجار، وهو أجود ما يكون من الغرس. - يغرس البصل المتخذ للزريعة. - التركيب في البلدان الحارة. - الزبر أو الكسح. - تزبيل أصول الشجر المثمر.	- أول ليلة منه تسمى العجوز أو الحاجوز(تفصل بين السنة والسنة). - في العشرين منه تنقضي الليالي السود.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:64.
فبراير	- ينقل فيه الغرس الذي بلغ سنتان. - تغرس أغصان شجر التفاح والآس والريحان. - تغرس فيه الكروم والشجر كله.	- فيه يفرخ النحل.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:64.
مارس	- يغرس قصب السكر. - يزرع القطن والعصفر. - نصب الشجر. - تحرث الكروم ويقلب ما يكون تحت الشجر وتنقى أصولها.	- يورق الشجر. - يتوالد دود الحرير. - ويظهر السمّان. - ويدب الجراد.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:64.
أفريل نيسان	- تزرع الحناء والحبق والدلاع والخيار.	- تهب في نصفه ريح تعرف ب: "شراق التفاح" يخاف منها على كثير من الفواكه. - في الثامن والعشرين منه يدخل النيسان(وهي سبعة أيام ثلاثة منه وأربعة من ماي). - يظهر النحل.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص:64-65.
ماي	- فيه يحفر الزيتون والعنب. - يجمع الخشاش وزريعة الشبث والبابونج والكرفس وحب الرشاد. - يقلع الكتان. - تسقى فيه الكروم سقيتين.	- يظهر باكور التفاح وعيون البقر والمشماش. - يفرخ الطاووس.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 65.
جوان	- يحفر الجوز. - يسقى الشجر. - تيبس الفاكهة.	- العنصرة في يوم الرابع والعشرين منه. - يظهر فيه البطيخ وباكور العنب.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:18؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 65.

جويلية	- يحصد القمح. - تمشيق أصول الكرم خفيفا. - يجمع السانوج.	- في اليوم الثاني عشر منه تدخل السمائم(وهي الهواجر أربعون يوما). - يطيب العنب والتفاح والاجاص ويعقد الفستق.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:19؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 65.
أوت غشت	- يزرع الفول الخرفي، والجزر والسلق. - يجمع السمان وبزر الخشخاش. - سقي العنب الذي لم ينضج بالغداة.	- في يوم العشرين منه تخرج السمائم. - يظهر باكور العناب والرطب والرمان.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:19؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 65-66.
سبتمبر	- يحفر قصب السكر. - يجمع حب الريحان. - يلقط الجوز.	- في اليوم الرابع عشر منه تشتد الرياح.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:19؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 66.
أكتوبر	- الحرث في اليوم السابع عشر منه. - يجمع الزيتون وبزر الخس والبصل.	- تضع الغنم حملها.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:19؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 66.
نوفمبر	- يجمع البلوط ونوار الزعفران. - تقلب الزريعة. - يغطى الأترج والياسمين كي لا يضرها الجليد. - حرث وتزبيل الكروم. - الزبر. - نصب الكروم في الأرض الحارة.	- تنقطع بقول الصيف وتظهر بقول الشتاء. - يعقد الفول الخرفي.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:19؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 66.
ديسمبر	- يغرس الثوم والقرع والباذنجان. - نصب الكروم في الأرض الباردة. - قطع خشب البناء. - يقلع الجمّار.	- في ليلة الثاني عشر منه تدخل الليالي(40 ليلة). - يطيب الأترج. - ينور اللوز.	- الصفاقسي، **المصدر السابق**، ص:19؛ ابن الحجاج، **المصدر السابق**، ص: 66.

17- ملحق: الحروب الزيانية والمرينية والحفصية وآثارها على النشاط الفلاحي.[1]

السلطان	الحملة		النتائج	المصدر
	المكان	التاريخ		
يغمراسن بن زيان (633-681هـ)	توجين ومغراوة	639هـ	- سامهم سوء العذاب والفتنة، وجاس خلال ديارهم وتوغل في بلادهم، وغلبهم على الكثير من ممالكهم، وشرّد ولاتهم وأشياعهم ودعاتهم، ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم وثقل عسفهم وجورهم.	- ابن خلدون، **العبر، المصدر السابق**، مجلد:7، ص:167.
	تافرسيت بالمغرب الأقصى	657هـ	- فانتسفها وعاث في نواحيها.	- **نفسه**، ص:173.
	سجلماسة	662هـ	- دخلها بمساعدة قبائل المنبات. - فضبطها وعقد عليها لابنه يحي، وبقيت بيده إلى سنة 673هـ.	- **نفسه**، ص:175-176.
	بلاد مغراوة على بني منديل	بين 668-672هـ	- استغلظ عليهم يغمراسن. - وأمكنوه من مليانة وتنس على اثني عشر ألفا من الذهب.	- **نفسه**، ص:137.
	بلاد توجين	680هـ	- غلبهم على الضاحية، وخرب عمرانها.	- **نفسه**، ص:180-181.

[1]- الهدف من هذا الملحق أو الجدول هو تقديم معطيات تاريخية تسلط الضوء على حجم الخسائر والأهوال والفوضى التي كانت تسببها الحروب للفلاحين وغيرهم، حيث كان يصحب هذه الحملات عمليات الحصار والنهب والغصب والتخريب في المدن والبوادي والجبال، وكانت المحاصيل تنتسف وتكتسح وتحرق، وكانت المغارم الثقيلة تفرض، وفي بعض الأحيان كان الناس يخرجون عن بيوتهم إلى العراء أو يسجنون، وبالتالي تتوقف عجلة الانتاج بسبب انعدام الأمن والطمأنينة وذيوع الفوضى، وهو ما يؤدي حتما إلى نقص الأقوات، فترتفع الأسعار بسبب الاحتكار، فينتشر لذلك الجوع والمجاعات، ويستحكم الموت في الناس خاصة الفئات الضعيفة. ولم نذكر كل الحملات العسكرية بل اقتصرنا على ذكر النماذج الضافية بالقرائن الموضحة للغرض بالنسبة للدول الثلاث(الحفصية والزيانية والمرينية).

	مغراوة	681هـ	- استغلظ يغمراسن عليهم. - واسترد تنس بعد أن نكث ثابت بن منديل العهد.	- **نفسه**، ص: 138.
أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681- 703 هـ)	بلاد مغراوة وتوجين ومتيجة	686هـ	- دوّخ قاصيتها، وانتسف نعمها، وخطم زروعها.	- **نفسه**، ص: 190-191.
	توجين	686هـ	- فاكتسح حبوبها واحتكرها بمازونة.	- **نفسه**، ص:191.
	بنو يدلتين من توجين	687هـ	- دوخ بلادهم. ودخلوا في طاعته، وألزم هؤلاء رعاياهم وأعمالهم المغارم له.	- **نفسه**، ص:191.
	توجين ومغراوة	687هـ	- ردّد الغزو عليهم حتى غلبهم على ما بأيديهم، وملك المدية.	- **نفسه**.
	توجين ومغراوة	693هـ	- زحف إليهم واستولى على أمصارهم وضواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم إلى الجبال.	- **نفسه**.
أبو زكرياء يحي بن أبي حفص صاحب افريقية	تلمسان	صفر 640هـ	- نزلها في عسكر عظيم مع عبد القوي بن العباس التوجيني وأولاد منديل من مغراوة وأحياء زغبة وأحلافهم من العرب. - وأقام فيها النهب يوما وليلة. - قتل فيها النساء والصبيان واكتسحت الأموال. - ثم نادى لأهلها بالأمان.	- ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية، المصدر السابق**، ص:61؛ ابن الشماع، **المصدر السابق**، ص: 59؛ ابن خلدون، **العبر**، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:165-166.
يعقوب المريني	واد سلي	15 رجب		- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**،

(-685هـ)	وجدة	670هـ	- هدم وجدة وجعل عاليها سافلها، وتركها قاعا صفصفا، وحاصر بعدها تلمسان، واستولى على جميع على جميع ما بخارجها من القرى والضياع والفواكه والثمار والزروع.	ص:132؛ ابن الأحمر، **روضة النسرين، المصدر السابق**، ص:60.
محمد بن عبد القوي أمير بني توجين	تلمسان	670هـ	- ضيق على تلمسان في جيش كثيف ثأرا على ما أصابهم من يغمراسن. - فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا قوت يوم بتلك الجهات، عدا السدرة والدوم. - وهدم مدينة البطحاء.	- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص:132، 173.
يوسف بن يعقوب المريني (685-731هـ)	تلمسان	689هـ	- قطع شجراءها، ونصب عليها المجانيق والألات.	- ابن خلدون، **المصدر السابق**، مجلد:7، ص:194.
	تلمسان	698-706هـ	- حاصرها وبنى مدينة عليها، وسرح عساكره في نواحيها، فاستولى على مليانة وتنس ومازونة. - دام الحصار ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام، حتى مات من أهل تلمسان مائة عشرين ألفا قتلا وجوعا، وغلت الأسعار غلاء فاحشا. - انتهى الحصار بمقتل السلطان المريني على مشارف تلمسان بمدينة المنصورة.	- **نفسه**، ص:139-196؛ يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج:1، ص:201-211؛ التجاني، الرحلة، المصدر السابق، ص:197-198.

أبي خالد البقاء ابن أبي زكرياء صاحب بجاية.	متيجة	707هـ	- لاسترجاع الجزائر.	- ابن خلدون، **المصدر السابق،** مجلد:7، ص:141-142.
أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني (710-731هـ)	تلمسان	714هـ	- دخل بلاد بني عبد الواد فاكتسح نواحيها واضطلم نعمتها، وقاتل وجدة قتالا شديدا، ثم عطف على تلمسان فلم يستطع اقتحامها، فغلب على معاقلها وضواحيها فحطمها حطما وانتسفها نسفا، ودوخ جبال بني يزناسن وأثخن فيهم.	- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج:3، ص: 104-105
أبو زيان محمد (703-707هـ) وأبو حمو موسى الأول (701-718هـ)	بلاد مغراوة	آخر ذي الحجة 706هـ	- احتاز الثغور. - ودوخ قاصيتها.	- ابن خلدون، **المصدر السابق،** مجلد:7، ص201.
	السرسو	706هـ	- أخرج العرب الذين استولوا على هذا السهل من سويد والديالم.	- **نفسه**، ص:202.
أبو حمو الأوسط موسى بن عثمان (701-718هـ)	المغرب الأوسط	بداية من 707هـ	- استولى على المغرب الأوسط، وملك تافركينت، مليانة، المدية، تنس.	- **نفسه**، ص:141.
	توجين تافركينت	710هـ	- فشرد الفلّ. - وأخذ منهم الرهن على الطاعة والجباية.	- **نفسه**، ص:204-205.
	متيجة والجزائر	712هـ	- فدوخ متيجة من سائر نواحيها. - وضيق على الجزائر حتى مسّ أهلها الجهد.	- **نفسه**، ص:209.
	الثغور الغربية من عمل	712 هـ وما بعدها	- شارك في الحملة عسكر ضخم بالاضافة إلى عب الدواودة وزغبة. - الحملة كانت عبر طريق الصحراء	- **نفسه**، ص:212-213.

	الموحدين		- ففعلوا الأفاعيل كل فيما يليه فاستباحوا وأضرموا واكتسحوا سائر ما مروا عليه.	
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718-737هـ)	الشرق	719هـ	- أغار على أحياء رياح فاكتسح أموالهم.	- **نفسه**، ص:221.
أبو الحسن المريني (731-752هـ)	تلمسان	735هـ	- حاصرها حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا إليهم. - وسرح كتائبه إلى القاصية من كل جهة فتغلب على الضواحي. - ومحى دولة آل زيان، وجمع كلمة زناتة، إلى غاية نكبته على القيروان صدر سنة 749هـ.	- **نفسه**، ص:227، 228، 143.
أبو ثابت الزياني (749-753هـ)	قبلة وانشريس	ربيع سنة 751هـ	- تتبع أثار العرب وشردهم. - وأحياء حصين فأطاعته.	- **نفسه**، ص:248.
	وطن حمزة	751هـ	- دوخها واستخدم قبائلها من العرب والبربر.	- **نفسه**، ص:248.
	مغراوة	752هـ	- حاصرهم بمعقلهم، فاشتد عليهم الحصار، وأصاب مواشيهم العطش، فانحطت دفعة واحدة من أعلى الجبل تطلب المورد.	- **نفسه**، ص:251.
أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) ووزيره عبد الله بن مسلم	وطاط وبلاد ملوية وكرسيف	منتصف سنة 761هـ	- حطموا زروعها وانتسفوا أقواتها وخربوا عمرانها.	- **نفسه**، ص:261.
أبو زيان محمد بن عثمان حافد أبي	تلمسان	765هـ	- يطلب ملكها من أبي حمو موسى الثاني.	- **نفسه**، ص:262-266.

تاشفين ابن أبي سعيد عثمان				
أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ)	دبدو كرسيف	766هـ	- انتهب أبو حمو الزروع وشمل بالتخريب والعيث سائر النواحي.	- **نفسه**، ص:267.
	بلاد الديالم	770هـ	- فانتسفها والتهمها وحطم زروعها ونهب مداشيرها.	- **نفسه**، ص:274.
عبد العزيز المريني (767-774هـ)	تلمسان	عاشوراء 772هـ	- استولى عليها.	- **نفسه**، ص:276.
جيوش مرين بقيادة ونزمار بن عريف والوزير أبو بكر بن غازي	قصور بني عامر ربا وأبي سمغون	772هـ	- فانتهبوها وخربوها وعاثوا فيها. - بسبب موالاتهم لأبي حمو موسى الثاني.	- **نفسه**، ص:277؛ يحي ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج:2، ص: 376.
سلطان تونس (أبي عمرو عثمان الحفصي) (839-893هـ)	بلاد ريغ في تقرت	20 ذي الحجة 869هـ	- سار إلى بلاد ريغ فهدم سور بلد تقرت وألزم أهلها مالا. - ثم قدّم على وركلة عاملا وأخذ منها ومن بلد ميزاب مالاً جليلا.	- الزركشي، **تاريخ الدولتين، المصدر السابق**، ص:156.

18- ملحق: حيوانات الصيد:



الوعل البري يشبه الماعز البري.	الغزال من نوع غزال الريم، ما يزال في بعض جهات بلادنا على حواف الصحراء.	اللمط بالصحراء الكبرى، كانت تصنع منه الدرق اللمطية.
طائر الحجل متوفر إلى يومنا هذا عبر ربوع الوطن.	طائر السمان متوفر إلى يومنا هذا عبر ربوع الوطن.	طائر الكركي (منه 15 نوع أو أكثر) متوفر إلى يومنا حول البحيرات ومجمعات المياه.
	حيوان النمس (ابن عرس، ابن مقرض) تصطاد به الأرانب في بلادنا إلى اليوم. طائر الشقراق (الوروار آكل النحل) متوفر إلى يومنا هذا عبر ربوع الوطن	
	صور لبيازين يصطحبون معهم مجموعة من البواز وكلب صيد (سلوقي) (الصور تعود لسنة 1900م) (الجلفة- حاسي بحبح) *https://bayazira.org/association/*	

بيبليوغرافيا البحث

البيبليوغرافيا:

❁ القرآن الكريم.

❁ كتب الحديث النبوي :

- الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988.

- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

- ابن حنبل أحمد أبو عبد الله الشيباني ت241هـ، **كتاب المسند**، شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995، ج:11.

- الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، **كتاب المسند الجامع المعروف بـ: سنن الدارمي**، تقديم: نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2013.

- الشنقيطي محمد حبيب الله، **زاد المسافر فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**، مصر، 1969، ج2.

- ابن ماجة أبو عبد الله بن محمد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تخريج وعناية: صدقي حسين العطار، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم**، دار الحديث، القاهرة، 2013.

- مسلم النيسابوري القشيري أبو الحسين ابن الحجاج (ت 261هـ)، **صحيح مسلم**، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1991م.

أ- المصادر المخطوطة:

1- ابن الأعرج التلمساني، **زبده التاريخ وزهرة الشماريخ**، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط- المغرب، رقم: 20.

2- ابن البيطار العشاب ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، **كتاب الطب**، مخطوط، المكتبة الملكية الدانمركية *(Det Kongelige Bibliotek)*، الدانمارك، الرقم:*CXIV*. رابط النسخة الرقمية: *http://www.kb.dk/permalink/2006/manus/7/ara/*

3- التجيبي ابن ليون أبو عثمان، **كتاب إبداء الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة**، مخطوط بمكتبة مدرسة الدراسات العربية بغرناطة (*la Granada biblioteca de la Escuela de Estudios Árabes de*)، اسبانيا، رقم:2ˆ¯A/5/14.

4- ابن الجزري أبو العزّ بن اسماعيل، **الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل**، مخطوط، معهد التراث العلمي العربي، حلب-سوريا، دون رقم.

5- ابن خنتاش المسيلي أبو محمد، **نهاية المرام في تيسير مطالعة الأحكام**، مخطوط بمكتبة المدينة المنورة: مكتبة المسجد النبوي الشريف، دون رقم.

6- الركراكي أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن(ت 1063هـ)، **الأجوبة**، مخطوط بمكتبة جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، قسم الفقه المالكي، رقم: 2ر217/أ.ر.

7- الزرهوني (محمد العربي بن الهاشم)، **تحفة السائل الراغب في بيان الحكم في سكر القالب**، مخطوط، ضمن مجموع تحت رقم: 4738.

8- أبو زكرياء يحي التلمساني، **اللمع في الفقه**، مخطوط بالمكتبة الأزهرية(وقف على رواق المغاربة)، جامع الأزهر، جمهورية مصر العربية، رقم: 314856.

9- الصفاقسي علي بن أحمد بن محمد، **كتاب الكَبلة** (انتهى من تأليفه سنة 958هـ)، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية (Sur le titre de: ***Portulan de la Mer Méditerranée***)، رقم: N°: ARABE2278/1517 A IV.

10- أبو عمران الفاسي، **المسائل الفقهية**، مخطوط بجامعة متشغن، الولايات المتحدة الأمريكية، القسم العربي، رقم:IL411a/77.

11- الفشتالي أبو عبد الله محمد(ت777هـ)، **الوثائق (الفائق في الوثائق)**، مخطوط مكتبة الملك عبد العزيز العامة، رقم: 648خ. (النسخة الرقمية بموقع المكتبة الرقمية العربية: ***http://kadl.sa/Default.aspx***).

12- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد، **النوازل**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الحامّة - الجزائر، قسم الفقه، رقم:1243.

13- مؤلف مجهول، **مناقب أحمد بن يوسف الراشدي الملياني(ت933هـ)**، مخطوط، قسم المخطوطات: مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدر البيضاء-المغرب، رقم: ذ 1457.

ب- المصادر المطبوعة:

14- ابن آدم يحي القرشي (ت 203هـ)، **كتاب الخراج**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار المعرفة، 1979.

15- ابن الأحمر إسماعيل (ت807هـ)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد-الظاهر(مصر)، الطبعة الأولى، 2001.

16- // ، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 2003.

17- الإدريسي الشريف السبتي، **أنسُ الـمُهَجْ وروضُ الفُرج**، تحقيق: الوافي نوحي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2007.

18- الإصطخري أبو إسحاق، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، 1961 المجلد:4.

19- الأصمعي ابن قريب أبو سعيد عبد الملك(ت 216هـ)، **كتاب الإبل**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2003.

20- الإفراني محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، 2004.

21- البرزلي أبو القاسم، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (المعروف بـ: فتاوى البرزلي)**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.

22- ابن بشكوال، **كتاب الصّلة**، نشر: عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955، ج:2.

23- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، نشر: خوسيه مارية مياس بيكروسا ومحمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تيطوان-المغرب، 1955.

24- أبو بكر بن عاصم، **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (المعروف بمتن العاصمية)**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1928.

25- البكري أبو عبيد، **المسالك والممالك**، تحقيق: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.

26- // ، **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

27- البلوي خالد بن عيسى، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق(الرحلة الحجازية)**، تحقيق: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب.
28- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 2004.

29- ابن البيطار العشاب ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت646هـ)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، دار الصّادر، بيروت، د. ت.
30- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، مقتطف من كتاب: **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.
31- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد(675-717هـ)، **رحلة التجاني**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981.
32- التجيبي ابن رزين، **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان**، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1984.
33- التجيبي ابن عبدون محمد بن أحمد، **رسالة في الحسبة**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، مجلد:2.
34- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، **الحسبة في الإسلام – أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د. ط، د.ت.
35- الثعالبي النيسابوري أبو منصور عبد الملك (ت429هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، 2003.

36- الجركسي محمد بن أحمد بن اياس الحنفي، **نبذة من: نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، تقديم: ل. لنقلاس، مطبعة أمبريال، باريس، د. ت.

37- ابن الجزار أبو جعفر ابراهيم (ت369هـ)، **زاد المسافر وقوت الحاضر**، تحقيق: محمد سويسي، الراضي الجازي وآخرون، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، شركة أربيس للطباعة، تونس، الطبعة الأولى، 1999.

38- // ، **طب الفقراء والمساكين في التداوي بالأعشاب**، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006.

38- ابن جُزَي محمد بن أحمد الغرناطي (ت741هـ)، **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية**، تحقيق: ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2013.

39- ابن الحجاج الاشبيلي، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، د. ط، 1982م.

40- الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983.

41- الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، 1986.

42- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977.

43- الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984.

44- ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992.

45- ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، تقديم: خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة، دمشق، 1999.

46- الخزاعي علي بن محمد ابن سعود(ت 789هـ صاحب الأشغال السلطانية لدى أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني 737-753هـ)، **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة الثالثة، 2010.

47- ابن خلدون عبد الرحمن(ت 808 هـ)، **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1979.

48- // ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.

49- // ، **رحلة ابن خلدون**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 2009.

50- ابن خلدون أبو زكرياء يحي، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980، ج:1.

51- // ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق : بوزياني دراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2007، ج:2.

52- خليل ابن اسحاق المالكي(ت769 أو776هـ)، **المختصر في فقه الامام مالك**، تعليق: طاهر أحمد الزاوي، دار الفكر، د.م، د.ط، د.ت.

53- أبو الخير الشجار الأندلسي(ق6هـ)، **كتاب في الفلاحة**، نشر: التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس- المغرب، د.ط، 1357هـ.

54- أبو الخير الاشبيلي(ق6هـ)،**عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تقديم: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1995، ج:2.

55- الداودي المالكي أبو جعفر أحمد بن نصر (ت402هـ)، **كتاب الأموال**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

56- الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي (ق 6هـ)، **الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها**، تحقيق: محمود أرناؤوط، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1999.

57- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، دار الحديث، القاهرة-مصر، د. ط، 2008.

58- ابن رشد الجد أبو الوليد محمد(ت520هـ)، **الفتاوى**، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1987، ج:1.

59- // ، **المقدمات الممهّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدوّنة من أحكام الشّرعيات**، دار صادر، بيروت، ط. ج، د. ت.

60- // ، **كتاب المسائل**، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، مطبعة النجاحالجديدة، الدار البيضاء –المغرب، الطبعة الأولى، 1992، المجلد:2.

61- ابن رشد الحفيد أبو الوليد القرطبي (ت595هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة السادسة، 1982، ج:2.

62- الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت894هـ)، **شرح حدود ابن عرفة**، تحقيق: محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

63- ابن رضوان المالقي أبو القاسم (ت783هـ)، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق: علي سامي النشار، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، 1984.

64- الزركشي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،** تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1966.

65- الزّجالي أبو يحي (ت:694هـ)، **أمثال العوام في الأندلس،** تحقيق: محمد بن شريفة منشورات الدولة المكلفة بالشؤون والثقافة والتعليم الأصلي، دون تاريخ، القسم الثاني.

66- الزناتي أبو عمران موسى بن أبي علي (ت:706هـ)، **كتاب الإحكام لمسائل الأحكام،** تحقيق: أحمد إيد موسى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2017.

67- ابن زنجويه حميد بن مخلد (ت:251هـ)، **الأموال،** تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، 1986.

68- ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،** تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2010.

69- الزياني أبو حمو موسى الثاني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك،** مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1279هـ.

70- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى (ت:685هـ)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،** تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة-مصر، الطبعة الرابعة، 1990.

71- // ، **كتاب الجغرافيا،** تحقيق: حماه الله ولد السّالم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2013.

72- // ، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982.

73- السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد، **كتاب في آداب الحسبة**، نشر: جورج كولان وليفي بروفنصال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة الأمنية الرباط، الطبعة الثانية، 2011.

74- ابن السماك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2010.

75- ابن سهل أبي الاصبغ عيسى، **ديوان الأحكام الكبرى(أو: الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام)**، تحقيق: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007.

76- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي(الدار البيضاء)، مطبعة الكرامة، الرباط-المغرب، الطبعة الثالثة، 2003.

77- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت: 928هـ)، **كتاب السير**، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

78- ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984.

79- ابن صعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل (ت:901هـ)، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2009.

80- // ، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحقيق: محمد أحمد الديباجي، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2011.

81- الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك الغرنـاطي، **زهرة البستان ونزهة الأذهان،** تحقيق: محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر الجديدة- مصر، 2005.

82- العبدري ابن الحاج أبو عبد الله محمد المالكي الفاسي (ت737هـ)، **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها،** مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت.

83- ابن عذاري المراكشي(712هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب(قسم الموحدين)،** تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1985.

84- // ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، 1983؛

85- العسقلاني أحمد بن علي ابن حجر(856هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري،** تصحيح وتحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار الريان للتراث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 1986، ج:4.

86- العقباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني(ت871 هـ)، **تُحفةُ النَّاظِر وغنيةُ الذّاكر في حِفْظِ الشَّعائر وتَغْيِير المنَاكِرْ،** تحقيق: علي الشنُّوفي، نشر: Institut Français de Damas, Bulletin d’Etudes Orientales, Tome : XIX, Années 1965-1966, Damas, 1967

87- العمري ابن فضل الله (ت 749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2002، ج:4.

88- ابن العوام أبو زكرياء يحي (من أهل القرن 7هـ)، **كتاب الفلاحة،** دراسة وتعليق: غارسيا سانشيز وإستفان فرنانديز ميخو، مدريد، 1988، ج:1.

89- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت:704هـ)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1970.

90- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2005.

91- الفاسي ابن أبى زرع، **روض القرطاس في تاريخ ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1999.

92- // ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فآس**، ترجمة: كارل يوحن تور نبورغ، دار الطباعة المدرسية أوبسالة، 1843.

93- أبو الفداء إسماعيل، **تقويم البلدان**، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، د. ت.

94- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد (ت:799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2003، المجلد:2.

95- الفرسطائي أبو العباس أحمد بن محمد (ت:504هـ)، **القسمة وأصول الأرضين**، تحقيق: بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، الطبعة الثانية، 1997.

96- الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تقديم: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتاب الحديث، القاهرة-الكويت-الجزائر، الطبعة الأولى، 2003.

97- **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،** مقتبس من كتاب: **نزهة المشتاق للشريف الادريسي،** تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

98- القاضي عياض بن موسى بن عياش اليحصبي السبتي (544هـ)، **الاعلام بحدود قواعد الاسلام،** تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، الرباط-المغرب، 1964.

99- ابن القاضي المكناسي(ت:1025هـ)، **درّ الحجال في غرة أسماء الرجال،** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

100- ابن قداح الهواري أبو علي عمر(ت: 734هـ)، **المسائل الفقهية،** تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2011.

101- ابن قرة ثابت (ت688هـ)، **الذخيرة في علم الطب،** تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1998.

102– القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد،** دار صادر، بيروت، 1960.

103- قسطوس بن اسكولستيكه، **كتاب الزرع،** تحقيق: بوراوي الطرابلسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- مطبعة سوجيم، تونس، الطبعة الأولى، 2010.

104- ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،** تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1990.

105- القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي(ت:891هـ)، **رحلة القلصادي،** تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

106- القلقشندي أحمد بن علي (ت: 861هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،** شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ت، المجلد:5.

107- ابن قنفد القسنطيني، **أنس الفقير وعزّ الحقير،** نشر: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط-المغرب، 1965.

108- // ، **كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2009.

109- ابن أبي دينار القيرواني، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1967.

110- ابن أبي زيد القيرواني أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت:386هـ)، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تحقيق: محمد عبد العزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1999، المجلد:11.

111- ابن القيم الجوزية، **الطب النبوي**، دار الفكر، بيروت، د. ت.

112- كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري(12م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

113- لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مطبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، 1973، مجلد: 1.

114- // ، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1980، مج:1.

115- // ، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2009.

116- // ، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية- المغرب، د. ت.

117- // ، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تعليق ونشر: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

118- مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي، محمد زنبير وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، 1989.

119- المازوني أبو زكرياء، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: مختار حساني، دار الكتاب العربي، القبة- الجزائر، د.ط، 2009.

120- المازوني موسى بن عيسى(عاش ق9هـ)، **مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار**، تحقيق: عبيد بوداود، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس-الجزائر، الطبعة الأولى، 2015.

121- المجاجي عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي، **التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج**، تحقيق: خالد بوشمة، دار التراث، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.

122- المجوسي علي بن العباس، **كامل الصناعة الطبية(المعروف بالملكي)**، المطبعة الكبرى، الديار المصرية، 1294هـ.

123- المراكشي (أبو الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي)، **أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية**، تحقيق: عبد الله بنصر العلوي، المجمع الثقافي، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1999.

124- المراكشي عبد الواحد بن علي(ت 647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 2005.

125- // ، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 1997.

126- ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ)، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2008.

127- ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: بوباية عبد القادر، الجزائر، 2010.

128- **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفات للإدريسي**، تحقيق: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

129- **المغرب في بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك** ،نشر: البارون دوسلان، المكتبة الأمريكية، 1965.

130- **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، مأخوذ من: **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي**، مطبعة بريل، ليدن، 1823.

131- المغيلي التلمساني محمد بن عبد الكريم (ت909 هـ)، **جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام**، تحقيق: مبروك مقدم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

132- // ، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2001.

133- // ، **فيما يجب على الأمير**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، منشورات ثالة، الجزائر، 2008.

134- ابن مفلح المقدسي الحنبلي، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، شركة القدس للتجارة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007، ج:3.

135- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، د. ت.

136- المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني(ت 1045هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

137- // ، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر–القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، ج:5.

138- المقري أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت:759هـ)، **عمل من طب لمن حب**، تحقيق: أبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

139- الملالي (أبو عبد الله محمد بن عمر التلمساني)، **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**، تحقيق: علال بوربيق، دار كردادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011.

140- مؤلف مجهول، **تلخيص القول في الأكيال والأوزان والنصب الشرعية وتبيين مقاديرها من أقوال العلماء المعتنين بتحقيق ذلك**، تحقيق: محمد الشريف، نشر مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد:11، جويلية 1999.

141- مؤلف مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تقديم: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011، السفر الثاني.

142- مؤلف مجهول، **الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية**، نشر: محمد بن أبي شنب، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2012.

143- مؤلف مجهول، **كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ضبط وتعليق: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، 2002.

144- مؤلف مجهول، **كتاب تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب**، مطبوعات معهد العلوم المغربية، مكتبة بول قطنيز، باريز، 1934.

145- مؤلف مجهول (ق6هـ)، **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة**، تحقيق: محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمد، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، 1984.

146- النابلسي عبد الغني(1143هـ)، **علم الملاحة في علم الفلاحة**، مطبعة نهج الصواب، دمشق، 1299هـ.

147- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج:3.

148- الأنصاري شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، تقديم: أ.مهران، نوفتار أمبرسروم، 1923.

149- الأنصاري أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (113-182هـ)، **كتاب الخراج**، تحقيق: محمد المناصير، تقديم: عبد العزيز الدوري، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، 2009.

150- النميري ابن الحاج، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1990.

151- ابن هلال أبو اسحاق ابراهيم بن علي الصنهاجي الفلالي السجلماسي (ت: 903هـ)، **النوازل الهلالية (المعروفة بـ: نوازل بن هلال)**، جمع وترتيب: علي بن أحمد الجزولي، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، دار الجيل، الدار البيضاء-المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2013.

152- ابن الوردي(ت 749هـ)، **منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين**، تحقيق: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د. ط، د. ت.

153- ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي (ق4هـ)، **الفلاحة النبطية**، تحقيق: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، الجفان والجابي للطباعة والنشر والتوزيع، ليماسول-قبرص، الطبعة الأولى، 1993.

154- الونشريسي أحمد بن يحي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981.

155- // ، **كتاب الوفيات**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، الطبعة الأولى، 2009.

156- // ، **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، تحقيق: محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، الجزائر، د.ط، د.ت.

157- // ، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، تحقيق: عبد الباهر الدوكالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2009.

158- // ، **النوازل الجامعة**، تحقيق: شريف المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2011.

ج- المراجع:

1)- باللغة العربية والمترجمة:

159- آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 2013.

160- أربوح زهور، **أوضاع المرأة بالغرب الاسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي**، دار الأمان، الرباط-المغرب، الطبعة الأولى، 2013.

161- ازريكم عبد الرزاق بن عمر، **مدينة أغمات وما إليها في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمدينة الوسيطية ببلاد المغرب**، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش- المغرب، الطبعة الأولى، 2012.

162- اسماعيل محمود، **سوسيولوجيا الفكر الاسلامي(طور الازدهار1، الخلفية السوسيو- تاريخية)**، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000.

163- أوليڤيا ريمي كونستبل، **التجارة والتجار في الأندلس**، ترجمة: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2002م.

164- البركة محمد، بن حمادة سعيد وآخرون، **النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد**، مطبعة بني يزناسن، سلا – المغرب، د. ط، أكتوبر 2016.

165- برنشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ج:2.

166- بشاري لطيفة، **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13-16م)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

167- بشير عبد الرحمن، **اليهود في المغرب الاسلامي واسبانيا المسيحية**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الجيزة-مصر، الطبعة الأولى، 2014.

168- بعيزيق صالح، **بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية**، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2006.

169- بلعربي خالد، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية(55هـ-633هـ/675م-1235م)**، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

170- بلعربي خالد، **ورقات زيانية**، دار هومة، الجزائر، 2014.

171- بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، 2010.

172- بلهواري فاطمة، بلعربي خالد، وآخرون، **النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيي (160-962هـ/777-1554م)**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014.

173- بن حمادة سعيد، **الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7وَ8هـ/13وَ13م**، دار الطليعة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2007.

174- بن حمادة سعيد، ومحمد البركة، **الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الانتاج**، مطبعة بني ازناسن، سلا-المغرب، د. ط، 2016، ج:2.

175- بن حمادوش الجزائري عبد الرزّاق ، **لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال** ، تحقيق: أبي القاسم سعد الله، دار الطّباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007.

176- بن حمدوش الجزائري عبد الرزاق محمد ، **كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1996.

177- بن خروف عمار، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري(16م)**، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2008.

178- بن رسول عمر بن يوسف بن عمر، **ملح الملاحة في معرفة الفلاحة**، تحقيق: عبد الله محمد علي المجاهد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، الطبعة الأولى، 1987.

179- بن رمضان شاوش الحاج محمد، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995.

180- بن رمضان شاوش الحاج محمد، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

181- بنعمان اسماعيل، **مدينة دلّس(تدلّس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الاسلامي**، دار الأمل، تيزي وزو- الجزائر، د. ط، 2011.

182- بن عميرة محمد، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

183- بن قربة صالح، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

184- بن مخلوف محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر، د.ط، د. ت.

185- بن مليح عبد الاله، **ظاهرة الرق في الغرب الاسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، د.ط، 2002.

186- بن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.

187- بنميرة عمر، **النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 2012.

188- بوتشيش ابراهيم القادري، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي،** دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.

189- بوتشيش ابراهيم القادري، **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي،** رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014.

190- بوتشيش ابراهيم القادري، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي،** دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.

191- بوداود عبيد، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق:13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي،** دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر،2003.

192- بوداود عبيد، **الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق:13-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،** مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

193- بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها،** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

194- بوسني جون، **العلاقات بين طرق الاستغلال الفلاحي وتعرية الترب في البلاد التونسية،** ترجمة: المنجب بورقو، دار سيناترا، تونس، الطبعة الأولى، 2010.

195- بوعزيز يحي، **الموجز في تاريخ الجزائر(الجزائر القديمة والوسيطية)،** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج:1.

196- بوعمامة فاطمة، **اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والتاسع هجري(13-15 ميلادي)،** مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.

197- بوكريديمي نعيمة، **الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس خلال القرن الثامن الهجري(14م)،** دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2012.

198- بولعسل احسن، **الضرائب في المغرب الاسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين(96-668هـ/715-1269م)**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2013.

199- بولقطيب الحسين، **حفريات في تاريخ المغرب الوسيط**، جذور للنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2004.

200- بياض عبد الهادي، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس(ق6-8هـ/12-14م)**، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

201- التميمي عز الدين الخطيب، **العمل في الإسلام**، شركة الشهاب، الجزائر، 1987.

202- التنبكتي أحمد بابا (ت1036هـ)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق: محمد مطيع، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، د.ط، 2000، ج:2.

203- التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس-ليبيا، الطبعة الثانية، 2000.

204- الجابري محمد عابد، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثامنة، 2007

205- جاد الرب حسام الدين، **أسس الجغرافيا البشرية والاجتماعية**، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، د.ط، 2014.

206- الجبري عبد المتعال محمد، **الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى**، مكتبة وهبة، القاهرة،ط:1، 1993م.

207- الجزائري، جابر أبو بكر، **منهاج المسلم**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1999.

208- جغلول عبد القادر، **الاشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون،** دار الحداثة، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة.

209- جغلول عبد القادر، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط،** ترجمة: فضيلة الحكيم، دار الحداثة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1988.

210- جغلول عبد القادر، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط،** ترجمة: فضيلة الحكيم، دار الحداثة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1988.

211- الجنحاني الحبيب، **التحولات الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع صدر الإسلام،** دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1985.

212- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)،** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ت.

213- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)،** ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، د.ت.

214- الحاج ابن الدين الأغواطي، **رحلة الأغواطي في شمال افريقية والسودان والدرعية،** تقديم: أبو القاسم سعد الله، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، العدد:13، 1982.

215- حاجيات عبد الحميد **أبو حمّو موسى الزّياني- حياته وأثاره،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

216- حاجيات عبد الحميد ، وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط،** وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر طبعة خاصة.

217- حركات ابراهيم، **النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط،** أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، د. ط، 1996.

218- حسين محمد كامل، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب،** ليبيا، د. ت.

219- حلاوي محمود مصطفى، **النظم الاسلامية في عصر صدر الاسلام،** دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.

220- حلمي عبد القادر، **جغرافيا الجزائر،** دمشق، 1986.

221- حمادو الكتبي عبد الرحمن، **مع ابن يوسف السنوسي(رسالة في الطب: تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية)،** دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011.

222- الخلابي عبد اللطيف، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصر المريني والوطاسي(669-960هـ/1270-1550م)،** مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 2011.

223- خلفات مفتاح، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين(6-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري،** دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د. ط، 2011.

224- ابن خنتاش المسيلي أبو محمد، **نهاية المرام في تيسير مطالعة الأحكام،** مخطوط بمكتبة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د. ر.

225- خوسي مارية مياس بييكروسا، **علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس،** تعريب: عبد اللطيف الخطيب، مطبعة المخزن، تطوان-المغرب الأقصى، 1957.

226- الدخان عبد العزيز صغير، **موسوعة الامام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2013.

227- الدراجي بوزياني، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

228- الدسوقي محمد، **الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه**، دار الوفاء، المنصورة، 1995.

229- الدوري عبد العزيز، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

230- رباحي عبد الرحمن، **قال المجذوب: من الرباعيات المنسوبة إلى الشاعر الشعبي المغربي الولي الصالح الشيخ عبد الرحمن المجذوب(ت976هـ)**، دار الجزائر للكتب، الجزائر، الطبعة الثالثة، 2008.

231- الرحبي عبد العزيز بن محمد(ت:1184هـ)، **فقه الملوك ومفاتيح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج**، تحقيق: أحمد عبيد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، د.ط، 1975، ج:1.

232- رزوق محمد، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثالثة، 1998.

233- أبو زهرة محمد، **محاضرات في الوقف**، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 1972.

234- الزوكه محمد خميس، **الجغرافيا الزراعية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية – مصر، الطبعة الثالثة، 2000.

235- سامعي إسماعيل، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2007.

236- السبتي عبد الأحد، وفرحات حليمة، **المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب من القرن 15 إلى القرن 18- قضايا ونصوص،** الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2007.

237- السبيعي سند بن مطلق، **الخيل معقود في نواصيها الخير**، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2004.

238- ابن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،** تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013.

239- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي،** دار الغرب الإسلامي، لبنان- الطبعة الأولى؛ 1998، الجزء1.

240- سعد زغلول عبد الحميد **تاريخ المغرب العربي،** منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، الجزء الخامس.

241- سعيد اسماعيل علي، **النبات والفلاحة والري عند العرب**، مكتبة عالم الكتب، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006.

242- سعيدان عمر، **علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م،** مطبعة ثالة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2011.

243- سعيدوني ناصر الدين، **دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.

244- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، الجزء2.

245- السيد غلاب محمد، **الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية-مصر، 1995.

246- السيد كمال أبو مصطفى، **محاضرات تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2003.

247- شبوخ ابراهيم، **المائدة في التراث العربي الإسلامي**، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، د. ط، 2004.

248- الشرباصي أحمد، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دار الجيل، د.م، د.ط، 1981.

249- الشريف ابن عابد الفاسي(ت1048هـ)، **رحلة بن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت**، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

250- الشريف محمد، **قضايا في تاريخ المغرب والأندلس**، مطبعة الهداية، تطوان-المغرب، الطبعة الأولى، 2015،ج:1.

251- الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي، **القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1991.

252- الشنوفي ادريس، **اليهود في تاريخ المغرب: نصوص وقضايا**، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2016.

253- شنيتي محمد البشير، **الجزائر: قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د. ط، 2013.

254- صابر عبد المنعم محمد علي البلتاجي، **النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين(524-668هـ/1130-1269م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2012.

255- صفاء مجيد المظفر، **جغرافية التربة**، منشورات كلية الآداب (قسم الجغرافيا)، جامعة الكوفة، العراق، د. ط، د. ت.

256- الطمار محمد، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت.

257- الطمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

258- الطمار محمد، **تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، تقديم: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

259- الظاهر نعيم، **جغرافية الوطن العربي**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2007.

260- عابد عبد القادر وآخرون، **أساليب الإنتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الإسلامية**، الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، 2001.

261- عاكول الصالحي سعدية، ولد الداه سيداتي، وآخرون، **جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1999.

262- عبد الشكور نبيلة، **نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأوسط**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012، ج:1.

263- عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة بتلمسان دراسة أثرية في عمرانها وفنونها**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006.

264- عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

265- عزاوي أحمد، **الغرب الاسلامي في أواسط القرن الثامن الهجري(13م): دراسة تاريخية لديوانيات ريحانة كتاب لابن الخطيب**، ربَا نات، الرباط، الطبعة الأولى، 2008.

266- عزاوي أحمد، **المغرب والأندلس في القرن السابع(13م): دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن الخطاب**، ربَا نات، الرباط، الطبعة الأولى، 2008.

267- عز الدين عمر موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 2003.

268- العزيزي عبد العباس، وكاغول الصالحي سعدية وآخرون، **جغرافية الوطن العربي**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1999.

269- العلمي عبد السلام بن محمد، **ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس**، مكتبة دار التراث، الرباط، 1986.

270- عمارة محمد، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية**، دار الشروق، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

271- العمري عبد العزيز بن إبراهيم، **الحِرفُ والصناعات في الحجاز في عصر الرسول(صلى الله عليه وسلم)**، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الرياض، الطبعة الثالثة، 2000.

272- علوي حسن حافظ، **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، منشورات عكاظ، الدار البيضاء-المغرب، د. ط، 2011.

273- علي حسن موسى، **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية**، دار الفكر، سورية، الطبعة الأولى، 1997.

274- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، **الرحلة العياشية (1661-1663م)**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2006، المجلد:1.

275- غانم محمد الصغير، **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب**، دار الهدى، عين مليلة، 2003.

276- غلاب عبد الكريم، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1996.

277- الفاسي محمد بن الطيب (1170هـ)، **شرح كفاية المتحفظ: تحرير الرواية في تقرير الكفاية** ، تحقيق: علي حسين البوّاب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1983.

278- فايد محمد عبد الوهاب، **التربية في كتاب الله**، مكتبة الاعتصام، 1972.

279- فرج محمود فرج، **اقليم توات خلال القرنين 18-19م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

280- فياض سليمان، **ابن العوام عالم الزراعة**، منشورات *ANEP*، الجزائر، الطبعة الأولى 2006.

281- فيلالي عبد العزيز، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى، عين ميلة-الجزائر، 2014.

282- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ج:1.

283- فيلالي عبد العزيز، **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الاسلامي**، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2012.

284- قارة حياة، **النساء في فضاء البحر الأبيض المتوسط الثقافة والمجتمع في العصر الوسيط**، دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، 2011.

285- القبلي محمد، **الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط(علائق وتفاعل)**، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، 1997.

286- القبلي محمد، **جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء-المغرب، د. ط، 1998.

287- القرقوطي معمر الهادي محمد، **الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين**، منشورات جامعة الزاوية، الزاوية – ليبيا، الطبعة الأولى، 2013.

288- قريان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

289- القنوجي صديق بن حسن (1307هـ)، **أبجد العلوم: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، اعداد: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت، د. ط، ج:2.

290- قويدر بشار، **قضية الأرض في الدولة الإسلامية**، مركز الطباعة (ملحقة بوزريعة)، جامعة الجزائر، د.ط، د.ت.

291- كاتبي غيداء خزنة، **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري(الممارسات والنظريات)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

292- كرراز فوزية، **دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري(ق 11-13م) دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الإسلامي**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2006.

293- كنون عبد الله الحسني، **محاذي الزقاقية**، مطبعة أكدال، الرباط-المغرب، د.ط، د.ت.

294- لـواتي دلال، **عامـة القيـروان فـي عصـر الأغالبـة**، رؤيـة للنشـر والتوزيـع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015.

295- لومبار موريس، **الاسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5هـ(8-11م)**، ترجمة: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الثالثة، 1990.

296- مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1991.

297- مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية.

298- مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، 1991.

299- مارسي جورج، **مدن الفن الشهيرة: تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر الثل، البليدة – الجزائر، 2004.

300- محمد صبحي عبد الحكيم، **دراسات في الجغرافيا العامة**، دار النهضة العربية (مطبعة جامعة القاهرة)، مصر، 1980.

301- محمود أحمد أبو صوة، **ملاك الأرض بإفريقية منذ الفتح حتى أواسط القرن الرابع للإسلام – مدخل لدراسة نظام إفريقية الاقتصادي والسياسي**، منشورات *ELGA*، فاليتا- مالطا، د.ط، 2001.

302- محمود بو عياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري(15م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

303- المدني أحمد توفيق، **جغرافية القطر الجزائري**، سانديكاد بنيسياتيف، الجزائر، 1948.

304- المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، محرم 1350هـ.

305- المطوي محمد العروسي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، د. ط، 1986.

306- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية (جمهورية مصر العربية)، دار الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2004.

307- المعداني أبو علي الحسن بن رحّال(ت1140هـ)، **رفع الالتباس في شركة الخماس** ، تحقيق: رشيد قبّاط، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، دار الأمان، الرباط-المغرب، الطبعة الأولى، 2012.

308- مصطفى محمد مسعد سامية، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين(484-620هـ/1092-1223م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2003.

309- مقدم مبروك، **الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية**، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2008، ج:5.

310- مقدم مبروك، **الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 2016.

311- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1988، المجلد:1.

312- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1992، مج: 2، ج: 3.

313- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1350هـ، ج:2.

314- الميلي مبارك، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1350هـ، ج:2.

315- الناصري أبو راس المعسكري، **زهر الشماريخ في علم التاريخ**، دراسة وتحقيق مجموعة من الباحثين باشراف: بن عمر حمدادو، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، 2016.

316- الناصري أبو رأس المعسكري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تحقيق: محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران-الجزائر، 2008، ج:1 و2.

317- الناضوري رشيد، **المغرب الكبير**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ج 1.

318- نشاط مصطفى، **جنوة وبلاد المغرب: مساهمة في دراسة العلاقات الايطالية المغربية أواخر العصر الوسيط (609هـ/1212م-759هـ-1358م)**، مطبعة الرباط نت، الرباط-المغرب، د. ط، 2014.

319- نكادي يوسف، **الزراعة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري**، مطبعة الجسور، وجدة-المغرب، ط:1، 2007.

320- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر – من صدر الاسلام حتى الوقت الحاضر**، مؤسسة نهويض الثقافية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1980.

321- نويهض عادل ، **معجم أعلام الجزائر**، دار الوعي، الجزائر، 2017.

322- الهروي الهادي، **القبيلة الاقطاع والمخزن**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، 2010.

323- ياسين محمد نجمان، **أرض الصوافي: الأرض الخاصة بالدولة في الاسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العصر الأموي**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2014.

2)- باللغة الأجنبية:

324- Atallah DHINA, ***Les Etats de l'Occident Musulman aux XIII e, XIVe et XVe siècles,*** O. P. U., Alger, édition 01, 1984.

325-Atallah DHINA, ***Le Royaume Abd-Eloadid à l'époque d'Adou Hammou Moussa1er et d'Abou Tachfin 1er***, office des publications universitaires, Alger, édition n°01, 1985.

326-Arturo FERRETTO : "Codice diplomatico della relazioni fra la Liguria la Toscana e la Lunigiana ai tempi di Dante(1265-1321)" , in: ***Atti della Società ligure di storia patria***, Vol: 31/1901, S. Giuseppe, Roma.

327- Barges (J.J.L), ***Complément de l'Histoire des Béni Zeiyan rois de Tlemcen***, Paris, 1887.

328-L. J. J.L. Bargès, ***TLEMCEN Ancienne Capitale du Royaume de ce Nom***, révision : Mahrez Amine, EURL KAFILA, Alger, 2011.

329- Christophe Picard***, le monde musulman du XI au XV siècle,*** Armand Colin: Campus, 2001.

330-De Gazes, ***Essai sur l'histoire des Israelites de Tunisie***, Paris, 1889.

331- E. Eisenbeth, ***Les Juifs en Algérie: Esquisse Historique depuis les origines jusqu'à nos jours***, Extrait de l'Encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, s. d.

332- G. MUNBY, ***Catalogue des plantes indigènes du Royaume d'Alger***, J. B. BAILLIÉRE, Paris, 1847.

333-J. Mesnage, ***Le Christianisme en Afrique du Nord: Origines, Développement, Extension***, Alger, 1914.

334- J. Toledano, ***Fils d'Abraham: Les Juifs Maghrebins***, Ed Brepol, Belgique, 1989.

335-Lucien GOLVIN, ***Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad***, Maisonneuve et Larose, Paris, 1965.

336- M. Worms, ***Recherches sur la constitution de la propriété Territoriale dans les pays Musulmans et subsidiairement en Algérie***, A. FRANCK Libraire-Éditeur, Paris, 1846.

337- Mohamed Houbaida, ***Le Maroc Végétarien 15 ème – 18 ème***, Edition WALLADA, Casablanca, 2008

338- Philippe CONTAMINE, Marc BOMPAIRE, et autre, ***L'économie Médiévale***, ARMAND COLIN, Paris, 2001.

339- R. L. Lawlesse and G. H. Blake, ***Tlemcen Continuity and Change in Algerian Islamic Tawn***, Bowker London and New-York, 1976.

340- Robert BRUNCHVIG, ***Deux Récits de Voyage Inédits en Afrique du Nord: ABD ALBASIT B. HALIL ET ADORN***, LAROSE Éditeurs, Paris, 1936.

341- Sid Ahmed BOUALI***, Les deux grands sièges de Tlemcen***, L'Arbres à Livres Editions, Tlemcen-Algérie, édition 01, 2011.

د- الأطاريح والرسائل الجامعية:

342- أحتمي عبد العالي، **التغذية بالمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط –قضايا ونماذج**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-2002.

343- بريكة مسعود، **النخبة والسلطة في بجاية الحفصية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة-الجزائر، 2008-2009.

344- بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6-9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010.

345- بن داود نصر الدّين، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان (ق7-10هـ)**، مذكرة ماجستير، بكليّة العلوم الإنسانية والحضارة، قسم التّاريخ، جامعة وهران، 2002-2003.

346- بن دومة محمد الطاهر، **أخبار وأيام وادي ريغ**، تقديم وتحقيق: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، 2010-2011.

347- بن دومي عابد، **الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة في المغرب الأوسط وأثرها في المجتمع ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (القرن 13 - 15 م)**،

مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011.

348- بن سليمان عبد النور، **امتلاك الأراضي الجزائرية في العرف الجزائري: منطقة تاجرة أنموذجا(دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية)**، مذكرة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بالقائد، تلمسان-الجزائر، 2007-2008.

349- بورملة عربية، **امارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين(7-8هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران السانيا، 2009-2010.

350- بوشريط أمحمد، **ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي(300-460هـ/912-1067م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012.

351- بوعنيني سهام، **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2008-2009م.

352- تيتاو حميد، **الحرب والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني(609-869هـ/1212-1465م) اسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة المولى اسماعيل، مكناس-المغرب، 2008.

353- جاب الله رخ أنس رأفت، **نظرية الضرائب في تراث ابن خلدون: دراسة تحليلية مقارنة**، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2016.

354- رمضان المختار رمضان الجامع، **الأحباس ودورها في بلاد المغرب(خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر الملاديين)**، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم(قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية)، جامعة القاهرة، مصر، 2013.

355- سعداني محمد، **الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين(13-15م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران -1- أحمد بن بلة، 2015-2016.

356- شباب عبد الكريم، **صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجري(13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.

357- الطويل محمد، **الفلاحة المغربية في العصر الوسيط**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط-المغرب، 1987-1988.

358- عبد الشكور نبيلة، **إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة الثاني عشر-الخامس عشر الميلاديين**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008، ج: 2.

359- عبد المجيد قدور، **هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية (16-17م/10-11هـ)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، معهد الحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، د.ت.

360- العربي لخضر، **الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011.

361- علوش وسيلة، **الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها، منشآتها، استغلالها، من القرن1 هـ إلى نهاية القرن 6 هـ**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2012-2013.

362- عياش محمد، **الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان دراسة تاريخية وأثرية**، ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006.

363- قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم(ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007-2008.

364- مزدور سمية، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009.

365- محمود حسن حميد بيداء القيسي، **الزراعة والرّي في الأندلس في عصري الامارة والخلافة(138-422هـ/756-1030م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، 2005.

366- نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(7-10هـ/13-16م)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان، 2013-2014.

367- هواري موسى، **تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1هـ-7م إلى القرن 7هـ-13م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، 2015-2016.

368- OUDINA Lobna, ***Les Outils Traditionnels agraires du Gharb***, Mémoire de fin d'études du 2 eme cycle des sciences de l'archéologie et du patrimoine, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat-Maroc, 1997-1998

ه- المقالات والملتقيات:

1)- باللغة العربية:

369- بركات محمد مراد: "مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات"، **مجلة الوعي الإسلامي**، قطاع الثقافة والشؤون الإسلامية (وزارة الأوقاف الكويتية)، الكويت، العدد: 556، أكتوبر- نوفمبر 2011.

370- بلعربي خالد: "المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني"، **دورية كان التاريخية**، العدد:4، يونيو 2009، ص ص:19-29.

371- بلكامل البيضاوية:" الماء خواصه واستعمالاته في المداواة من خلال مؤلف: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"، **مجلة البادية المغربية**، مكتبة دار السلام، الرباط، العدد:03، 2009.

372- بلمداني نوال: "حرفة الرعي بالغرب الإسلامي"، **ضمن كتاب: الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي**، مطبعة بني ازناسن، المغرب، 2016، ج:2.

373- بن حمادة سعيد: "الفلاحة والفلاحون في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، **دورية كان التاريخية**، العدد:22، ديسمبر 2013.

374- بن حمادة سعيد: "النشاط الزراعي بالبادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية"، **مجلة البادية المغربية**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، العدد: 2011/4.

375- بن عميرة محمد: "التجارة المائية في كتب الفقه والنوازل ببلاد المغرب"، **ضمن كتاب المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

376- بن عميرة محمد: "الصيد البحري بالسواحل المغربية في العصر الوسيط"، **أعمال الملتقى الدولي حول: الموانئ الجزائرية عبر العصور 7-8 ديسمبر 2008**، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط(جامعة الجزائر)، دار هومة، الجزائر، 2009.

377- بن معمر محمد: "رسالة جوابية من أهل الرباط وسلا عن كتاب الخليفة الموحدي الرشيد حول بيعة أهل تلمسان"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، العدد: 2 و3، 2004-2005.

378- بوتشيش إبراهيم القادري، البياض عبد الهادي: "التربة: آفاتها، تقنيات علاجها وتدبير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية (القرن 5هـ/11م)، ضمن كتاب: **الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط**، إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء – المغرب، د.ط، 2011.

379- بوداود عبيد: "دور الوقف في خدمة العلم وأهله: نماذج من تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط"، **محاضرة غير منشورة.**

380- بوداود عبيد: "قراءة في أوقاف و مدارس وزوايا تلمسان الزيانية"، **مجلة المواقف**، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي(معسكر) الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، العدد: 03، ديسمبر 2008.

381- بودواية مبخوت: "الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني"، **مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية**، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبوبكر بلقائد(تلمسان- الجزائر)، العدد التجريبي، ديسمبر2008.

382- بوعثمان عبد الرحمن محمد: "نظام السقي في الجنوب الغربي الجزائري: نظام الفقارة في منطقة توات أنموذجا- دراسة من خلال المصادر المحلية"، **دورية كان التاريخية**، العدد:22، ديسمبر 2013.

383- البياض عبد الهادي: "تقنيات استخراج المياه وترشيد استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية"، **مجلة البادية المغربية**، العدد:2009/03، مكتبة دار السلام، الرباط-المغرب.

384- حاجيات عبد الحميد: "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر- بوزريعة، العدد: 10، 1997م.

388- حساين عبد الكريم: "الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، **دورية كان التاريخية**، العدد:17، سبتمبر 2012.

389- حسن محمد: "الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي"، ***ACTES DU III° CONGRES D'HISTOIRE ET DE LA CIVILISATION DU MAGHREB***, Oran 26. 27. 28 Novembre 1983, O.P.U, Alger, Tome:1, p:97.

390- حمـــداوي محمـــد: "المواســـم الزراعيـــة والأمثـــال الشـــعبية لـــدى الفلاحـــين التلمسانيين"، **مجلة الحداثة**، العدد:143-144، 2012.

391- دحماني سهام: "المصطلحات الاقتصادية في كتب النوازل –نوازل المازوني نموذجا، **ضمن كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2011.

392- رزيـوي زينـب: "دور الأوقـاف بـالغرب الأوسـط خـلال العهـد الزيـاني (663-662هـــ/1235-1554م)"، **مجلـــة الانســـان والمجتمـــع**، كليـــة العلـــوم الانســـانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان –الجزائر، العدد: 12، جويلية 2016.

393- سحر السيد عبد العزيز سالم: "الهجرات الأندلسية والموريسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط، **ضمن كتاب: أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006.

394- سلفاتو ريبونو:"وضع الجاليات الأوربية في المغرب قبل الاستعمار"، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد: 25، جمادى الأولى و الثانية 1395/ماي-جوان 1975.

395- الشابي محمد: "المسالك وطرق التجارة والمواصلات: انتقال المهارات والطرز والمستجدات"، **ضمن كتاب: الفن العربي الإسلامي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994، الجزء1.

396- الشاهري مزاحم علاوي: "قبائل هلال وجشم والمعقل في المغربين الأوسط والأقصى: الاستقرار والدور الاقتصادي والثقافي(584-800هـ)"، **أعمال ندوة: الوطن العربي- النواة والامتدادات عبر التاريخ**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

397- شارن شافية: "الصناعات البحرية القديمة: طرق صيد وتمليح الأسماك ومرق الحوت"، **مجلة دراسات تراثية**، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، معهد الآثار جامعة الجزائر، العدد:2، 2008.

398- شخوم سعدي: "الصناعة الصيدلية بالدولة الزيانية من خلال مؤلفات ابراهيم بن أحمد الثغري التلمساني(القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي)"، **مجلة الناصرية**، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر-الجزائر، العدد:4، جوان 2013.

399- شريف موفق طيب: "الحق في العمل ومكانة الحرف والمهن في الإسلام، دراسة أصولية مقاصدية فقهية"، **مجلة الناصرية**، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية(جامعة معسكر)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس- الجزائر، العدد: 04، جوان 2013.

400- شنيتي محمد البشير: "صورة من حياة الريف في افريقيا الرومانية من خلال مشاهد الفسيفساء"، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد:10، 1997.

401- الطيبي أمين توفيق: " كتب الفلاحة الأندلسية: أرجوزة ابن لُيون التجيبي في الفلاحة"، **أبحاث المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب(دير الزور 12-14 نيسان 1988)**، منشورات جامعة حلب، 1995.

402- عثمان محمد: "الوقف الذري أو الأهلي"، ضمن أعمال: **منتدى قضايا الوقف الفقهية الثاني 8-10 مايو 2005**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى، 2006.

403- عطاء الله دهينة: "الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان"، ضمن **كتاب الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

404- علي أحمد: "اليهود في المغرب والأندلس في العصور الوسطى"، **مجلة دراسات تاريخية،** لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، سوريا، العددان: 57-58، أيلول-كانون الأول 1996.

405- عمارة علاوة: "خمسون سنة من البحث في التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية"، **مجلة المواقف،** منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، العدد:7، ديسمبر 2012.

406- عويس عبد الحليم: "الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة"، **مجلة البحوث الإسلامية،** الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية-الرياض، العدد: 21، 1408هـ.

407- قندوسي سعدية: "الفقارات: نظام وآلة توزيع المياه الجوفية"، **مجلة العلوم الاجتماعية،** كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي – الجلفة، العدد: 13، جويلية 2015.

408- قومي محمد: "دور يهود توات خلال العصر الوسيط"، **مجلة عصور،** مخبر البحث التاريخي: مصادر وتراجم، جامعة وهران 1، الجزائر، العددان: 28-29، جانفي-جوان 2016.

409- لعرج عبد العزيز: "تلمسان وعمرانها وعمارتها الدينية"، **مجلة الوعي،** دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد: 3و4، أفريل-ماي 2011.

410- مسطاري بوكثير: "المنشآت المائية بإفريقية خلال العصر الوسيط دراسة حول استعمالات المفاهيم ودلالتها من خلال كتب النوازل"، **مجلة الدراسات التاريخية،** العدد:15-2013/16، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2.

411- مصباح إبراهيم إبراهيم وهلال رمضان مصري: "دودة الحرير"، **مجلة العلوم والتقنية**، العدد: 57، محرم 1422هـ(أفريل).

412- المنوني محمد: "الكتابة التاريخية عند العرب"، **مجلة الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي، بيروت، العـــدد: 2، يوليو-أغسطس، 1978.

413- الموساوي العجلاوي: "تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة بالمغرب(2-7هـ/8-13م)"، **ضمن كتاب: الماء في تاريخ المغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، 1999.

414- المومني مختار: "الفلاحة في أمثالنا العامية"، **مجلة الإتحاف**، العدد: 143-144، 2004.

<u>2)- باللغة الأجنبية:</u>

415- Basset René: "***Les Influences Puniques Chez Les Berbères***", In : ***Revue Africaine***, N°: 62, 1921, p. 347.

416- BENHIMA Yassir:"***NOTE SUR L'ÉVOLUTION DE L'IQTA*** ***AU MAROC MEDIEVAL*** " In: ***al-Andalus Magreb*** , Revista del Área de Estudios Árabes E Islamicos de la Universidad de CÁDIZ, Vol:16, 2009, p.p:27-44.

417-Brosselard (ch) :" ***les inscription arabes de Tlemcen***", in ***Revue Africaine***, N°15, février 1859 ; volume 03, p.169,170/N°29, septembre 1861, volume 05, p.p.321-336.

418-Destaing Ed.: "***L'Ennayer Chez Les Beni Snius***", In: ***Revue Africaine***, N°:49, 1905, p. 51-56.

419-Dominique VALERIAN, ***Les affaires de Giovanni da Pontremoli au Maghreb après la chute de Constantinople***, Communication in congrès "La conquête de Constantinople:

l'événement, sa portée et ses échos(1453-2003)", Déc. 2003, Tunis, CERES, pp.171-188.

420-Lawless Richard L.***: "Tlemcen, capitale du Maghreb central. Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale***", In: ***Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée***, N°20, 1975. pp. 49-66.

421-MERCIER Ernest: « ***La Propriété en Maghreb selon La Doctrine De Malek***», Extrait du ***Journal Asiatique***, Juillet-Aout 1894, p. p.4-23.

422- Piesse L.: " ***Tlemcen***", In ***Revue d'Afrique Française***, Maison Quantin, N°: 51, 1988, p.345.

2)- مقالات على الأنترنت:

423- تدبير المياه في الواحات واحات غريس وفكيك بالمغرب: "الساعة المائية"، ***http://www.hydriaproject.info/arabic/cases/morocco/water_works.html, dimanche 3décembre 2017.***

424- "دعوى أن الإسلام أغفل بعض الأعمال الحياتية ومنها الزراعة"، الشبهة كاملة ***http://bayanelislam.net***

425- Silkworm(دودة الحرير):
http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Silkworm

426- عادل حرمة الله: **"**تقسيم الماء عند المغاربة: تناست نموذجا**":**

http://hremtellah.blogspot.com/2013/08/blog-post_7255.html, samedi 5 janvier 2013, 14 :29.

الفهارس العامـــة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الحديث النّبوي

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأمثال الشّعبية

فهرس الأعلام والقبائل

فهرس البلدان والأماكن

البلد أو المكان	الصفحة
الألف	
– أبو سمغون.	- 254.
– الاسكندرية.	- 199.
– آسيا الوسطى.	- 273.
– أرشقول.	- 54، 64،139، 163، 284.
– أرغون.	79، 80.
– الأطلس التلي.	- 53، 54، 57، 60.
الأطلس الصحراوي	- 54.
– أغلان.	- 117.
– إفريقية.	-55، 69 ،72، 75، 219،177،163،76، 226، 253، 256.
– إفريقيا.	- 280.
– أقادير.	- 77.
– أنكاد.	- 64، 66، 91، 208،101، 265، 278.
– الأندلس.	-72، 75، 78، 106، 107، 146، 163، 164، 242، 250.
– الأوراس.	- 54، 60، 69، 89، 226، 232 ،233.
– أوروبا.	- 164.
التاء	
– التافنة.	- 64، 288.
– تازا.	- 55.
– تاهرت.	- 53، 54، 76، 91، 152، 165، 180، 242، 245، 246، 252، 266، 271.
– تاكرارت.	- 77.
– تانكرمت.	- 91.
– تبحريت.	- 272.
– تسلّة.	- 53، 151،91، 167،152،.
– تفسرة.	- 89، 232،152.

البلد أو المكان	الصفحة
الباء	
– بجاية.	- 52، 53، 58، 60، 61، 73، 74، 141،138، 183،166 ،207، 217،215، 246، 252، 256، 264، 287.
- البحر الأبيض المتوسط	- 57، 69،284،285، 288.
– برج الكيفان.	- 253.
– برقة	- 87.
– برشك.	- 66، 152،73، 179،177،165، 186،183.
– برشلونة.	- 164.
– بسكرة.	-181،165،90، 182.
– البطحاء.	-91،208،246، 246،247، 252،265.
– البلاد الساحلية.	246،245،230.
– البلاد الشرقية.	- 207،76.
– البلاد الغربية.	- 76.
– البلاد الصحراوية	- 142، 143.
– بلاد مغراوة.	- 97.
– بلاد ريغ.	-242،182.
– بلاد الجريد.	-192.
– بلاد نوميديا.	-250.
– بودا.	-280،221،168.
– بونة.	- 52، 53.
– بنو راشد.	-232،208،184،91، 252 ، 264.
– بنو مستار.	- 117.
– بنو وازلفن.	- 189،184.
– بيت الله الحرام	- 41، 263، 267.
– بيزنطة.	- 273.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

ملخص

تعتبر الفلاحة من أهم النشاطات التي بني عليها الاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي عامّة، وفي المغرب الأوسط خاصة، لأنّها بمثابة العمود الفقري الذي يمد الدولة بالثروة التي ترتكز عليها في بناء سرح كيانها وقوّتها؛ كما تعتبر من أهم الحرف التي عرفها الإنسان ومن أقدمها، فهي أهم المصادر التي بواسطتها يؤمن قوته؛ كما يرفد هذا النشاط ورشات الحرفيين بالمواد الأولية المختلفة التي لا تستغني عليها صنائعهم وحرفهم، وتوفر للتجار السلع التي تحرك عجلة السوق، وتسافر بها الركبان إلى البلاد البعيدة طالبة الربح الجيد؛ وهي بهذه التجليات منبع اقتصادي يختل وضع المجتمع والدولة لنضوبه أو تذبذب صبيبه. إنّ دراسة: "واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني" يتناول جانبا مهما من جوانب التاريخ الاقتصادي لبلدنا في الفترة المتأخرة من العصر الوسيط، هذه الفترة التي شهدت تطورات واضطرابات متلاحقة، خاصة ما تعلق منها بالمجال السياسي، حيث الصراع المتواصل بين الدول الثلاث (الحفصية، والزيانية، والمرينية) حول من يظفر بميراث دولة الموحدين؛ ولا شك أن أثّرت تلك التحوّلات على هذا القطاع الحيوي بالإيجاب والسلب، لا سيما في الزمن الذي بدأت فيه معالم التراجع والانحطاط تظهر. وإنّ البحث في موضوع الفلاحة خلال هذه الحقبة من تاريخ المغرب الأوسط يساعدنا في الكشف عن صور وواقع هذا النشاط من خلال الاجابة عن العديد من الإشكالات المتمحورة حول: طرق وأنماط الإنتاج وحجمه، والامكانيات التي وفّرها هذا النشاط من حيث الكمية والنوعية، وأسباب الوهن والتّراجع. واعتقادا منا بأهمية المجال الفلاحي في بناء اقتصاد مجتمع المغرب الأوسط، وتحقيق الاكتفاء الغذائي، وبعث الحياة داخل الأسواق والمدن، وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية؛ اقترحنا أن يكون هذا الموضوع جديرًا بالبحث والدراسة، رغم ما يكتنفه من صعوبات منهجية وتاريخية، فضلاً عمّا يتطلّبه من جهد في التّنقيب عن حفريات المادّة العلمية.

كلمات مفتاحية:

الفلاحة؛ المغارسة؛ المساقاة؛ الدولة الزيانية؛ المغرب الأوسط؛ نظم الري؛ الأراضي الزراعية؛ الرعي؛ الملكيات الفلاحية؛ الإنتاج الفلاحي.

نوقشت يوم 26 سبتمبر 2018